قصص اليهود
تأليف: لويس جنزبرج
ترجمة وتصدير: جمال الرفاعى
مراجعة وتقديم: محمد خليفة حسن
المجلس الأعلى للثقافة
المشروع القومى للترجمة
465

يشمل كتاب "قصص اليهود" لمؤلفه لويس جنزبرج (١٨٧٣-١٩٥٣) على روايات خاصة بقصص عدد من الشخصيات المهمة فى تاريخ ديانة بنى إسرائيل، ومن أهمهم شخصيات: آدم وحواء ونوح وإبراهيم ويعقوب ويوسف وأيوب وموسى ويشوع وداود وسليمان ويونس، كما يحتوى أيضا على روايات خاصة بآباء بنى إسرائيل وملوكهم وقضاتهم وكهنتهم، ويتناول أيضا روايات خاصة ببعض عصور بنى إسرائيل مثل حياة بنى إسرائيل فى مصر ورحلة الخروج، وعصر القضاة، وعصر الملكية، وعصر السبى، فالكتاب إذن يغطى تاريخ بنى إسرائيل منذ البداية وحتى العودة من السبى البابلى.

الغلاف: محمود مراد

المشروع القومى للترجمة

قصص اليهود

تأليـــــف : لويس جنزبرج

ترجمة وتصدير : جمال أحمد الرفاعى

مراجعة وتقديم : محمد خليفة حسن

٢٠٠٢

المحتويات

تصدير

كانت الأسطورة ولازالت أحد مكونات الوعى البشرى . ورغم التقدم العلمى الذى أحرزه الإنسان طيلة العقود الماضية ، فلازال يلجأ للأسطورة التى كثيرًا ما يجد فيها سلوى لعجزه عن فهم الكثير من قضاياه ، كما أنه يلجأ إليها ليستمد منها توازنه ، فالأسطورة وعلى حد اعتقاد الباحثين المتخصصين فى علمى الأنثروبولوجيا والأديان تشبع بعض الحاجات البشرية العامة . وتعد على هذا الأساس عنصرًا ضروريا لا غنى عنه بالنسبة للثقافات الإنسانية فى كل مراحل تطورها .

وبينما لجأ الإنسان فى الأزمان الغابرة إلى الأسطورة وما تتضمنه من قصص خيالية حتى يفسر من خلالها ظواهر الكون الطبيعية وغيرها من الظواهر التى لم يكن بمقدوره أن يستنبط قوانينها العلمية ويسخرها لصالحه ، فلازال الإنسان المعاصر يحرص على استهلاك وإنتاج الأسطورة التى تسهم فى تحقيقه لقدر من الاتزان فى علاقته بذاته وفى علاقته بأفراد المجتمع .

وهذا الكتاب الذى نقدمه للقارئ العربى يتضمن قصص اليهود الأسطورى الذى تشكل عبر قرون طوال ، وتكمن قيمة هذا القصص فى أنه يتيح لنا فرصة الإطلال على مكونات اللاوعى اليهودى الإسرائيلى ، فالقصص ليس خيالاً أو هراءً وإنما القصص حياة ، فالقصة لا تقدم تأويلات أو قراءات لقضايا عصرها فقط وإنما تطرح ومن خلال وسائل فنية متعددة الكثير من المثل والقيم المستهدف غرسها فى مجموع القراء . وبالرغم من غلبة الطابع الأسطورى على قصص اليهود إلا أنه يمكننا أن نستشف من خلالها رؤيتهم لذاتهم وللآخر .

وتكمن قيمة هذا العمل فى أنه يتيح للمتخصص وغير المتخصص على حد سواء فرصة التعرف على طبيعة المؤثرات العربية الإسلامية فى القصص اليهودى ، هذه المؤثرات التى اعترف مؤلف الكتاب بوجودها ، ومن ثم فإن نقل هذا العمل إلى اللغة العربية يكشف فضل التراث العربى القصصى فى تطور تقنيات السرد فى القصة اليهودية .

ويخدم هذا العمل المشتغلين فى مجالات عدة مثل الأدب الشعبى ومقارنة الأديان ، ويخدم أيضًا المشتغلين فى مجال التفسير الإسلامى إذ يتيح لهم فرصة التعرف على مصادر الإسرائيليات التى تسللت إلى كتب قصص الأنبياء والتفسير .

ويعرض الكتاب مجموعة من القصص الدينى المؤسس للفكر اليهودى ، ومن إحدى فوائد الكتاب تنوير العقل العربى المسلم ومساعدته على الكشف عن العناصر الأسطورية فى تراثه والمستمدة من القصص الدينى اليهودى ، وتعريفه بما هو حقيقى وما هو أسطورى فى هذا التراث .

جمال الرفاعى

مقدمة المترجم

يعد الدين واحداً من أقدم الأمور التى صاحبت الإنسان منذ نشأته على ظهر الأرض وفى جميع العصور . ومنذ فجر التاريخ تميز الإنسان بالتدين . وإذا كان أرسطو قد عرف الإنسان بأنه حيوان ناطق أى عاقل قادر على إدراك الأشياء فقد عرفه غيره من الفلاسفة بأنه حيوان متدين . فذهب هيجل إلى " أن الإنسان وحده هو الذى يمكن أن يكون له دين ، وأن الحيوانات تفتقر إلى الدين بقدر افتقارها إلى القانون والأخلاق " ، وذلك لأن التدين عنصر أساسى فى تكوين الإنسان ، والشعور الدينى إنما يكمن بدرجات متفاوتة فى أعماق كل قلب بشرى .

ويعد إيمان البشرية منذ نشأتها بوجود إله دليلاً على أن الدين سمة متأصلة فى هذا الفكر. وإذا كان فهم البشرية المعاصر للدين يختلف كثيراً عن فهم القرون الماضية إلا أن الدين مازال يعد ملمحاً رئيسيا فى وعى وذاكرة أية جماعة ، ولهذا لا يمكن فهم الحاضر الفكرى للبشرية إذا تم إغفال هذا العنصر الأساسى ، ولن نجافى الحقيقة كثيراً إذا قلنا إنه إذا كان لا يمكن للفرد التخلى عن ذاكرته الخاصة فلا يمكن للبشرية التخلى عن ذاكرتها الجمعية التى يعد الدين واحداً من أهم مكوناتها .

ولا تعد الخبرة الدينية خبرة فــردية فقــط وإنما تعد خبرة اجتماعية لا تتحقــق إلا حينما ينقل الأفراد خبراتهم المنعزلة إلى بعضهم البعض فى محاولة لتحقيق المشاركة والتعبير عن التجارب الخاصة فى تجربة عامة ، وذلك من خلال استخدام رموز تستقطب شتات التجارب الدينية المتفرقة فى تجربة دينية جمعية ، وهذا ما يقود إلى تكوين المعتقد ، وهو حجر الأساس الذى يقوم عليه الدين الجمعى . ويتفق الأفراد والجماعات فى إطار تجاربهم الجمعية على وضع صيغ وأطر نصية لتجاربها. وعندما يوضع المعتقد الدينى فى إطار ثابت راسخ يجد الأفراد أنفسهم مضطرين وبدافع نزوع الفرد إلى الاتحاد بالجماعة للانخراط فى إطاره بل وإلى فهم وتفسير خبراتهم وفقه.

ويتكون كل معتقد دينى فى جوهره من نص وتفاسير وشروح وتعليقات على هذا النص ، والنص ثابت لا يتغير ، لأنه يمثل التعبير الفعلى عن الإرادة العليا ، وطالما أن هذا النص المدون بلغة البشر تعبير عن الإرادة العليا فإن لغته ليست كسائر اللغات إذ إن هذه اللغة تعبير عن إرادة الإله . أما التفسير فهو ما يثيره الوحى من رد فعل فى العقل الإنسانى الذى يحاول بدوره فك شفرات هذا النص والوقوف على أدق أسرارها .

ويمكننا على نحو آخر القول بأن الديانة تتكون من شقين أحدهما ثابت والآخر متحول فالشق الثابت وهو النص الموحى به يبقى على مر القرون دون أن يخضع لأى تغيير ، فى حين أن الشق المتحول يتمثل فى التفاسير والشروح والتعليقات التى تخضع بدورها لكثير من التغيرات الناجمة إما عن مؤثرات خارجية تتمثل فى تعرض وتقبل الشراح والمفسرين لكثير من الأفكار الدخيلة التى تدفعهم لفهم النص على نحو مغاير لفهم الأقدمين ، وإما عن مؤثرات داخلية قد تتمثل فى الرغبة فى تكييف النص لاحتياجات الجماعة. ولا تكتفى هذه الشروح والتفاسير بقراءة النص وسبر أغواره وما يستغلق من فهمه فحسب وإنما تقرأ فيه معتقدات وتصورات وأفكار عصرها ، ومن هنا تتباين التفاسير . وبالرغم من أن هذه التفاسير تعد بطبيعة الحال نتاجًا بشريا فإن ارتباطها بالنص الدينى يجعل القداسة تتجاوز حدود ما هو إلهى ممثلا فى النص لتشمل ما هو دنيوى .

وقد تكون الديانة اليهودية من أكثر الديانات التى تتماهى فيها الحدود الفاصلة بين المطلق والنسبى ، أو بين المقدس والدنيوى ، فالقداسة فى الديانة اليهودية لا تقتصر على أوامر الإله فحسب وإنما تشمل أيضًا شروح وتعليقات الحاخامات ، ومن هنا تنقسم الشريعة اليهودية إلى شقين رئيسيين وهما : الشريعة المكتوبة والشريعة الشفهية . ولا يعبر الفهم العربى التقليدى للفظة التوراة عن حقيقة مكنون الشريعة اليهودية ، فبينما تثير هذه اللفظة فى الذهن العربى مجمل الشريعة اليهودية فإنها لا تعبر فى أذهان اليهود إلا عن جزء محدود من الشريعة المكتوبة التى تضم حسب الفهم اليهودى مجمل العهد القديم الذى يتكون بدوره من ثلاثة أقسام رئيسية وهى : التوراة ، والأنبياء ، والمكتوبات ، وتمثل هذه الأقسام الثلاثة – إن لم يكن كل قسم منها –

مراحل تاريخية شديدة التباين يختلف كل منها اختلافًا شاسعًا عن نظيره ، ونجد مثل هذه التباينات فى داخل النص التوراتى فقد أثبتت مدارس نقد العهد القديم الحديثة أن هذا النص يمثل مراحل تاريخية مختلفة .

وقد استقر رأى هذه المدرسة على أن التوراة تتكون من أربعة مصادر وهى اليهوى والألوهيمى ، والتثنوى ، والكهنوتى . وسنحاول فى هذا المجال أن نلقى الضوء فى عجالة على تاريخ كل مصدر :

١ - المصدر اليهوى : ويحمل هذا المصدر اسم الإله يهوه الذى يعد إلهًا خاصا ببنى إسرائيل دون غيرهم ، ويعود تاريخ هذا المصدر إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، ورواته كانوا من مملكة يهوذا .

٢ - المصدر الألوهيمى : ويُنسب هذا المصدر إلى اسم الإله " ألوهيم " . وتختلف دلالات مسمى " ألوهيم " عن مسمى " يهوه " إذ إن ألوهيم ليس إلها قبليا وإنما إله لكل الكون ، وقد كان هذا الاسم منتشراً فى مملكة إسرائيل الشمالية ، ويعود تاريخ هذا المصدر إلى القرن الثامن قبل الميلاد .

٣ - المصدر التثنوى : وهذا المصدر فى جوهره مصدر تشريعى بحت ، صادر عن وسط مثقف لا يلقى بالا إلى القصص الشعبى ، بقدر ما يهدف إلى التوجيه والتعليم والتطوير عن طريق سن القوانين . والظاهر أن هذا المصدر الذى يتجلى بوضوح فى آخر أسفار التوراة - أى سفر التثنية - وينسب إليه ، قد أُدخل فى صميم التوراة سنة ٦٢١ قبل الميلاد ضمن برنامج الإصلاح والتطوير الذى عمله الملك يوشياهو ، أما كتابته فترجع إلى حكم الملك اليهودى " منشه " ومن هنا يعود هذا المصدر إلى القرن السابع قبل الميلاد ، وأصبح هذا السفر جزءًا من التوراة سنة ٦٢١ قبل الميلاد .

٤ - المصدر الكهنوتى : ويرجع تاريخ هذا المصدر إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وقد أضيف هذا المصدر إلى نص التوراة فى عهد عزرا ونحميا أى بعد العودة من السبى البابلى ، وهى فترة وصل فيها الكهنة إلى كامل قوتهم وقمة سيطرتهم على مقدرات اليهود .

أما باقى أسفار العهد القديم والتى تنتمى إلى ما يعرف فى العهد القديم بالأنبياء والمكتوبات فتقدم سرداً للأحداث التى وقعت لبنى إسرائيل بعد موت موسى منذ دخولهم أرض فلسطين إلى أن أخرجوا منها فى إطار السبى البابلى ، كما أنها تتضمن مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبى ، وتغطى هذه الأسفار فترة زمنية تمتد تقريباً من عام ١٣٠٠ حتى عام ٣٠٠ قبل الميلاد. ولما كانت غالبية هذه الأسفار قد وضعت خارج فلسطين وفى إطار السبى فإنها لا تتضمن مجرد سرد للأحداث أو رؤية تاريخية للأحداث فحسب ، وإنما تضمنت تطويراً لكثير من المفاهيم كان من أهمها مفهوما الألوهية و النبوة فلم تعد النبوة قاصرة على تلقى الوحى من الرب كما حدث مع موسى وإنما أصبح هذا المفهوم يشمل قادة اليهود سواء كانوا من العسكريين مثل يهوشع أو المشتغلين بالسياسة مثل داوود وسليمان أو المصلحين الاجتماعيين مثل أشعيا وأرميا وغيرهم .

وإذا كان من المفترض أن تمثل الشريعة المكتوبة الممثلة فى العهد القديم عامة وفى التوراة على وجه الخصوص الشق الثابت من الديانة اليهودية فإن العقيدة اليهودية لا تقتصر على الأوامر والنواهى الواردة فى نص التوراة وإنما تقوم أساساً على تعاليم الحاخامات التى تُعرف باسم الشريعة الشفهية التى لا تقل قداسة عن نص العهد القديم ، ووفقًا لهذه الشريعة الشفهية فإن لوحى الشريعة اللذين تلقاهما موسى اشتملا على الشريعة المكتوبة فضلاً عن كافة الشروح والتعليقات التى لا يحق لأحد سوى الحاخامات تقديمها ، فجاء فى فصول الأباء : " تلقى موسى التوراة من سيناء ونقلها إلى يهوشع ، ونقلها يهوشع إلى الشيوخ ، والشيوخ إلى الأنبياء ، ونقلها الأنبياء إلى أعضاء المجمع الإسرائيلى الأكبر " .

وفى الوقت الذى يشير فيه تعبير " أعضاء المجمع الإسرائيلى الأكبر" من الناحية التاريخية إلى حاخامات اليهود الذين عاصروا الفترة الممتدة من عهد ملوك فارس إبان ظهور النبى عزرا والنبى نحميا خلال القرن الخامس قبل الميلاد حتى عهد الإسكندر المقدونى والذين تولوا معالجة الشئون الدينية والدنيوية لليهود فقد تم توسيع دلالة هذا التعبير ليشمل كافة قيادات المجتمع اليهودى التى عاشت خارج فلسطين . وهكذا لم تعد القداسة قاصرة على موسى وإنما امتدت لتشمل تفاسير وشروح وتأويلات

حاخامات اليهود عبر التاريخ لنص التوراة ، بل وإلى التشريعات المختلفة التى طرحوها عبر العصور .

وقد يكون خير دليل على أهمية هذه الشريعة الشفهية التى سنها حاخامات اليهود أنها تذهب إلى أن الوصايا العشر التى تلقاها موسى تعد وصايا خاصة بالبشرية جمعاء فى حين أن لليهود دون غيرهم من سائر الشعوب عدداً أكبر من الوصايا عددها ستمائة وثلاث عشرة وصية . وإذا كان المجال لايتسع لسرد كل هذه الوصايا فإنه يمكننا القول بأنها تتمحور حول ضرورة الإعلاء من شأن الحاخامات ورؤاهم للنص ، كما أن هذه الوصايا تحض على ضرورة خضوع الفرد لسلطتهم وتعمل على تكثيف إحساس المرء بيهوديته وتفرده وانغلاقه على ذاته ، فضلاً عن أنها تحول فى مجملها دون تفاعل اليهودى مع سائر البشر .

ويمثل نص المشنا ذروة النتاج الفكرى لحاخامات اليهود ومفسريهم إذ إنه يتضمن خلاصة الشريعة الشفهية لليهود . وإذا كان البعض يعزو تأليف المشنا إلى الحاخام يهوذا هاناسى إلا أن الأرجح أنه يعود إليه فضل تجميع وتبويب آراء الفقهاء السابقين له ، هذه المهمة التى قام بها فى نهايات القرن الثانى وبدايات القرن الثالث الميلادى . وتكمن أهمية هذا النص الذى يتكون من ستة أقسام فى أنه يتضمن تلك الأحكام التى تحدد علاقة اليهود ببعضهم البعض من جهة وعلاقة اليهودى من جهة أخرى بالأغيار فى كافة المجالات ، فيتضمن هذا النص أحكامًا وشرائع وأوامر خاصة بالزراعة والأعياد ، وقوانين الزواج والطلاق ، والبيع والشراء ، وقوانين تقديم القرابين والأضاحى فى المعبد ، وقوانين الطهارة والنجاسة .

ولا تقتصر الشريعة الشفهية على المشنا والتلمود فحسب وإنما تشمل أيضًا شروح الحاخامات لأسفار التوراة ، هذه الشروح التى تنطوى جميعها تحت لفظة "ميدراشيم" ، هذه اللفظة المشتقة من الفعل العبرى "داراش" الذى يعنى درس أو بحث. وتنقسم هذه الشروح أو التفاسير إلى نوعين رئيسيين أحدهما معنى باستخراج أحكام الشريعة من متن النصوص التوراتية فى حين أن الثانى يغلب عليه الطابع القصصى . ويُطلق على هذا النوع الثانى اسم أجاداه ، هذه اللفظة التى تعنى قصة . وتمثل هذه التفاسير القصصية الأدب اليهودى الذى لا ينطوى على

جوانب تشريعية ، فتتناول قصص الأجاداه مواضيع شتى مثل التاريخ اليهودى والأخلاق والفلسفة والفولكلور . ويحتوى هذا القصص على الكثير من المعتقدات الشعبية المتعلقة بالملائكة والجن والسحر .

وبينما قلل بعض حاخامات التلمود من أهمية دراسة الأجاداه إلا أن بعضهم الآخر بالغ فى أهميتها بقوله : " إن الرب لم يقم عهده مع إسرائيل إلا بفضل الشريعة الشفهية التى تشمل كلا من نص المشنا ، والأجاداه والتلمود " . وتعد هذه المقولة على قدر كبير من الأهمية إذ إنها تنطوى على عقيدة يمكننا وصفها بأنها مغايرة لعقيدة العهد القديم (الشريعة المكتوبة) فبينما يقدم العهد القديم فى مجمله الرب فى صورة الإله الواحد العليم القدير الآمر الناهى ، والشعب فى صورة الطرف الذى يتعين عليه الأخذ بشريعة الرب والانصياع لها فإن الشريعة الشفهية تعلى من شأن الحاخامات وتضعهم فى الصدارة بل وتجعلهم العلة التى دفعت الرب لإقامة العهد مع إسرائيل .

ويمكننا على نحو آخر القول بأن هذه الشريعة جعلت من الحاخامات المحور الذى يدور الرب فى فلكه فلولا نتاجهم لما كان الرب قد اختارهم أو أقام عهده معهم . وهكذا لم تعد القداسة قاصرة على أوامر الرب ونواهيه ، وإنما أصبحت تتمثل فى نتاج الحاخامات التشريعى والقصصى وتجعله المحور الذى يدور فى فلكه الرب .

ويتضمن كتاب " جينزبيرج " الذى أقدمنا على ترجمته كما فريداً من هذا القصص الذى تناقله اليهود عبر قرون طوال والذى كان له أعمق الأثر فى تشكيل الوجدان الشعبى اليهودى . وينطوى هذا القصص على كم ضخم من الخرافات والأساطير ، فيحكى هذا القصص عن سبب تسلق القرود الأشجار ، ولماذا لون الغراب الأسود ، ولماذا ينوح الحمام وينعق الغراب ، وعن غيرة القمر من الشمس وعلاقة النهار بالليل ، ويحكى هذا القصص عن أسباب تسمية بعض الأماكن والشخصيات بمسمياتها الحالية ، وعن سبب ازدراء اليهود للأغيار .

ولايمكننا التعامل مع هذا القصص من منظور أنه مجرد ثرثرة عجائز لاقيمة لها . ففى الوقت الذى يغلب فيه على هذا القصص طابع التسلية والإمتاع فإنه ينطوى على مبررات عديدة لكثير من المعتقدات والشرائع التى لازالت تُطبق حتى يومنا هذا .

ومن هنا يمكننا أن نتعرف من خلال هذا القصص الخرافى الأسطورى على جزء من الذاكرة الجمعية لليهود ، هذه الذاكرة التى يمكننا تعريفها بأنها منظومة من العلامات والرموز والممارسات تتجلى فى حياتنا فى الأعياد والعطلات ، ومسميات الأماكن ، والجبال ، والنصب التذكارية والمتاحف والنصوص والعادات والطباع بل وفى اللغة . وإذا كانت كل هذه الرموز تعد فى ظاهرها فعلاً يهدف إلى تخليد الماضى فإنه يهدف أيضًا إلى تكثيف إحساس الفرد بانتمائه إلى مجموع يحمل سمات تميزه عن غيره من الجماعات. ولما كان الإنسان جزءًا من مجموع أعم وأشمل فإن ذاكرته الفردية تحمل بعضًا من سمات الذاكرة الجمعية ، وتتغذى عليها وتطمئن بها وتستدعيها فى لحظات مواجهتها مع الآخر .

ويشكل كل هذا القصص الوارد فى كتاب " جينز بيرج " جزءًا من ذاكرة اليهود الجمعية . وإذا كان مؤلفو هذا القصص قد جعلوا من أبطال العهد القديم محورًا رئيسيا لنتاجهم الأدبى الفكرى فإن هذا القصص لا يتضمن مجرد سرد تسجيلى للأحداث بقدر مايتقمص أزمنة هؤلاء الأبطال، ويسقط عليها مايشاء من أفكار وتصورات أسطورية .

ويتسم هذا القصص بسيطرة الطابع الأسطورى عليه ، ومن ثم تغلب على مؤلفيه نزعة إسقاط ما يشاءون من تصورات على الإله ، هذه التصورات التى جعلتهم يحتكرون مشاعر الإله ، فقد أصبح الإله فى هذا القصص شديد التأثر والانفعال بكل مايحل بقومه من أحداث ومصائب ، بل وأصبح شديد الضعف ، ومن ثم نجده فى هذا القصص يبكى ويذرف الدمع ويركل السماء غضبًا على ما آل إليه قومه فنقرأ فى بعض هذا القصص : " حينما يذكر الرب أبناءه المقيمين حزانى بين سائر الشعوب يذرف الدمع الذى يتردد صوته فى كل العالم من أقصاه إلى أدناه ، ويركل السماء غضبًا وحزنًا " .

ولما كان الإله يغضب ويحزن إلى هذا الحد على مصير جماعته فقد تزايد ارتباطه بها خاصة أن وجودها أصبح هو الضمان الحقيقى لوجوده . وقد كانت فكرة الحضرة الإلهية واحدة من أهم الأفكار المحورية المميزة لهذا القصص ، هذه الحضرة التى أصبحت ترتحل مع الشعب أينما يحل، فنقرأ فى هذا القصص " حينما ارتحل الشعب

إلى مصر صحبته الحضرة الإلهية ، وحينما سُبى إلى بابل صحبته الحضرة الإلهية " .
وتكمن أهمية هذه الفكرة فى أنها جعلت من التاريخ اليهودى تاريخًا مقدسًا ، فبدلاً من أن يتضمن هذا التاريخ سردًا لأفعال ومواقف ورؤى البشر فقد أصبح هذا التاريخ تاريخًا للإله وجماعته ، وهكذا أصبح المساس بشرائع وحاخامات اليهود المنغلقة على ذاتها مساسًا بمصير الإله .

وإذا كان هذا القصص بما يحتويه من أفكار يمثل مرحلة بدائية من الفكر اليهودى ويزخر بمادة يصعب على العقل تقبلها والتسليم بها فلازال بعضٌ منه يقرأ حتى يومنا هذا فى الأعياد والمناسبات الدينية اليهودية . ويمكننا القول بأن مطالعة هذا القصص يساعد فى التعرف على فهم الجوانب غير المادية من الفكر اليهودى ، هذه الجوانب التى يمكننا أن نطلق عليها جهاز المناعة الخفى الذى يكثف إحساس الجماعة اليهودية بتفردها وتميزها عن غيرها من الجماعات والشعوب .

مقدمة المراجع

أولاً - التعريف بالعمل ومؤلفه :

يشتمل كتاب قصص اليهود لمؤلفه لويس جنزبرج (١٨٧٣ - ١٩٥٣) على روايات خاصة بقصص عدد من الشخصيات المهمة فى تاريخ ديانة بنى إسرائيل ، ومن أهمها شخصيات: آدم وحواء ونوح وإبراهيم ويعقوب ويوسف وأيوب وموسى ويشوع وداود وسليمان ويونس، كما يحتوى أيضًا على روايات خاصة بآباء بنى إسرائيل وملوكهم وقضاتهم وكهنتهم، ويتناول أيضًا روايات خاصة ببعض عصور بنى إسرائيل مثل حياة بنى إسرائيل فى مصر ورحلة الخروج، وعصر القضاة ، وعصر الملكية ، وعصر السبى. فالكتاب إذن يغطى تاريخ بنى إسرائيل منذ البداية وحتى العودة من السبى البابلى .

وقد ألف لويس جنزبرج هذا العمل فى سبعة مجلدات ضخمة عام ١٩٠٩ وتم اختصارها فى ثلاثة مجلدات ثم اختصرت فى مجلد واحد نشر عام ١٩٧٢ ، ونشرته هيئة النشر اليهودى بأمريكا ومقرها فيلادلفيا. ونظراً لأهمية هذا العمل فقد أعيد نشره عدة مرات فى السنوات ١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١١ ، ١٩١٣ ، ١٩٥٦ ، ١٩٧٢ .

أما مؤلف هذا العمل الضخم فهو لويس جنزبرج عالم الدراسات اليهودية الأرثوذكسية الحاخامية والمولود فى ليتوانيا عام ١٨٧٣ ، وقد هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٩٩م ، وأصبح من المساهمين الرئيسيين لدائرة المعارف اليهودية (١٩٠١ - ١٩٠٦) ، وعمل أستاذاً للدراسات التلمودية فى سيمنار اللاهوت اليهودى، وقد تخصص بشكل أساسى فى الأجادا التى تمثل الجزء غير التشريعى فى التلمود، وفى تحديد أدق تشتمل الأجادا على إضافات مهمة تاريخيا للقصص الوارد

فى التوراة وأسفار الأنبياء والحكمة ، وكذلك على حكايات وقصص قديمة احتفظ بها بنو إسرائيل ولم يرد لها ذكر فى العهد القديم ، وهى مادة غنية فى أشكالها الأدبية ، وفى مجازاتها ، وبلاغتها وعباراتها الشعرية . وقد نمت المادة الأجادية عبر مئات السنين وخلال مايقرب من ألف عام ، وفى بيئات متعددة ، وبين أديان مختلفة وثقافات متباينة، وهى تعكس تأثير هذه البيئات وعلى الأخص التيارات الفكرية اليونانية مثل الأفلاطونية والمشائية والفيثاغورسية، كما تعكس البيئة الشعبية المتأثرة بالشعوذة والسحر، وتعكس أيضًا تيارات وثنية ومعتقدات بابلية . وقد بدأت عملية ترتيب هذه المادة وحفظها فى شكل مكتوب منذ عصر التنائيم . وعلى كل حال لم يتم تدوين أى عمل أجادى قبل القرن الرابع الميلادى. وقد انتهى تدوين الميدراشيم المشتملة على الأجادا مع نهاية القرن العاشر الميلادى، وقد قام يعقوب بن حبيب بجمع الأجزاء الأجادية من التلمود فى عمل يحمل اسم " عين يعقوب "[١] .

أما العمل الحديث للأجادا فقد قام به العالم لويس جنزبرج وأكمله خلال الفترة من ١٩٠٩ وحتى ١٩٢٨ حيث قام بترتيب المادة الأجادية المناسبة حسب الشخصيات والأحداث الموصوفة فى الكتاب المقدس (العهد القديم) . وقد أعطى جنزبرج لعمله اسم قصص اليهود والذى تم نشره فى سبعة مجلدات فى عام ١٩٠٩ . وبالإضافة إلى عمل لويس جنزبرج قـــام الأديب الحديث حـــاييم نحمان بياليـــك (١٨٧٣ - ١٩٣٤) مع ى. هـ. رافنيتسكى بتـأليف عمل باللغة العبرية ساعد على نشر الفكر الأجادى وإشاعته وحمل عمله اسم " كتاب الأجادا " ، وقد قاما بتصنيف المادة المدراشية تصنيفًا موضوعيا .

إذن يمثل العمل الذى نقدمه مترجمًا إلى اللغة العربية أحد الأعمال اليهودية الكلاسيكية التى أخذت على عاتقها تصنيف الروايات الخاصة بتراث بنى إسرائيل والتى احتوت عليها الأجادا ، والمدراشيم المحتوية على مواد أجادية ، تصنيفًا علميا يجعلها منظمة ومرتبة بحسب شخصياتها الرئيسية فتصبح بمثابة مادة إضافية على هذا التراث ليس لها وجود فى مصدرها الأساسى وهو العهد القديم وإنما تم الاحتفاظ بها فى الروايات الأجادية فى التلمود ، والتى بدأت كروايات شفوية تم إخضاعها فيما بعد لعمليات التدوين والترتيب والتصنيف. ويحتل عمل لويس جنزبرج مكانه المهم داخل

هذه العمليات التصنيفية للروايات الأجادية وهو العمل الأول من هذا النوع فى اللغة الإنجليزية . وكان جنزبرج قد بدأ عمله هذا فى اللغة الألمانية ثم أكمله باللغة الإنجليزية، وتمت ترجمة الأجزاء الألمانية إلى اللغة الإنجليزية فأصبح العمل كاملاً فى هذه اللغة. وقام بياليك بهذا المجهود فى اللغة العبرية الحديثة فتوفر لدينا عملان تصنيفيان للمادة المدراشية الأجادية يعدان من أهم الأعمال التى تمت خلال القرن العشرين لتصنيف هذه المادة وجعلها متاحة للمستخدمين لها فى شكل مرتب حسب الشخصيات كما فعل جنزبرج ، وحسب الموضوعات كما فعل بياليك[٢] .

ويعتبر قصص اليهود تاج أعمال لويس جنزبرج على حسب تعبير "مئير واكسمان" مؤرخ الأدب اليهودى المعروف ، فهو عمل يجمع بين العمل الأكاديمى الشاق والعمل الشعبى المشهور . ففى الأجزاء الأربعة الأولى جمع جنزبرج كل قصص وحكايات وآراء وأقوال اليهود المأثورة والتى وجدت فى الأدب اليهودى خلال ألفى عام فى عدة لغات وعدة بيئات فكرية مثل " أدب آباء الكنيسة " والذى خصص له جنزبرج أحد أعماله المهمة الشهيرة بعنوان " الأجادا فى أعمال آباء الكنيسة "، وكذلك البيئة الإسلامية بما وجده جنزبرج من مواد منتشرة فى الآداب الإسلامية خاصة بحياة كبار شخصيات العهد القديم من التكوين إلى استير، وقد استمدها جنزبرج من مئات المصادر اليهودية والمسيحية والإسلامية[٣] ، وتعكس هذه المادة صورة الشخصيات الواردة فى العهد القديم فى الذهنية الشعبية اليهودية . وقد هدف جنزبرج من جمع هذا التراث الأجادى المنتشر فى الآداب اليهودية خارج العهد القديم والآداب المسيحية والإسلامية إلى وضع تاريخ للأجادا يحدد تطورها وانتشارها بين اليهود وغير اليهود[٤] .

وقد حاول جنزبرج أن يثبت فى أعماله أقدمية الكثير من المواد التفسيرية الأجادية من قصص وحكايات على الرغم من حقيقة أنها موجودة فى مصادر مدراشية متأخرة . فقد اقتبسها آباء الكنيسة قبل أن يتم وضع المدراشيم. وهذا يثبت أنه على الرغم من تأخر تأليف المدراشيم فإن المادة المحتواة فيها مادة قديمة. وفى عمله عن الأجادا فى أعمال آباء الكنيسة أعطى جنزبرج مقابلاً لكل عبارة أجادية فى أعمال الآباء الكنسية من التلمود والمدراشيم والأدب الهلينستى[٥] .

وقد أعطى جنزبرج لعمله اسم " قصص اليهود " ، وكلمة " قصص " ترجمة عربية للكلمة الإنجليزية LEGENDS ومفردها LEGEND التى تعود بأصلها إلى الكلمة اللاتينية LEGENDA ومعناها الحرفى " المقروء " أو الذى " يقرأ " . وقد استخدمت الكلمة اللاتينية بالنسبة لحكايات من العصور الوسطى مثل حياة القديسين والتى كانت تقرأ كواجب دينى(٦) . ولذلك تم تعريف عنوان هذا العمل " قصص الكتاب المقدس" فى نسخته المختصرة فى مجلد واحد على يد شالوم شبيجل بأنه : " تنويعات على قصص الكتب المقدسة كما حكيت وأعيدت حكايتها فى الشرق القديم منذ أيام إبراهيم، فى المعابد والكنائس والمنازل لمئات الأجيال من البشر"(٧) . وهذا هو المعنى الكنسى للمصطلح أما المعنى الأوسع فيقر شبيجل " بأن القصة LEGEND تتضمن كل ما يقرأ بواسطة العصور المتتالية فى شأن أو حدث يخص الماضى، إنها القراءة المتجددة المتغيرة للمصادر القديمة بواسطة الأجيال الحديثة من البشر. فالأحداث والأسفار العظيمة لها قصتها الخاصة بها. وتصب الأجيال التالية روحها وحياتها الداخلية فى النصوص القديمة والوثائق القديمة تكافئ بدورها الباحثين الجدد وتعطيهم أجوبة جديدة "(٨) . وقد حكت القرون التالية حكايات خيالية لا نهاية لها حول الشخصيات والأحداث الواردة فى الكتابات المقدسة. وقد تضافر الخيال الشعبى مع العالم فى إخراج العديد من القصص والخيالات التى ربما لم يرها الكتاب الأصليون أو يتوقعوها. وهكذا تكاملت إبداعات القدامى مع خيالات المتأخرين فى خلق جسم غنى من القصص والحكايات حول نصوص الكتاب المقدس التى روجعت وأثريت من خلال إيمان وخيال القراء العديدين عبر العصور(٩) .

ويعطى شبيجل أيضاً رأياً مهما فيما يتعلق بكيفية تكوين هذه القصص ، فهو يربطها بالعهد القديم من حيث تأصيلها ، ولكنه يفرق بينها وبين مادة العهد القديم من حيث إن مادة العهد القديم تم تدوينها وتثبيتها ، أما مادة هذه القصص فقد ظلت مادة شفوية تمثل التراث الشفوى لبنى إسرائيل. ويقصد شبيجل من هذا التنويه أن هذه المادة مقدسة على الرغم من أنها لم تدخل فى صلب كتاب العهد القديم ، فاختيار أسفار العهد القديم يمثل عملية تمت مع نهاية القرن الأول الميلادى بعد سقوط القدس وفلسطين على يد الرومان. وهذه العملية لم تكن نتيجة قرار لأن واضعى العهد القديم

لم يقوموا بعملية اختيار إنما هم قاموا بتحديد وتثبيت الكتابات التى اعتبرت مقدسة لدى اليهود. وقد حاول العلماء أن يضعوا حدا فاصلاً بين الكتب الموحى بها والتى تمثل تراث الآباء وإبداعات القرون التالية . وتم تثبيت الأولى داخل النص المقدس على أنها وحى بينما احتفظ بكل ما تبقى على أنه يمثل التراث الشفوى لبنى إسرائيل(١٠) . وهذا الفصل بين المكتوب والشفوى هو الذى يفسر انتقال النوع الثانى من جيل إلى جيل فى صورة شفوية ، ولم يتم إخضاع هذا النوع للتدوين والكتابة إلا فى فترة متأخرة .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل عانى هذا التراث الشفوى من مشكلة أخرى وهى مشكلة الترتيب والتصنيف حيث اهتم اليهود بوضع المادة التشريعية فى نظام معين بينما لم يتم الاهتمام بالمادة غير التشريعية فظلت مادة متراكمة غير منظمة. وقد نتج عن تنظيم الأولى ما أصبح يسمى بالهلاخا (الشريعة - الطريق) ، ونتج عن الثانية ما أصبح يسمى بالهجادا التى تشير إلى حكايات وقصص مستمدة من كتاب العهد القديم، وتقابل حرفياً ما اصطلح على تسميته بـ" قصص الكتاب المقدس " . ولم تخضع هذه المادة القصصية للترتيب والتنظيم ، ولم يتم جمعها بشكل كامل، وظلت هذه المادة متناثرة فى مصادرها المتعددة ومن بينها التلمود الفلسطينى والتلمود البابلى اللذان اختلطت فيهما مادة هذا القصص مع مادة المناقشات التشريعية التى تكون صلب التلمود. والمحاولات التنظيمية السابقة لهذا القصص ظلت مرتبطة بقطع وفقرات الكتاب المقدس التى تفسرها وتفصلها ولم تكوِّن جسماً مستقلا عن المادة التى تشرحها الأمر الذى أدى إلى خلق انطباع بأن هذه القصص هى بمثابة شروح أو تفاسير على أقسام أو مختارات من الكتاب المقدس. وقد تسبب هذا الارتباط بأصولها فى العهد القديم إلى توزع القصة وتشتتها بين عدة مواضع من العهد القديم وعدم تواجدها فى صورة متكاملة. وعلى الرغم من ذلك فارتباط هذه القصص بالعهد القديم هو الذى ضمن لها القداسة والمكانة التى اكتسبتها فى كل ما يتعلق بمناسبات وأعياد اليهود الدينية(١١) .

وقد اختلفت وظيفة هذه القصص فى البناء الدينى لليهودية. فقد استخدم جزء منها فى التعليم الدينى وسد احتياجات المدارس الدينية من المادة التعليمية الدينية الوعظية، كما تم استخدام أجزاء أخرى منها للقراءة فى أيام السبوت أو فى المواسم

الدينية المقدسة حسب تقويم المعبد. وهذه القصص هى من نتاج العمل الوعظى وأصبحت مخصصة للعبادة. وقد اختلطت المواد الموظفة لخدمة هذين الهدفين اختلاط المدرسة بالمعبد .

وقد استمرت عملية جمع القصص القديمة إلى أواخر العصور الوسطى. وقد تم خلال القرن الرابع عشر تكوين مجموعتين إحداهما فى جنوب فرنسا والأخرى فى جنوب شبه الجزيرة العربية. وتعود أشهر هذه المجموعات وأكثرها شمولية بتغطيتها لكل أسفار العهد القديم إلى القرن الثالث عشر. وقد احتفظت هذه الأعمال المنتمية إلى العصور الوسطى المتأخرة بمواد من مصادر أقدم ليس لها وجود فى عصرنا الحالى ، ويشير بعضها إلى العصر الأول لهذه القصص ، ويشير بعضها الآخر إلى عصر الهاجادا الفلسطينية فى القرون الأولى للميلاد، ومع ذلك فبعض هذه القصص لا ينتمى إلى العصور القديمة حيث نمت حكايات جديدة مع الزمن مع تكرار حكاية هذه القصص عبر القرون وفى بيئات ثقافية غربية وشرقية .

ولاشك فى أن العمل الذى قام به جنزبرج فى تنظيم هذه القصص وتبويبها وتصنيفها يعد عملاً عظيمًا ، وقد وصف مجهود جنزبرج بأنه أعظم إسهام فردى فى دراسة هذا الموضوع خلال قرن كامل ، وأنه أيضًا أعظم عمل مهم فى التراث اليهودى تم نشره فى اللغة الإنجليزية[١٢] . فقد قام جنزبرج بإعادة إنتاج قصص العهد القديم (الهجادا) بكل تياراتها الرئيسية كما رآها منعكسة فى سجلات الأدب الربانى (الحاخامى) المعروف أيضًا بالأدب التلمودى - المدراشى ، وهو أدب يغطى الفترة من القرن الثانى الميلادى وحتى القرن الرابع عشر الميلادى ، ويحتوى على الجزء الأعظم من أدب القصص اليهودى. أما التيارات غير الرئيسية فقد رآها جنزبرج منعكسة فى الكتابات الأبوكريفية والكتابات المزيفة . وهى أعمال مستمدة بشكل مباشر أو غير مباشر من أعمال تعود إلى أصول فلسطينية أو هيلينستية . وهذا يجعل هذه المادة تغطى فترة أكبر من القرون الأخيرة السابقة على الميلاد وحتى القرن الرابع عشر الميلادى. وربما غطت مادة من مصادر أحدث مثل عمل إبراهيم بن سبأ الذى كان شاهدًا على طرد اليهود من إسبانيا وضحية لهذا الحدث، ويعود عمله إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى. كما استمد مادة من عمل متأخر للحاخام حاييم يوسف أزولاى (مات ١٨٠٧) .

وهذا يجعل عمل جنزبرج يغطى فترة ألفى عام بالتقريب ويمثل أول محاولة لجمع كل القصص اليهودى من المصادر الأصلية التى تشير إلى شخصيات العهد القديم وأحداثه وإعادة صياغة هذا القصص فى أقرب صورة للكمال والصحة ، وأصبح عمله أكبر وأشمل كتاب لقصص العهد القديم فى أية لغة فى الماضى والحاضر .

ثانيًا - الأهمية الإسلامية لقصص اليهود :

والآن نشير إلى بعد مهم من أبعاد قصص اليهود للويس جنزبرج وهو أهمية هذا العمل بالنسبة للديانتين المسيحية والإسلام، فقد لقى قصص اليهود أهمية كبيرة فى الديانتين التوحيديتين. وقد اهتم جنزبرج نفسه بدراسة القصص اليهودى فى التراث المسيحى وعند آباء الكنيسة حيث كتب رسالة علمية فى موضوع " الهجادا عند آباء الكنيسة " بحثًا عن بقايا الهجادا أو قصص العهد القديم فى الكتابات اللاتينية واليونانية والسريانية . وقد نجح جنزبرج فى جمع العديد من هذه القصص وتأصيلها وردها إلى مصادرها فى العهد القديم والتلمود والمدراشيم .

وعلى الرغم من أن جنزبرج لم يقم بدراسة مماثلة لجمع قصص العهد القديم فى التراث الإسلامى فإن هذا القصص له أهمية كبيرة فى إكمال الصورة التى أراد جنزبرج فى رسمها لقصص العهد القديم . ويبدو من الأهمية أن نشير إلى ضرورة إكمال هذا البعد الناقص فى عمل لويس جنزبرج وذلك لعدة أسباب من أهمها :

١ - أن قصص العهد القديم يمثل تراثًا دينيا مشتركًا بين اليهودية والمسيحية والإسلام .

٢ - أن قصص الأنبياء فى القرآن الكريم وفى كتب التفاسير وردت فى المصادر اليهودية والمسيحية. وقد رويت قصص الأنبياء من منظور قرآنى إسلامى يجعلها على قدر كبير من الأهمية من حيث إنها تضيف أخبارًا جديدة أو تصحح أحداثًا قديمة ، أو تعطى رواية صحيحة لإحدى قصص الأنبياء. وقد فضل التراث الإسلامى تسمية هذه المادة الدينية بـ " قصص الأنبياء " وهى تسمية سليمة وخاصة فيما يتعلق بالموقف الإسلامى من النبوة والأنبياء وعدم اعتراف الإسلام بالمفهوم الواسع للنبوة فى اليهودية

من ناحية ، وعدم الاعتراف بمفهوم " الأبوة " الذى أطلق على عدد كبير من الأنبياء المعترف بهم فى الإسلام من ناحية أخرى، فالمفهوم الواسع للنبوة فى اليهودية أدخل فى الأنبياء من ليسوا بأنبياء من الكهنة والعرافين والمتنبئين والرائين والحالمين والسحرة. ومفهوم " الأبوة " حرم مجموعة مهمة من الأنبياء من صفة النبوة وفضل عليها صفة الأبوة لكى يربط هؤلاء الأنبياء ببنى إسرائيل فى رباط قومى عرقى عنصرى يجعل هذه الشخصيات النبوية شخصيات إسرائيلية ، ويمنع تراثها عن بقية الأديان – وبخاصة المسيحية والإسلام – وعن بقية الشعوب. ومن هذه الشخصيات آدم ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى وهارون وداود وسليمان عليهم السلام، فهذه الشخصيات ينظر إليها على أنها آباء حيث تسبق صفة الأبوة صفة النبوة بل ربما تلغى النبوة .

٣ – أن قصص الأنبياء فى القرآن الكريم يصحح الصورة النبوية التى درج عليها قصص العهد القديم الذى قدم الأنبياء أيضًا إما فى صورة أبوية عرقية قومية بدلاً من الصورة النبوية وإما أنه قدم الأنبياء عليهم السلام فى صورة لا تعترف بعصمة الأنبياء من الوقوع فى الآثام والفواحش. وجرى قصص اليهود فى المصادر اليهودية المتأخرة على هذا النهج فى نسبة العديد من الأخطاء والفواحش إلى الأنبياء . وهنا تبرز التسمية الإسلامية " قصص الأنبياء " لكى تتفوق على التسميات اليهودية " قصص اليهود " أو " قصص العهد القديم " حتى لا يتم الخلط بين الشخصيات النبوية والشخصيات غير النبوية ، وحتى لا ينسب إلى الأنبياء من الأعمال الفاحشة ما تمت نسبته إليهم بالفعل فى قصص اليهود أو قصص العهد القديم .

ثالثا – أهمية قصص الأنبياء فى القرآن الكريم فى نقد قصص العهد القديم :

إن قصص الأنبياء فى القرآن الكريم يعد مقياسًا نقديا لقياس مدى صحة قصص اليهود ، أو قصص العهد القديم ، وذلك لكونه وحيًا إلهيا من ناحية ولتفنيد القصص اليهودى ونقده من ناحية أخرى. وتفنيد قصص اليهود يعد جزءًا لا يتجزأ من رسالة

القرآن الكريم النقدية الموجهة إلى كتب اليهود المتهمة قرآنيا بأنها حُرفت وبُدلت، ومن بين أشكال التحريف والتبديل ما وجه إلى الأنبياء من اتهامات وأخطاء لا تتفق ومبدأ عصمة الأنبياء من الخطأ. فقد صحح القرآن الكريم صورة الأنبياء وأصبح قصص القرآن الكريم عن الأنبياء المثال والنموذج والمقياس الذى يجب أن تقاس عليه حياة الأنبياء عليهم السلام . ويعطى القرآن الكريم بعض الأنباء الواردة عن الأنبياء وليس لها مقابل فى مادة التوراة وبقية أسفار العهد القديم ، وقد وجدت هذه المادة طريقها إلى بعض قصص اليهود " الهجادا ". وتشير هذه الظاهرة إلى أن اليهود حرفوا هذه المادة أو بدلوها بحيث إنها لم تدون فى العهد القديم أو إنها ضاعت ، أو إنها لم تضم إلى التوراة فى شكلها المكتوب ، وخضعت لعمليات الحذف التى تعرضت لها مادة التوراة قبل أن يتم تدوينها فى القرن الخامس قبل الميلاد، وظهور هذه المادة فى بعض المصادر اليهودية المتأخرة خارج حدود العهد القديم ، ثم ظهورها فى القرآن الكريم يجعلنا نحكم عليها بأنها من بقايا الوحى الذى ضاع من خلال عمليات الحذف والتحريف والتبديل فتحولت هذه المادة من مادة وحى واجبة الظهور فى التوراة إلى مادة شفوية إلى أن استقرت فى أحد المصادر اليهودية المتأخرة وضمت إلى مادة "الهجادا" وظهرت من جديد فى قصص اليهود. وورود بعض هذه المادة فى القرآن الكريم دليل على أنها من بقايا الوحى المفقود ، ودليل على صحتها وعلى أنها يجب أن تعود إلى موقعها الحقيقى فى التوراة أو فى أحد أسفار العهد القديم المناسبة .

ويجب أن نشير إلى أن لويس جنزبرج فى قيامه بهذه المهمة الضخمة وجمعه لقصص اليهود كان على دراية كافية بأهمية الإسلام كمصدر خارج على حدود المصادر اليهودية والمسيحية للقصص اليهودى . ولكن لأسباب يمكن أن نخمنها امتنع جنزبرج عن القيام بأى عمل بجعل من الإسلام وتراثه مصدراً لقصص اليهود أو قصص العهد القديم الذى جمعه . وهناك سؤال صريح يجب طرحه وهو لماذا اهتم جنزبرج بجمع القصص اليهودى من المصادر المسيحية ولم يهتم بجمعه من المصادر الإسلامية ؟ وقد توفرت لدى جنزبرج كل الإمكانات العلمية التى تؤهله للقيام بهذه المهمة ، فهو أعظم عالم دراسات ربانية حاخامية فى عصره ، وقد كان عالمًا باللغات السامية وبخاصة الآرامية والسريانية والعربية حيث تعلم اللغات السامية على يد

المستشرق تيودور نولدكه فى جامعة شتراسبورج ، وتوفرت لديه الوسائل النقدية والمنهجية اللازمة لمثل هذا العمل . وقد عبر جنزبرج فى أكثر من مكان عن معرفته بأهمية التراث الإسلامى الذى عاش فيه اليهود واقتبسوا منه كثيراً من معارفهم، وفى هذا يقول شبيجل فى النسخة المختصرة من قصص العهد القديم : " إن الفتوحات الإقليمية للإسلام أدت إلى جمع العديد من الأجناس والأديان داخل نظام حكم سياسى أكبر من أى نظام آخر عرفه العالم القديم. ومن داخل عدة أشكال للتراث ظهرت مراكز للمعرفة والأدب والفن والفلسفة. وقد اختلط ممثلو الأديان المختلفة فى مدن مثل بغداد وقرطبة يتنافسون بحرية من خلال دعاوى تراثهم ويخضعون كل هذا التراث المختلف للنقد والبحث العقلى. وأصبح ظهور اتجاه جديد نحو كلاسيكيات الماضى ضرورة حتمية لكى يبقى التراث القديم فى مواجهة تحدى الأفكار الجديدة. وقد مرت دراسة الكتاب المقدس بتغير عميق تحت تأثير النقد الفلسفى للدين ، وقد ترك هذا بلا شك أثره على قصص الكتاب المقدس حيث انتهت البراءة التى سيطرت على التفكير السابق على الفكر الفلسفى ، وهوجمت التجسيدات الساذجة للهجادا القديمة ، أو على الأقل تم تأويلها أو التخلص منها . ولبعض الوقت بدا كما لو أن عصر التفسير النقدى قد أصدر حكما بالموت على كل إبداعات الخيال الشعبى وعلى كل ما هو قصصى"(١٢) .

وتشير هذه العبارات بشكل غير مباشر إلى التأثير الإسلامى على النظرة إلى قصص اليهود أو قصص العهد القديم. فالبيئة الإسلامية كانت أول بيئة ناقدة لقصص اليهود نقداً عقليا بدأه القرآن الكريم ، وفصله علماء التفسير المسلمون وهذبه الفلاسفة الذين كانوا أكثر جرأة من علماء التفسير فى رفضهم لكل ما يناقض العقل ويخالف المنطق. وقد اهتدى علماء التفسير والكلام والفلاسفة بالمنهج العقلى القرآنى فى نقد القصص اليهودى وتنقية قصص الأنبياء وتهذيبه وتخليصه من الخرافات ، ومن الأخطاء المنسوبة إلى الأنبياء والمهددة لعصمتهم من الوقوع فى الخطأ وبخاصة الخطأ الفاحش .

ولاشك فى أن هناك أسباباً مهمة وراء عدم إكمال جنزبرج لمهمته التى نذر لها عمره البحثى ، وهى مهمة جمع قصص اليهود من كل مصادرها اليهودية وغير اليهودية . فقد أهمل جنزبرج عن عمد مراجعة قصص الأنبياء فى التراث الإسلامى ، وفى مصدره الأساسى وهو القرآن الكريم وتفاسيره الإسلامية المختلفة .

ويأتى - كسبب أول لهذا الإهمال المقصود - الادعاء اليهودى أن القرآن ليس وحيًا إلهيا من ناحية وأنه متأثر بالهجادا من ناحية أخرى. وهناك العديد من الأبحاث اليهودية التى تتحدث عن عناصر هجادية فى القرآن الكريم وفى كتب التفسير ، وبإصدار هذا الحكم العام بعدم أصالة مادة قصص الأنبياء فى القرآن الكريم وبأنها مأخوذة من مصادر يهودية انتهى الدرس الدينى اليهودى عن قصص الأنبياء فى القرآن الكريم . وعلى الرغم من أن الحكم نفسه يمكن إصداره عن قصص العهد القديم فى المصادر المسيحية فقد وجدنا العديد من العلماء اليهود يهتمون بدراسة هذا القصص الوارد فى المصادر المسيحية ويستفيدون منه ويعتبرونه مادة إضافية ونافعة فى فهم قصص العهد القديم. وكان لويس جنزبرج نفسه من أهم العلماء اليهود الذين تخصصوا فى الهجادا فى المصادر المسيحية وبخاصة عند آباء الكنيسة المسيحية. بل إن جنزبرج لم يتوقف عند حدود المصادر المسيحية ولكنه تتبع مادة الهجادا فى المصادر المتأخرة حتى القرن الثامن عشر، ولكنه تجاوز القرآن الكريم والمصادر التفسيرية الإسلامية وكأنها ليست موجودة على الرغم من عظمة مادة قصص الأنبياء فى القرآن الكريم والمصادر التفسيرية الإسلامية وثرائها الشديد وتنوعها واختلافها ونقائها وسلامتها الدينية وتعبيرها عن رؤية توحيدية خالصة تدافع عن الأنبياء وعصمتهم ، وتدفع عنهم كل التهم التى وجهت إليهم فى المصادر اليهودية ومنها تهمة السقوط فى الوثنية والوقوع فى الفواحش .

لقد وقف الحكم الدينى الخاطئ والعناد العقلى والإهمال اليهودى المقصود للقرآن الكريم كعقبات قوية أمام التناول اليهودى الجاد لمادة قصص الأنبياء فى القرآن الكريم. وتعتبر كل الدراسات النقدية اليهودية لقصص الأنبياء فى القرآن الكريم دراسات موجهة إلى خدمة هدف واحد فقط وهو إثبات التأثير الهجادى على القرآن الكريم. بينما كان الواجب العلمى والنقدى يحتم ضرورة معالجة قصص الأنبياء فى القرآن الكريم المعالجة العلمية النقدية الصريحة من خلال النظر إلى القرآن الكريم أولاً على أنه أحد أهم مصادر قصص الأنبياء عليهم السلام ، والنظر إلى المادة القرآنية الخاصة بقصص الأنبياء على أنها مادة جديدة فى توجهها ورؤيتها وفى فلسفتها ، بل والنظر إليها على أنها مادة مخالفة فى كثير من المواضع لمواد قصص العهد القديم

ومناقضة لها بل وناقدة لها انطلاقًا من أن قاعدة القرآن الكريم فى علاقته بالكتب المقدسة السابقة عليه هى قاعدة النقد والتصحيح ولذلك فالقرآن الكريم لم يكرر المادة التوراتية الخاصة بقصص العهد القديم ، ولكنه هذبها وصححها وقدمها فى صورتها الأصلية قبل أن تمتد إليها يد التحريف والتبديل ، وعلى الرغم من وضوح الهدف النقدى للقرآن الكريم والذى يجعله مقياساً لنقد قصص العهد القديم أهمله نقاد العهد القديم كما أهمله جامعو ودارسو القصص ومؤرخوه من أمثال جنزبرج إهمالاً تاما ، وهو إهمال مقصود يستند إلى حكم متعصب وخاطئ بالأصل الهجادى لقصص الأنبياء فى الإسلام. وسيظل عمل جنزبرج ناقصًا حتى تتم الاستفادة من قصص الأنبياء فى القرآن الكريم وفى التراث الإسلامى، وهو من الناحية العلمية سيكون ممثلاً لمرحلة نقدية فى تاريخ دراسة قصص العهد القديم. وقد أشار شبيجل إلى أن البيئة الإسلامية كانت بيئة عقلية نقدية أدت إلى تطور الاتجاه النقدى لقصص العهد القديم . وهى البيئة نفسها التى أدت فيما بعد إلى تطور اتجاهات نقد العهد القديم فى الغرب على يد سبينوزا وعلى يد فلهاوزن المستشرق الألمانى الذى جمع بين التخصص فى الدراسات الإسلامية وبين دراسات العهد القديم فى الوقت نفسه واستفاد من النقد الإسلامى للعهد القديم فى تأسيس علم نقد الكتاب المقدس فى الغرب .

ولعل من أهم الأمور التى جعلت جنزبرج وغيره من العلماء اليهود يستبعدون القرآن الكريم كمصدر لقصص الأنبياء وكمعيار لنقد هذا القصص الخوف من أن يؤدى هذا إلى ارتفاع شأن القرآن الكريم بين العلماء اليهود فيصبح أحد المصادر الناقدة للتراث اليهودى فى حالة الاستعانة به. ولذلك لجأ كل العلماء بلا استثناء إلى تسفيه المادة القرآنية والحكم بعدم أصالتها وردها إلى مصادر يهودية حتى لا ينشغل العقل اليهودى بها فى حالة الاعتراف بأصالتها وبفائدتها العلمية والنقدية فى فهم قصص العهد القديم. وقد وقع العلماء اليهود ضحية النظرية الغربية التى اعتمد عليها الاستشراق اليهودى والاستشراق عامة ، وهى نظرية التأثير والتأثر والتى تصر خطأ على أن الدين الأحدث يعتمد على الدين الأقدم ، وأنه فى حالة وجود مادة دينية متشابهة فالدين الأحدث استمدها من الدين الأقدم . ومن هنا كان الحكم على قصص الأنبياء فى القرآن بأنها مأخوذة من التوراة وبقية أسفار العهد القديم ومن التلمود ،

والهاجادا والمدراشيم والعهد الجديد. وتم تطوير نظريات ساذجة لوصف المادة القرآنية منها أنها تحريف للمادة التوراتية أو الهجادية ، أو أنها قراءة خاطئة لهذه المادة ، أو أنها استندت إلى مصادر غير معترف بها فى اليهودية الأرثوذكسية مثل مصادر الفرق اليهودية المنشقة والرافضة لليهودية الأرثوذكسية ، أو غير ذلك من التأويلات الساذجة التى لاتقوى على الصمود أمام قوة النقد القرآنى وعظمة الحجة القرآنية .

رابعاً - أهمية قصص اليهود فى تفسير قصص الأنبياء فى القرآن الكريم :

تقدم قصص اليهود خدمة كبرى فى مجال تفسير القرآن الكريم. فمن المعروف أن القرآن الكريم يحتوى على مادة ضخمة تتعلق بتاريخ بنى إسرائيل والديانة اليهودية وتاريخ أنبياء بنى إسرائيل. ومما لاشك فيه أن المفسر المسلم للقرآن الكريم فى أمس الحاجة إلى العودة إلى مصادر متعددة يستخدمها فى تفسير هذه الجوانب فى القرآن الكريم . وقد اكتفى المفسر المسلم القديم بالرجوع إلى التوراة وأسفار العهد القديم لكى يستمد منها مادته التفسيرية .

والحقيقة التى لا يجوز أن تغيب عن الأذهان هى أن التوراة وبقية أسفار العهد القديم لم تعد كافية كمصدر لشرح ما يتعلق بالتاريخ والدين اليهودى وتاريخ الأنبياء. ولا لوم فى ذلك على المفسر القديم الذى لم يجد أمامه سوى أسفار العهد القديم. أما المفسر المسلم المعاصر فلا عذر له فالمادة العلمية التى نعرفها عن التاريخ والدين اليهودى مادة ضخمة هائلة تتعدى بمراحل ما كان متوفراً لدى المفسر القديم. فعلم الآثار قد أمدنا بمادة ضخمة واكتشافات أثرية مهمة سواء فى مجال دراسات الشرق الأدنى القديم بما فى ذلك تاريخ مصر القديم ، أو فى مجال الدراسات التاريخية اليهودية وكذلك الدراسات الدينية. وبالإضافة إلى المادة الأثرية هناك ما تم اكتشافه عبر القرون القليلة الماضية - وبالذات فى القرنين الأخيرين - من مصادر يهودية مهمة جدا ولا تقل أهمية عن التوراة وكتب العهد القديم . ومن بين هذه المصادر كتابات الأبوكريفا ووثائق البحر الميت التى أمدتنا بنصوص جديدة لبعض أسفار العهد القديم وكذلك المعرفة الواسعة الحديثة بالمشنا والجمارا ، أو ما يعرف باسم التلمود ، سواء فى نصه البابلى أو الأورشليمى، وكذلك الشروح التى لاحصر لها للتلمود ، وكذلك التفسيرات

التى وضعت للعهد القديم عبر العصور بالإضافة إلى المادة الدينية والفلسفية والأخلاقية التى ألفها اليهود خلال القرون الماضية سواء فى العصر الوسيط أو فى العصر الحديث بالإضافة إلى كتب العبادة والصلوات ، وكتب التشريعات ، والأحكام الجديدة التى استندت إلى هذه المصادر المتنوعة التى تم اكتشافها. ونضيف إلى هذا كله الترجمات التى وضعت لأسفار العهد القديم فى لغات مختلفة وكلها تلقى أضواء جديدة على نصوص هذه الأسفار ، وتعطى رؤى دينية مختلفة لها. وإلى هذا كله نضيف ما قدمته الدراسات اليهودية الحديثة والمعاصرة فى لغات متعددة ، ومن بينها اللغة العبرية الحديثة ، من معلومات لاحصر لها عن التاريخ والدين اليهودى ، وما تم وضعه من معاجم وفهارس للعهد القديم ، وما تم اكتشافه من مخطوطات عبرية أو سامية ، ومن مخطوطات لاتينية ويونانية ونشر وثائق الجنيزا ومحتويات المعابد اليهودية .

وأمام هذا الكم الهائل من المعلومات تصبح إعادة تفسير المادة المتعلقة بالتاريخ والدين اليهودى فى القرآن الكريم واجبًا جديدًا ملقى على عاتق المفسر المسلم المعاصر. فلابد وأن يواكب علم التفسير التقدم العلمى الهائل فى مجال المعرفة بالتاريخ والدين اليهودى كما أشرنا إليه. فالحاجة ماسة إلى تفسير جديد لهذه الأجزاء فى إطار التقدم العلمى المشار إليه. وإذا كانت قد ظهرت تفاسير علمية جديدة تشرح المادة العلمية فى القرآن الكريم من ظواهر كونية وطبيعية وحقائق علمية مختلفة فى ضوء العلم الحديث فمن باب أولى أن تصدر تفاسير جديدة للمادة التاريخية والدينية اليهودية تستفيد بما قدمه العلم الحديث فى هذا المجال .

ويجب أن ننوه أن كل هذه المصادر الجديدة بالنسبة للمفسر المسلم الحديث والتى لم تكن متوفرة للمفسر المسلم القديم .. كلها تعطى نتائج إيجابية تتفق مع وجهة النظر الإسلامية . فقد أدت هذه الاكتشافات العلمية الهائلة إلى ظهور مدارس نقدية لأسفار العهد القديم فى الغرب ومما يدعو إلى الاطمئنان أن هذه المدارس النقدية الغربية وصلت إلى نتائج علمية هائلة تتفق مع وجهة النظر الإسلامية تجاه اليهودية واليهود دينًا وتاريخًا. ولعل أهم نتيجة تهمنا كمسلمين فى هذا المجال هى الإقرار بأن التوراة الحالية توراة إنسانية خطتها يد اليهود وهكذا الحال بالنسبة لبقية كتب العهد القديم .

ونعتقد أنه أصبح من الضرورى على علماء التفسير أن يتخذوا هذه الخطوة الجريئة نحو إعادة تفسير المادة القرآنية الخاصة بتاريخ بنى إسرائيل ، وتاريخ أنبيائهم، وتاريخ ديانتهم وإلا سيظل هذا الجزء من تفسير القرآن الكريم غير مواكب للتطورات الهائلة فى مجال المعلومات الحديثة عن هذه الجوانب. ومما لاشك فيه أن المفسر المسلم المعاصر هنا فى حاجة ماسة إلى مساعدة زميله المتخصص فى الدراسات العبرية واليهودية لكى يعرفه بالمصادر الجديدة وبالمعلومات الحديثة ويقدمها له مترجمة من مصادرها العبرية والأوروبية .

خامسًا - أهمية قصص اليهود فى الكشف عن الإسرائيليات فى التراث الإسلامى :

وضحنا فى الصفحات السابقة الأهمية الإسلامية لقصص اليهود أو تحديداً قصص العهد القديم ، وأشرنا إلى الجانب المهمل فى الدراسات اليهودية والاستشراقية وإلى الأهمية النقدية لقصص الأنبياء فى القرآن الكريم وفى كتب التفسير عند المسلمين ، وفى كون قصص الأنبياء الإسلامى مقياسًا نقديا لقصص العهد القديم .

وفى الصفحات التالية نوضح جانبًا مهما من جوانب قصص العهد القديم وقصص اليهود خارج حدود العهد القديم والمعروف بالهجادا، وهذا الجانب يبدو سلبيا فى علاقته بالتراث الإسلامى. فقد تسربت من هذا القصص أفكار إسرائيلية ودخلت فى جسم الأعمال التفسيرية كمادة مفسرة لآيات القرآن الكريم المتعلقة بقصص الأنبياء ، ونجم عن هذا التغلغل جسم غريب أطلق عليه اصطلاحًا اسم "الإسرائيليات" أى مجموع الأفكار الإسرائيلية التى وجدت طريقها إلى الأعمال التفسيرية الإسلامية المتمثلة فى كتب التفسير وفى بعض أمهات كتب التاريخ عند المسلمين .

وهناك عدة ملاحظات على الجهود المبذولة إسلاميا لدراسة الإسرائيليات وتتبعها فى التفاسير القرآنية ، ومن أهم هذه الملاحظات :

١ - أن مصطلح " الإسرائيليات " كما هو مستخدم فى علم التفسير لا يشير فقط إلى الأفكار الإسرائيلية التى دخلت فى كتب التفسير ولكنه على حسب استخدامه

(وليس على حسب مدلوله) يشير إلى تسرب أفكار أعم من أن توصف بأنها إسرائيلية فحسب، فكثير من المواضع التى أشار إليها نقاد كتب التفسير على أنها من الإسرائيليات هى ليست فى الحقيقة من الإسرائيليات ، ولكنها تفسيرات أخذت من أساطير وخرافات شعوب الشرق الأدنى القديم ، وأطلق عليها " إسرائيليات " خطأ ربما من باب إطلاق الجزء على الكل ، فالإسرائيليات تكون فى الحقيقة جزءا من مادة أشمل وأعم مأخوذة من التراث الأسطورى فى الشرق الأدنى القديم ، ولكن غلبت التسمية " إسرائيليات " فأصبحت تطلق على ما هو إسرائيلى وما هو غير إسرائيلى.

ولاشك فى أن السبب فى تسرب هذه الأفكار الشرقية الأسطورية إلى كتب التفسير هو ما توفر لدى المفسرين المسلمين الأوائل من معرفة عن تواريخ وديانات المناطق التى فتحها المسلمون، أو ما عرفه العرب من أساطير وخرافات إما من بيئتهم الجاهلية وإما من جيرانهم المكونين لشعوب الشرق الأدنى القديم ، ومن بينهم الإسرائيليون ، ولعل من أهم المواضع التى استندت إلى التراث الأسطورى الشرقى مواصفات الأشخاص العقلية والجسمانية ، والصفات الخارقة للعادة سواء فيما يتعلق بأفراد أو بأمم ، أو بمواصفات خاصة بالأشياء والأماكن والحيوانات الخرافية وما تمثله من قوى خرافية لا يقبلها العقل والتى وردت فى ملاحم العالم القديم عند الفرس وشعوب بلاد النهرين ومصر القديمة وعند الشعوب السورية ، وعند العرب قبل الإسلام، وهى تشتمل على حكايات خاصة بالأبطال القدامى وبطولاتهم التى تظهر فيها قواهم الفائقة فى التغلب على حيوانات خرافية ، أو مواقع لها صفات أسطورية ، أو بشر لهم صفات خارقة للعادة إلى غير ذلك من مواد أسطورية استعان بها المفسرون فى وصف بعض الشخصيات والأماكن التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم مثل يأجوج ومأجوج ، وذى القرنين ، والخضر ، وداود وجالوت ، وهاروت وماروت ، وطوفان نوح عليه السلام وسفينته ، وأهل الكهف ، وما أعطوه من معلومات عن عمر الدنيا وبدء الخلق ، وأسرار الوجود ، والتعليل غير العلمى للظواهر الكونية ، أو ما يسمى فى مجاله بالتعليل الأسطورى (أى غيرالعلمى) للطبيعة والكون والظواهر الفلكية والجغرافية وغير ذلك .

ولهذا يجب البحث عن مسمى أعم ليشمل هذه المادة كلها ، أو أن نحتفظ بمصطلح " إسرائيليات " لكونه أصبح مصطلحًا تراثيا ولكن نستخدمه الاستخدام السليم، وهو أن نحدده فيما دخل فى التفسير من أفكار إسرائيلية خالصة بعيدة عن الأفكار الشرقية العامة الأخرى الموجودة فى كتب التفسير .

المطلوب تحديد دقيق لمصطلح " إسرائيليات " ، ووضع مصطلح جديد لبقية المادة التى وردت تحت " الإسرائيليات " وهى ليست منها .

٢ - والملاحظة الثانية على الدراسات الخاصة بالإسرائيليات هى عدم رد الإسرائيليات إلى مصادرها اليهودية والاكتفاء بذكر أن ما ورد فى الموضع الفلانى من التفسير الفلانى من الإسرائيليات على وجه التعميم .

والحقيقة أن الدراسات العلمية الجادة للإسرائيليات تحتاج إلى التوثيق العلمى المضبوط برد كل فكرة إسرائيلية إلى مصدرها اليهودى الذى أخذت منه. ولا يخفى على المستمع أن مثل هذا التوثيق العلمى لمادة الإسرائيليات يحتاج إلى جهد مشترك بين المفسر والمتخصص فى الدراسات العبرية واليهودية نظرًا لكثرة المصادر اليهودية وتنوعها وتشعبها ، وكثرة الشروح التى وضعت لهذه المصادر الأساسية كما أشرنا سابقًا مما يصعب على المفسر احتواؤه ، أو العودة إليه فى سهولة ويسر .

٣ - يرتبط بالملاحظة السابقة الملاحظة التالية وهى رد معظم الإسرائيليات إلى التوراة أو إلى كتاب العهد القديم على وجه الإجمال وهذا ليس بصحيح، فكثير من مادة الإسرائيليات أتى من مصادر يهودية أخرى غير التوراة وبقية أسفار العهد القديم . فبعضها مأخوذ من الشروح المتعددة للعهد القديم ، وكثير منها ورد من التلمود وشروحه المتعددة ، ومنها ما ورد من الروايات اليهودية ذات الطابع الفولكلورى الشعبى مثل روايات الهجادا ذات الطابع الأسطورى الخرافى ، أو مما شاع بين اليهود شفهيا من خرافات وأساطير وحكايات .

٤ - الملاحظة الرابعة هى أن عدم معرفة المفسر بالمصادر اليهودية تجعل عمله فى الإسرائيليات ناقصًا ، فهو يعتمد على ما هو متوفر من مصادر يهودية فى اللغة العربية وهو قليل جدا وربما لا يشتمل إلا على الترجمة العربية للعهد القديم ، أما بقية

المصادر اليهودية التى تمثل مورداً ومصدراً للإسرائيليات فهى ليست مترجمة إلى العربية، وعلاج هذه المشكلة يتمثل إما فى أن يتعلم المفسر اللغة العبرية ويتقنها حتى يتمكن من العودة إلى المصادر العبرية وهذا أمر صعب أو أن يستعين المفسر بالمتخصص فى اللغة العبرية وفى الديانة اليهودية وهو الأمر المعقول والأيسر .

٥ - الملاحظة الخامسة والمهمة جدا هى ترك الإسرائيليات على ما هى عليه فى كتب التفسير والاكتفاء ببيان أنها من الإسرائيليات. وفى الحقيقة هذا لايمثل علاجًا ناجعاً للإسرائيليات فالأولى التخلص من كل الإسرائيليات التى تفسد التفسير لأن بقاءها يخل بالتفسير ويقطع سياق النص التفسيرى مما يؤدى إلى ضياع المعنى الصحيح واختلاطه بالمعانى غير الصحيحة فضلاً عن اختلاط ما هو عقلى بما هو غير عقلى فى مصادر التفسير. ويجب أن نشير هنا إلى أن القاعدة التى اتبعها المفسرون فى الإسرائيليات هى أن رواية الإسرائيليات غير مباحة إلا مع النص عليها ببيان أنها من الإسرائيليات[١٤] . وهذه القاعدة لم تطبق دائمًا فقد أهمل بعض المفسرين البيان ظنًا منهم أنها - أى الإسرائيليات - معلومة للقارئ أو ربما كان هذا انعكاسًا لعدم معرفة الصحيح من غير الصحيح فى الإسرائيليات فيترك على ما هو عليه .

والحقيقة أن هذا المنهج المتبع مع الإسرائيليات فى كتب التفسير يحتاج إلى إعادة نظر تمشيًا مع الظروف التى يمر بها المجتمع الإسلامى فى العصر الحالى. ولذلك يجب ألا يؤخذ من الإسرائيليات إلا ما يوافق القرآن الكريم وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، أما فيما عدا ذلك فلا يجوز ذكره مع النص ببيان أنه من الإسرائيليات فهذا المنهج لايصلح حاليًا ولايتفق مع طبيعة العصر الذى نعيش فيه للأسباب التالية :

(أ) أن المادة الإسرائيلية المنصوص على أنها من الإسرائيليات مثيرة للشكوك طالما أنها مادة تشتمل على فكرة مرفوضة إسلاميا ولذلك يجب التخلص منها كلية .

(ب) أن ذكر مثل هذه المادة يؤدى إلى حدوث خلل فى سياق النص التفسيرى وذلك من خلال الدلالة المرفوضة التى تذكر ضمن مادة تفسيرية مقبولة فالذهن بلاشك ينصرف إليها ثم يعود منها إلى المادة التفسيرية المقبولة ،

وهذا يحدث نوعًا من البلبلة ويؤثر على السياق والاتساق المنطقى للأفكار المعروضة .

(ج) أن ذكر المادة الإسرائيلية المرفوضة يقلل من القيمة العلمية للتفسير ، وبالتالى يقلل من القيمة الدينية له .

(د) أن ذكر المادة الإسرائيلية المرفوضة لا يتفق مع الأسلوب العلمى المباشر فى الكتابة ، وهو أسلوب يعتمد على المباشرة فى الخطاب .

(هـ) الاستجابة لطبيعة الحياة الحديثة وما يميزها من سرعة فى الحركة وانشغال البشر بتدبير أمورهم وضيق وقتهم فيجب التركيز على المعلومة الصحيحة المباشرة الموجزة دون إسهاب أو إسفاف .

٦ - عدم الاستفادة من نتائج علم نقد الكتاب المقدس فى التخلص من الإسرائيليات. فكثير من مادة التوراة وبقية أسفار العهد القديم تم نقدها، رفض بعضها من جانب علماء نقد الكتاب المقدس فى الغرب من اليهود والمسحيين، وواجب المفسر المسلم أن يكون متتبعًا لهذه النتائج مستفيداً منها فى التخلص من الإسرائيليات التى تم رفضها فى مصدرها الأساسى فكيف لا نرفضها نحن فى استخدامنا لها فى كتب التفسير ؟ .

وهنا يجب التنويه إلى أن علم نقد الكتاب المقدس علم إسلامى خالص قبل أن يتلقاه الغرب عن المسلمين ويقطع فيه خطوات هائلة خلال القرنين الأخيرين ، ويحكم بعدم أصالة كثير من مادة العهد القديم ويرد الكثير منها إلى مواد أسطورية وخرافية ، أو إلى غير أصحابها المنسوبة إليهم ، أو لا يعتبرها من الوحى كما كان مدعى من قبل .

وقد توقفت جهود المسلمين النقدية فى الكتاب المقدس عند علمائنا الأوائل من أمثال ابن حزم والشهرستانى والبيرونى وابن تيمية وابن القيم ، وانتقل هذا العلم إلى الغرب الذى استفاد بجهد هؤلاء العلماء المسلمين الأوائل . والجهود الحديثة الجادة فى هذا المجال قليلة عند المسلمين .

ونخلص من هذا النقد إلى توصية عامة وهى ضرورة كتابة تفاسير جديدة خالية تمامًا من الإسرائيليات لما فى ذلك من فوائد علمية ودينية كبيرة. ويجب أن نتوقف تمامًا عن استخدام الإسرائيليات المرفوضة فى صلب التفاسير الجديدة . وإذا كان الحفاظ على هذه الإسرائيليات يمثل ضرورة علمية فلتكن لها كتبها الخاصة أو الدراسات التى تهتم بها لكن بعيداً عن كتب تفسير القرآن الكريم التى يستخدمها المسلم استخداماً مباشراً للتعرف على أمور دينه .

أما عن الإسرائيليات فى كتب الحديث فهذه يجب أن يطبق عليها منهج علم الحديث فى النقد تطبيقًا حازمًا لا هوادة فيه فينقد سندها ، وقبل هذا وذاك يجب أن ترتبط بوضع الإسرائيليات فى كتب تفسير القرآن الكريم فما رفض على مستوى القرآن الكريم من الإسرائيليات يجب أن يُرفض على مستوى الحديث، وما صح سنده ولم يصح متنه يجب التخلص منه . ودون الدخول فى التفاصيل لقد وضع علماء الحديث منهجًا علميا دقيقًا لمعرفة صحيح الحديث من ضعيفه وطوروا علمًا للنقد وهو علم الجرح والتعديل. ولو طبقت هذه العلوم على الإسرائيليات فى الحديث تطبيقًا حرفيا لتم التخلص منها دون أن تؤثر على الحياة الدينية للمسلم لا من قريب ولا من بعيد . فالفكر الإسلامى والحمد لله غنى وهو ليس فى حاجة إلى الإسرائيليات لكى تثريه خاصة المرفوض من هذه الإسرائيليات .

أما عن الإسرائيليات فى كتب التاريخ فهى تشتمل على الإسرائيليات الواردة فى كتب التاريخ العام للبشرية وبخاصة فى عصر ما قبل الإسلام والتى ترد كمقدمات أو مداخل لأمهات كتب التاريخ التى وضعها المؤرخون المسلمون الأوائل .

كما تشتمل أيضًا على الإسرائيليات الواردة فى تاريخ الأنبياء سواء ما ورد منها ضمن أمهات كتب التاريخ التى خصصت أجزاءً لتاريخ الأنبياء وقصصهم كما تدل عناوين بعض هذه الكتب مثل تاريخ الرسل والملوك للطبرى أو الإسرائيليات الواردة فى الكتب المستقلة عن قصص الأنبياء أو عن تاريخ الأنبياء وهى كتب كثيرة اشتملت فى معظمها على إسرائيليات لاحصر لها .

ومثل هذه الأعمال من كتب التاريخ أو قصص الأنبياء أو تاريخ الأنبياء يجب أن يطبق عليها منهج النقد التاريخى الذى طوره المسلمون والذى ارتبط فى أساسه بمنهج النقد فى علم الحديث، كما يجب الاستفادة أيضًا بمنهج النقد التاريخى الذى طوره الغرب فى العصر الحديث للتعرف على الأخبار الصحيحة خاصة فيما يتعلق بالتاريخ القديم وضرورة الاستفادة من المنجزات العلمية الحديثة فى مجال الآثار وغيره من العلوم مثل التاريخ والحضارة من أجل التخلص من إسرائيليات كتب التاريخ وتاريخ الأنبياء .

ولابد أيضًا أن يستفاد بالوسائل السابقة التى تم ذكرها فيما يخص الإسرائيليات فى التفسير والحديث والاستفادة بعلم نقد الكتاب المقدس وبالتقدم العلمى فى دراسات الشرق الأدنى القديم والشعوب القديمة عامة .

أما عن الإسرائيليات فى الغزو الفكرى الحديث فهى استمرار للإسرائيليات القديمة التى تمثل جزءًا من الغزو الفكرى القديم ووجهًا من وجوهه. فكل ما وصلنا فى العصر الحديث من الفكر الغربى من أفكار ونظريات لا تتناسب مع الفكر الإسلامى يعد من الإسرائيليات الحديثة فالفكر الغربى مبنى على أسس يهودية مسيحية. وهى وإن لم تكن لها صلة بعلوم التفسير والحديث لكن لها تأثيرًا فى الفكر الإسلامى المعاصر وفى التاريخ المعاصر. ويجب أن ننظر إلى الإسرائيليات قديمًا وحديثًا على أنها لون من ألوان الغزو الفكرى للتراث الإسلامى .

سادسا – وجوه الاختلاف بين «قصص الأنبياء» وقصص اليهود أو العهد القديم :

لم يكن اختيار مصطلح " قصص الأنبياء " اختيارًا عشوائيا فى الإسلام ، بل هو اختيار مقصود يعبر عن الاختلاف الجوهرى بين قصص الأنبياء كمصطلح إسلامى وقصص اليهود أو قصص العهد القديم (الهجادا) كمصطلحات يهودية خالصة . وبداية نذكر أن مصطلح " قصص الأنبياء " مصطلح قرآنى انتشر بعد وروده فى القرآن الكريم بين المفسرين الذين تعرضوا لتفسير قصص الأنبياء فى أعمالهم التفسيرية الكبرى أو خصصوا لقصص الأنبياء مؤلفات مستقلة[١٥] ، أو استخرج الجزء الخاص من قصص الأنبياء من تفاسيرهم ، ونشرت فى أعمال مستقلة عن هذه التفاسير .

أما عن التأصيل القرآنى لمصطلح قصص الأنبياء فنجده واردًا فى القرآن الكريم فى العديد من الآيات القرآنية ، ومن أول الآيات القرآنية الدالة على هذا المصطلح وفلسفته قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (يوسف ١١١) وكذلك : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (النمل ٧٦) . وأهم ما يؤكد عليه المصطلح القرآنى " القصص " تاريخية الحدث وواقعيته ، وتعبيره عن الحقيقة ، وبعده عن الأسطورة والخرافة التى يختلط فيها الواقع باللاواقع والحقيقى بغير الحقيقى والتاريخى بالأسطورى. وقد حملت لفظة "هجادا" هذه المعانى المختلطة ، وعندما ترجمت إلى اللغات الأوروبية اختيرت لها ألفاظ تقترب من هذا المعنى مثل ترجمتها بكلمة LEGEND أو بكلمة MYTH أو TALES . وتؤكد الآيات القرآنية على هذا البعد الحقيقى الواقعى كما يبدو فى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ .

ويختلف المفهوم القرآنى لقصص الأنبياء عن المفاهيم اليهودية " قصص اليهود" أو " قصص العهد القديم " فى أن " قصص الأنبياء " يتناول فقط سير الأنبياء عليهم السلام وأعمالهم ودعواتهم ولا يعالج شخصيات غير نبوية بينما يدخل فى المفهوم اليهودى لقصص اليهود أو قصص العهد القديم رواية أحداث مرتبطة بشخصيات غير نبوية مثل الكهان والحكماء والمتنبئين والملوك والحكام والأنبياء الكذبة وغيرهم ممن أصبحوا يمثلون جزءا من التراث اليهودى. وقد يشتمل هذا القصص أيضًا على حكايات للمتصوفة اليهود ولأهل الفرق والمذاهب اليهودية وللفقهاء وعلماء التلمود وغير ذلك. ويتسع المقام هنا لرواية أحداث وقصص مرتبطة بشخصيات غير يهودية من أراضى الشتات التى استمد منها العقل اليهودى معظم مفردات تراثه الأدبى واشتغل كناقل لهذا التراث بعد تهويده . وتؤكد كلمات جنزبرج هذه السمة فى التراث اليهودى حين يقول : " لقد كان اليهود أعظم نقلة للفولكلور ، ففى تجوالهم الطويل من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق أحضروا معهم نتاج الخيال الشرقى إلى الأمم الغربية ، ونقلوا إبداعات الخيال الغربى إلى الشعوب الشرقية "(١٦) .

ونرى فارقًا آخر بين المفهوم القرآنى والمفاهيم اليهودية فى أن مصطلح "قصص اليهود " يتصف بالعمومية حيث ترتبط القصص بأحداث يهودية وبشخصيات يهودية

وبجماعات يهودية. ويكتسب المصطلح هنا دلالة تاريخية عامة لكى يصبح معناه تاريخ اليهود أو تراث اليهود بشكل عام وليس قصص الأنبياء على وجه التحديد ، كما أن قصص العهد القديم مفهوم يشير إلى كل ما ورد فى التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار المكتوبات من قصص وروايات عن كل شخصيات العهد القديم على اختلاف طبائع هذه الشخصيات ووظائفها ودورها فى تاريخ بنى إسرائيل. وهى تتوزع بين شخصيات نبوية وكهنوتية وأبوية وشخصيات ملوك وزعماء وأبطال ومتنبئين وقضاة وحكماء وحاخامات وشخصيات نسائية مثل دبورا وراعوث واستير .. إلخ. ويميل قصص اليهود وقصص العهد القديم إلى البعد الفولكلورى بالنظر إلى هذه الشخصيات على أنها تمثل أبطال العهد القديم والتاريخ اليهودى عبر العصور والنظر إلى هذا الإنتاج القصصى على أنه يمثل فى مجموعه التراث اليهودى الرسمى والشعبى معًا. وهو يشتمل أيضًا على تعليلات كونية مرتبطة بالكون وبالأماكن وبالمخلوقات المختلفة وعلى أساطير تعليلية موروثة من طبقة العهد القديم .

وبالإضافة إلى الاختلاف الدلالى للمصطلحات يختلف المفهوم الإسلامى والقرآنى لقصص الأنبياء عن المفاهيم اليهودية فى عدة أمور مرتبطة بفلسفة الدين والتاريخ وبالمضامين التى يحتويها قصص الأنبياء فى الإسلام .

وداخل إطار فلسفة التوحيد التنزيهية خلا قصص الأنبياء فى القرآن وفى التفاسير القرآنية من الرؤية الدينية التجسيدية أو التشبيهية للألوهية فى الوقت الذى تأثر فيه قصص العهد القديم وقصص اليهود بالنظرة التشبيهية للتوراة وإسقاط الصفات الإنسانية على الإله ووصفه بالصفات والمشاعر الإنسانية . كما عبر قصص الأنبياء عن الطاعة الإنسانية الكاملة للإرادة الإلهية والخضوع والاستسلام التام لله باعتبار الطاعة جوهر الدين . هذا فى الوقت الذى عبر فيه قصص اليهود والعهد القديم عن العلاقة الخاصة بين الإله والشعب والتى ارتفع فيها الشعب إلى مستوى الرب وتعامل معه على أساس من الندية التى عبر عنها العهد بشروطه على طرفى العهد وهما الإله والشعب .

ومن ناحية أخرى أكد قصص الأنبياء فى القرآن الكريم على وحدة الأنبياء ووحدة رسالاتهم فهم يكونون سلسلة داخل إطار تاريخ واحد ورسالة واحدة هى رسالة التوحيد . وقد احتوى تاريخ الأنبياء فى الإسلام على كل الأنبياء الوارد ذكرهم فى القرآن

أو هؤلاء الذين لم يرد ذكرهم . كما ضم تاريخ الأنبياء كل الأنبياء بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم وأقوامهم. أما قصص العهد القديم وقصص اليهود فلا يتحدث إلا عن أنبياء بنى إسرائيل انطلاقا من مبدأ عدم الاعتراف بالنبوة خارج إسرائيل فلا أنبياء ولا نبوة خارج بنى إسرائيل ولذلك لا يشمل قصص العهد القديم وقصص اليهود أنبياء مثل هود وصالح وعيسى ومحمد عليهم السلام جميعًا لأنهم ليسوا من بنى إسرائيل. وركز هذا القصص على أبوة الأنبياء وليس على نبوتهم وذلك لربطهم ببنى إسرائيل ربطًا عرقيا يقوم على أساس من صلة النسب وليس على أساس من وحدة الرسالة .

كما أكد قصص الأنبياء فى القرآن على عصمة الأنبياء عليهم السلام وحفظ لهم كرامتهم وشخصيتهم النبوية ، وخلصهم من كل الاتهامات التى وجهتها أسفار العهد القديم إلى معظم الأنبياء والتى تراوحت بين الاتهامات بالشرك وبالوقوع فى عبادة الآلهة الأجنبية وفى ارتكاب بعض الأخطاء والآثام والفواحش مثل اتهام لوط عليه السلام بالزنا مع بناته واتهام داود وسليمان عليهما السلام بالزواج من وثنيات والسماح بالعبادة الأجنبية وغير ذلك من الاتهامات. وترد صورة أنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام فى القرآن الكريم نقية خالصة من الشوائب بريئة من كل إثم ، معصومة من الوقوع فى الخطأ حتى تتم من خلالهم القدوة الأخلاقية والدينية الضرورية واللازمة لهم كأنبياء مكلفين بتبليغ رسالات إلهية . وقد أكد قصص الأنبياء فى القرآن على عقلانية رسالات الأنبياء وعلى بعدها عن مجالات الأسطورة والخرافة وذلك من خلال التفرقة بين المعجزات التى تعكس التأييد الإلهى للأنبياء وتمكنهم فى الوقت نفسه من أداء رسالاتهم وبين الأساطير والخرافات لما يحتويه القرآن من نقد للأسطورى وإعلاء لشأن العقلى والاعتراف بالمعجزة كأمر فوق العقل وليس ضد العقل ، وكعمل إلهى مؤيد لنبوة الأنبياء ولرسالاتهم .

ولا يخفى على قارئ قصص اليهود غلبة البعد الأسطورى والفولكلورى المشوه للحقائق التى تحتوى عليها رسالات الأنبياء، وهذا البعد الأسطورى موروث من طبيعة العهد القديم وطبيعة الديانة اليهودية التى استمدت العديد من أساطير العالم القديم من خلال احتكاك اليهود عبر العصور بالتراث الأسطورى لدى شعوب الشرق الأدنى القديم وتأثرهم بهذا التراث الذى ظهر فى صفحات التوراة ممثلا فى قصص الخلق والطوفان وبرج بابل والحية وجنة عدن وغيرها من المواد الأسطورية .

وفى النهاية نؤكد على الحقائق التالية :

١ - استقلال قصص الأنبياء فى القرآن الكريم عن قصص اليهود وقصص العهد القديم استقلالا تاما من حيث طبيعة هذا القصص ومحتواه وفلسفته ، وهو استقلال مستمد من استقلال القرآن الكريم عن المصادر اليهودية السابقة عليه ، ومن استقلال الإسلام عن اليهودية كدين .

٢ - يمثل قصص الأنبياء فى القرآن الكريم وحيا إلهيًا خالصا بينما يمثل قصص اليهود تفسيرا يهوديا متأخرا لمادة التوراة وأسفار العهد القديم فهى من وضع المفسر اليهودى ، وليس لها أصل من الوحى فى زمن تدوينها .

٣ - إن فلسفة قصص الأنبياء فى القرآن تختلف عن رؤية قصص اليهود حيث يندرج قصص الأنبياء داخل إطار خدمة التوحيد ونشر أخلاقياته ، والدفاع عن عالمية الإله الواحد ، ووحدة رسالات الأنبياء ، وعقلانيتها بينما تميل رؤية قصص اليهود إلى إثبات أحداث تاريخ بنى إسرائيل والتأكيد على قومية رسالات الأنبياء فى بنى إسرائيل .

وفى نهاية هذه المقدمة لابد من تقديم شكر واجب إلى الدكتور جمال الرفاعى أستاذ اللغة العبرية والأدب العبرى المساعد بكلية الألسن جامعة عين شمس لقيامه بهذا المجهود العظيم فى ترجمة هذا العمل المهم إلى اللغة العربية . وسيستفيد من هذا العمل المتخصصون فى عدة مجالات علمية من أهمها مجالات علوم القرآن الكريم وعلوم التفسير والحديث والتاريخ الإسلامى ، وكذلك المتخصصون فى الدراسات اليهودية والمسيحية وفى تاريخ الأديان وفى الدراسات الدينية المقارنة بالإضافة إلى المتخصصين فى الأدب الشعبى والمهتمين بدراسة الأساطير والخرافات والقصص .

ولا يفوتنى فى هذا المقام توجيه الشكر إلى المجلس الأعلى للثقافة لقيامه بنشر هذه الترجمة داخل إطار المشروع القومى للترجمة ، ولتشجيعه الدائم على ترجمة الأعمال المفيدة فى فهم طبيعة العقلية اليهودية .

أ.د. محمد خليفة حسن

أستاذ الدراسات اليهودية

كلية الآداب - جامعة القاهرة

الهوامش

(١) The Standard Jewish Encyclopedia. ed. by Cecil Roth. Massadah Pub. Co. Jerusalem. 1966. P. 43-44.

(٢) Ibid. P. 304-3.5.

(٣) M. Waxman. A History of Jewish Literature. Vol. IV. Part 2. New York. 1960 P. 1122.

(٤) Ibid. P. 1121.

(٥) Waxman. P. 1122.

(٦) Louis Ginzberg. Legends of the Bible. The Jewish Publication Society of America. Philadelphia. 1956. P. XI.

(٧) Ibid.

(٨) Ibid. P. XI.

(٩) Ibid. P. XI.

(١٠) Ibid. P. XII.

(١١) Ibid. P. XIII.

(١٢) Ibid. P. XVI.

(١٣) Ibid. P. XIV.

(١٤) انظر فى هذا : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير . مجمع البحوث الإسلامية - القاهرة ١٩٨٤

(١٥) انظر مثلاً : عبد الوهاب النجار ، قصص الأنبياء ، دار الفكر ، بيروت .

(١٦) Ginzberg. Legends of the Bible. P. XIX

مقدمة المؤلف

يُطلق تعبير الأدب الربانى على الأدب اليهودى الذى وُضع فى العصور التالية لتدوين العهد القديم ، وقد أطلقه من رأوا أن الفكر اليهودى المنتمى إلى هذه العصور يختلف – إن لم يكن يعارض – بعض الأفكار الواردة فى العهد القديم . ويرى البعض أن الأمة اليهودية لم يعد لها وجود فى تو اللحظة التى فقدت فيها استقلالها السياسى، وأن الفكر اليهودى فى هذه المرحلة أصبح أكثر ارتباطًا بالمعابد التى كان ينطق بلسانها مفكرو اليهود وحاخاماتهم . وتعامل الباحثون مع ما أنتجه الفكر اليهودى فى هذه المرحلة من منظور أنه نتاج نظرى محض أكثر من كونه تعبيراً عن حياة عملية مليئة بالحيوية. وكانت الرؤى الشعرية والبلاغية هى المادة التى استقى منها الباحثون طبيعة المنظومة اللاهوتية للحاخامات ، ولا غرابة فى هذا الأمر حيث إن الحكايات الخرافية التى تمثل النتاج العفوى للشعب والتى اكتسبت ثمة قداسة فى الأدب اليهودى أصبحت جزءا من تفسير الحاخامات لنصوص العهد القديم .

وكما ترتبط الأسماء بالشخوص فإن الشخوص ترتبط أيضًا بالمسميات ، فقد كان الاسم للإنسان البدائى جزءًا من جوهر الشخص أو الشىء. وفى المراحل المتقدمة من الحضارة فإن الأحكام لا تُصاغ دائمًا بما يتوافق مع الحقائق بقدر ما يتوافق مع المسميات التى تطلق عليها . ومن هنا فعند النظر إلى مسمى " الأدب الربانى " نجد أن الأجيال توارثت جيلاً بعد جيل صورة مشوهة عن الأدب المدعو بهذا الاسم . وحتى يومنا هذا فلا زال الرأى الشائع فى أوساط الباحثين الذين يقدمون على دراسة هذا الأدب يذهب إلى أن الأدب الربانى لا يعدو عن كونه نتاجًا بحثيا خالصًا. غير أن الطابع الشعبى يعد من أكثر السمات المميزة للأدب الربانى .

ومن المنظور اليهودى فليس هناك أى تناقض بين المدرسة والمنزل إذ كان اليهود يدرسون فى منازلهم ، ويعيشون فى مدارسهم ، فضلاً عن أنه ليست لدارسى التوراة

مكانة متفردة لدى اليهود أى أنهم ليسوا منعزلين عن المشاركة فى شئون الحياة العملية . وحتى فيما يتعلق بمجال الشريعة فلم يكن الحاخامات منشغلين بالأسس النظرية للشريعة التى عملوا على صياغتها واستيعابها بقدر انشغالهم بقضايا حياتهم اليومية . وليس من الممكن قصر القصص الشعبى اليهودى على ما أنتجته الجماعات اليهودية التى عاشت خلال القرنين الثالث والرابع الميلاديين إذ أدخل اليهود فى العصور اللاحقة على هذا القصص الكثير من الإضافات والشروح والتعليقات .

وقد ساد لدى البعض اعتقاد مفاده أن قصص الهجادا لا تحتوى على أى قصص شعبى وإنما تعد نتاجا أكاديميا خالصًا ، غير أن النظر فى الكتابات الزائفة التى تعد أقدم من قصص الهجادا ببضعة قرون يبين لنا مدى خطأ هذا التصور. وليس من الممكن تاريخيا تصور أن أحد الأدبين استمد مادته من الآخر خاصة أن قيادات اليهود رفضت فى مرحلة مبكرة الاعتراف بالكتابات الزائفة التى كانت من أكثر الأعمال شيوعًا فى أوساط المسيحيين وبعض الطوائف اليهودية ، ومع هذا فإن دحض قيادات اليهود لهذه الكتابات الزائفة لا ينفى وجود ثمة علاقة فيما بينها وبين قصص الهجادا . ويتمثل الفرق الجوهرى بين هذه الأعمال فى أن قصص الهجادا يطغى عليها الطابع التفسيرى فى حين أن الكتابات الزائفة يطغى عليها الطابع الأبوى فضلاً عن أنه يشوبها قدر كبير من الغموض .

وينطوى مصطلح أدب ما بعد العهد القديم اليهودى على الفولكلور ، والحكايات الخرافية ، والقصص ، وكافة أشكال الحكى ، وتدخل كل هذه المسميات تحت اسم الهجادا ، هذا المسمى الذى يمكن تفسيره فقط ، ويصعب فى المقابل ترجمته . وإذا كان لا يمكننا حصر كل ما ينطوى تحت هذا المسمى فإن سمات كل التصنيفات التى تدخل تحت مسمى " الهجادا " تتمثل فى تعلقها بالنصوص المقدسة من جهة وفى حملها لطابع القصة من جهة أخرى .

وتمثل هذه الثنائية فى حقيقة الأمر السمات المميزة للقصة اليهودية . وقد أدرك المؤرخ اليهودى يوسيفوس منذ ثمانية عشر قرنًا هذا الوضع بقوله : " بالرغم من أننا فقدنا مدننا وكل ما نعمنا به من مزايا فإن شريعتنا لازالت خالدة " . ولم يكن

يوسيفوس يقصد استخدام لفظة الشريعة وإنما كان يقصد استخدام لفظة التوراة غير أنه لم يجد مقابلاً يونانيا لها سوى " شريعة " . وقد عبر أحد منشدى المعابد بعد موت يوسيفوس بألف سنة عن ذات المشاعر بقوله : " لقد انتهكت المدينة المقدسة وسائر المدن التابعة لها ، وترقد جميعها فى الدمار ، وقد سُلبت من جمالها ، وأضحى بهاؤها ظلاماً. ولم يتبق من ثرواتنا سوى التوراة " .

وكان اليهود يشعرون بأهمية الاحتماء بالماضى كلما كانوا يواجهون قدرًا أكبر من الصعاب ، وكانت التوراة هى الأمر الوحيد المتبقى من مرحلة الاستقلال القومى ، فكانت هى الوسيلة السحرية التى جعلت الحاضر المرير يتراجع أمام الصور البهية للذاكرة . وقد خُصصت للتوراة مهمة إمتاع العقل والروح والخيال ، فتولد عن هذه المهمة كل من النتاج الشرعى ، والقصصى اليهودى .

ولم يخمد الخيال اليهودى أو يتوقف فى الفترة التالية لتدوين العهد القديم غير أنه كان للماضى الدور الرئيسى فى تحديد نشاطه . وبدلاً من أن يجد البشر متعتهم فيما يقع أمامهم من أحداث فقد وجدوا المتعة الحقيقية فى نبع الماضى. ولقد كانت أحداث التاريخ الإسرائيلى القديم لا تُدرس فحسب وإنما كانت تُعاش مرة تلو الأخرى ، ومن هنا تولدت الرغبة فى التعرف عن كثب على هذا التاريخ . ولقد انصهرت التأملات الدينية فى الطبيعة والتى تجمعت فى أساطير الشعوب ، والحكايات الخرافية التى هدفها الإمتاع ، والقصص الذى يعبر عن حكم الشعب على التاريخ فى بوتقة واحدة . وقد ارتبط الخيال اليهودى بالماضى كما يتجلى فى العهد القديم ، ولهذا اكتسبت كل إبداعات هذا الخيال مظهرًا توراتيا . ويمكننا على هذا النحو فهم خصوصية الهجادا.

ويحتفظ التاريخ بالنتاج العفوى للشعب فى شكل شديد الارتباط بمشاعر وأفكار الشعراء أو تأملات الدارسين ، ومن هنا فإن القصص اليهودى لم ينقل إلا نادرًا فى صورته الأصلية ، ولم يخلد إلا فى إطار شروح نصوص العهد القديم ، ولم يكن معلمو الهجادا بعلماء فولكلور يمكن أن نتوقع منهم إعادة إنتاج المادة القصصية على نحو أمين وإنما كانوا فى المقام الأول من الوعاظ الذين استخدموا القصص لأغراض تعليمية ، ولقد كان همهم الأول منصرفًا نحو إقامة علاقة وثيقة بين النصوص المقدسة

وبين تشكيلات الخيال الشعبى على نحو يضمن البقاء والخلود لما طرحوه من أفكار وتصورات خيالية .

وتتمثل إحدى مهام الباحث المعاصر للهجادا فى الفصل على نحو قاطع بين العناصر الأولى للقصة (الهجادا) وبين ما لحق عليها من إضافات من قبل الشراح والمفسرين . ومن المؤسف أنه لم يتم البدء فى هذه المهمة غير أنه طالما أن مهمة الفصل هذه لم تتحقق فمن المستحيل تدوين حكايات اليهود التوراتية دون أن تتضمن عملية التدوين هذه نتاج المشتغلين بالخيال الشعبى .

وقمت فى كتاب " قصص اليهود " بالمحاولة الأولى إذ جمعت من المصادر الأصلية كل القصص اليهودية المتعلقة بشخصيات أو أحداث توراتية ، وأعدت تقديمها بأدق صورة ممكنة . وأحرص هنا على استخدام تعبير "يهودى" أكثر من تعبير "ربانى" لأن المصادر التى رجعت إليها ليست كلها ربانية ، وأعتزم تقديم وصف تفصيلى لهذه المصادر على نحو مفصل غير أن المعلومات المقدمة ها هنا كافية .

ويعد النتاج التلمودى المدراشى على قدر كبير من الأهمية ، فيغطى هذا الإنتاج الفترة الممتدة من القرن الثانى حتى القرن الرابع عشر الميلادى ، ويتضمن الجزء الأعظم من مواد القصص اليهودى ، وتتشابه تراجم العهد القديم مع هذا النتاج من ناحية المضمون وليس دائمًا من ناحية الشكل ، وتعود أقدم هذه التراجم إلى القرن الرابع الميلادى ، وأحدثها إلى القرن العاشر. أما الأدب المدراشى فقد احتفظ به فى شكل متفرق ، فكثير من مصادر القصص اليهودى قد فقدت ، ولا نعرف عنها إلا ما نقله عنها مؤلفو العصور الوسطى ، ومن ثم فقد تم استقاء عدد كبير من القصص الوارد فى هذا العمل من مفسرى اليهود وخطبائهم بالعصور الوسطى. وكنت سعيد الحظ حقا حينما تسنى لى الاطلاع على بقايا بعض الميدراشيم التى لازالت مخطوطة . وتحتوى كتب التصوف اليهودى على استشهادات عديدة من كتب المدراشيم التى فقدت، كما أن الأدب الحسيدى يحتوى على كثير من هذه الاستشهادات ، ومن هنا فإن الاطلاع على الأدبين الصوفى والحسيدى يعد على قدر كبير من الأهمية لمن يقدم على دراسة القصص اليهودى .

وعلاوة على هذا فإن مهمة تجميع القصص اليهودى لا تقتصر حدودها على المصادر اليهودية فقط وإنما تشمل المصادر الكنسية أيضًا فقد قبلت الكنيسة بعضًا من الكتابات اليهودية التى دحضتها المعابد، ويعد أدب الأبوكريفا والكتابات الزائفة من أهم مصادر القصص اليهودى . وطالما أن حديثنا هنا مهتم بالقصص اليهودى فيجب أن نتنبه إلى أن أهمية هذه الكتابات الزائفة تفوق بكثير أدب الأبوكريفا ، فلا تتضمن هذه الكتابات النتاج اليونانى ليهود الحضارة الهيلينية فحسب وإنما تتضمن أيضًا ترجمات لاتينية وسريانية وإثيوبية وأرامية وعربية وفارسية لأعمال يهودية هيلينية .

ويستلزم استخدام هذه الكتابات قدرًا كبيرًا من الحذر خاصة أن معظمها يتضمن الكثير من الأفكار المسيحية ، وتطغى هذه الأفكار فى بعض الأحيان على النص للدرجة التى يصعب معها للوهلة الأولى تحديد إذا ما كان القصص الذى تحتويه هذه المادة مسيحيا أم يهوديا . وأعتقد أن القصص التى استخرجتها من هذه الكتابات الزائفة تعد يقينًا يهودية ، ومن ثم فقد تضمنها هذا العمل .

ويعد النتاج الربانى بلا شك أكثر أهمية مما ورد من قصص فى هذه الكتابات الزائفة خاصة أن النتاج الربانى يمثل التيار الرئيسى فى الفكر اليهودى فى حين أن هذه الكتابات الزائفة لا تشغل المكانة ذاتها. ولم يكن رفض اليهود لهذه الكتابات وتقبل الكنيسة لها ناجمًا عن الصدفة وإنما كان لهذه المسألة بعد تاريخى فقد نشأت هذه الكتابات فى أوساط تلك الدوائر التى أخذت بعدة أسس فكرية عملت المسيحية فيما بعد على تطويرها، ومن ثم فقد اعتمدت الكنيسة هذه الكتابات .

وعند استخدام أسفار الأبوكريفا والكتابات الزائفة فقد استخدمت ترجماتها الإنجليزية بما يتماشى مع النهج العام للكتاب ، ومن هنا فقد سمحت لنفسى التصرف فى هذه التراجم بقدر من الحرية . وبالإضافة إلى هذه الأسفار فهناك مصادر يهودية أخرى غير أنها لا تتواجد إلا فى المصادر الخاصة بآباء الكنيسة ، ولذلك فقد اعتنيت أيضًا بكتابات الآباء إلى أقصى حد .

ولم يكن من الممكن بسبب غزارة المادة المتاحة تقديم النص الحرفى لكل قصة غير أنه يمكننى زعم الكمال من ناحية المحتوى . وحينما كانت تتناقض بعض نسخ القصص فقد كنت أكتفى بتقديم واحدة فقط مكتفيًا بالإشارة إلى سائر المرويات المتناقضة فى الهوامش ، وفى حالات أخرى فقد كنت أكتفى بسرد إحدى القصص فى حين كنت أشير إلى المرويات الشبيهة فى مواضع أخرى بما يتماشى مع الهدف المتمثل فى تقديم سرد سلس للموضوع .

ولم أتردد أيضًا فى تناول بعض الشخصيات فى أكثر من موضع فبعض القصص المتعلقة بيعقوب لا تظهر فى الفصل الخاص بهذه الشخصية التوراتية وإنما تظهر فى الفصل الخاص بيوسف الذى يظهر فيه يعقوب كشخصية ثانوية .

ونتيجة لغزارة المادة أيضًا فقد تم تقسيم هذا العمل إلى عدة مجلدات ، وسيجد القارئ فى المجلد الأخير بيانًا بالمصادر والكثير من الشروح وفهرسًا للمواضيع الواردة فى العمل .

لويس جنزبرج

نيويورك ٢٤ مارس ١٩٠٩

الفصل الأول

خلق العالم

فى البدء وقبل خلق السموات والأرض بألفى عام **خُلقت سبعة أشياء وهى : التوراة التى كُتبت بنار سوداء على نار بيضاء** – وكانت بين يدى الرب عند الخلق – والعرش الإلهى المُقام فى السماء والذى أصبح فيما بعد على رءوس كافة الكائنات ، والجنة التى كانت على يمين الرب ، والنار التى كانت على يسراه ، والهيكل السماوى الذى كان أمام الرب مباشرة ، وكانت توجد جوهرة على مذبح الهيكل الذى نقش عليه اسم المسيح المنتظر، وكان يسرى فى الأصداء صوت " توبوا يا بنى البشر "[1] .

وحينما عقد الرب النية على خلق العالم تشاور مع التوراة[2] التى نصحته قائلة : "يارب إن من لا يملك جيشًا أو جمعًا من المريدين والمسبحين يمجده لا يستحق لقب ملك لأنه لا يأبه إليه أحد " وراقت هذه المشورة للرب ولذا أمر كل ملوك الأرض بألا يقدموا على شىء دون التشاور أولاً مع الآخرين[3] .

وكانت نصيحة التوراة منطوية على بعض التحفظات إذ تشككت التوراة فى قيمة وجود عالم أرضى لعلمها بخطايا البشر وأنهم لن يبالوا بتعاليمها غير أن الرب تجاهل شكوكها وأخبرها أن التوبة خُلقت منذ القدم وأنه سيكون للمخطئين فرصة تقويم سلوكهم، كما أن خدمة الهيكل تكفر عن الذنوب ، وأن الغرض من خلق الجنة والنار هو الثواب والعقاب وأن الغرض من قدوم المسيح تحقيق الخلاص الذى سيضع نهاية لكل الذنوب[4] .

ولم يكن هذا العالم المسكون بالإنسان أول الأشياء الدنيوية التى خلقها الرب إذ خلق الرب عوالم سابقة لعالمنا غير أنه دمرها لأنه لم يرق له أىٌّ منها حتى خلق عالمنا[5]

ولم يكن مقدراً لعالمنا هذا الدوام والبقاء لو كان الرب قد نفذ خطته الأولى والأصيلة بشأن تطبيق مبدأ العدل فقط فى العالم ، فحينما رأى الرب أن تطبيق مبدأ العدل فقط سيقوض أساس العالم فقد ربط الرحمة بالعدل وجعلهما يتحكمان معًا فى أمور العالم[٦] . ومن هنا عم الخير الإلهى كل الأشياء من البداية ، ولولا هذا الخير لما قُدر لأى شىء الوجود والبقاء، ولولا هذا الخير لكانت ألوف مؤلفة من الأرواح الشريرة قد قضت على أجيال كاملة من البشر . وقد أمر الرب من فرط خيره ومحبته ملائكته بمهاجمة عالم الأرواح الشريرة فى شهر نيسان من كل عام حتى تتخوف من أن تلحق أذى بالبشر. ولو لم يكن الرب من فرط خيره قد وفر الحماية للضعفاء لكانت الحيوانات المفترسة قد قضت على الحيوانات الأليفة منذ أمد طويل . وفى شهر تموز من كل عام وحينما تصل قوة الحيوانات إلى أوجها فإن الرب يزأر زئيراً مدوياً تسمعه كل الحيوانات فيسرى الرعب فى أوصالها طيلة العام وتصبح أفعالها أقل ضراوة وعنفًا، وفى شهر تشرين ومع حلول الخريف فإن طائر " تسيتس "[٧] العملاق يصفق بجناحيه ويصرخ بشدة فتتخوف الطيور المفترسة من صقور ونسور من الانقضاض على صغار الطيور. ولولا خير الرب ورحمته لكانت كبار الأسماك قضت على الصغار، وفى موسم الشتاء وفى شهر يناير على الأخص فإن البحر يثور على نحو متواصل لأن حيوان اللوياثان يتدفق عندئذ فى الماء ، ولا يشعر بالارتياح ، وتكبح مياه البحر الهائجة شهية الأسماك الكبيرة فتفر الأسماك الصغيرة من ضراوتها .

وأخيراً فإن رحمة الرب تتجلى فى حفاظه على شعب إسرائيل الذى لم يكن من الممكن أن يبقى وسط كراهية الأغيار لو لم يكن الرب قد أقام حماة له مثل كبيرى الملائكة "ميخائيل" و "جبريل"[٨] . وحينما يعصى إسرائيل الرب ، وتتهمه ملائكة الشعوب الأخرى بارتكاب الأعمال الشريرة فلا تتوفر له الحماية إلا من قبل الملائكة المخصصين لحمايته الذين تخشاهم سائر الملائكة . وحينما ترتعد فرائص ملائكة الأمم الأخرى لا تقوى هذه الأمم على القيام بمخططاتها الشريرة ضد إسرائيل .

ولما كان خير الرب يعم الأرض والسماء فقد خُصص لملائكة الدمار مكان قصى بالسموات لا يمكنها أن تتحرك منه قط فى الوقت الذى تحيط فيه ملائكة الرحمة بعرش الرب بأمره[٩] .

الأبجدية

عندما كان الرب على وشك خلق العالم بكلمته هبط الاثنان والعشرون حرفًا(١٠) من عرش الرب المهيب الذى كانت الحروف قد نُقشت عليه بريشة من اللهيب. واصطفت الحروف فى دائرة بالقرب من الرب ، وحدث كل منها الرب متوسلاً بقوله " اخلق منى العالم " . وكان حرف " التاء " أول من تقدم الحروف قائلاً " فلتكن مشيئتك ولتخلق العالم من خلالى فستهب من خلالى التوراة إلى إسرائيل عن طريق موسى فُكتب بالتوراة " أمرنا موسى بالتوراة " غير أن الرب فى علاه رفض هذا الطلب فسأله الحرف " ولم لا ؟ " فأجاب الرب " لأنى سأجعلك فى الأيام القادمة علامة للموت الذى سيحل على البشر " ، وحينما تنزلت كلمات الرب على الحرف انسحب محبطًا من حضرة الإله .

وتقدم حرف الشين فيما بعد متوسلاً إلى الرب بقوله " رب العالمين اخلق العالم من خلالى خاصة أن اسمك المقدس " شداى " يبدأ بحرف الشين " ومع هذا وللأسف فإن لفظة " شيكر" العبرية التى تعنى الكذب تبدأ بهذا الحرف ، ومن هنا فقد هذا الحرف مصداقيته أمام الرب . ولم يكن حرف "الراء" أفضل حظا لاسيما أن لفظتى "الشرير" و "الخبيث" فى العبرية تبدآن بهذا الحرف ، ولم تشفع لهذا الحرف أن لفظة "الرحيم" التى هى صفة من صفات الرب تبدأ بهذا الحرف . ورُفض مطلب حرف "القاف" لأن لفظة اللعنة فى العبرية تبدأ بهذا الحرف ، وكان ثقل هذه اللفظة أقوى من حقيقة أن اسم "قادوش" هو أحد أسماء الرب .

وحاول حرف " الصاد " عبثًا أن يُخلق العالم به لأن لفظة " الصديق " العبرية تبدأ به غير أن لفظة " الصعاب " التى عانى منها شعب إسرائيل شهدت ضده . وسعى حرف " الباء " نيل هذا الشرف لأن لفظة " المخلص " فى العبرية تبدأ به غير أنه سرعان ما خُذل لأن لفظة الجريمة فى اللغة العبرية تبدأ به . أما حرف " العين " فقد أُنبئ أنه ليس صالحًا لأنه وبالرغم من أن لفظة التواضع فى العبرية تبدأ به فإن لفظة الفجور تبدأ أيضًا به .

وتقدم حرف السين ساميخ قائلاً " فلتبدأ يارب الخلق بى لأن اسمك " ساميخ " من اسمى الذى يعنى ممسك الأشياء من السقوط " بيد أن الرب قال " يجب أن تبقى فى مكانك ، وأن تستمر فى حفظ كل شىء من السقوط "(١١) .

واعتمد حرف "النون" فى مطلبه على أن لفظة شمعة فى اللغة العبرية تبدأ به ، وأن هذه اللفظة تعنى " نور الرب " التى هى " روح البشر " ومع هذا لم يستجب الرب لمطلب الحرف لأن " نار الشر " التى سيطفئ الرب لهيبها تبدأ أيضاً بهذا الحرف .

ولم يكن لحرف الميم أية فرصة فى تحقيق مطلبه فبالرغم من أنه أول حرف من لفظة " الملك " التى هى صفة من صفات الرب فإن لفظة " مهوماه " العبرية التى تعنى الاضطراب والحيرة تبدأ أيضًا به . أما حرف اللام فقد نسى أن المبررات التى ساقها كى يبدأ الرب به الخلق تنطوى على ما يكفى لدحض مطلبه فبينما زعم حرف اللام أن ألواح الشريعة السماوية التى تضمنت الوصايا العشر تبدأ بحرف اللام فقد نسى أن موسى حطمها .

وكان حرف " الكاف " متأكدًا من انتصاره خاصة أن ألفاظ " العرش " أى عرش الرب ، و" الاحترام " ، و" التاج " فى العبرية تبدأ جميعها به غير أن الرب ذكر أنه سيدمر العرش بيديه لما سيتعرض له شعبه من ويلات. أما حرف " الياء " فقد تراءى للوهلة الأولى أنه الحرف المناسب خاصة أن اسم الرب " يهوه " يبدأ به غير أن تعبير " يتسر راع " فى العبرية الذى يعنى " الرغبة الشريرة " يبدأ أيضًا به . ورغم أن حرف " الطاء " تصور أنه يكفيه فخراً بدء لفظة " طيب " به فإن هذه اللفظة ومدلولاتها لا تتحقق فى هذا العالم بقدر ما تتحقق فى العالم الآخر . ورغم أن حرف " الحاء " تصور أن اسم " الحنون " الذى يعد إحدى صفات الإله يكفيه فخراً فإنه أغفل أن لفظة الخطيئة فى العبرية تبدأ أيضًا به . ورأى حرف " الزين " أنه من الممكن أن يُبدأ الخلق به لاسيما أن لفظة " الذكر " تبدأ به ولكن لم تتحقق رغبة هذا الحرف لأن لفظة السلاح فى العبرية تبدأ به أيضًا. أما حرفا " الواو " و " الهاء " فنظراً لأنهما جزء من اسم الإله "يهوه" فإنهما أكثر سموا من أن يتم استخدامهما فى خلق العالم الدنيوى . ولو كان استخدام حرف " الدال " قاصراً على لفظة " دفار " التى تعنى كلمة الرب لكان هذا الحرف قد استخدم فى الخلق غير أن لفظة العدل والمحاكمة تبدأ بالحرف ذاته. ولم يتم أخذ حرف " الجيم " لأن لفظة العقوبة فى العبرية تبدأ به .

وبعـد أن تم دحض دعـاوى كل الحـروف تقـدم حـرف البـاء إلى الرب قـائلاً " رب العـالمين فلتكن مـشيـئتك وتخلق العـالم بى خـاصـة أن كل مـخلوقـات الكون لا تتـوقف ألسنتها عن الثناء عليـك من خلالى بقولهـا : " بـورك الرب دائمًا وأبدًا " ، فاسـتجاب الرب المبارك لطلب حرف الباء بقوله " تبارك من يذكر اسم الرب " ، وخلق العـالم من خـلال حـرف البـاء إذ جـاء بـالفـقـرة الأولى بالتـوراة " فى البـدء خلق الرب السـمـوات والأرض " .

أما الحرف الوحيد الذى توارى خجلاً من أن يطرح دعواه أمـام الرب فقد كان حرف الألف ، وكافأه الرب لتواضعه، واختار أن تبدأ أولى وصـايا التوراة بحرف الألف التى جاء بها " أنا الرب إلهك "[١٢] .

اليوم الأول

صنع الله فى اليوم الأول من الخلق عشـرة أشياء[١٣] وهى : السمـوات والأرض، الخواء والقفر ، الضوء والظلام ، الريح والمياه ، وأوقات النهار[١٤] وأوقات الليل[١٥] . ورغم أن السموات والأرض تتكون من عناصر شديدة التباين فيما بينها[١٦] فقد خلقت كوحدة واحدة مثل الإناء وغطائه[١٧] . وخُلقت السمـوات من ضيـاء ثوب الرب، وخلقت الأرض من الثلج الواقع تحت عرش الإله[١٨] . أما الخواء فـهو غطاء أخضر يحيط بكل أرجاء العالم وينشر الظلام. أما القـفـر فيتكون من حـجارة جهنم ، وتخـرج منه المياه. أما النور الذى خُلق فى البداية فلم يكن كالضـوء المنبثق من الشمس والقمر والنجوم الذى سطع فى اليوم الرابع . وكان ضوء اليوم الأول شديد الخصوصية فأتاح للإنسان أن يبصر العالم من أقصاه إلى أدناه . وسبق هذا الضوء ظهور أجيال الطوفان التى انغمست فى الرذيلة وجيل برج بابل والتى لم تستحق أن تنعم بمثل هذا الضـوء الذى أخفاه الله عنهم غير أنه سيظهر بكل بهائه للصديقين فى الآخرة[١٩] .

وخُلقت عدة سموات[٢٠] وهى سبعة فقط[٢١] ولكل منها دور يخصـها . وتتمثل وظيفة السماء الأولى التى يراها الإنسان فى حجب الضوء فى أوقات الليل ، ولذا فإنها تختفى كل صباح. أما الكواكب فإنها مثبتة فى السمـاء الثانية . أما السماء الثالثة

فيوجد بها المن الذى يعد للصديقين . وتتضمن السماء الرابعة الصورة السماوية للقدس والهيكل الذى يحكمه ميخائيل بوصفه الكاهن الأعظم ، والذى يقدم أرواح الصديقين كأضاحٍ . وتقيم الملائكة فى السماء الخامسة ولا تتوقف فيها عن الثناء على الرب غير أنها لا تثنى على الرب إلا فى المساء خاصة أن مهمة شعب إسرائيل تتمثل فى الثناء نهاراً على الرب. أما السماء السادسة فلا تعدو عن كونها بقعة شاسعة يتم فيها تقدير مصائر الأرض وسكانها . وتوجد بالسماء السادسة أيضًا مجموعات متراكمة من الثلوج ، وتوجد بها شرفات من الندى المؤذى وخزائن مليئة بالعواصف وأقبية مليئة بالدخان . وتفصل بوابات من النيران هذه الغرف السماوية التى تخضع لإشراف كبير الملائكة " ميتاترون " . وقد دنست المحتويات المؤذية لهذه الغرف السموات حتى عصر الملك التقى داود الذى دعا الرب فى صلاته لتطهير مكانه من أى شىء يحمل الشر وأنه لا يعقل أن تتواجد مثل هذه الأشياء بالقرب من الرحيم . وانتقلت هذه الأشياء فيما بعد إلى الأرض .

أما السماء السابعة فلا تحتوى إلا على كل ماهو خير وجميل وصادق وعادل ورحيم ، كما تحتوى على خزائن الحياة والسلام والمحبة ، وأرواح الأتقياء ونفوس الأجيال التى لم تولد والندى الذى سيحيى به الرب الموتى يوم البعث . وتحتوى السماء السابعة أيضًا على عرش الرب الذى تحيط به الملائكة ، والحيوانات المقدسة وكبار الملائكة(٢٢) .

وفى مقابل السموات السبع خلق الرب سبع طبقات من الأرض تفصل كل واحدة منها عن الأخرى خمس طبقات . ويوجد بالطبقة السابعة التى هى أدنى الطبقات كل من الجحيم والخواء والبحر والمياه(٢٣) ، وهذه الطبقة هى التى تعرف باسم " أرض " . أما الطبقة السادسة(٢٤) فتعرف باسم " أديم الأرض " وتتجلى فيها عظمة الرب. وتنفصل على هذا النحو نفسه تلك الطبقة عن نظيرتها الخامسة التى تعرف باسم "أرخا" ، وتتضمن هذه الطبقة ، بوابات الموت وجهنم(٢٥) ، وتتولى ملائكة الدمار فى هذه الطبقة حراسة أرواح الأشرار. وتعقب هذه الطبقة منطقة تحتوى على الجداول والأنهار ومع هذا تعرف باسم خرابة ، وتعقب هذه المنطقة منطقة اليابسة التى تتضمن

رغم اسمها الأنهار والينابيع. أما منطقة " تيفيل " فهى الأرض الثانية ويسكنها ثلاثمائة وخمسة وستون نوعًا من الكائنات الحية(٢٦) تختلف جميعها عن كائنات الأرض التى نقيم عليها نحن بنو البشر فلبعضها رءوس بشرية وجسد أسد أو أفعى أو ثور غير أن لبعضها الآخر أجسام بشر ورءوس حيوانات. وتقطن هذه الطبقة أيضًا كائنات بشرية لكل منها رأسان وأربعة أياد وأقدام . وكل أعضائها مزدوجة باستثناء منطقة الخصر(٢٧) . ويحدث فى بعض الأحيان أن هذه الأعضاء المزدوجة تتشاجر مع بعضها البعض خاصة عند تناول الأطعمة والأشربة إذ إن كل عضو يرغب فى الحصول على الأفضل والمزيد . ويتسم هذا النوع من البشر بالشفقة على نحو يميزه عن سكان أرضنا .

أما الأرض التى نسكن عليها فتعرف باسم " خيلد " ، ويفصلها عن الطبقة التالية الجحيم والبحر والمياه. وهكذا فإن الأرض ترتفع فوق بعضها طبقة طبقةً من الأولى إلى السابعة ، وترتفع السموات فوق الأرض السابعة وترتبط ببعضها البعض من الأولى إلى الأخيرة ، وترتبط السماء الأخيرة بذراع الرب. وتشكل السموات السبع وحدة واحدة ، كما تشغل طبقات الأرض السبع وحدة واحدة ، وتشكل السموات والأرض وحدة كاملة(٢٨) .

وحينما خلق الرب السموات المعاصرة والأرض المعاصرة فقد تولدت على هذا النحو السموات الجديدة والأرض الجديدة(٢٩) ، وأتت معها العوالم التى خلقها الرب بمجده والبالغ عددها ستة وتسعين ألف عالم(٣٠) .

وتستغرق المسافة من الأرض إلى السماء خمسمائة عام ، كما يقطع الإنسان السماء من أدناها إلى أقصاها فى خمسمائة عام ، ويستغرق المدة نفسها عند الانتقال من سماء إلى سماء(٣١) ، ويستغرق المدة نفسها للانتقال من شرقها إلى غربها ومن جنوبها إلى شمالها(٣٢) . ورغم رحب المعمورة إلا أن ثلثها فقط هو المأهول بالناس . أما الثلثان الآخران فمقسمان بين الماء والصحراء المقفرة .

ويقع الفردوس(٣٣) بأقسامه السبعة خلف الجانب الشرقى من الأجزاء المأهولة ، ويخصص كل قسم من هذه الأقسام لنوعية بعينها من الصديقين. ويقع فى الجانب

الغربى المحيط وتتناثر به عـــدة جزر يقطنهـــا أقوام شتى . وتقع خـلف المحيط أوكار لا حـصر لهـا تقطنهـا الأفـاعى ، وأراض تنبت فـيـهـا كل المحاصيل والأشـجـار. وتقع بالشمـال الثلوج والدخان والظلام والعواصف ، وتعيش هناك الشياطين والعفاريت وكل الأرواح الغريبة ، وتقيم جميعها فى مساحة شاسعة من الأرض لا يمكن قطعها إلا فى خمسمائة عام . ويقع فى الخلف الجحيم . أما الجنوب فيقع به مستودع من النيران وكـهف الدخـان وجـحـيم من العـواصـف والزوابع[٣٤] . ومن هنا فـتـهب من الجنـــوب الرياح مـعـرضـةً الأرض للحرارة والجفـاف. ولولا المـلاك " بن نيتس" لكانت الأرض قد تعـرضت إلى الهـلاك إذ يحـمى هذا الملاك الرحيم بأجنحتـه الأرض من الهـلاك[٣٥] . وعـلاوة علـى هـذا تقـلل الرياح الشمـالية من حدة رياح الجنـوب ، وتهدأ من سطـوة كل الرياح[٣٦] .

وتعانق السموات والأرض من كل جهات الشرق والغرب والجنوب غير أن الرب لم يكمل جهة الشمال حتى يعرف كل من ينصب نفسه إلهًا زاعمًا أنه مكمل للنقص الإلهى أنه ليس إلا مدعيًا[٣٧] .

وقد تم البدء فى تشييد الأرض من الوســـط بوضع حـجـر الأسـاس للهيكل[٣٨] ، ولا غرابة فى هذا لأن فلسطين تقع وسط المعمورة ، كما أن القدس تقع وسط فلسطين ، ويقع الهيكل فى وسط المدينة المقدسة، ويقع تابوت العهد وسط الهيكل المشيد على حجر الأسـاس الذى يقع وسط الأرض[٣٩] . وصـدر فـيـمـا بعـد أول شعـا ع من الضـوء على الأرض المقدسة لكى تشرق على كل العـالم[٤٠] . ولم يكن من الممكن أن يتم خلق العـالم إلا بعد أن طرد الرب حـاكم الظلام[٤١] بقـوله " كـفـاك حكمـا لأنى أبـتـغى خلق العـالم بالضـيـاء " . وبعـد أن تم تشكيل الضـوء ظهر الظلام ، فـسـاد الضـوء السـمـاء ، وسـاد الظلام الأرض[٤٢] .

ولم تتجل قوة الرب فى خلق عالم الأشياء فحسب وإنما فى خلقه لحدود كل شىء ، فـحـينمـا تمددت السـموات والأرض طولاً وعرضًـا رغبة فى أن يكونا لا متناهيين فـقد تدخلت كلمة الرب لوقف امتدادهما[٤٣] .

اليوم الثانى

وأتم الله فى اليوم الثانى خلق أربعة أشياء وهى : جلد السماء ، والجحيم والنار والملائكة[٤٤] . ويختلف هذا الجلد عن سموات اليوم الأول فهى من البلور المتمدد فوق رءوس الأحياء ، وتستمد السموات منها ضياءها كما تستمد الأرض نورها من الشمس. ويحمى هذا البلور الأرض من أن تجرفها مياه السماء ، كما يشكل الحد الفاصل بين مياه السموات والأرض[٤٥] . وقد أصبح جلد السماء بلوريا بفضل النار السماوية التى كثفت سطح هذه القبة ، وفصلت النار على هذا النحو بين ما هو سماوى وما هو أرضى وقت الخلق أى مثلما فعلت عند تلقى موسى الوحى على جبل سيناء[٤٦]. ولا يتعدى سمك هذا البلور ثلاثة أصابع مجتمعة[٤٧] غير أنها تفصل عالمين شديدى الثقل وهما عالم المياه السفلى التى تشكل أساس العالم السفلى وعالم المياه العلوى الذى تقوم عليه السموات السبع ، والعرش ومسكن الملائكة[٤٨] .

وكان فصل المياه إلى جزءين علوى وسفلى هو فعل الفصل الوحيد الذى قام به الرب عند خلق العالم[٤٩] إذ كانت باقى أفعاله لا تفرق بقدر ما كانت تجمع ، وقد أسفر هذا الفعل الإلهى عن ظهور بعض الصعاب فحينما أصدر الرب أمره قائلاً " فلتجتمع المياه فى موضع المياه ولتظهر اليابسة " فقد رفضت بعض المياه الانصياع للأمر الإلهى بل وعانقت بعضها البعض بشدة . واستشاط الرب غضباً من المياه فقرر إعادة الخلق إلى صورته الفوضوية الأولى واستدعى ملاك الدمار وأمره بتدمير العالم فاتسعت حدقة الملاك ، وخرجت من عينيه نيران حامية وسحب كثيفة وصرخ فى المياه قائلاً : " إن الرب هو الذى سيشق مياه البحر الأحمر " ، فانصاعت المياه إلى أمر الرب. وكانت كل الأشياء عرضة آنذاك للدمار ، وتردد فى الكون آنذاك صوت ترانيم منشد قائلاً : " رب العالمين لن تتوقف مخلوقاتك عن الثناء عليك ، وستباركك وتمجدك دون حد . وستصطفى إبراهيم على الجميع ، وستسمى أحد أبنائه " ابنى البكر " ، وسيلتزم نسله بمملكتك وستمنحهم شرف حمل التوراة ، وحينما تخبرهم قائلاً : " أنا ربكم " سيجيبونك " سمعًا وطاعةً " . أتوسل إليك رب العالمين ألا تفنى العالم فإذا دمرته من سينفذ مشيئتك ؟ " .

وهدأت الأنشودة من غضب الرب فتراجع عن قرار إبادة العالم ، وقرر أن تستقر المياه تحت الجبال إلى الأبد(٥٠) . ولم يكن احتجاج المياه السفلى على الانقسام والانفصال(٥١) هو المبرر الوحيد لثورتها خاصة أن المياه كانت أول من قدم الثناء إلى الرب. وحينما تقرر أن تنقسم المياه إلى جزءين علوى وسفلى ، فقد ابتهج الشق العلوى قائلاً: " ما أسعدنا لوجودنا بالقرب من خالقنا وعرشه المقدس " . واندفعت المياه إلى أعلى من فرط فرحتها وأنشدت أغنية للثناء على خالق العالم. أما الشق السفلى من المياه فقد عمه الأسى والحزن فقالت مياه هذا الشق فى رثاء حالها : " ما أتعسنا بعد أن وجد الرب أننا لا نستحق الوجود فى الحضرة الإلهية وأننا لا نستحق مشاركة مياه الجزء الأعلى نشوة المديح " . وحاولت مياه الجزء السفلى العصيان والصعود إلى أعلى غير أن الرب صدها ووضعها تحت الأرض(٥٢) ومع هذا فقد أثابها الله لإخلاصها وولائها فاشترط على الشق العلوى من المياه الحصول على موافقة الشق السفلى قبل تسبيح الرب(٥٣) .

وكان يوم الخلق الثانى يومًا شاقا صعب المراس من عدة وجوه ، إذ شهد هذا اليوم انفصال المخلوقات عن بعضها البعض فى حين أن اليوم الأول كان يتسم بوحدة كل الخلق، وعلاوة على هذا ، شهد اليوم الثانى من الخلق خلق الجحيم . ومن هنا لم يكن من الممكن أن يقول الرب فى هذا اليوم كما قال فى سائر الأيام "ورأى أنه حسن" ، فلم يكن الجحيم يستحق بالتأكيد صفة الحسن(٥٤) .

ويتكون الجحيم(٥٥) من سبعة أقسام(٥٦) يقع كل واحد منها تحت الآخر ، ومسمياتها هى " شيول " و" أبادون " و" بئير شحط " و " تيت هاياون" و " شعرى هامافيت " و " شعر تسيلمافيت" (بوابات الظلمة) و " جيهيناه " (جهنم) . ويتطلب قطع طول أو عرض أو عمق كل شق منها ثلاثمائة عام. ويحتاج المرء إلى ستة آلاف وثلاثمائة سنة(٥٧) حتى يقطع مساحة من الأرض موازية لمساحة هذه الأقسام السبعة(٥٨) .

وينطوى كل قسم من هذه الأقسام على سبعة أجزاء ، وتوجد بكل جزء سبعة أنهار من النار وسبعة من البرد، ويبلغ عرض كل نهر ألف ذراع وعمق كل نهر ألف ذراع ، ويبلغ طوله ثلاثمائة ذراع. وينبع كل نهر من الآخر ، وتخضع جميعها لإشراف

تسعة آلاف ملاك من ملائكة الدمار، ويوجد فى كل قسم أيضًا سبعة آلاف كهف يوجد فى كل منها سبعة آلاف شق يوجد بكل منها سبعة آلاف عقرب لكل منها ثلاثمائة ذيل يوجد بكل منها سبعة آلاف جيب من السموم تتدفق منها سبعة أنهار من السموم . وإذا لامس الإنسان أيا منها يتمزق جسده فى الحال ، وتُقطع أطرافه وتُتمزق أحشاؤه إربًا ويشعر بالخزى[٥٩] . وتوجد بالجحيم خمسة أنواع من النار يقوم أحدها بالالتهام والإفناء، والآخر بالالتهام بدون إفناء . أما النوع الثالث فيفنى بدون التهام . وهناك نار أخرى لا تلتهم ولا تفنى ، كما أن هناك نارًا تلتهم النيران . وتوجد بالجحيم كميات ضخمة من الفحم تشبه فى منظرها الجبال ، وبعضها يشبه التلال. ويغطى بعضها مساحة شاسعة مثل البحر الميت. وتوجد أنهار من الزفت والكبريت تتدفق وتغلى مثل الفحم[٦٠] .

أما ثالث الأشياء التى خُلقت فى ثانى أيام الخلق فقد كانت الملائكة المضيفين المكلفين والمسبحين للرب. وقد تأخر خلق الملائكة إلى اليوم الثانى بدلاً من اليوم الأول خشية أن يعتقد البشر أن الملائكة ساعدت الرب فى خلق السموات والأرض[٦١] .

وفيما يتعلق بالملائكة التى خُلقت من النار فإن شكلها شكل النار[٦٢] طالما أنها فى السماء غير أنها تأخذ شكل الرياح أو البشر[٦٣] عند هبوطها إلى الأرض لتنفيذ مشيئة وأوامر الرب. وتنقسم الملائكة إلى عشر درجات أو طبقات[٦٤] ، وأرفعها مكانة تلك التى تحيط بالعرش الإلهى من كافة جوانبه من اليمين واليسار أو من الأمام والخلف. وتخضع هذه الملائكة لقيادة رؤساء الملائكة : ميخائيل وجبريل وأوريئيل ورفائيل[٦٥] .

وتسبح كل كائنات السماء الرب بقولها : " قدوس قدوس قدوس رب الملائكة " ، غير أن البشر يسبقون الملائكة فى التسبيح ، فلا تبدأ الملائكة فى التسبيح إلا بعد أن ينتهى البشر من تسبيحهم للرب[٦٦] . ولشعب إسرائيل مكانة خاصة لدى الملائكة. وحينما تحيط الملائكة بالعرش متخذة شكل جبال من نار محاولة رفع صلواتها إلى الرب فإنه يسكتها بقوله : " صمتًا حتى أنتهى من سماع أناشيد وألحان وترانيم إسرائيل " . ومن هنا فإن الملائكة لا ترفع تسابيحها حتى تخفت أصوات تسابيح إسرائيل بالأرض ، ولتبدأ الملائكة عندئذ فى التسبيح بصوت عال " قدوس قدوس قدوس رب الجيوش " .

وحينما تدنو ساعة تمجيد الملائكة للرب ، يقترب الملاك " شميئيل " إلى نوافذ(٦٧) أدنى سماء ليصغى إلى الأناشيد والصلوات والترانيم الصاعدة إلى السماء من المعابد ودور التعليم الدينى ، وحينما ينهى من على الأرض تسابيحهم يخبر هذا الملاك ملائكة كافة السماوات بالانتهاء من التسابيح. وتبدأ الملائكة المعاونة المكلفة بالاتصال بعالم ما تحت القمر(٦٨) فى التوجه إلى غرفها لأخذ حمام التطهر. وتغطس الملائكة سبع مرات فى تيار من النار واللهيب ، ويتطهرون ثلاثمائة وخمسة وستين مرة من أى دنس يكون قد لحق بأجسادها(٦٩) . ويشعرون عندئذ فقط بأنهم صالحون لصعود السلم النارى واللحاق بركب ملائكة السماء السابعة المحيط بعرش الرب. وتقف الملائكة المزينة بملايين التيجان والثياب النارية على نحو منظم ، وتنشد جميعها بصوت شجى التسابيح للرب(٧٠) .

اليوم الثالث

وكانت الأرض حتى ذلك الحين خاوية ، وكانت المياه تغمرها تماماً ، وحينما ذكر الرب " لتجتمع المياه معًا " فقد ظهرت الجبال والتلال(٧١) ، وتجمعت المياه فى آبار عميقة. غير أن المياه كانت من أكثر الأشياء تمردًا إذ رفضت الانصياع لأمر الإله بأن تشغل مكانة دنيا ، وهددت بغمر الأرض غير أن الرب أجبرها على العودة إلى البحر وأحاطه بالرمال. وكلما حاولت المياه تجاوز حدودها فإنها تصطدم بالرمال وتعود إلى ماكانت عليه(٧٢) .

وكانت المياه قد حاكت فى تمردها ملاك البحر " رحاب " الذى كان قد تمرد على خلق العالم ، وكان الرب قد أمر هذا الملاك باستيعاب المياه غير أنه رفض الانصياع للأمر الالهى قائلاً : " لدى ما يكفينى من المياه " . وكان الموت هو العقوبة الوحيدة التى حلت بالملاك الذى يرقد جسده حاليًا فى البحر الذى يبعث حتى الآن بروائح كريهة تنبعث من جسده(٧٣) .

وكان من أهم ما خُلق فى اليوم الثالث عالم النباتات الأرضى منها أو تلك التى فى الفردوس. وكانت أشجار الأرز فى لبنان وباقى الأشجار الضخمة من أوائل الأشجار

التى خُلقت. ولم تصل هذه الأشجار إلى هذا الارتفاع إلا لافتخارها بأنها كانت من أوائل الأشياء التى خُلقت. وعندئذ قال الله " إنى أبغض الغطرسة والغرور لأنى صاحب السمو ولا أحد سواى " ، فخلق الرب فيما بعد وفى اليوم نفسه الحديد الذى تُقطع به الأشجار، ولذا بكت الأشجار فسألها الرب عن سبب بكائها فقالت " إننا ننتحب لأنك خلقت الحديد لاقتلاعنا ، وقد تصورنا أننا من أسمى المخلوقات غير أنك سرعان ماخلقت الحديد " فأجاب الرب " إنكم ستزودون الفأس باليد ، ولن يفعل الحديد شيئًا بدونكم "[٧٤] .

ولم يتلق سوى الشجر الأمر الإلهى بتكاثر البذور ، غير أن سائر أنواع العشب تفكرت قائلة لو لم يكن الرب يبتغى خلق أنواع مختلفة وفقًا للطبقات لما أمر الأشجار بحمل الثمار وما بها من بذور خاصة أن الأشجار تنقسم من تلقاء نفسها إلى أنواع مختلفة . ومن هنا فقد استمر العشب فى الإثمار. وهنا قال الرب " فليستمر مجد الرب إلى الأبد ، وليبتهج الرب بصنائعه "[٧٥] .

وكانت الجنة من أهم الأشياء التى خُلقت فى اليوم الثالث ، وتشكل بوابتان من العقيق الأحمر مدخل الجنة[٧٦] يشرف عليها ستون ألف ملاك ، ويسطع كل ملاك من هذه الملائكة ببريق السموات . وحينما يقف الإنسان التقى أمام هذه البوابات تخلع عنه الأكفان التى دثر بها عند وفاته ، وتضعه الملائكة فى سبعة ثياب من غمام المجد ، وتضع على رأسه تاجين أحدهما من الأحجار الكريمة والمجوهرات والآخر من الذهب[٧٧] ، وتضع ثمانية أغصان من نبات الآس المعطر فى يده ، وتثنى عليه بقولها " سر على دربك وتناول خبزك بسعادة " . وتقوده إلى مكان مليء بالأنهار وتحيطه بثمانمائة نوع من الورود ونبات العطر . . . ويحمل كل تقى يدخل الجنة مظلة[٧٨] حسب مكانته تتدفق من تحتها أربعة أنهار يفيض أحدها باللبن والآخر بالبلسم والثالث بالنبيذ والرابع بالعسل. وتكسو كل مظلة كرمة من الذهب تتدلى منها ثلاثون جوهرة يسطع كل منها كنجمة الزهرة. وتقع تحت كل مظلة مائدة من الأحجار الكريمة والمجوهرات. ويقف ستون ملاكًا بجوار كل رجل بالجنة قائلين : " اذهب وتناول بسعادة العسل لأنك شغلت ذاتك خلال حياتك بالتوراة ، وإنها لأشهى من العسل ، واحتس النبيذ المحفوظ فى العنب منذ الخلق[٧٩] لأنك انشغلت بالتوراة التى مثل النبيذ ".

ويبدو الصديقون فى أجمل وأبهى صورة مثل يوسف ، ويبدون كحبات الفضة عند تساقط أشعة الشمس عليها[٨٠] . وفى الجنة لا وجود للضوء لأن ضوء الصديقين يشع فى كل اتجاه .

ويمر الجميع فى الجنة بعدة تحولات كل يوم ، يعيشون من خلالها أربع حالات، فيتحول الصديق فى الحالة الأولى إلى طفل ويدخل فى زمرة الأطفال لينعم بلذة الطفولة ثم ينتقل إلى مرحلة الشباب ويدخل فى زمرتهم وينعم بما ينعمون به . وينتقل منها إلى مرحلة البلوغ ويدخل زمرة الرجال وينعم بمباهج الرجولة . أما المرحلة الأخيرة فيدخل فيها فى مرحلة الشيخوخة وينضم فيها إلى الشيوخ ، وينعم فيها بما لهذه المرحلة من متعة .

ويوجد فى كل زاوية من زوايا الجنة ثمانون ألف شجرة أدناها مرتبة أرفع منزلة من كل أشجار الطيب ، ويوجد بكل زاوية أيضًا ستون ألف ملاكٍ ينشدون جميعهم أعذب الألحان ، وتقع بوسط الجنة شجرة الحياة التى تغطى ظلالها كل الجنة[٨١] ، ولهذه الشجرة خمسة عشر ألف مذاق يختلف كل منها عن الآخر ، كما أن روائحها تتباين كل منها عن الأخرى، وتعانق هذه الشجرة سحب المجد السبع ، وتهب الريح عليها من أركان الأرض الأربعة ، فتغطى رائحتها العالم من أقصاه إلى أدناه[٨٢] . ويجلس تحت ظلها مفسرو التوراة الذين تظلل كلا منهم مظلتان إحداهما من النجوم والأخرى من الشمس والقمر ، ويفصل بينهما غطاء من سحب المجد[٨٣] . وتقع خلف الجنة عدن التى تحتوى على ثلاثمائة وعشرة عوالم[٨٤] وسبعة أقسام لسبع طبقات متباينة من الصديقين ، ويقع بالقسم الأول الشهداء الذين لقوا حتفهم مثل الحاخام عقيفا ورفاق[٨٥]، ويقع بالقسم الثانى من لقوا حتفهم غرقًا[٨٦] وبالثالث[٨٧] الحاخام يوحنان بن زكاى ، وبالرابع من نُقلوا عبر سحب المجد[٨٨] . ويقع بالقسم الخامس التوابون الذين يشغلون مكانة بالغة السمو لا يستطيع أكثر الصديقين نيلها ، وبالقسم السادس الشباب[٨٩] الذين لم يقترفوا ذنبًا طيلة حياتهم، ويقطن القسم السابع الزهاد الذين كرسوا حياتهم لدراسة التوراة والشريعة والذين حرصوا طيلة حياتهم على الالتزام بقواعد وأصول اللياقة. ويتخذ الرب مجلسه وسط هؤلاء ، ويفسر لهم التوراة[٩٠] .

ويبلغ عرض كل قسم من أقسام الجنة اثنى عشر ألف ميل ، كما يبلغ طول كل قسم اثنى عشر ألف ميل ، ويقيم فى القسم الأول المهتدون الذين اعتنقوا الديانة اليهودية طواعية دون أى قسر، وجدران هذا القسم مصنوعة من الزجاج وخشب الأرز، ويشرف على هذا القسم النبى " عوفديا "[٩١] الذى اهتدى هو نفسه إلى اليهودية . أما القسم الثانى فمشيد من الفضة وخشب الأرز ، ويسكنه من تابوا عن الآثام والخطايا ، ويقف فى طليعتهم التائب " منشى بن حزقيا " . والجزء الثالث مشيد من الفضة والذهب ويسكنه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وبنو إسرائيل الذين خرجوا من مصر ، وأبناء كل الجيل الذين عاشوا فى الصحراء[٩٢] ، ويقيم فى هذا القسم أيضًا داود مع كل أبنائه[٩٣]. باستثناء " أبشالوم " ، ولازال " شيلاب " حيا. ويوجد به أيضًا كل ملوك يهوذا باستثناء " منشى بن حزقيا " الذى يشرف فى الجزء الثانى على التائبين .

ويرأس موسى وهارون هذا القسم الذى توجد به أوان شديدة الجمال من الذهب والفضة والمجوهرات ، والمظال ، والسرائر ، والعروش وقناديل من الذهب والأحجار الكريمة ، ويوجد بهذا القسم أروع ما فى الجنة[٩٤] .

والقسم الرابع مشيد من الياقوت[٩٥] كما أن مواده الداخلية مشيدة من أخشاب الزيتون ، ويقيم بهذا القسم الراسخون فى الإيمان ، ومواد هذا الجزء من خشب الزيتون لمرارته الشبيهة بالمرارة التى صادفوها فى حياتهم للحفاظ على إيمانهم. والقسم الخامس مشيد من الفضة والذهب[٩٦] ومن أنقى أنواع الذهب والزجاج ، ويتدفق من وسط هذا القسم نهر " جيحون " ، ومواد الجدران الداخلية لهذا القسم من الفضة والذهب ، وتفوح فى هذا القسم رائحة عطر أكثر جمالاً وإثارة من عطر لبنان، أما أغطية سرائر الفضة والذهب فألوانها أرجوانية وزرقاء كانت حواء قد نسجتها ، ومصنوعة من شعر الغنم ، وكانت الملائكة قد نسجته . ويقيم المسيح فى هذا القسم على محفة مصنوعة من خشب لبنان ، وأعمدة المحفة من الفضة وقاعدتها من الذهب والمقعد من الأرجوان، ويقيم معه النبى إليا الذى يضع رأس المسيح على صدره ويخبره " اهدأ لاقتراب النهاية " . ومع حلول أيام الاثنين والخميس والسبت والعطلات يتوجه الآباء إليه فى صحبة أبناء يعقوب الاثنى عشر ، وموسى وهارون وداود وسليمان وكل ملوك إسرائيل ويهوذا ، ويشاركونه البكاء ويواسونه بقولهم " اهدأ وضع ثقتك فى

خالقك لأن النهاية اقتربت ". ويأتى كوراح ورفاقه وداثان وأفيرام وأبشالوم إليه كل أربعاء ويسألونه " كم ستستغرق الفترة السابقة على النهاية المليئة بالمعجزات ؟ ومتى ستعيد إلينا الحياة ، ومتى ستجعلنا ننهض من عمق الأرض؟ " فيجيبهم المسيح بقوله "اذهبوا إلى آبائكم واسألوهم" . وعند سماعهم لهذه الإجابة يشعرون بالخجل ولا يسألون آباءهم .

ويسكن فى القسم السادس أولئك الذين توفوا خلال أدائهم لأعمال طيبة ، ويسكن القسم السابع أولئك الذين ماتوا من المرض الذى حل بهم للتكفير عن خطايا إسرائيل[٩٧] .

اليوم الرابع

وتم خلال اليوم الرابع خلق الشمس والقمر والنجوم، ولم تُخلق هذه الأجرام السماوية فى هذا اليوم بل خُلقت فى اليوم الأول غير أن أماكنها ُحددت فى السماء فى اليوم الرابع[٩٨] . وتمتعت الشمس والقمر فى البدء بالقدر نفسه من القوة والتميز[٩٩] . وقد تحدث القمر إلى الرب متسائلاً: " يارب العالمين لماذا خلقت العالم بحرف الباء الذى يرمز فى حساب الجمل إلى الرقم اثنين ؟ " فأجاب الرب : "حتى تعرف كائناتى أنه يوجد عالمان" ، فعاود القمر تساؤله " أى العالمين أكبر هذا العالم أم العالم الآخر ؟ " فأجاب الرب " إن العالم الآخر أكبر" فأجاب القمر " يارب لقد خلقت عالمين أحدهما أكبر والآخر أصغر ، فخلقت السموات والأرض والسموات تفوق الأرض حجماً، وخلقت النيران والمياه غير أن المياه أقوى من النار فبمقدورها إطفاء النار، كما خلقت الشمس والقمر ومن الواضح أن أحدهما سيكون أكبر من الآخر " فحدث الرب القمر قائلاً: " أعلم جيداً أنك كنت تبتغى أن أجعلك أكبر من الشمس ، ولكنى سأعاقبك بأنى سأجعلك تحتفظ بسدس ضيائك فقط" فتوسل القمر إلى الرب قائلاً : " هل سأُعاقب بشدة لأنى نطقت كلمة واحدة فقط ؟ " فرق الرب ولان قائلاً: " فى العالم الآخر سأجعلك تسترد ضوءك فيصبح ضوؤك كضوء الشمس " ، ومع هذا لم يشعر القمر بالرضا فقال " وكيف سيكون ضوء الشمس فى العالم الآخر ؟ " فعاود الغضب الرب

فقــال "لماذا تتـآمر ضد الشـمس ولتعلم أن ضـوء الشـمس فى العالم الآخر سـيكون سبعة أضعاف ضوئك الحالى"[١٠٠] .

وتسـير الشمس فى مسـارها كالعريس ، فتجلس على العرش ، وكأن إكليلاً من الزهور يزين رأسها[١٠١]، ويرافقها فى رحلتها اليومية تسعة وتسعون ملاكًا. ويرافقها فى كل ساعة ثمانية ملائكة فى كل ساعة يجلس اثنان على يمينها واثنان آخران على يسارها واثنان أمامها واثنان خلفها. ولقوة الشمس فيمكنها قطع رحلتها من الجنوب إلى الشمال فى لحظة غير أن ثلاثمائة وخمسة وستين ملاكًا يقيدونها بوسائل أشبه بالحديد. ويخفف كل يوم ملاك من قبضته وهكذا فإن الشمس تتم مسارها فى ثلاثمائة وخمسة وستين يومًا. ولا يعدو تقدم الشمس فى مدارها سوى ترنيمة متصلة من الثناء على الرب، ولا تصبح حركتها ممكنة إلا بفضل هذه الترنيمة وحين أراد يوشع أن يأمر الشمس بالوقوف فى مكانها فقد تعين عليه أن يأمرها بالتزام الصمت والتوقف عن الترنيم[١٠٢] .

وللشمس وجهان أحدهما من النار وموجه صوب الأرض والآخر من البرد وموجه صـوب السـمـاء ، والغـرض منه التـقليل من حـرارة الوجـه الآخـر وإلا لكانت الأرض أمسكتها النيران. وفى الشتاء توجه الشمس وجهها النارى صوب أعلى ، وهكذا يحل البـرد[١٠٣] . وحـينما تـهبط الشـمس فى الغـرب فـى المسـاء فـإنها تغطس فى المحيط وتستـحم به وتنطفئ نـارها، ولهذا فـهى لاتشع ضـوءًا أو دفئًا خـلال المسـاء ، وحـينما تصل الشمس إلى الشرق فى الصبـاح فإنها تغتسل بتيار من اللهب يمنحـها الدفء والنور فتلقيهما الشمس على الأرض، وعلى النحو نفسه فإن القمر والنجوم تستحم فى تيار من البرد قبل أن يبدأ فى خدمة الليل[١٠٤] .

وحينما تستـعد الشـمس والقمـر للبدء فى مهامـهما فـإنهما يقفان أمـام الرب ويرجوانه إعفاءهما من مهامهما حتى لا يشاهدا خطايا البشر ، ولا يقومان بمهامـهما اليومية إلا قسرًا . وعنـد خـروجـهما من حضـرة الـرب يعميهما ضــوء السـموات ولا يستطيعان العثور على طريقهما فيرسل إليهما الرب سهامًا من نور تهديهما فى الطريق. وبسبب خطايا البشـر التى تضطر الشـمس إلى رؤيتـها خـلال سيـرها فـإن الشمس تهن وتضعف مع اقتراب موعد مغيبها فللخطايا آثار موهنة ، وتسقط من الأفق كرة من الدم لأن الدم علامة على الفساد[١٠٥] .

وحينما تنهض الشمس فى الصباح لتبدأ دورتها فإن أجنحتها تلامس أوراق شجر الجنة ، فتتواصل عبر هذا الاتصال بالملائكة ، وبسائر النباتات، وبأشجار ونباتات الأرض وبكل كائنات الأرض والسماء ، وعند رؤية الشمس يرنو الجميع ببصرهم إليها فيشاهدون اسم الإله المنقوش عليها ، ويرفعون أصواتهم مسبحين الله، ويتردد فى اللحظة ذاتها صوت سماوى بقوله " ويلى على بنى البشر الذين لا يتفكرون فى مجد الرب مثل سائر الكائنات التى ترتفع أصواتها الآن لتمجده"(١٠٦) .

ولا يسمع البشر بطبيعة الحال هذه الكلمات خاصة أنهم لا يشعرون باصطدام الشمس بالدائرة المعلقة عليها كل الأجرام السماوية هذا على الرغم من أن صوت هذا الاصطدام صاخب(١٠٧) . وينتج الاحتكاك بين الشمس وهذه الدائرة تلك الذرات التى تتراقص بالقرب من أشعة الشمس. وتحمل هذه الذرات الشفاء للمرضى(١٠٨) وهى الشيء الوحيد الذى يهب الصحة فى اليوم الرابع(١٠٩) .

وحينما عاقب الرب القمر الغيور بالتقليل من ضوئه وبهائه توقف عن أن يكون مناظراً للشمس كما كان فى الأصل(١١٠) وسقط القمر(١١١) ، وسقطت أشياء ضئيلة للغاية من جسده وهى النجوم(١١٢) .

اليوم الخامس

وأخذ الرب النار(١١٣) والمياه فى يوم الخلق الخامس ، وصنع من هذين العنصرين أسماك البحر(١١٤) . ويفوق عدد حيوانات البحر نظيره فى البر لأن لكل نوع من حيوانات البر نظائر فى البحر باستثناء حيوان " ابن العرس " ، كما أن عدداً كبيراً من الحيوانات لايقيم إلا فى البحر(١١٥) .

ويسيطر " اللوياثان " على كافة حيوانات البحر(١١٦) وقد خُلق مثل سائر أسماك البحر فى اليوم الخامس(١١٧) . وخلق الرب الذكر والأنثى من هذا الحيوان ، وحينما اتضح أن وجود زوجين من هذا النوع قد يفنى الأرض ببأس شديد قتل الرب الأنثى(١١٨) . واللوياثان ضخم للغاية إلى درجة يتعذر معها إطفاء ظمئه إلا بشربه لكل مياه نهر الأردن التى تصب فى البحر(١١٩) ، ويتكون طعامه من الأسماك التى تعبر

أمام فكيه(١٢٠) وحينما يشتد به الجوع يخرج زفيراً ساخناً من خياشيمه فيزيد حرارة البحر العظيم. كما أن فرس البحر العظيم المخيف لا يشعر بالطمأنينة إلا بعد أن يتأكد من أن اللوياثان هذا الحيوان البحرى الضخم قد روى ظمأه(١٢١) . ولا تسيطر عليه سوى سمكة " أبو شوك " الصغيرة ، التى خُلقت لهذا الغرض والتى يشعر الحوت بالرعب منها(١٢٢) .

وليس اللوياثان بالحيوان الضخم فقط بل هو بديع المنظر أيضاً حيث تشع زعانفه بريقاً يتوارى ضوء الشمس منه خجلاً(١٢٣) كما أن عينيه تلمعان بشدة ، فتترك بقعاً ضوئية على سطح البحر(١٢٤) ولا غرابة إذاً فى أن هذا الحيوان هو اللعبة التى تشجى الرب وقت فراغه(١٢٥) .

ورائحة اللوياثان الكريهة هى الشىء الوحيد الذى يجعل منه حيواناً منفراً ، وهى رائحة شديدة القوة لو تسللت إلى الجنة لتحولت إلى مكان لا تُطاق السكنى فيه.

ولم يُخلق اللوياثان إلا ليكون طعاماً شهياً للصديقين فى العالم الآخر ، وقد وُضعت أنثى هذا الحيوان بعد أن تم قتلها مباشرة فى ماء مالح لحمايتها من فعل الزمن(١٢٦) ، أما ذكر هذا الحيوان فوظيفته أن يكون متعةً للناظرين قبل اختفائه من الوجود، وحينما يحين أجله فإن الله سيدعو الملائكة لمنازلة هذا الوحش غير أن الملائكة سرعان ما تفر مذعورة من ساحة القتال فور أن يرمقها هذا اللوياثان بنظرة منه، وحينما تعود الملائكة إلى المنازلة مشهرة سيوفها فإن جهدها يذهب هباءً إذ بمقدور القشر المغطى لجسد هذا الحيوان تحويل الحديد إلى كومة من القش، ولن تجنى الملائكة سوى الخيبة عند إقدامها على قتله من خلال السهام والحجارة التى لا تترك أثراً عليه، وستشعر الملائكة بالوهن وعندئذ سترحل من ساحة القتال . وسيأمر الرب كلا من " اللوياثان " وفرس البحر بأن ينازل كل منهما الآخر ، وسينطوى هذا الأمر على حكم بقتل كل منهما للآخر إذ ستقتل زعانف اللوياثان فرس البحر ، فى حين أن ذيل فرس البحر سيصرع اللوياثان .

وسيصنع الرب من جلد اللوياثان خياماً سيسكنها الصديقون عند تناولهم للحم اللوياثان ، وستفى كمية اللحم التى ستوضع أمام كل منهم برغباته ، ولن يغار أو يحقد

أحد على نصيب الآخر، أما الكمية التى ستتبقى من لحم اللوياثان فستُنشر كمظلة على القدس ، وسينطلق منها ضياء يضيء كل العالم، أما بقية لحمه فيترك لسائر البشر للمتاجرة فيه[١٢٧] .

وُخلقت الطيور فى اليوم الذى خُلقت فيه الأسماك ، فهناك قرابة بينهما حيث خلقت الأسماك من المياه فبينما خُلقت الطيور من أراضى المستنقعات المشبعة بالمياه[١٢٨] . وإذا كان " اللوياثان " هو ملك الأسماك فإن لطائر " الزيز " السطوة على كل الطيور[١٢٩] ، وقد اشتق اسمه من التنوع الضخم فى مذاق لحمه الشبيه بمذاق كافة الطيور[١٣٠] . وهذا الطائر ضخم للغاية ، ويقترب فى حجمه من الحوت، ويصل رأسه إلى السماء عند وقوفه بقدميه على الأرض[١٣١] .

ويحكى أن بعض البحارة شاهدوا ذات مرة طائرًا يقف بقدميه فى الماء ، وتعانق رأسه السماء . وتصور النظار أن المياه فى هذه المنطقة ضحلة للغاية فتأهبوا للنزول فيها ليستحموا غير أن صوتًا سماويا حذرهم قائلاً : " سقطت بلطة نجار فى هذا المكان ، ولم يصل إلى عمق هذا المكان إلا بعد سبع سنوات من الغوص " . ولم يكن هذا الطائر الذى شاهدوه سوى طائر " الزيز "[١٣٢] . وحينما يفرد هذا الطائر جناحيه شديدى الضخامة فإنهما يحجبان أشعة الشمس[١٣٣] ، ويحمى جناحاه الأرض من العواصف القادمة من الجنوب ، ولولاهما لعجزت الأرض عن الصمود فى مواجهة الريح[١٣٤] . ووقعت بيضة هذا الطائر ذات مرة على الأرض ، وتكسرت فغمر سائلها ستين مدينة ، وحطم ثلاثمائة شجرة أرز ، ولحسن الحظ أن هذه الحوادث لا تتكرر كثيرًا خاصة أن هذا الطائر يضع بيضه برفق فى العش، وكان سبب هذا الحادث سالف الذكر أن العفن كان قد أصاب البيضة ، ومن ثم فقد ألقاها الطائر دون أن يبالى بما ستحدثه من ضرر .

ويعرف هذا الطائر أيضًا باسم " رينانيم "[١٣٥] أى الشادى لشدوه فى السماء[١٣٦]، ويعرف أيضًا باسم " العراف " لعلاقته الوثيقة بالمناطق السماوية ، كما يعرف باسم "ابن العش"[١٣٧] لأن فراخ هذا الطائر تخرج من البيضة دون أية مساعدة من الأم . وتشدو فراخ هذا الطائر فور خروجها إلى الحياة[١٣٨] . ويُقدم هذا الطائر مثل اللوياثان طعامًا إلى الصديقين فى العالم الآخر الذين تجنبوا تناول الأطعمة غير الطاهرة التى كانت تُفرض عليهم[١٣٩] .

اليوم السادس

وكما خُلقت الأسماك من المياه والطيور من المستنقعات فقد تشكلت الثدييات من الأرض الصلبة[١٤٠] . وإذا كان " اللوياثان " أبرز وأهم ممثل للأسماك وطائر " الزيز " أهم ممثل للطيور فإن فرس البحر أبرز ممثل للثدييات . ويضاهي فرس البحر "اللوياثان" في القوة ، وقد حُرم مثل اللوياثان من التكاثر من أجل بقاء العالم . وبعد أن خلق الرب الذكر والأنثى من هذا الحيوان حرمه من الرغبة في التكاثر[١٤١] . وفرس البحر ضخم للغاية ويحتاج إلى أطعمة يقدر وزنها بالآلاف لكي يتناول غذاءه في يوم واحد ، كما أن المياه التي تتدفق في نهر الأردن طيلة عام يمكنه أن يبتلعها دفعة واحدة، وقد خصص له نبع مائي كامل ، ويعرف هذا النبع الذي يتدفق من الجنة باسم "يوبال"[١٤٢] ، ولحم فرس البحر طعام شهي للأتقياء الذين لن يتلذذوا بلحمه إلا بعد مشاهدة الصراع المميت بين " اللوياثان " وفرس البحر ، ثوابًا لهم لحرمانهم أنفسهم من متع مشاهدة السيرك ومسابقات اللهو[١٤٣] .

ولا تقتصر الوحوش الضخمة على " اللوياثان " و طائر " الزيز" وفرس البحر ، بل توجد حيوانات أخرى كثيرة مثل " الريم " الذي لا يوجد منه سوى زوج واحد فقط لأنه لو كان هناك أكثر من زوج لكان العالم قد تعرض للفناء، ولا يحدث الجماع بينهما إلا مرة واحدة كل سبعين عامًا لأن الله أمر كلا منهما بأن يقيم على طرف من الأرض بعيداً عن الآخر ، فيقيم أحدهما في الشرق والآخر في الغرب .

ويسفر الجماع بينهما عن موت الذكر بعد أن تلدغه أنثاه لدغة مميتة ، وتحمل الأنثى بعد هذا الجماع ، وتظل على هذا الحال اثنى عشر عامًا ، وتنجب بعد هذه الفترة الطويلة من الحمل توأما أحدهما ذكر والآخر أنثى ، وتعجز الأنثى في العام الحادي عشر من الحمل عن الحركة، وتكاد الأنثى تموت جوعًا لولا لعابها الذي يتدفق بغزارة منها على الأرض فينبتها ويثمرها مما يساعدها على البقاء، ولا تقوى الأنثى طيلة عام على أن تفعل شيئًا سوى أن تتقلب على كل جوانبها حتى تحين لحظة إنجاب التوأم ، ويكون ميلادهما إيذانًا بموت الأم مفسحةً المجال لظهور جيل جديد تكتب عليه المعاناة ذاتها التي واجهها الجيل السابق، وعقب الميلاد فإن كلا منهما

يولى وجهه صوب وجهة مباينة لوجهة الآخر فيتجه أحدهما صوب أقصى الشرق ، والآخر صوب أقصى الغرب، ولا يلتقيان إلا بعد سبعين عامًا(١٤٤) .

وقد وصف أحد الرحالة حيوان "الريم" حينما كان يبلغ من العمر يومًا واحدًا فقط بقوله إن ارتفاعه يبلغ أربعة فراسخ ، وطول رأسه فرسخ ونصف (١٤٥) ، ويبلغ طول قرونه مائة ذراع ، وارتفاعها أكبر بكثير(١٤٦) .

ومن أغرب الكائنات " إنسان الجبل " الذى يعرف اختصارًا باسم " آدم " (١٤٧) ويشبه فى مظهره الإنسان ، ويقف هذا الكائن بثبات على الأرض بفضل ذلك الخيط المتدلى من سرته الذى تقوم حياته عليه ويموت هذا الكائن عند قطع هذا الحبل ويعيش هذا الحيوان على ما تنبته الأرض الواقف عليها وعلى كل ما ينمو فى المنطقة التى يمكنه أن يتحرك فيها ، ولا يجرؤ أى كائن على الاقتراب منه لأنه يفنى كل ما يقترب منه . وليس من الممكن قتله بالاقتراب منه ومن هنا فإن أفضل وسيلة لقتله هى استخدام رمح عن بعد لقطع الحبل الذى يربطه بالحياة ، وعندئذ يموت وسط الأنين والنواح(١٤٨) .

ويحكى أن أحد الرحالة نزل بمنطقة يوجد بها هذا الحيوان ، وسمع عند نزوله ببيت مضيفه محادثة بين الرجل وزوجته دارت حول كيف يمكنهما قتل آدم لتناول لحمه ، وفر الضيف عندئذ مذعورًا إذ تصور أنه حل بمنزل أكلة لحوم البشر ، وعجز المضيف عن ملاحقته ، ولم يدرك الضيف إلا فيما بعد أن مضيفه كان يفكر فقط فى تقديم لحم هذا الحيوان الغريب الذى يُعرف باسم آدم إلى ضيفه(١٤٩) .

وإذا كان " إنسان الجبل " مثبت فى الأرض بحبل يتدلى من سرته فإن نوعًا غريبًا من الأوز ينمو على الشجر ، فهو ليس بحيوان يمكن ذبحه وأكله ، كما أنه ليس نباتًا ، ولا توجد ضرورة لتأدية أية شعيرة من الشعائر عند تناوله(١٥٠) .

ويعد طائر العنقاء من أجمل الطيور ولم يمنح هذا الطائر الحياة الأبدية إلا لأنه رفض تناول الثمار التى كانت حواء قد قدمتها لكل الحيوانات من شجرة المعرفة ، وحينما يبلغ من العمر ألف عام يذبل جسده ويتساقط ريشه حتى يصبح ضئيلاً مثل البيضة التى تصبح نواة لطائر جديد(١٥١) .

ويُعرف طائرالعنقاء أيضًا باسم " حارس الأرض " ، ويسلك هذا الطائر مسار الشمس ، ويفرد خلال ترحاله جناحيه ممسكًا بهما أشعة الشمس[١٥٢] ، ولولا اعتراضه لأشعة الشمس بجناحيه لما كان بمقدور الإنسان أو الحيوان البقاء حيا ، وعند النظر إلى جناحه الأيمن نجد أنه قد نُقش عليه بحروف بارزة [١٥٣] الكلمات التالية : "لم أُخلق من الأرض أو السماء وخلقت من النار" .

ويتكون طعامه من ماء السماء وندى الأرض ، ويحتوى براز هذا الطائر على دودة تتبرز أيضًا مادة لونها لون القرفة يستخدمها الملوك والأمراء[١٥٤] . وقد شاهد "إينوخ" حينما رفعه الرب إلى السماء طيور العنقاء ووصفها بأنها كائنات رائعة وعجيبة تحلق فى السماء ، وأن أقدامها كأقدام الأسود ورءوسها كرءوس التماسيح ولونها أرجوانية تشبه ألوان الطيف وأنها ضخمة الحجم وأجنحتها كأجنحة الملائكة ولكل منها اثنا عشر جناحًا، وتركب هذه الطيور عربات الشمس وتجلب معها الحرارة والندى بموجب أمر الرب. وحينما تنشر الشمس أشعتها على الأرض كل صباح فإن طيور العنقاء تبدأ فى الإنشاد ، ويهز كل طائر أجنحته فرحًا وابتهاجًا بالضوء الذى هو من صنع الرب، ويسبح الرب[١٥٥] .

ويعد السمندر والقنفذ من أبرز الزواحف ، ويولد السمندر من النار التى أُضرمت فى خشب نبات الآس العطرى[١٥٦] والتى ظلت مشتعلة سبع سنوات متتالية، وعلى الرغم من أن حجم هذا الحيوان لا يفوق حجم الفأر كثيرًا فإن له خواصٌ شديدة التميز فمن يتمسح بدمه لا يتعرض لأى أذى أو مكروه[١٥٧] كما أن الأصواف التى تنسج منه ضد الحريق[١٥٨] . وقد ذكر من عاش أيام الطوفان أنه لو كان الطوفان قد أتى فى صورة حريق لحموا أنفسهم بدم السمندر[١٥٩] .

ويدين الملك حزقيا بحياته إلى السمندر فحينما ألقاه والده الشرير الملك أحاز فى نيران مولوخ لتحرقه لم يصبه أذى لأن والدته كانت قد دهنته فى طفولته بدم السمندر[١٦٠] .

أما دودة الشامير فقد خلقت عند غروب شمس يوم الخلق السادس[١٦١] وعلى الرغم من صغر حجمها الذى لا يتعدى حبة القمح فإنها بالغة الحدة فيمكنها قطع المجوهرات

ولهذا استخدمت فى قطع الأحجار الكريمة التى ترصع رداء الكاهن الأعظم. وكانت أسماء أسباط اليهود الاثنى عشر قد كتبت فى البدء بالحبر على الحجارة التى ترصع رداء الكاهن، ولم تثبت هذه الأسماء على ردائه إلا بعد أن مرت عليها هذه الدودة ، وقد تم استخدام هذه الدودة أيضًا فى تحديد شكل الحجارة التى استخدمت فى بناء الهيكل نظرًا لأن الشريعة تحرم استخدام أية آلات من المعدن فى الهيكل(١٦٢) ، وليس من المكن الاحتفاظ بهذه الدودة فى أى إناء من الحديد أو المعدن إذ بمقدورها تحطيم أى إناء من هذه الأوانى، ومن هنا يتم الحفاظ على هذه الدودة بوضعها فى قطعة من الصوف توضع بدورها فى سلة من الرصاص مليئة بنخالة الشعير(١٦٣) ، وظلت هذه الدودة محفوظة فى الجنة حتى بعث الملك سليمان نسرًا إلى الجنة لإحضارها(١٦٤) ، وفنيت هذه الدودة مع دمار الهيكل(١٦٥) .

ولقى المصير ذاته حيوان " تاحاش " الذى خُلق حتى يستخدم جلده فى بناء خيمة الاجتماع ، واختفى هذا الحيوان من الوجود مع الانتهاء من بنائها . وكان يحمل قرنًا ذا ألوان زاهية تشبه الديك ، وكان ينتمى إلى فصيلة الحيوانات التى يحل لليهود أكلها(١٦٦) .

ومن بين الأسماك توجد مخلوقات بديعة منها فرس البحر والدولفين ناهيك باللوياثان ، وقد شاهد أحد البحارة فرسًا للبحر نُقشت على قرونه عبارة " رغم أنى حيوان صغير بالبحر إلا أننى قطعت ثلاثمائة فرسخ لأقدم نفسى طعامًا للوياثان "(١٦٧) . أما الدولفين فنصفه إنسان ونصفه الآخر سمكة ويمارس الدولفين الجماع مع البشر ولذا يعرف باسم " ابن البحر " لأنه يمثل الجنس البشرى فى المياه(١٦٨) .

وعلى الرغم من أن الحيوانات كافة خُلقت خلال اليومين الأخيرين من أيام الخلق(١٦٩) ، فقد ظهر العديد من سمات بعض الحيوانات فى مرحلة لاحقة، لقد كانت القطط والفئران أصدقاء فى البدء غير أن عداوة كل منهما للآخر نشأت لسبب شديد الخصوصية فحينما وقف الفأر أمام الرب قائلاً " أنا والقط شريكان غير أنه ليس لدينا الآن ما نتناوله من طعام " فأجاب الرب " إنك تتآمر على رفيقك وتبتغى التهامه وسيلتهمك القط عقابًا لك " فذكر الفأر " رب العالمين أخبرنى أين أخطأت؟ " فأجاب الرب " إنك من الزواحف الدنسة وكان يجب أن تتعلم من مصير القمر الذى فقد جزءًا

من ضيائه لغيرته الحمقاء من الشمس التى مُنحت ما فقده[١٧٠]، وستُعاقب وفقًا لنواياك الخبيثة التى أضمرتها لخصمك فتساءل الفأر " هل ستدمر نوعى ؟" فأجاب الرب "سأحرص على وجود بقايا منك ". وهاجم الفأر فى غضبه القط غير أن القط سرعان ما وجه إليه ضربات متوالية حتى صرعه، ومنذ ذلك الحين يتملك الفأر الرعب من القط ، ويهرب منه[١٧١] .

وجمعت الكلاب والقطط علاقات طيبة فى البداية فلم يعاد كل منهما الآخر إلا لاحقًا، فكان كل منهم يشارك الآخر فى طعامه غير أنه حدث ذات مرة أنهما لم يجدا طيلة ثلاثة أيام متوالية طعامًا يبقيهم على قيد الحياة ، فذهب الكلب إلى أنه من الأفضل أن يحل ارتباطه وأن يذهب القط إلى آدم عساه أن يجد فى منزله طعامه على أن يبحث هو فى مكان آخر عن طعام، وتعاهدا قبل الفراق على ألا يذهبا إلى نفس من سيطعمهما، وأقام القط لدى آدم ووجد فى منزله عددًا كبيرًا من الفئران على نحو أرضى شهيته وأحسن آدم معاملته بعد أن تمكن من القضاء على الفئران. أما الكلب فقد واجه ظروفًا بالغة القسوة فقضى الليلة الأولى بعد افتراقه عن القط فى كهف ذئب وافق على استضافته ، وفى تلك الليلة سمع الكلب أصوات أقدام تقترب فأخبر مضيفه الذى أمره بصد المقتحمين غير أن هذه الأصوات كانت لحيوانات مفترسة وتملك الفزع الكلب وخاف على حياته ففر من الكهف وحاول أن يجد مأوى لدى القرد الذى رفض استضافته حتى لليلة واحدة فاضطر الكلب الهارب الهائم على وجهه أن يطلب من الغنم استضافته وسمع الكلب عند إقامته مع الغنم أصواتا أثناء الليل فنهض تلبية لأوامر الغنم لمطاردة اللصوص الذين تحولوا فجأة إلى ذئاب، ونبه نباح الكلب الذئاب إلى وجود الغنم ومن هنا فقد تسبب الكلب ببراعته فى موت الغنم ، وفقد على هذا النحو آخر أصدقائه ، وبحث الكلب ليلة تلو الأخرى عمن يستضيفه دون جدوى وقرر فى نهاية الأمر اللجوء إلى منزل آدم الذى وافق على استضافته لليلة واحدة، وحينما اقتربت الحيوانات المفترسة من المنزل فى جنح الليل بدأ الكلب فى النباح فاستيقظ مضيفه وتمكن من إبعادهم بقوسه وسهامه وأمر المضيف الكلب بالبقاء معه دومًا بعد أن أدرك فائدته، وحينما علمت القطة بوجود الكلب فى المنزل بدأت فى العراك معه وذكرته بانتهاكه للعهد، وحاول المضيف قدر استطاعته تهدئة القطة وأخبرها أنه هو الذى

استضاف الكلب وأن وجوده لن يعرضها إلى أى ضرر غير أنه كان من المستحيل إرضاؤها ووعدها الكلب بألا يقترب من أى شيء يخصصه لها المضيف لكنها أصرت على استحالة وجودها مع لص كالكلب ، ودامت المشاحنات بين الكلب والقط ، ولم يعد بمقدور الكلب تحمل هذا الوضع فرحل عن منزل آدم وتوجه إلى منزل " شيث " واستمرت جهود المصالحة مع القط من المنزل الجديد غير أنها ذهبت هباءً وانتقل العداء بين الكلب الأول والقط الأول إلى الأجيال اللاحقة حتى يومنا هذا(١٧٢) .

ولم تكن الخواص المادية لبعض الحيوانات أصيلة بل اكتسبتها بعد مضى فترة على خلقها فالفأر حاليًا شديد الاختلاف عن الماضى، وكانت كل الحيوانات قد عاشت فى البدء فى وئام فيما بينها فى فلك نوح للحفاظ على حياتها فعاش الفأر جانب القطة غير أن القطة تذكرت على حين غرة أن أباها كان يأكل الفئران ، ولم تر القطة أن اتباع عادات والدها قد يتسبب فى أى أذى فقفزت على الفأر الذى بحث عبثًا عن ثغرة يمكنه التخفى بها وحدثت معجزة إذ ظهرت كوة بالفلك لم يكن لها وجود من قبل وجد الفأر بها ملاذا. وطاردت القطة الفأر وبالرغم من أنها لم تتمكن من دخول الكوة فقد تمكنت من إدخال كفها إلى هذه الفتحة لجذب الفأر، وفتح الفأر فمه على أمل أن يدخل كف القط إلى فمه ويمنعه بالتالى من غرز مخالبه فى جلده، ومع هذا ونظرًا لأن تجويف فم الفأر لم يكن كبيرًا فقد تمكنت القطة من خدش وجه الفأر ، ونجح الفأر فى الهرب من القط(١٧٣) ، وتوجه الفأر بعد نجاته إلى نوح قائلاً : " أيها الرجل الخير كن خيرًا وأصلح وجهى الذى مزق القط جزءًا منه "، فأمره نوح بإحضار شعر من ذيل الخنزير ، وأصلح نوح بهذا الشعر الأذى الذى كان قد لحق بالفأر ، ومازال أثر الندب باقيًا على فم الفأر حتى يومنا هذا(١٧٤) .

ويعد الغراب من الحيوانات التى تغيرت هيئتها خلال تنقله بالفلك، فحينما ابتغى نوح إرساله للتعرف على حالة المياه اختفى تحت أجنحة النسر ، وعندما وجده نوح قال له : " اذهب لمعرفة ما إذا كانت المياه قد قلت ؟ " فناشده الغراب قائلاً : " أليست لديك طيور أخرى لترسلها لهذه المهمة ؟ " فقال نوح " ليست لدى سلطة إلا عليك والحمام "(١٧٥)، ولم ترض هذه الإجابة الغراب فقال متغطرسًا : " إنك ترسلنى حتى ألقى حتفى ، وهذا ما تبتغيه حتى تبقى زوجتى تحت طاعتك "(١٧٦) ، فجن جنون نوح

ولعن الغراب بقوله " فلتحل اللعنة على فمك الذى تفوه بهذه الكلمات وليكن جماعك مع امرأتك من خلال فمك"[١٧٧] ورددت كل حيوانات الفلك آمين ، ولهذا السبب فإن كمًّا هائلاً من لعاب ذكر الغراب يتدفق إلى فم أنثاه خلال الجماع ، وهكذا تحمل الأنثى[١٧٨] .

والغراب ليس بالطائر الجذاب ، ولا يتسم بالحنان مع صغار الغربان حينما لايغطى الريش الأسود أجسادها[١٧٩] على الرغم من أن الغربان يحب كل منها الآخر[١٨٠] ، ومن هنا فإن الرب يرعى صغار الغربان على نحو خاص، ويخرج من برازها يرقات[١٨١] تصبح فيما بعد طعامًا لها على مدى الأيام الثلاثة الأولى التى تعقب ولادتها حتى يتحول ريشها الأبيض إلى الأسود ، وحتى يعرف آباؤها أن صغار الغربان من نسلهم ويولونها رعايتهم[١٨٢] .

وتعرض الغراب للوم أيضًا بسبب طريقته الغريبة فى السير، وكان الغراب قد لاحظ أن للحمامة طريقة أنيقة فى السير فغار منها وحاول منافستها وحينما بدأ المنافسة كادت عظامه أن تتحطم ، ولم ينجح فى محاكاتها بل جلب عليه ازدراء سائر الطيور ، واستقر رأى الغراب فيما بعد على العودة إلى طريقته الأولى فى السير غير أنه كان قد نسيها فلم يتمكن من السير كالغربان أو الحمام ، وأصبحت مزيجًا بين طريقتى السير. وهكذا نرى أن من لا يرضى بنصيبه القليل يفتقده فى سعيه لنيل المزيد والأفضل[١٨٣] .

ويعد الثور أحد الحيوانات التى مرت بتحولات ضخمة فكان الشعر يغطى فى البدء وجهه غير أنه لا توجد شعرة واحدة على أنفه وهذا لأن يوشع قبل أنفه عند حصار أريحا ، وكان يوشع رجلاً ضخم الجثة ولهذا لم تتمكن الخيول والحمير والبغال من حمله الأمر الذى لم يقم به سوى الثور، وقد امتطاه يوشع فى حصاره لأريحا ، ولهذا السبب قبل أنفه[١٨٤] .

وتختلف صورة الثعبان حاليًا عن صورته الأولى ، وكان الثعبان قبل خروج أدم من الجنة من أمهر الحيوانات بل كان شبيهًا بالإنسان ، وكان يقف منتصب القامة ، وكان عملاق الحجم[١٨٥] ، وفقد الثعبان فيما بعد مزاياه التى كانت لديه مقارنة بسائر

الحيوانات ووهنت قوته وحُرم من قدميه ، فلم يعد بمقدوره مطاردة سائر الحيوانات وقتلها، وقد أصبح الجلد غير مؤذ وليس لديه عينان وأصبح من الممكن مقاومته. كما أنه ليس للضفدع أسنان وإلا لكان قد افترس كل حيوانات المياه[١٨٦] . وإذا كان مكر الثعبان قد جلب الخراب فإن مكر الذئب كان فى صالحه فى كثير من المواقف المحرجة، وحينما ارتكب آدم خطيئة عدم طاعته للرب وضع الرب كل ما خصه فى الحيوان من قوة وبأس فى ملاك الموت وكلفه بإلقاء زوج من كل نوع فى الماء ، وهكذا فإن هذا الملاك وحيوان " اللوياثان " يسيطران على كل من تدب فيه روح الحياة . وحينما بدأ ملاك الموت فى تطبيق الأمر الإلهى على الذئب انهمرت دموعه بشدة وحينما استفسرملاك الموت عن سبب دموعه أجاب الذئب أنه يبكى ما آل إليه مصير صديقه مشيراً إلى صورة صديقه الذئب فى البحر والتى لم تكن سوى انعكاسٍ لصورته ، واقتنع ملاك الموت أن أحد أتباع عائلة الذئب قد لقى حتفه فى البحر ، فترك الذئب، وأخبر الذئب القطة بحيلته التى خدع بها أيضًا ملاك الموت[١٨٧] ، ولهذا السبب فلم يعد للقطط أو للذئاب وجود بالماء مثلما حدث مع سائر الحيوانات[١٨٨] .

وحينما استعرض " اللوياثان " كل الحيوانات وعند معرفته بالطريقة الماكرة التى اتبعها الذئب والتى تهرب بها من سلطته فقد بعث بسمكة ضخمة فى مهمة الغرض منها إغواء الذئب المتهرب فى الماء، وقد شاهد الذئب عند سيره على الشاطئ عدداً كبيراً من الأسماك فقال مندهشًا : " ما أسعد من يطفئ نيران جوعه بتناوله لأسماك بهذا الحجم " فأخبره السمك : يمكنك نيل مطلبك بسيرك خلفنا وأخبروه أنه سينال شرفًا عظيمًا لأن اللوياثان قاب قوسين أو أدنى من الموت وأنه كلفهم بأن يجعلوا من الذئب خليفة له . وكان السمك مستعدا لحمل الذئب على ظهوره حتى لا يخشى الماء ، ولنقله إلى العرش الواقع على صخرة ضخمة ، وتمكن السمك من إقناعه فهبط الذئب مع السمك إلى الماء غير أنه سرعان ماتسلل إليه إحساس بعدم الطمأنينة وساوره الشك فى أن الأمور انقلبت رأسًا على عقب وأنه قد تعرض لعملية خداع حقيقية فطلب من السمك معرفة الحقيقة فاعترف السمك أن اللوياثان قد كلفه بهذه المهمة[١٨٩] حتى يصبح عليمًا وحكيما كالذئب الذى يشيد الجميع بحكمته، فأنبهم الذئب متسائلاً: " ولماذا لم تخبرونى بالحقيقة دفعة واحدة حتى كان يمكننى أن أحضر قلبى للملك لوياثان الذى

كان سيغرمنى بالمديح ؟ أما الآن فستتعرضون للعقاب . إن الذئاب لاتحمل قلوبها أينما رحلت وإنما تتركها فى مكان آمن وتحضرها حينما تحتاجها .

وأسرع السمك فى العودة إلى الساحل حتى يحضر الذئب قلبه غير أنه لم يتوقف عن الصياح مبتهجًا فور إحساسه بوجود أرض صلبة تحت قدميه، وحينما حثه السمك على إحضار قلبه قال أيها الحمقى هل كان يمكننى دخول الماء لو لم يكن قلبى معى؟ وهل يمكن لأى كائن التحرك دون قلب؟ وحينما استنكر السمك ما سمعه قال الذئب لقد خدعت ملاك الموت وما أسهل خداعكم .

وعاد السمك إلى اللوياثان دون أن ينجز مهمته ولم يجد اللوياثان أمامه سوى أن يعترف بحكمة الذئب[١٩٠] .

كل المخلوقات تسبح للرب

إن هناك قيمة لكل ما خلق الرب ، فللحيوانات والحشرات التى تبدو عديمة القيمة ومؤذية للوهلة الأولى وظيفة تؤديها ، فالقوقع الذى يزحف خلف كل ما هو رطب يُستخدم دواءً للبشرة، كما أن لدغة الدبور تُعالج بوضع عصارة ذباب المنزل على الجرح، كما أن ابتلاع بعوضة شديدة الضعف يعد دواءً شافيًا من سم الأفعى ، كما أن هذه الأفعى السامة تعالج حالات التهيـج فى حين أن السحلية تعد علاجًا للدغة العقرب[١٩١] .

ولا تخدم المخلوقات كافة البشر ، وتسهم فى راحتهم فقط بل يعلمنا الرب من خلال سلوكيات حيوانات الأرض ، كما يعلمنا الحكمة من خلال طير السماء ، فوهب الرب كثيرًا من الحيوانات خواصٍّ أخلاقية مميزة حتى تصبح نموذجًا للبشر، ولو لم تكن التوراة قد أُوحيت لنا لكنا تعلمنا أصول الحياة من القطة التى تخفى برازها فى الأرض ، واحترام ملكية الآخرين من النمل الذى لا يعتدى قط على أملاك الآخرين ، ولكنا تعلمنا آداب الاحتشام واللياقة من الديك الذى يعد زوجه حينما يبتغى مضاجعتها بشراء عباءة طويلة تصل حتى الأرض ، وحينما تذكره الفرخة بوعده يهز جيبه ويقول : " ليتنى أُحرم من هذا الجيب إذا لم أشتر لك العباءة حينما تتوفر لى الوسائل المناسبة" .

ونتعلم الكثير أيضًا من القبوط الذى لا يتوقف عن الإنشاد طيلة الصيف حتى يقضى نحبه ، وعلى الرغم من أنه يعرف مصيره إلا أنه لا يتوقف عن الغناء والإنشاد. وهكذا يتعين على الإنسان أن يؤدى واجبه نحو الرب دون النظر إلى العواقب. ويجب أن نحاكى هذا الطائر طويل الساقين والعنق لأنه يغار على الحفاظ على طهارة نسله ، كما أنه شديد الرحمة والتواضع مع رفاقه. ومن الممكن أن يتعلم الإنسان أيضًا من الضفدع فتعيش بجانب المياه أنواع من الحيوانات تعيش على الكائنات المائية فقط ، وحينما يلحظ الضفدع أن أحد هذه الحيوانات جائع يذهب إليه ويهبه الطعام منفذًا الوصية القائلة : " إذا جاع عدوك هبه الطعام وإذا عطش ناوله الماء "[١٩٢] .

وقد خرج كل الخلق إلى الوجود بفضل مجد الرب[١٩٣]، ويردد كل مخلوق أنشودة مديح لتمجيد الرب ، فتعرب السموات والأرض والجنة والنار والصحراء والحقول والأنهار والبحار كل بطريقته عن شكره للرب ، فتنشد الأرض قائلة : " من أقصى بقاع الأرض سمعنا أغاني تمجيد الصديق " ، ويقول البحر " من فوق أصوات المياه نقول إن الرب فى علاه قوى " .

كما أن الأجرام السماوية والعناصر تسبح الرب ، فلا تتوقف عن الثناء على الرب الشمس والقمر والنجوم والسحب والرياح ، والضوء والندى، فتقول الشمس : " تقف الشمس والقمر فى مساكنهما ويستمدان ضوءهما من ضيائك أينما ذهبا، ويسطعان من رماحك المتلألئة، " وتنشد النجوم " إنك الرب الواحد خالق السموات وجيوشها ، والأرض وما تحتويه ، والبحار بكل ما فيها ، وتحافظ على جميعها، وتعبدك ملائكة السماء" .

ويردد كل نبات أنشودة مديح ، فتشدو الشجرة المثمرة قائلة : " تغنى كل الأشجار مبتهجة أمام الرب لأنه يحكم الأرض " . كما أن حبوب القمح تنشد قائلة : "إن المراعى مليئة بالقطعان ، والوديان تملؤها الذرة ، وتصرخ من الفرحة وتغنى" .

وتعد الطيور من أبرز المنشدين ، والديك من أبرزها فحينما يخرج الرب فى منتصف الليل للقاء الصديقين فى الجنة فإن أشجارها تخرج من أماكنها من فرط محبتها للرب، ويوقظ إنشادها الديك الذى يبدأ بدوره فى تسبيح الرب ، ويصيح سبع مرات فيردد فى كل مرة من صياحه عبارة واحدة ، والعبارة الأولى هى : " ارتفعى أيتها البوابات فملك المجد آت. من ذا هذا الملك ؟ إنه الرب القوى العظيم فى المعارك".

والعبارة الثانية هى : "ارتفعى أيتها البوابات فرب الجيوش آت، إنه ملك المجد" . والعبارة الثالثة هى " استيقظوا أيها الصديقون واشتغلوا بالتوراة حتى يكون ثوابكم ضخمًا فى العالم الآخر " ، وعبارته الرابعة : " انتظر خلاصك يا رب " ، والخامسة : "حتى متى ستنام أيها الكسول ؟ ومتى ستنهض من غفوتك ؟" والسادسة : " لا تحبوا النوم حتى لا يحل عليكم الفقر، افتحوا عيونكم وستشبعون من الخبز " ، أما العبارة السابعة التى يشدو بها الديك فهى : "حان وقت العمل للرب لأنهم انتهكوا شريعتك" .

أما النسر فيشدو بقوله : "سأجمعهم جميعًا لأنى خلصتهم ، ويتكاثرون كما تكاثروا" ، وسيردد النسر العبارة ذاتها عند مجىء المسيح المخلص غير أن الفارق الوحيد يتمثل فى أنه سيجلس على الأرض عند ترحيبه بمجىء المسيح مرددًا هذه العبارة فى سائر الأوقات فى أماكن أخرى .

ولا يقل مديح سائر الطيور وتسبيحها عن النسر ، فالحيوانات المفترسة تسبح الرب أيضًا، فيقول الأسد : " إن الرب سيأتى كرجل قوى ، وسيسرع السير كرجل فى المعركة، وسيصرخ عاليًا ، وسيبيد أعداءه . وسيتحدث الثعلب عن العدل قائلاً : "ويل من يبنى داره وغرفه بالظلم ، والويل لمن يستغل جهد جاره ولا يدفع له أجرًا" .

وتسبح الأسماك أيضًا رغم أنها لا تنطق للرب بقولها : " إن صوت الرب على المياه ، ويهز صوته المياه. " ويسبح الضفدع للرب بقوله : " تبارك اسم مجد مملكته إلى الأبد " .

وتسبح الزواحف رغم أنها كائنات وضيعة فيقول الفأر : " رغم أنك عادل فى كل ما فعلت معى وتصرفت بالحق فإنى تصرفت بخبث " . وتنشد القطة " فلتدع كل ما يتنفس يسبح بمجدك "(١٩٤) .

الفصل الثانى

آدم

الإنسان العالم

خلق الله العالم بعشر كلمات رغم أن كلمة واحدة كانت تكفى، وأراد الله عند خلق العالم أن يعرف الجميع مدى شدة العقاب الذى يحل بالأشرار الذين ينزلون الدمار بالعالم الذى خُلق بعشر كلمات ، وحجم الثواب الذى يثاب به الصديقون لحفاظهم على العالم[١] .

وخُلق العالم من أجل الإنسان على الرغم من أنه كان آخر من خلق من بين الكائنات . وكان هذا لغاية . وكان من المقرر أن يجد كل شىء معدا من أجله ، فكان الله هو المضيف فأعد للإنسان أطعمة شهية ، بل ورتب له المائدة وقاده إلى مقعده ، وكان ظهور الإنسان كآخر المخلوقات يهدف إلى تذكيره بأهمية التواضع ، وبألا يكون مغترا بذاته خشية أن يدعى أن البعوضة أقدم منه[٢] .

ويعد تفوق الإنسان على كافة المخلوقات أمرًا بينًا فى طريقة خلقه وفى اختلافه كلية عنهم ، فالإنسان هو المخلوق الوحيد الذى خلقه الله بيده[٣] ، فى حين أن سائر الكائنات خلقت بموجب كلمة الرب . وجسد الإنسان صورة مصغرة من العالم ، كما أن هذا العالم على رحابته واتساعه يعد نسخة طبق الأصل من الإنسان ، فيتماثل شعر الإنسان مع أخشاب الأرض ، ودموعه مع النهر وفمه مع المحيط[٤] ويشبه العالم أيضا حدقة عينيه كما أن المحيط الذى يلف الأرض يشبه بياض العين ، وتشبه الأرض الجافة الحدقة ، وتشبه القدس بؤبؤ العين ، ويشبه الهيكل الصورة التى تنعكس فى البؤبؤ[٥] .

غير أن الإنسان ليس مجرد صورة لهذا العالم ، فيتضمن الإنسان الخواص السماوية والأرضية فيشبه الملائكة فى أربع خواص ، ويشبه الوحوش فى أربع أخرى . ويكمن تشابهه مع الملائكة فى قدرته على الكلام وصواب عقله ، وانتصاب قامته فى السير ، وبريق عينيه ، هذه الصفات التى تجعل منه ملاكًا . ومن جهة أخرى يشبه

الحيوانات فى تناوله وهضمه للأطعمة والمشروبات ، وتناسله وموته . ومن هنا قال الله قبل خلق الإنسان : " إن الكائنات السماوية لا تتناسل غير أنها خالدة وفى المقابل فإن الكائنات الأرضية تتناسل ولكنها تموت . ولهذا سأخلق الإنسان ليكون خليطًا من الملائكة والحيوانات ، ومن هنا فسيناله الموت عند ارتكابه للخطيئة وعند سلوكه مسلك الحيوانات ، غير أنه سيحيا إلى الأبد إذا تجنب الخطيئة(٦) .

وأمر الله كل كائنات السموات والأرض بالاشتراك فى خلق الإنسان ، بل وشارك الله فى خلقه ، ومن هنا فإن جميع الكائنات ستحبه ، وستحرص على الحفاظ عليه حتى إذا أذنب(٧) .

وخلق العالم محله من أجل الصديقين والأتقياء الذين يتناسلون جميعهم عن شعب إسرائيل المحب للشريعة التى أوحيت إليه(٨) ، ولهذا فقد أصبح لشعب إسرائيل مكانة شديدة التميز عند خلق الإنسان. وتم تكليف جميع الكائنات بتغيير طبيعتها فى أية لحظة يكون شعب إسرائيل فى حاجة إليها ، فتم تكليف البحر الأحمر بالانشقاق أمام موسى عند عبوره للبحر ، والسموات بالإنصات إلى كلمات قائد الشعب ، والشمس والقمر بالوقوف أمام يشوع ، والغربان بإطعام النبى إليا ، والنار بأن تكون بردًا على الشبان الثلاثة والأسد بألا يلحق الأذى بالنبى دانيال ، والسمك بلفظ يونس والسموات بالانفتاح أمام حزقيال(٩) .

واستشار الرب لفرط تواضعه الملائكة قبل خلق العالم بشأن خلق الإنسان فقال "سأخلق العالم من أجل إسرائيل . وكما سأقوم الآن وعند خلقى للعالم بالفصل بين الظلام والنور فإنى سأقوم فى وقت لاحق وعند خروج بنى إسرائيل من مصر بفرض الظلام على مصر غير أن منازل بنى إسرائيل سيعمها الضوء، وكما سأقوم عند خلقى للعالم بفصل المياه الواقعة تحت السموات وما فوقها ، فسأقوم بشق مياه البحر الأحمر عند عبور شعبى للبحر . وكما سأخلق النباتات فى يوم الخلق الثالث فإنى منزل المن على شعب إسرائيل فى التيه . وكما سأخلق أنوار السموات لفصل الليل عن النهار فإنى سأسير فى صورة عمود من غمام وعمود من نار أمام شعب إسرائيل فى النهار والليل. وكما سأخلق طيور السماء وأسماك البحر فإنى سأجلب إلى إسرائيل السلوى من البحر . وكما سأهب روح الحياة إلى البشر سأهب شعب إسرائيل شجرة الحياة أى التوراة .

وابتـهـجت الملائكة لحـصـول شـعب إسـرائيل على هذا القـدر الوافـر من الحب فأخبرها الرب : " سـأخلق السموات فى اليوم الأول ، وسيقيم إسرائيل فى هذا اليوم خيمة الاجتماع التى سيحل بها مجدى، وسيضع شعب إسرائيل فى يوم الخلق الثانى الذى سأفصل فيه بين مياه الأرض والسموات ستارا فى الخيمة للفصل بين المكان المقدس وقدس الأقداس، وسيتناول شعب إسرائيل فى يوم الخلق الثالث الذى ستخرج فيـه الأرض ثمارها وفى أولى ليالى عيد الفصح بعض الأعشاب وخبز التقدمة ، وسأخلق فى اليوم الرابع أنوار السماوات ، وسيشعل شعب إسرائيل فى هذا اليوم الشموع من أجلى، وسأخلق فى اليوم الخامس الطيور ، وسيقوم شعب إسرائيل فى اليوم ذاته بصناعة صور الملائكة المجنحة ، وسأخلق فى اليوم السادس الإنسان ، وسينصب إسرائيل أحد أبناء هارون كاهنا أكبر لخدمتى(١٠) .

وكان تحقق كل عملية الخلق مشروطًا بقبول بنى إسرائيل للتوراة ، فأخبر الله كل الأشياء التى خلقها فى أول ستة أيام : " إذا قبل شعب إسرائيل التوراة فإنى سأقدر لكم البقاء والاستمرار وإلا فإنى سأعيد كل الأشياء إلى البدايات ". ومن هنا فقد ظل كل العـالم فى حالة من الفزع والخوف حتى تلك اللحظـة التى تلقى فيها إسرائيل على جبل سيناء التوراة ، ومن هنا فقد أوفى الرب بالشرط الذى وضعه عند خلق العالم(١١).

الملائكة وخلق الإنسان

وحينما قرر الله بحكمته خلق الإنسان استشار كل من أحاط به حتى يقرر الشكل الذى سيكون عليه الإنسان ، ورأى الله أنه من الأفضل ألا يكون الإنسان ضخم البنية حتى لا يستخف بنصيحة من حوله من الضعفاء ، واستشار الله فى البدء السموات والأرض وكل الأشياء التى خلقها ، وكانت الملائكة آخر الكائنات التى استشارها الرب .

ولم تستقر الملائكة على رأى بعينه ففى الوقت الذى فضل فيه ملاك الحب خلق الإنسان بدعوى أن الإنسان سيكون محبا للجميع فقد اعترض ملاك الحقيقة على هذا الرأى لأن الإنسان لن يروج إلا الأكاذيب ، وبينما فضل ملاك الحقيقة خلقه لتصوره أن

الإنسان سيعمل على تحقيق العدل فقد اعترض ملاك السلام بدعوى أن الإنسان سيكون محبا للخصام ومثيراً للمشكلات .

وقد اعترض الرب على موقف ملاك الحقيقة فأرسله إلى الأرض ، وحينما احتجت سائر الملائكة على معاملة الرب السيئة لرفيقها ذكر الرب : " ستصعد الحقيقة من الأرض " .

وكان من الممكن أن تتزايد حدة اعتراضات الملائكة على خلق الإنسان لو وقفت على حقيقة الإنسان ، فلم يطلعها الرب إلا على الصديقين وأخفى عنها حقيقة أن بعض البشر من الأشرار . وعلى الرغم من أن الملائكة لم تقف على كل حقيقة الإنسان فقد انتحبت الملائكة قائلة : " ولماذا تهتم إلى هذا الحد بالإنسان ؟ " فأجاب الرب قائلا : " ولمن خلقت طير السماء وسمك البحر وما جدوى وجود مكان ملىء بأشهى الأطعمة دون وجود نزيل " فقالت الملائكة مندهشة : " ما أروع اسمك فى كل الأرض ، ولتفعل ما يطيب لك "(١٢) .

وكان لمعارضة بعض الملائكة تبعات وخيمة فحينما استدعى الرب جماعة الملائكة التى يرأسها الملاك ميخائيل ليتعرف على رأيها فى خلق الإنسان أجابته على نحو لا يخلو من الاحتقار : " ومن ذا الإنسان الذى تهتم به إلى هذا الحد " فوجه الله إصبعه الصغير نحوها فالتهمتها النيران باستثناء ميخائيل . وتعرضت الملائكة التى يرأسها جبريل إلى المصير ذاته غير أن جبريل أفلت من الدمار .

أما مجموعة الملائكة الثالثة التى يرأسها الملاك " لابيئيل " فقد اتعظت من ذاك المصير الذى لقيه سائر الملائكة بعد أن حذرها الملاك "لابيئيل" بقوله : "لقد رأيتم ما آل إليه مصير الملائكة التى قالت من ذا الإنسان الذى تهتم به ولنحرص على ألا نلقى العقاب ذاته ، حيث إن الله لن يتراجع عما ابتغاه ، ومن الأفضل أن نستجيب إلى رغباته" فقالت الملائكة : " رب العالمين. حسنا إنك فكرت فى خلق الإنسان ولتخلقه بمشيئتك . وسنكون خدمه ولتوحى إليه بأسرارنا " . وغير الرب اسم " لابيئيل " إلى رفائيل أى المنقذ لأنه أنقذ الملائكة بمشورته الحكيمة . وعينه الرب ملاكا للشفاء وأودع لديه كل طرق العلاج الطبية المستخدمة على الأرض(١٣) .

خلق آدم

وحينما وافقت الملائكة فى نهاية الأمر على خلق الإنسان أمر الرب جبريل قائلاً : "أحضر لى ترابًا من أنحاء الأرض الأربعة لخلق الإنسان " ، وذهب جبريل لتنفيذ أمر الرب غير أن الأرض أبعدته ، ولم تدعه يجمع التراب منها فاحتج جبريل بقوله : " أيتها الأرض لماذا لا تستجيبين لصوت الرب الذى جعلك تستوين على الماء دون دعامات أو أعمدة؟ " فأجابت الأرض : " قدرى أن أكون ملعونة بسبب الإنسان وإذا لم يأخذ الرب التراب منى فلن يقوم أحد بهذه المهمة " . وحينما سمع الرب هذا الحوار مد يده وأخذ حفنة من التراب خلق بها الإنسان الأول(١٤) .

وكانت الغاية من خلق الإنسان من تراب جهات الأرض الأربع هى ألا ترفض أية بقعة من الأرض احتواءه عند موته بدعوى أن هذا خلق من تراب الشرق وذاك من تراب الغرب. وسيعود الإنسان إلى الأرض التى خرج منها أينما يتوفى وأينما يواريه التراب، وكانت ألوان هذا التراب شديدة التباين وتراوحت بين الأحمر والأسود والأبيض والأخضر ، فكان الأحمر يرمز إلى الدم والأسود إلى الأمعاء والأبيض إلى العظام والأوردة ، والأخضر إلى الجلد الشاحب .

وتدخلت التوراة فى هذه اللحظة فى عملية الخلق ، فحدثت الرب قائلة : " يا رب العالمين . إن هذا العالم عالمك ، ويمكنك أن تفعل به ما يحلو لك غير أن الإنسان الذى تعكف على خلقه حاليا سيكون عمره قصيرًا فضلاً عن أن حياته ستكون مليئة بالذنوب، ولو لم تكن هذه رغبتك لكان من الأفضل ألا تخلقه " فقال الرب : " ولماذا تظنون إذًا أنى أعرف باسم الصبور الرحيم ؟"(١٥) .

وتجلت رحمة الرب ومحبته فى أخذه لحفنة تراب من المكان الذى أقيم عليه فيما بعد المذبح ، وقال الرب عندئذ : " سأخلق الإنسان من هذا المكان المخصص للمغفرة حتى يعيش الإنسان إلى الأبد"(١٦) .

روح الإنسان

ويعد الجهد الذى بذله الرب عند خلق كل جزء من جسد الإنسان هزيلاً وضئيلاً عند مقارنته بعناء الرب عند خلق الروح، وقد خلقت روح الإنسان فى يوم الخلق الأول ، وخلقت من روح الله التى كانت ترفرف على وجه الماء ، ومن هنا فيعد الإنسان أول ما خلق الرب من بين المخلوقات(١٧) ، وتملك روح الإنسان خمس قوى مختلفة ، وتفر الروح من الجسد كل مساء صاعدة إلى السماء لتجلب حياة جديدة إلى الإنسان(١٨) .

وخلقت أرواح البشر جمعاء من روح آدم ، وحفظت فى السماء السابعة ، وتستخدم هذه الأرواح تباعاً عند تكون كل جسد(١٩) .

وتتحد الروح والجسد على النحو التالى فحينما تحمل المرأة يصعد ملاك الليل "ليلى" حاملا معه الحيوان المنوى ليعرضه على الرب الذى يحدد عندئذ إذا ما كان هذا المخلوق سيصبح ذكراً أم أنثى غنيا أم فقيراً ، جميلاً أم قبيحاً ، طويلاً أم قصيراً ، سميناً أم هزيلاً ، وسائر سماته . غير أن صفتى التقوى والفجور تتركان للإنسان ، ويأمر الرب عندئذ الملاك المكلف بالإشراف على الأرواح بقوله : " أحضر لى الروح التى لها سمات بعينها " ، وعند إحضار الملاك للروح المتفق عليها فإن الروح تقف فى خشوع أمام الرب . ويأمرها الرب فى تلك اللحظة بالاتحاد بالسائل المنوى غير أن الروح لا تجد أمامها سوى أن تتساءل بقولها : "يارب العالمين إنى راضية وسعيدة بعالم الأرواح الذى جعلتنى أنتمى إليه منذ خلقى... فلماذا تبتغى الآن دخولى إلى السائل المنوى غير الطاهر، ألست مقدسة وطاهرة وجزءاً من مجدك ؟ " غير أن الرب يواسيها بقوله " إن العالم الذى ستدخلينه يعد أفضل من العالم الذى تنتمين إليه ، ولقد خلقتك لهذا الغرض " .

وتدخل الروح عندئذ رغماً عنها إلى السائل المنوى ، ويحملها ملاك الليل إلى رحم المرأة ، ويقوم ملاكان فى هذه الفترة بالتأكد من عدم مفارقة الروح للسائل المنوى، ويسلط الرب الضوء على الروح خلال تلك اللحظات حتى يمكنها رؤية العالم من أقصاه إلى أدناه .

وفى الصباح يقوم ملاك آخر بحمل الروح إلى الجنة ويدعها تشاهد الصديقين والأتقياء الذين تغطى رءوسهم أكاليل الغار. وحينما يسألها الملاك أتعرفين من هؤلاء ؟ فإنها تحار الجواب فينبئها " إن من تشاهدينهم هنا تشكلوا مثلك فى أرحام أمهاتهم ، وحينما أتوا إلى العالم حافظوا على شريعة الرب وتعاليمه ، ولهذا ينعمون بالمتعة التى ترينها ، ولتعلمى إنك سترحلين ذات حين عن العالم السفلى ، وإذا حافظت على شريعة الرب سيكون لك مقعد مع الصديقين ، أما إذا لم تحترمى الشريعة فإنك ستقيمين فى موضع آخر " .

ويصحب الملاك الروح فى المساء إلى الجحيم ويدعها تشاهد المذنبين الذين تقوم ملائكة الدمار بجلدهم بالسياط ، ولا تأخذهم رحمة بهم رغم تأوهاتهم . وحينما تحار الروح فى التعرف عليهم يخبرها الملاك : " إن هؤلاء الذين تأكلهم النيران خلقوا مثلك غير أنهم لم يحترموا شريعة الرب ووصاياه. ولهذا فإنهم يتعرضون إلى هذه الإهانات التى تشاهدينها ، ولتعلمى بأنك راحلة عن هذا العالم ، ولتتمسكى بالعدل وتجنبى الشر حتى تنعمى بالنعيم .

وفى الفترة الواقعة بين الصباح والمساء يصحب الملاك الروح ، ويدعها تشاهد المواضع التى ستحيا بها والموضع الذى ستموت فيه ، والمكان الذى ستدفن فيه ، ويصحبها عبر كل العالم ويدعها تشاهد الصديقين والمذنبين وكل شىء ، ويضع الملاك الروح مساء فى رحم المرأة حيث تستقر به تسعة شهور ، وحينما يحين موعد خروج الروح من الرحم فإن الملاك ذاته يخاطب الروح قائلا : "حانت لحظة خروجك إلى العالم" ، وتتردد الروح هنيهة فتسأل الملاك : " لماذا ترغب فى خروجى إلى العالم ؟ " ويجيبها الملاك بقوله : " فلتعلمى أنه كما خلقتِ على خلاف رغبتك فإنك ستولدين على خلاف رغبتك ، وعلى خلاف رغبتك أيضا ستموتين ، وستقفين أمام ملك الملوك المقدس" غير أن الروح تتلكأ فى الخروج ، وينقر الملاك فى هذه اللحظة الجنين على أنفه ، ويطفئ النور الذى كان على رأسه ، ويخرجه إلى العالم على خلاف رغبته ، وعند خروج الطفل إلى العالم فإنه ينسى كل ما شاهدته وتعلمته روحه ، ويصرخ الطفل عند خروجه من رحم أمه لفقدانه المكان الذى كان يوفر له الإحساس بالأمان والطمأنينة

وحينما تحين لحظة رحيل الإنسان عن العالم فإن الملاك ذاته يعاود الظهور ويسأله هذه المرة : " أتعرفنى " ويجيبه الإنسان قائلاً : " نعم ولكن لماذا تظهر حاليا ولم تظهر فى أى وقت آخر ؟ " ويقول الملاك : " أتيتك الآن لآخذك من العالم بعد أن حان وقت رحيلك " . وتتساقط دموع الإنسان فى هذه اللحظة ، ويتردد صوت بكائه فى كافة أنحاء المعمورة غير أن صوته لا يسمعه من الكائنات سوى الديك ، ويحتج الإنسان على الملاك بقوله : " لقد أخذتنى من عالمين ، وجلبتنى إلى هذا العالم " ، فيذكره الملاك بقوله : " ألم أخبرك أنك ستشكل وتولد وتموت على خلاف رغبتك ، وأنك ستقف بين يدى المقدس لتحاسب عما فعلت "[٢٠] .

الإنسان الكامل

خلق الإنسان كامل النضج مثل كافة الكائنات التى تشكلت فى أيام الخلق الستة الأولى ، ولم يخلق كطفل وإنما كإنسان بالغ من العمر عشرين عامًا[٢١]، وكان جسده ضخما للغاية فكان يمتد من السماء إلى الأرض ومن الشرق إلى الغرب[٢٢] ، ولم يشبه آدم سوى عدد محدود من البشر فامتلك شمشون قوته وشاءول عنقه وأبشالوم شعره ، و" أساهيل " تفلطح قدمه ، وعوزيا مقدمة رأسه و " يوزياه " أنفه ، وتسدقياه عينيه ، و " زروبابيل " صوته . ويتضح مما يتضمنه التاريخ من أحداث وعبر أن هذا الكمال البدنى لم يكن نعمة على من خلقوا بعد آدم بقدر ما كان نقمة عليهم ، فتسببت قوة شمشون الجبارة فى موته ، كما أن شاءول لقى مصرعه بعد أن قطع رقبته بسيفه، أما " أساهيل " فبينما كان مندفعًا بخفة ورشاقة فقد لقى طعنة من رمح " أبنير " ، كما أن شجرة بلوط أمسكت بشعر " أبشالوم " ومن هنا ظل واقفا بجوارها حتى لقى مصرعه ، كما أن الجذام أصاب مقدمة رأس " يوزياه " ، وفيما يتعلق بالسهام التى قتلت يوزياه فإنها دخلت من أنفه ، كما أن تسدقياه أصيب بالعمى[٢٣] .

ولم يحمل البشر سوى جزءٍ ضئيلٍ من الجمال الذى كان عليه الإنسان الأول ، ولا تعدو أجمل النساء حاليا سوى قردة مقارنة بالجمال الذى كانت عليه سارة ، وتعد سارة مقارنة بحواء قردة كما أن حواء لم تكن سوى قردة مقارنة بآدم ، وكان آدم وسيمًا إلى درجة أن قدمه كانت تحجب بهاء الشمس[٢٤] .

وكانت طباعه النفسية شديدة التوافق مع حسنه البدنى خاصة أن الرب كان قد اعتنى للغاية بروحه عند صنعها ، ولا غرابة فى هذا الأمر خاصة أن الروح تعد على شاكلة الرب ، وكما أن وجود الرب يملأ العالم فإن الروح تشغل كل جسد الإنسان، وكما أن الرب يشاهد كل شىء ، وتعجز كل العيون عن رؤيته فإن الروح أيضا تشاهد ولا تُشاهد . وكما يوجه الرب العالم فإن الروح هى التى ترشد الجسد . وكما أن الله طاهر فإن الروح طاهرة . وكما أن الرب يقيم فى الخفاء فإن الروح تقيم أيضًا فى الخفاء[٢٥] .

وحينما وضع الرب الروح فى جسد الإنسان الذى كان أشبه بالطين فقال : " أين يمكننى نفخ الروح بداخله؟ ترى هل أنفخها فى فمه ؟ لا إنه سيستخدمه فى حديث السوء أم أضعها فى عينيه ولكنه سيشتهى الآخرين بهما أم أضعها فى أذنيه غير أنهما سينصتان إلى الافتراءات وكلمات التجديف على الرب . سأضعها فى مقدمة أنفه إذ إنه يتعرف من خلال هذا الجزء على الأشياء غير النظيفة ويرفضها ، ويتقبل فى المقابل عبر هذا الجزء أريج العطور ، ومن ثم فإن الشخص التقى سينأى عن الخطيئة وسيشق طريقه إلى التوراة[٢٦] .

وسرعان ما تجلت أوجه اكتمال الروح فور تلقى الإنسان لها حتى قبل أن تدب فيه روح الحياة . وقد أوحى الله كل تاريخ البشرية للإنسان الأول فى الساعة الفاصلة بين نفخه للروح فى مقدمة أنفه وبين دبيب الحياة فيه، وأطلعه فى الساعة ذاتها على أبناء كل جيل وقادته وأنبيائه ، ومعلميه ، وعلمائه ، وحكامه وقضاته ، وصديقيه ، وعامة البشر، وغير الأتقياء ، وقصص حياتهم ، وأعمارهم ، وعدد خطاهم وعرف الإنسان الأول كل شىء[٢٧] .

ورفض آدم بمحض إرادته سبعين عاما من سنوات عمره فقد كان مقدرا له أن يعيش ألف عام ، هذه الأعوام التى تعد يومًا واحدًا من أيام الرب ، وتخلى عنها بعد أن رأى أن الرب كرس لحظة من لحظات الحياة لخلق روح داود العظيمة ، ومن هنا فقد وهبها سبعين عامًا من عمره ، ولهذا عاش تسعمائة وثلاثين عامًا[٢٨] .

وتجلت حكمة آدم فى أقصى صورها حينما أعطى للحيوانات أسماءها . وقد اتضح عندئذ أن الرب أحسن التصرف حينما أصر أمام الملائكة التى اعترضت على خلق الإنسان على أن الإنسان سيكون أكثر حكمة منها . وحينما كان آدم يبلغ من العمر ساعة واحدة فقط جمع الرب أمامه كل عالم الحيوانات والملائكة . وحينما دعا الرب الملائكة إلى تسمية أنواع الحيوانات المختلفة عجزت عن القيام بهذه المهمة غير أن آدم ذكر دون تردد : " يارب العالمين . إن هذا الحيوان هو الثور وذاك هو الحصان ، وهذا هو الأسد ، وذاك هو الجمل " ثم سمى كل حيوان باسمه الذى يتماشى مع خواصه، وسأله الرب فيما بعد عن الاسم الذى سيعرف به فأجاب : آدم لأنه خلق من أديم الأرض، ثم سأله الرب عن الاسم الذى سيعرف به فأجاب : الرب لأنك رب كل المخلوقات " وعرف الرب بهذا الاسم الخالد الباقى إلى الأبد(٢٩) . ولم يكن من الممكن أن يجد آدم كل هذه الأسماء لولا تمتعه بالروح القدس. وكان آدم فى الحقيقة نبيا ، ولم تكن حكمته سوى إحدى سمات النبوة(٣٠) .

ولم تكن أسماء الحيوانات الشىء الوحيد الذى نقله آدم إلى الأجيال اللاحقة فتدين البشرية بكل فنونها ومعارفها وخاصة فن الكتابة إليه ، فكان آدم أول من أوجد اللغات السبعين التى يتحدث بها البشر(٣١) ، كما أنجز مهمة أخرى لكل اللاحقين فقد أظهر الرب لآدم كل الأرض، وحدد آدم المواضع التى سيقطنها البشر والأخرى التى ستظل خاوية(٣٢) .

ظهور الشيطان

وقد أثارت الخواص البدنية والروحانية الخارقة التى تمتع بها آدم غيرة الملائكة التى حاولت إضرام النيران به للقضاء عليه ، وكاد آدم يتعرض للفناء لولا أن الرب وضع يده عليه مما حقق الوفاق بينه وبين كائنات السماء(٣٣) ، وكان الشيطان من أكثر الكائنات إحساسًا بالغيرة من آدم ، ولم يقض الشيطان على ذاته إلا بسبب أفكاره الشريرة. وبعد أن وهب الله آدم الروح دعا كل الملائكة إلى المجىء للخضوع أمامه وللإعلاء من قدره غير أن الشيطان الذى كان يعد من أرفع الملائكة فى السماء والذى يتمتع

باثنى عشر جناحًا بدلاً من ستة مثل سائر الملائكة لم يهتم بالأمر الإلهى قائلا : " لقد خلقتنا نحن الملائكة من بهاء روحك وتأمرنا الآن بالخضوع أمام مخلوق خلقته من تراب الأرض "فأجاب الرب" : غير أن لتراب الأرض قدراً من الحكمة والفهم يفوق ما لديك " . وطلب الشيطان تحدى آدم فى المعرفة فوافق الرب بقوله : " خلقت الحيوانات والطيور والزواحف ، وسأجعلها تجىء للوقوف أمامك وأمام آدم ، وإذا تمكنت من أن تعطيها أسماءً سآمر آدم بتبجيلك ، وستقيم بجانب روحى، أما إذا عجزت ونجح آدم فى التعرف على الأسماء التى خصصتها لها فإنك ستخضع لآدم وسيكون له موضع فى جنتى وسيزرعها " . وكانت هذه كلمات الرب ، وتوجه إلى الجنة وتبعه الشيطان . وحينما أدرك آدم الرب قال لزوجه : " هيا فلنقدس الرب ولنسجد أمام الرب خالقنا " . وحاول الشيطان فى هذه اللحظة أن يتعرف على أسماء الحيوانات غير أنه فشل فى التعرف على أول حيوانين وكانا الثور والبقرة ، وحينما دفع الرب الكلب والحمار أمام الشيطان فقد عجز عن التعرف أيضا على أسمائهما ، والتفت الرب فيما بعد إلى آدم وسأله عن أسماء الحيوانات ذاتها فتعرف عليها. وهكذا اضطر الشيطان للاعتراف بتفوق آدم . ومع هذا فقد انفجر الشيطان فى الصراخ حتى وصل صراخه إلى السماوات رافضا الخضوع لآدم كما أمره الرب[٣٤] . وقد حذت الملائكة حذو الشيطان على الرغم من أن الملاك ميخائيل كان أول الملائكة التى سجدت لآدم حتى يكون قدوة طيبة لسائر الملائكة . وخاطب الملاك ميخائيل الشيطان قائلا: " يجب أن تحترم صورة الرب ! لأن الرب سيصب غضبه عليك إذا لم تقم بهذا الأمر " فأجاب الشيطان " : إذا صب غضبه على فإنى سأعلى من عرشى ، وسأضعه فوق نجوم الرب ، وسأصبح مثل العلى " . ورمى الرب الشيطان وأتباعه دفعة واحدة من السماء إلى الأرض ، وتمثل هذه اللحظة بدايات العداء بين الشيطان والإنسان[٣٥] .

المرأة

حينما فتح آدم عينيه للمرة الأولى وأدرك العالم من حوله انخرط فى مديح الرب قائلا : " ما أعظم صنائعك ربى " . غير أن إعجابه بالعالم المحيط به لم يفق إعجاب كل الكائنات بآدم إذ تعاملت معه على أنه خالقها فسارعت بتبجيله غير أنه قال :

" لماذا تأتون إلى عبادتى؟ إننا سنعترف معًا بعظمة الرب خالقنا. إن الحكم للرب ، فالمجد يحيطه[٣٦] .

ولم تتصور كائنات الأرض فحسب أن آدم هو خالقها إذ شاركتها كائنات السماء التصور ذاته ، ومن هنا فقد كانت على وشك التسبيح له بقولها : " قدوس قدوس قدوس رب الملائكة ". ولم تدرك الملائكة أن آدم بشر إلا بعد أن ألقى عليه الرب السبات[٣٧] .

وكان الغرض من السبات الذى حل بآدم إعطاءه زوجة حتى يمكن للجنس البشرى أن يتطور ، وحتى يمكن لكل الكائنات التعرف على الفرق القائم بين الرب والإنسان . وحينما سمعت الأرض ما قرره الرب بدأت ترتعد قائلة : " لست قادرة على توفير الطعام لكل نسل آدم " غير أن الرب هدأ من روعها بقوله : " سنجد معًا الطعام اللازم للقطيع " . وتم تقسيم الزمان بين الرب والأرض فأخذ الرب الليل وأخذت الأرض النهار فالنوم الذى يوفره الرب فى المساء يجدد طاقة الإنسان ويقويه ويوفر له الحياة والراحة فى حين أن الأرض توفر له وبمساعدة الرب الطاقة التى تساعد الإنسان على رى الأرض . غير أنه من الضرورى أن يفلح الإنسان الأرض حتى يكسب طعامه[٣٨] .

وكان قرار الإله بتوفير رفيق للإنسان متماشيًا مع رغبات الإنسان الذى كان قد أحس بالوحشة والوحدة بعد أن رأى الحيوانات تأتى إليه أزواجا حتى يسميها[٣٩] . وحتى يتخلص من إحساسه بالوحدة فقد وُهبت له " ليليث " زوجة – وكانت قد خلقت مثله من تراب الأرض – غير أنها لم تبق معه سوى فترة وجيزة إذ إنها أصرت على أن تكون مساوية لزوجها ، ودافعت عن حقها هذا بأنها خلقت مثله من تراب الأرض. وفرت " ليليث " وبمساعدة الرب من آدم واختفت فى الهواء ، واشتكى آدم للرب من أن الزوجة التى وهبها له تخلت عنه فأرسل الرب ثلاثة ملائكة لأسرها فعثروا عليها فى البحر الأحمر وحاولوا إحضارها إلى آدم مهددين بأنها إذا لم ترجع فإنها ستفقد كل ليلة مائة من أبنائها غير أن " ليليث " أبت العودة مفضلة هذا العقاب على العودة إلى آدم ، وتنتقم " ليليث " بالتعرض للذكور عند ولادتهم خلال أول ليلة من عمرهم فى حين أنها تتعرض بالأذى للإناث خلال أول عشرين يومًا من ولادتهن ، وليس من الممكن اتقاء شرورها إلا من خلال وضع تعويذة على الأطفال تحمل أسماء الملائكة الثلاثة الذين أوقعوها فى الأسر[٤٠] .

وأخذت المرأة التى قدر لها أن تصحب الإنسان من جسد الإنسان " لأنه حينما يتم الدمج بين طرفين متشابهين فليس من الممكن أن يتم الفصل بينهما "(٤١) . وقد تسنى خلق المرأة من الإنسان لأنه كان لآدم وجهان تم الفصل بينهما عند ميلاد حواء(٤٢).

وذكر الرب عند خلقه لحواء : " لن أصنعها من رأس آدم خشية أن تكون متكبرة، أو من عينيه خشية أن تصبح طليقة العنان ، أو من أذنه حتى لا تسترق السمع إليه ، أو من رقبته حتى لا تصبح متغطرسة أو من فمه حتى لا تكون ثرثارة ، أو من قلبه حتى لا تكون حسودة ، أو من يده حتى لا تصبح متطفلة ، أو من قدمه حتى لا يقتصر سعيها على المتعة . سأخلقها من جزء طاهر بالجسد " وحدث الرب كل طرف وكل عضو عند خلقه بقوله : " كن طاهرا . طاهرا " ومع هذا ورغم كل الحذر الذى توخاه الرب عند خلقه فتوجد بالمرأة كل الأخطاء التى حاول الرب طمسها . ومن هنا كانت بنات صهيون متغطرسات تتملكهن الشهوة ، كما أن سارة حرصت على أن تسترق السمع حينما تحدث الملاك مع إبراهيم ، وكانت مريم لا تتوقف عن ترديد أحاديث الإفك وتوجيه الاتهامات والافتراءات إلى موسى ، وكانت راحيل تشعر بالغيرة من ليئه ، كما أن حواء مدت يدها لقطف الثمرة المحرمة ، فضلاً عن أن دينا كانت تحرص على تلمس المتعة(٤٣) .

ويعد تكوين المرأة أعقد بكثير من نظيره لدى الرجل إذ من وظائف المرأة الحمل والإنجاب ، وللسبب ذاته فإن المرأة تسبق فى نضجها الرجل(٤٤) . وترجع أسباب كثير من الفروق البدنية والنفسية القائمة بين الرجل والمرأة إلى أن الرجل خلق من تراب الأرض فى حين أن المرأة خلقت من عظام الرجل . ومن بين هذه الفروق أنه بينما تشعر النساء بأن هناك حاجة لاستخدام العطور فلا يساور الرجال الشعور ذاته. ويكمن سبب هذا التباين فى أنه بينما يحتفظ تراب الأرض بحالته دونما تغيير فإن اللحم يحتاج إلى الملح حتى يمكن الحفاظ على حالته . ومن بين هذه الفروق أيضا أن صوت النساء يتسم بالحدة الأمر الذى لا يتسم به صوت الرجال وسبب هذا أنه بينما لا نسمع صوتا للأطعمة عند طهيها فإن وضع العظام بأى إناء كفيل بإحداث جلبة ، وبينما يتسم الرجل بأنه من الممكن تهدئته بسهولة ويسر فليس من الممكن تهدئة المرأة

على النحو نفسه ، والسبب أنه بينما تكفى بضع نقاط من الماء لترطيب التربة فإن العظام تبقى صلبة حتى لو تم غمرها بالماء بضعة أيام . ونذكر من بين الفروق أيضا أنه يتعين على الرجل أن يطلب المرأة زوجة له بينما لا تقوم المرأة فى المقابل بهذه المهمة ويكمن سبب هذه الظاهرة فى أن الرجل هو الذى فقد ضلعه ومن ثم فإنه يسعى إلى استرداده .

وتعود كل الفروق بين الرجل والمرأة فى الملبس وكافة المظاهر الاجتماعية إلى نشأة كل منهما. وتغطى النساء شعورها لأن المرأة هى التى جلبت الخطيئة إلى العالم ، ومن هنا فإنها تحاول على هذا النحو إخفاء العار الذى اقترفته . وتسير النساء أمام الرجال فى المواكب الجنائزية لأن المرأة هى التى جلبت الموت للعالم . وترتبط الوصايا الدينية الخاصة بالمرأة فقط بتاريخ حواء . وحقا فقد كان آدم هو الهدية التى قدمت للعالم غير أن حواء دنسته . ونظراً لأن المرأة أطفأت نور روح الإنسان فقد حرم على المرأة إشعال شموع يوم السبت[٤٥] .

وألقى الرب السبات على آدم قبل أن يأخذ ضلعا منه لخلق حواء فلو كان آدم شاهد عملية خلقها لما كانت أيقظت به الحب ، ولا غرابة فى هذا لأن الرجال لا يشعرون حتى يومنا هذا بالحب للنساء اللاتى عرفنهن منذ طفولتهم . ورغم أن الرب كان قد خلق زوجا لآدم قبل خلق حواء إلا أن آدم لم يأخذها زوجة لأنها صنعت أمامه ولأنه كان ملما بكل تفاصيلها[٤٦] . وحينما استيقظ آدم من سباته وشاهد حواء بكل ما أوتيت به من جمال فقد ذكر مشدوها : " هذه هى التى جعلت قلبى يرتجف كل ليلة " غير أنه سرعان ما عرف طبيعة المرأة فعرف أنها ستسعى لتحقيق مرادها إما بالتضرع أو الدمع أو بالمداهنة والملاطفة ، فقال : إنها لن تكون لينة الطرف[٤٧] .

وتم الاحتفال بزفاف الزوجين فى موكب لا مثيل له فى التاريخ ، فقام الرب قبل تقديم حواء إلى آدم بإضفاء الزينة على العروس ، وناشد الملائكة قائلا : " فلنحتفل بآدم وزوجه لأن كل العالم يعتمد فى وجوده عليهما ، وتطيب لى رؤيتهما أكثر من مشاهدة شعب إسرائيل عند تقديمه للقرابين على المذبح " . وأحاطت الملائكة بمكان جلوس العروسين ، وذكر الله بعض الكلمات لمباركتهما مثلما يقوم " الحازان " حاليا عند مباركة العروسين . ورقصت الملائكة عندئذ وعزفت على الآلات الموسيقية أمام غرف

العروسين العشر التى كان الرب أعدها والتى كانت مزدانة بالذهب والحلى والأحجار الكريمة .

ودعا آدم زوجته " إيشاه " ودعا نفسه " إيش " متخليا عن اسم آدم الذى كان يعرف به قبل خلق حواء[٤٨] .

آدم وحواء فى الجنة

وكانت جنة عدن هى المسكن الذى أقام به أول رجل وامرأة ، وتعبر أرواح البشر كافة هذا الموضع عقب الموت وقبل وصولها إلى مقرها الأخير . ومن الضرورى أن تعبر الروح سبعة مداخل قبل أن تصل إلى سماء ARABOT التى تتحول فيها الأرواح إلى ملائكة وتبقى بها إلى الأبد مسبحة بمجد الرب ومشخصة أنظارها على مجد الروح الإلهية . ويقع المدخل الأول فى مغارة سارة بالقرب من الجنة ، ويشرف ويسيطر على هذا الجزء آدم ، وحينما يجد آدم أن الروح التى تعبر هذا المدخل أو الممر تتسم بالنقاء فإنه يسمح لها بالدخول ، وتمضى الروح بالدخول حتى تصل إلى بوابة الجنة التى يحرسها " الشروبيم " ولهيب السيف . أما إذا كانت لا تستحق الدخول فإن السيف يجتثها وإلا فإنها تحصل على إذن يتيح لها دخول الجنة الأرضية . ويوجد فى ذلك المكان عمود من دخان ونور ممتد من الجنة إلى بوابة السماء . ويتوقف دخول الروح إلى الجنة على إذا ما كان بمقدور الروح تسلق هذا العمود والوصول إلى السماء .

ويقع المدخل الثالث الذى يعرف باسم " زبول " فى مدخل السماء. وإذا كانت الروح تستحق الدخول يقوم الحارس بفتح المدخل ويدعها تدخل الهيكل السماوى ، ويقدمها الملاك ميخائيل إلى الرب ويقودها إلى المدخل السابع الذى تتحول فيه أرواح الصديقين إلى ملائكة تسبح للرب وتتغذى على مجد روح القدس[٤٩] .

وتوجد بالجنة شجرتا الحياة والمعرفة غير أن شجرة المعرفة تطوق شجرة الحياة ، ولا يصل شجرة الحياة إلا من يمكنه الوصول إلى شجرة المعرفة ، وتعد شجرة الحياة ضخمة للغاية فلا يمكن للإنسان أن يلتف حولها إلا فى خمسمائة عام ، ولا يقطع الإنسان المساحة التى تغطيها ظلال هذه الشجرة إلا فى الفترة الزمنية ذاتها ،

وتتدفق من هذه الشجرة مياه تروى كل الأرض(٥٠) ، وتنقسم هذه المياه فيما بعد إلى أربعة أنهار وهى "جانجس والنيل ودجلة والفرات(٥١) . وقد تطلعت النباتات خلال أيام الخلق إلى مياه الأرض لترتوى منها ، ومن ثم جعل الرب النباتات تعتمد فى محياها على مياه السموات، ومن هنا تتصاعد السحب من الأرض إلى السموات ليهطل منها المطر(٥٢) . ولم تشعر النباتات بأثر المياه إلا بعد خلق آدم. وبالرغم من أنها خُلقت فى يوم الخلق الثالث لم يدعها الرب تظهر على وجه الخليقة إلا بعد أن ابتهل آدم إلى الرب من أجل الطعام، واستجاب الرب إلى دعائه لأنه يحب الاستماع إلى صلوات الأتقياء(٥٣) .

ولما كانت الجنة تحتوى على كل مايحتاجه آدم لم تكن هناك حاجة لقيامه بزراعتها. وإذا كان الرب قد دعا آدم لزراعة الجنة والحفاظ عليها فإن هذا الأمر الإلهى لم يعن سوى قيامه بدراسة الشريعة وتنفيذ وصايا الرب(٥٤) . ويتعين على أى إنسان الالتزام بتنفيذ ست وصايا وهى : ألا يعبد الأصنام أو يجدف على الرب أو يرتكب جريمة القتل أو الزنا أو السرقة ، كما يتعين على كل الأجيال بوضع نظم صارمة لتطبيق الشريعة والنظام. وكانت هناك وصية أخرى غير أنها كانت مؤقتة فقد كان على آدم ألا يتناول سوى نباتات الحقل الخضراء(٥٥) . أما تحريم تناول لحم الحيوانات فقد نُسخ فى عهد نوح بعد الطوفان. ومع هذا لم يُحرم آدم من التمتع بتناول اللحوم فبالرغم من منعه من ذبح الحيوانات كانت الملائكة تحضر له اللحوم والنبيذ(٥٦) . وكما كانت الملائكة تلبى كافة احتياجاته كانت الحيوانات تحت إمرته أيضًا فكانت تتلقى طعامها منه ومن حواء(٥٧) . وكانت علاقة الحيوانات بآدم شديدة الاختلاف عن علاقتها بالأجيال اللاحقة إذ كانت تعلم لغة البشر(٥٨) فضلاً عن احترامها للإنسان الذى خُلق على صورة الرب ، ومن ثم كانت تتخوف من أول زوجين. ولم يتغير موقفها من البشر إلا بعد خروج آدم من الجنة(٥٩) .

خروج آدم من الجنة

وكانت الحية من أبرز الحيوانات ، فكانت لديها خواص شديدة التميز ، بل كانت تشبه البشر فى بعضها. وكانت الحية تقف على قدميها مثل بنى البشر ، كما كانت فى طول الجمل. ولولا خروج آدم من الجنة الذى كان له نتائج وخيمة على الحيوانات لكان

بوسع زوج واحد من الحية القيام بكل المهام اللازمة للإنسان وتزويده بالفضة والذهب والمجوهرات. وفي حقيقة الأمر فقد جلبت القدرات التي تمتعت بها الحية الدمار للإنسان ولجنسها. وقد تسببت قدراتها العقلية المميزة في أنها أصبحت ملحدة بل وتغار من الإنسان وبالأخص علاقاته الزوجية. وحينما تملكت الغيرة من الأفعى حرصت على اتباع كافة الطرق والوسائل لجلب الموت إلى آدم(٦٠) . وكانت الحية ملمة بطبيعة البشر ووسائل إقناعهم والتأثير عليهم ، ولهذا اقتربت من المرأة لعلمها أنه من السهل خداعها. وقد خططت الأفعى بمكر لحديثها مع حواء ، ومن هنا كان سقوطها في الفخ أمرًا مؤكدًا. وبدأت الحية حديثها متسائلة : " أحقا أن الرب قال إنك لن تأكلي من أية شجرة بالجنة ؟ " فأجابتها حواء : " يمكننا تناول ثمار كافة أشجار الجنة إلا تلك التي تقع بوسطها ، ولا يحق لنا حتى المساس بها وإلا سنموت " . وتحدثت حواء على هذا النحو نظرًا لأن آدم كان قد منعها من فرط حرصه على عدم التعدي على الأمر الإلهي من المساس بالشجرة في حين أن الرب حرم عليه تناول ثمارها فقط. ويتضح من هنا أن مغالاة آدم هي التي أتاحت للحية فرصة إقناع حواء بتناول ثمرة الشجرة . وكانت الحية أقنعت حواء بتناول ثمرة الشجرة بقولها : " ألا ترين أن المساس بالشجرة لم يعرضني للموت ، ولن يمسك الضرر إذا تناولت ثمرة الشجرة . إن هذا التحريم لم ينبع إلا من حقد الرب خاصة أنه إذا تناولت هذه الثمرة ستصيرين كالرب. وكما أن الرب يخلق ويدمر فإنه سيصير بمقدورك الخلق والتدمير. وكما أن الرب يحيي ويميت سيصير في إمكانك أن تميتي وتحيي(٦١) . وقد تناول الرب في البدء ثمرة الشجرة وقام بعدها بخلق العالم ، ولهذا حرم عليك تناولها خشية أن تخلقي عوالم أخرى . ومن المعروف أن الصناع يكرهون بعضهم بعضا. وعلاوة على هذا ألم تلاحظي أن كل مخلوق من المخلوقات يملك السطوة والنفوذ على المخلوق السابق له فقد خُلقت السموات في يوم الخلق الأول غير أنها لم تبق في مكانها إلا بفضل قبة السماء التي خلقت في يوم الخلق الثاني، كما أن هذه القبة تحكمها النباتات التي خُلقت يوم الخلق الثالث إذ تأخذ هذه النباتات كل ما تحتاجه من المياه من هذه القبة ، أما الشمس وسائر نجوم السماء والتي خُلقت يوم الخلق الرابع فلها السطوة والنفوذ على عالم النباتات التي لا تنمو إلا بفضل ما للشمس من تأثير، أما عالم الحيوان الذي خُلق يوم الخلق الخامس فله السطوة على عالم السماء فيمكن لطائر " الزيز " أن يحجب

بجناحيه أشعة الشمس، أما أنت وآدم فأنتما أسياد الخلق لأنكما آخر من خلق. أسرعى الآن يا حواء وتناولى ثمرة الشجرة الواقعة وسط الجنة لتكونى مستقلة عن الرب خشية أن يخلق مخلوقات أخرى يكون لها السطوة عليك "(٦٢) .

وحتى تثبت الحية صدق ما تقول بدأت فى هز الشجرة بعنف مسقطةً ثمارها وأكلت منها قائلة : "طالما أنى لم أمت بعد تناول ثمار الشجرة فإنك لن تموتى أيضًا" . وعندئذ حدثت حواء نفسها قائلة : "إن سيدى آدم لم يأمرنى إلا بمجموعة من الأكاذيب" وقررت أن تتبع نصيحة الحية(٦٣) . ومع هذا لم يمكنها أن تعصى أمر الرب كلية فأكلت فى البدء قشرة الثمرة . وحينما رأت أن الموت لم يحل بها أكلت الثمرة ذاتها(٦٤) ، وفور أن فرغت من تناول الثمرة شاهدت ملاك الموت . وحينما أدركت أن نهايتها ستأتى فى التو قررت أن يتناول آدم الثمرة المحرمة خشية أن يتزوج امرأة أخرى بعد وفاتها(٦٥) ومن هنا أخذت فى البكاء والنواح لتقنع آدم بأن يتخذ الخطوة ذاتها. وعلاوة على هذا فقد أعطت الثمرة إلى كل الكائنات الحية حتى تلقى المصير ذاته(٦٦) . وتناولت كل الكائنات الثمرة ذاتها وهكذا أصبحت عرضة للموت ، ولم يُستثن من هذا القدر سوى طائر " ملحم " الذى رفض تناول الثمرة قائلاً : " ألا يكفى أنك عصيت الرب وجلبت الموت للآخرين؟ وهل لزام عليك أن تقنعينى بعصيان الرب ؟ ولكنى لن أستجيب لك وعندئذ خرج صوت من السماء مناديًا آدم وحواء : " لقد تلقيتما الأمر ولم تصغيا إليه بل وعصيتما الأمر وحاولتما إغواء طائر " ملحم " الذى تمسك بالأمر الإلهى واتقانى رغم أنه لم يتلق منى الأمر . ولذلك لن يموت إلى الأبد ، وسيظل حيا إلى الأبد بالجنة"(٦٧) .

وحدث آدم حواء متسائلاً : " هل أعطيتنى ثمرة الشجرة التى نهانا الرب عن تناولها ؟ " فأجابته حواء: " نعم"(٦٨) .

وكانت النتيجة الأولى للعصيان أنهما أصبحا عريانين إذ كان جسداهما قبل العصيان تغطيهما جلود شنة ويحيطهما غمام المجد ، ومن هنا فقد سقط عنهما هذا المجد فور ارتكابهما للمعصية ، ووقفا عريانين يملؤهما الخزى(٦٩) . وقد حاول آدم جمع بعض أوراق الشجر ليغطى جسده غير أنه سمع الشجر يحدث بعضه البعض قائلاً : "ها هو اللص الذى عصى الرب. يجب ألا يمسنا بيده وألا يأخذ أوراقنا. ولم توافق

سوى شجرة التين على منحه أوراقها لأن التين كان هو الثمرة المحرمة . وعاش آدم على هذا النحو تجربة ذلك الأمير الذى أغوى واحدة من الخدم بالقصر. وحينما طرده والده الملك من القصر لم يجد مأوى إلا لدى من كانت ساعدته(٧٠) .

العقـــاب

ولم يتراء الرب لآدم طيلة الوقت الذى كان فيه عارياً والذى كان يبحث فيه عن وسيلة للتخلص من خجله ، ولم يتراء الرب له آنذاك لأنه يتعين على المرء ألا يرى أخاه فى لحظات خزيه ، فانتظر الرب حتى تمكن آدم وحواء من تغطية أنفسهما بأوراق التين(٧١) . غير أن آدم كان يعلم قبل أن يحدثه الرب ما ينتظره خاصة بعد أن سمع الملائكة تعلن : " إن الرب سيتوجه إلى من يقيمون بالجنة " . وكان قد سمع الملائكة تحدث بعضها بعضا عن خروجه من الجنة بل وسمع ما قالته الملائكة للرب. وقد حدثت الملائكة الرب مندهشة : " أما زال آدم يسير فى الجنة ؟ ألم يمت بعد ؟ " فحدث الرب الملائكة : " أخبرت آدم أنك ستموت فى اليوم الذى ستتناول فيه ثمار الشجرة غير أنكم لا تعرفون ما أعنيه بلفظة يوم فيومى يبلغ ألف عام من أيامكم ، وسأعطيه يوماً من أيامى فيحيا تسعمائة وثلاثين عاماً ، ويترك سبعين عاماً لنسله"(٧٢) .

وحينما شعر آدم وحواء بمجىء الرب اختفيا وسط الأشجار ، الأمر الذى لم يكن ممكنًا قبل ارتكابهما للخطيئة . إذ كان طول آدم ممتداً من السماء إلى الأرض غير أن طوله أصبح بعد الخطيئة مائة ذراع(٧٣) . وكان من بين تبعات الخطيئة ذلك الخوف الذى تملك آدم عند سماع صوت الرب فى حين أن صوته لم يربكه قبل ارتكاب الخطيئة(٧٤). وحينما قال آدم : "تملكنى الخوف عند سماع صوتك بالجنة" أجاب الرب : " لم تكن خائفًا فيما مضى وأصبحت الآن خائفًا "(٧٥) .

وتجنب الرب فى البدء توبيخ آدم فاكتفى بالوقوف لدى بوابة الجنة سائلاً آدم : "أين أنت ؟ " وابتغى الله أن يعلم الإنسان على هذا النحو أسس السلوك القويم بعدم دخول المرء منزل أخيه دون أن ينبئه بذاته(٧٦) . ولا يمكننا تجاهل أن الجملة الاستفهامية " أين أنت ؟ " محملة بالمعانى فالغرض منها لفت انتباه آدم إلى الفرق

الشاسع بين حالته الحالية وحالته السابقة أى بين حالته الخارقة السابقة وحالته الهزيلة الآنية وبين الحالة التى كان الرب يرعاه فيها والحالة التى أصبح فيها خاضعًا للحية(٧٧) .
وأراد الرب فى الحين ذاته أن يهب آدم فرصة التوبة والتمتع بالتالى بالمغفرة غير أن آدم كان بعيدًا كل البعد عن المغفرة إذ لم يتوقف عن التجديف على الذات الإلهية(٧٨) .
وحينما سأله الرب : " ألم تأكل من الشجرة التى نهيتك عن الأكل منها ؟ " لم يعترف آدم بخطيئته وحاول أن يبرر ما فعله قائلاً : " يارب العالمين حينما كنت بمفردى لم أرتكب المعصية غير أن هذه المرأة أتتنى وأغوتنى" . فأجاب الرب : "وهبتها لك لتساعدك ولست معترفًا بالفضل عند اتهامك لها بأنها أطعمتك من الشجرة ، وكان يجب ألا تطيعها لأنك السيد وليست هى بالسيد(٧٩) . وكان الرب العليم يعرف ما سيحدث ، ولم يخلق الرب حواء إلا بعد أن طلب منه آدم خلق رفيق له حتى لا يكون لديه ما يدعوه لإلقاء اللوم على الرب لخلق حواء(٨٠) .

وكما حاول آدم تبرئة نفسه مما فعل فقد حاولت حواء تبرئة نفسها فلم تعترف مثل زوجها بالذنب ، ولم تطلب المغفرة رغم أنه كان من الممكن أن تُمنح المغفرة(٨١) .
ولرحمة الرب لم يكتب الهلاك على نسل آدم وحواء. أما الحية فقد أحل الرب عليها اللعنة دون أن يسمع دفاعها لأن الحية بطبيعتها شريرة فضلاً عن أن الأشرار يجيدون الجدل. ولو كان الرب سألها لقالت: " لقد أعطيتهم الأمر ولم أنقضه. ولماذا أطاعونى ولم يطيعوك"(٨٢) ؟ ولم يدخل الرب من هنا فى أى جدل مع الأفعى وحكم عليها بالعقوبات العشر التالية وهى : إغلاق فمها، وسلبها القدرة على الكلام ، وتقطيع يديها وقدميها ، وإطعامها من تراب الأرض ، وتعرضها للعناء عند انسلاخ جلدها ، وتكريس العداء بينها وبين البشر ، وتحول كل الأطعمة والسوائل إلى تراب فى فمها ، واستغراق فترة حملها إلى سبع سنوات ، وسعى الإنسان إلى قتلها أينما لمحها حتى لو كانت فى العالم الآخر الذى ستنعم فيه كل الكائنات بالاستقرار وتعرضها للعقاب، واختفاؤها من الأرض المقدسة فى حالة إذا ما اتبع شعب إسرائيل وصايا الرب(٨٣) .

وعلاوة على هذا ، فقد حدث الرب الأفعى قائلاً : " خلقتك لتكونى سيدة كل الحيوانات والمواشى والبهائم غير أنك لم تشعرى بالرضا ولذا فإن اللعنة التى ستحل عليك تفوق معاناة كل الحيوانات . ولقد خلقتك منتصبة القامة ولم تشعرى بالرضا ،

ولذا فإنك ستسيرين على بطنك ، وخلقتك لتأكلى الأطعمة نفسها التى يتناولها البشر ، ولكنك لم تشعرى بالرضا ولذلك فإنك ستأكلين طيلة حياتك التراب. لقد سعيت لجلب الموت لآدم لتقترنى بزوجته ، ولذا سأقيم العداء بينك وبين المرأة " . وحقا إن من يشتهى ما لا يستحق لا يحقق رغبته بل يفقد ما لديه .

وكانت الملائكة حاضرة عند إصدار الرب لحكمه على الأفعى خاصة أن الرب كان قد دعا مجتمع الملائكة المكون من واحد وسبعين ملاكًا ليشهدوا القرار الذى تم تكليف الملائكة بتنفيذه، وهبطت الملائكة من السماء وقطعت أيدى وأرجل الأفعى وكان عذابها شديدًا وارتفع صراخها فى كل أرجاء المعمورة[٨٤] .

وتكون الحكم الصادر على حواء من عشر لعنات لا زلنا نتلمس صداها حتى يومنا هذا فى حالتها البدنية والنفسية والاجتماعية[٨٥] . ولم يخبر الرب حواء بهذا الحكم إذ إنه لجأ فى حواره معها إلى مفسر ومترجم[٨٦] خاصة أن الرب لم يحدث امرأة على هذا النحو إلا سارة .

أما العقاب الذى حل بآدم فقد كان عشرة أضعاف العقاب الذى حل بحواء، ففقد آدم ملابسه السماوية بعد أن خلعها الرب عنه ، وقُدر عليه أن يكد ليجد طعامه يوميا ، وأن يتحول الطعام الذى يتناوله من جيد إلى سيئ ، وأن يرتحل أبناؤه من أرض إلى أرض ، وأن يتصبب جسده عرقًا ، وأن تتملكه الميول الشريرة ، وأن يصبح جسده عند الموت فريسة للحشرات، وأن تكون الحيوانات أكثر قوة وبأسًا مقارنة به ، وأن تكون أيامه قصيرة ومليئة بالمشكلات ، وأن يقدم فى النهاية حسابًا عما قام به على وجه الأرض[٨٧] .

ولم يقتصر العقاب على هؤلاء المذنبين الثلاثة فلم تكن الأرض أفضل حالاً فقد ارتكبت العديد من الشرور والمعاصى كان أولها أنها لم تصغ للأمر الإلهى الذى تلقته ثالث أيام الخلق بشأن إخراج " شجرة الفاكهة " . كان الرب يبتغى وجود شجرة يكون مذاق أعوادها كمذاق الفاكهة غير أن الأرض أنبتت شجرة تحمل فاكهة ليست للأكل[٨٨] .

كما أن الأرض لم تقم بما كان يتعين عليها القيام به تجاه خطيئة آدم . وكان الرب قد كلف الشمس والأرض بأن يشهدا ضد آدم عند ارتكابه لأية معصية ، ومن ثم فقد أضحت الشمس كتلة من الظلام فور ارتكاب آدم للمعصية غير أن الأرض غضت الطرف رغم علمها بعصيان آدم[٨٩] . وقدرت على الأرض عقوبات عشرة فبعد أن كانت الأرض مستقلة أصبحت تُروى بالأمطار ، كما أن الحبوب التى تخرجها تتعرض للعواصف والعفن ، ويتعين عليها أن تخرج كافة أنواع الحشرات المؤذية. وقُدر عليها منذ ذلك الحين فصاعداً أن تنقسم إلى وديان وجبال وأن تخرج شجراً أجدب لا يخرج منه سوى الشوك الذى ينتشر فى الأرض ولا فائدة منه . وستكشف الأرض عن دمها ولن يداويها أحد ، وستأخذ ذات يوم من الشمع ثوباً[٩٠] .

وحينما سمع آدم كلمات الرب " إن الأرض لن تجلب سوى الشوك " تفصد وجهه عرقًا وصاح قائلاً : " هل سآكل أنا والقطيع الطعام نفسه ؟ " غير أن الرب قال : "ستأكل الخبز بعرق وجهك "[٩١] .

ولم تكن الأرض فقط هى التى عانت ما ارتكبه آدم من معصية إذ قُدر على القمر أيضًا العناء ، فحينما أغوت الأفعى آدم وحواء وشاهدتهما عريانين فقد انفجر فى البكاء وشاركتهما فى النحيب السموات والشمس والنجوم وكل المخلوقات الواقعة تحت العرش. وتألمت الملائكة وكل كائنات السماء للمعصية بينما ضحك القمر مما أغضب الرب وجعله يحجب ضوءه. وبعد أن كان القمر مضيئًا طيلة الوقت مثل الشمس فقد شاخ سريعًا وأصبح عليه أن يولد مراراً وتكراراً[٩٢] .

وقد أغضب موقف القمر القاسى الرب ليس فقط لغلظته فى مقابل الرحمة التى اتصفت بها كافة المخلوقات ولكن لأن الرب أحس بالشفقة والرثاء على آدم وزوجه، فألبسهما الرب من الجلد الذى نزعه عن الأفعى[٩٣]. وكان يمكنه القيام بأكثر من هذا ، فكان يمكنه السماح لهما بالبقاء فى الجنة لو تابا عما فعلاه ولكنهما رفضا التوبة ؛ ومن ثم فقد كان عليهما الخروج من الجنة حتى لا يستغلا فهمهما وحكمتهما شبه الإلهية فى نهب شجرة الحياة وأن يحيا إلى الأبد. وحينما طردهما الرب من الجنة لم يطبق عليهما معيار الحكم الإلهى كلية إذ دمج هذا الحكم برحمته، وعند خروجهما ذكر الرب: "من المؤسف أن آدم لم يتمكن من احترام الأمر الذى كُلف به حتى لفترة وجيزة".

وكلف الرب الملائكة بالوقوف على أبواب الجنة لحراستها ، ودعا أيضًا سيف اللهيب لحراستها خاصة أنه من الممكن أن تغير الملائكة هيئتها من حالة إلى أخرى(٩٤) . وبدلاً من شجرة الحياة فقد وهب الرب آدم التوراة التى تعد شبيهة بشجرة الحياة ، ودعاه إلى الإمساك بها ، وسُمح لها بالاستقرار بجوار شرق الجنة(٩٥) ، وبعد أن صدر الحكم الإلهى على آدم وحواء والأفعى أمر الرب الملائكة بإخراج آدم وحواء من الجنة فانتابتهما موجة من البكاء والدعاء فأشفقت عليهما الملائكة ولم تنفذ الأمر الإلهى فى انتظار مطالبة الرب بالتخفيف من سطوة حكمه . وقد كان من المتعذر إقناعه إذ قال : "هل أنا الذى أخطأت وأصدرت حكمًا خاطئًا ؟" ولم يستجب الرب أيضًا لصلاة آدم التى طلب خلالها الحصول على ثمرة شجرة الحياة غير أن الرب وعده بالحصول عليها يوم البعث وأنه سيعيش إلى الأبد شريطة أن يسلك مسالك الصديقين .

وعاود آدم البكاء بعد أن شعر أن الرب اتخذ قرارًا لا رجعة فيه ، فتوسل إلى الملائكة لتمنحه فرصة أخذ بعض التوابل طيبة العطر من الجنة عساه أن يقدمها إلى الرب عند خروجه من الجنة وحتى يستجيب الرب إلى صلواته ،وتوجهت الملائكة إلى الرب قائلة : " يا من لك الملك دومًا كلفنا بإعطاء آدم التوابل طيبة العطر التى يبتغى جمعها من الجنة " فاستجاب الرب إلى دعائها . ومن هنا جمع آدم الزعفران ونبات الطيب ، والأقورون والقرفة ، وكافة أنواع الحبوب اللازمة لمعيشته . وترك آدم وحواء الجنة محملين بكل هذه الأشياء ، وهبطا إلى الأرض(٩٦) .

وكان آدم وحواء قد نعما ببهاء الجنة لفترة وجيزة لا تتعدى بضع ساعات. وقد حسم الرب فى الساعة الأولى من يوم الخلق السادس فكرة خلق الإنسان ، واستشار خلال الساعة الثانية الملائكة فى خلقه ، وجمع فى الثالثة التراب لخلقه ، وشكل آدم فى الرابعة ، وكساه باللحم فى الخامسة ، واكتمل فى الساعة السادسة شكل الإنسان الذى لم تكن دبت فيه الروح بعد ، وكان بمقدور الإنسان عندئذ الوقوف منتصب القامة، ونفخ الرب فيه فى الساعة السابعة الروح . وفى الثامنة تم وضع الإنسان فى الجنة ، وصدر فى التاسعة الأمر الإلهى الذى حرم تناول آدم لثمرة الشجرة الواقعة وسط الجنة . وتجاوز آدم فى العاشرة الأمر الإلهى وعوقب فى الحادية عشرة ، وطُرد من الجنة فى الساعة الثانية عشرة تكفيرًا لما اقترفه من ذنب .

ووافق اليوم الأخير لآدم فى الجنة أول أيام شهر تشرين ، ومن هنا قال الرب لآدم : " ستكون النموذج الأعلى لنسلك . وكما حكمت عليك وغفرت لك فسأحاكم أبناء إسرائيل وأغفر لهم فى يوم رأس السنة الذى يحل فى بدايات شهر تشرين "(٩٧) .

وأسفر كل يوم من أيام الخلق السبعة عن ثلاثة أشياء ، فأسفر اليوم الأول عن خلق السموات والأرض والنور ، والثانى عن جلد السماء وجهنم والملائكة ، والثالث عن الأشجار والعشب والجنة ، والرابع عن الشمس والقمر والنجوم ، والخامس عن الأسماك والطيور و" اللوياثان " . وحينما اعتزم الرب أن يخلد إلى الراحة فى اليوم السابع – أى يوم السبت – فقد كان يتعين عليه أن يعمل على نحو مضاعف فخلق فى اليوم السادس آدم وحواء وقطعان الماشية والزواحف ووحوش الحقل والعفاريت ، وكانت العفاريت قد خُلقت قبل مجىء يوم السبت ، ومن ثم فإن وجودها غير مادى إذ لم يكن لدى الرب وقت لخلق أجساد لها(٩٨) .

ومع غروب شمس اليوم السادس وشروق اليوم السابع خُلقت عشرة أشياء وهى : قوس قزح الذى لم يكن يُرى حتى مجىء نوح والمن وينابيع الماء التى شرب منها بنو إسرائيل فيما بعد فى الصحراء ليطفئوا ظمأهم ، والكتابة على لوحى الشريعة اللذين تلقاهما موسى على الجبل ، والقلم الذى كُتبت به الألواح ، وفم حمارة بلعم ، وقبر موسى ، والكهف الذى آوى إليه موسى وإلياهو ، وعصا هارون بكل ما حملته من الزهور واللوز الناضج(٩٩) .

السبت فى السماء

ولم يعرف أو يسبح أحد للرب قبل خلق العالم ، ولذلك خلق الرب الملائكة والحيوانات المقدسة والسموات وما بها من جيوش ، وآدم. وخُلقت جميعها لتسبح وتمجد خالقها . ولم يكن هناك وقت مناسب خلال أسبوع الخلق لإعلان مجد الرب وبهائه والتسبيح بحمده. وفى يوم السبت وحينما تم الانتهاء من خلق كل كائنات السموات والأرض بدأت كل المخلوقات فى الإنشاد والعبادة عند اعتلاء الرب لعرشه والجلوس عليه(١٠٠) . وكان العرش الذى جلس عليه هو عرش السعادة. واستعرض عند

جلوسه على العرش كافة الملائكة مثل ملاك المياه وملاك النهار ، وملاك الجبال ، وملاك المرتفعات ، وملاك الجحيم ، وملاك الصحارى ، وملاك الشمس ، وملاك القمر ، وملاك الثريا ، وملاك الجوزاء وملاك الأعشاب ، وملاك الجنة ، وملاك جهنم ، وملاك الأشجار وملاك الزواحف ، وملاك الوحوش الكاسرة ، وملاك الحيوانات المستأنسة ، وملاك الأسماك ، وملاك الجراد ، وملاك الطيور ، ورئيس الملائكة ، وملاك كل سماء ، ورئيس ملائكة كل قسم من ملائكة السموات ، وكبير ملائكة الحيوانات المقدسة ، وكل الملائكة العظام. ووقفت كل الملائكة مبتهجة تغمرها السعادة وابتهجت ورقصت وغنت ومدت الرب بالمديح والثناء . وبدأت كبار الملائكة فى الإنشاد : " ليدوم مجد الرب إلى الأبد " . ورددت باقى الملائكة الإنشاد بقولها : " ليبتهج الرب بصنائعه " . وامتلأت السماء السابعة بالسعادة والعظمة والبهاء والقوة والفخر وأناشيد السعادة .

وأمر الرب ملاك السبت بالجلوس على عرش المجد وأحضر له رؤساء ملائكة السموات وما تحت الأرض ، وأمرهم بالرقص والإنشاد قائلاً : " إن السبت للرب " . وتم السماح لآدم بالصعود إلى السماء العليا للمشاركة فى الابتهاج بالسبت .

وحينما وهب الرب بهجة مجيء يوم السبت لكافة المخلوقات ، ولم يستثن آدم منها فقد أنهى على هذا النحو خلقه. وحينما شاهد آدم عظمة يوم السبت وروعته ومجده والبهجة التى يهبها للجميع والتى تعد مصدر كل السعادة فقد ترنم بأنشودة مدح فيها يوم السبت فسأله الرب : "أتترنم بأنشودة ليوم السبت ولا تترنم لرب السبت ؟" فنهض السبت من مقعده وسجد أمام الرب قائلاً : "ما أروع رفع التسابيح إلى الرب" ، وأضاف كل الوجود : " وما أروع الإنشاد لاسمك العالى" (١٠١) .

وكان هذا أول سبت ، وأول احتفال به فى السماء من قبل الرب والملائكة، وقد علمت الملائكة فى الحين ذاته أن شعب إسرائيل سيحتفل فى المستقبل بيوم السبت على النحو ذاته . وأخبرهم الرب بقوله : " سأدخر شعبًا من بين كل الشعوب ، وسيحترم هذا الشعب يوم السبت ، وسأجعل هذا الشعب مقدسًا، واخترت إسرائيل من بين كل الشعوب التى شاهدتها ، وسيُعرف باسم ابنى البكر ، وقدست هذا الشعب للأبد، وسيحافظ على السبت ويقدسه "(١٠٢) .

وكان ليوم السبت مغزى بالغ الخصوصية لآدم فحينما تقرر عشية السبت خروج آدم من الجنة طالبته الملائكة بالتمهل فى الخروج ، ووقف يوم السبت أمام الرب مدافعًا عن آدم بقوله : " رب العالمين لم يُقتل أحد خلال أيام الخلق الست ، وإذا بدأت الآن بذبح آدم فلن يكون هناك مغزى لقداسة ومباركة السبت " ؟

وتم إنقاذ آدم على هذا النحو من نيران الجحيم لعقابه على خطاياه ، ومن هنا نظم عرفانًا للسبت مزمورًا شكله داود فيما بعد فى مزاميره(١٠٣) .

ومُنح آدم فرصة أخرى ليتعلم ويقدر من خلالها قيمة يوم السبت ، فقد كان من المفترض أن يختفى الضوء السماوى الذى أبصر آدم من خلاله العالم من أقصاه إلى أدناه فور ارتكابه للمعصية ، غير أن الرب إجلالاً منه ليوم السبت جعل الضوء يستمر وأنشدت الملائكة مع غروب شمس اليوم السادس أنشودة للمديح والثناء على الرب لسماحه للضوء بأن يسطع طيلة المساء ، ومع مضى يوم السبت توقف الضوء السماوى عن الشعاع مما ألقى الرعب فى نفس آدم الذى تخوف من أن تهاجمه الأفعى فى الظلام غير أن الرب أضاء بصيرته فتعلم أن حك حجرين أحدهما فى الآخر يوفر من الضوء ما يحتاج(١٠٤) .

ولم يكن الضوء السماوى سوى هبة من الهبات السبع التى نعم بها آدم قبل خروجه من الجنة ، ولن ينعم الإنسان بهذا الضوء مرة أخرى إلا عند مجيء المسيح المخلص. أما باقى الهبات فهى رزانة عقله وحياته الأبدية ، وطول قامته ، وثمار التربة وثمار الشجرة ، وأضواء السماء والشمس والقمر. وسيكون ضوء القمر فى الآخرة شبيهًا بالشمس ، ويكون ضوء الشمس سبعة أضعاف ضوئها الحالى(١٠٥) .

توبة آدم

وشيد آدم وحواء عقب طردهما من الجنة كوخًا أقاما به سبعة أيام فى حالة من الألم والنواح والرثاء . ومع نهاية الأيام السبعة وبعد أن مزقهما الجوع بدآ فى البحث عن الطعام ، وهام آدم لسبعة أيام فى الأرض شمالها وجنوبها بحثًا عن أطعمة يكون

مذاقها شبيهًا بما تناوله فى الجنة غير أن جهوده ذهبت أدراج الرياح ولم يجد شيئًا .
وحدثت حواء زوجها بقولها : " سيدى إذا كان يرضيك اذبحنى فربما يعيدك الرب إلى الجنة لأن الرب غضب منك من جراء ما فعلت . " غير أن آدم رفض خطتها باشمئزاز ومضيا فى البحث عن طعام ، ومضت تسعة أيام دون أن يجدا طعاما يشبه مذاقه ما كانا يتناولانه فى الجنة ، ولم يشاهدا سوى الطعام الصالح للماشية والحيوانات.
واقترح آدم : " فلنكفر عن الذنب فربما يغفر الله لنا ويشفق علينا ويوفر لنا ما يبقينا على قيد الحياة " . وكان آدم يعلم أن حواء ليست قوية على النحو الذى يمكنها من تحمل شهوات ورغبات الجسد والتى كان يمكنه هو مقاومتها فقرر أن يكون شكل توبتها مختلفًا. فاقترح عليها قائلاً : " انهضى وتوجهى إلى نهر دجلة وقفى على حجر بأعمق نقطة بالنهر حتى تغطى المياه جسدك حتى عنقك ، ولا تتفوهى بأية كلمة فليس باستطاعتنا سوى التضرع إلى الله ففمنا غير طاهر لتناولنا ثمرة الشجرة المحرمة .
فلتبقىْ فى الماء سبعة وثلاثين يومًا" .

أما آدم فقد حكم على نفسه بالصوم لأربعين يومًا ووقف فى نهر الأردن بالطريقة نفسها التى وقفت بها حواء فى نهر دجلة ، وبعد أن وقف على الحجر الذى وضعه فى أعمق نقطة بماء النهر وغطته المياه قال : " أستحلفك يا مياه الأردن عذبينى واجمعى لدى كل الكائنات السابحة بك ، ولتجعليهم يحيطوننى ويشعرون بما ألم بى من أسى ، لا تدعيهم يلطمون صدورهم أسىً على ما ألم بى بل دعيهم يلطموننى، إنها لم تخطئ .
ويلى إنى المخطئ " . وسرعان ما أتت كل الكائنات المقيمة بالنهر ، وأحاطت به .
وتوقفت مياه الأردن منذ هذه اللحظة عن التدفق .

وأثارت توبة آدم وحواء هواجس الشيطان الذى تخوف من أن يغفر الرب خطيئتهما ، فحاول عرقلة حواء عما نوت القيام به ، فتراءى لها فى صورة ملاك بعد أن اختفى ثمانية عشر يومًا ، وظهر أمامها فى صورة من يعتصره الألم لما ألم بها وبدأ فى النحيب قائلاً : " اخرجى من النهر وتوقفى عن البكاء ، لقد سمع الرب نحيبك وقبل توبتك بعد أن توسلت كل الملائكة إليه من أجلك ، وأرسلنى إليك لأخرجك من الماء وأعطيك الطعام الذى نعمت به فى الجنة والذى من أجله تنتحبين " . ونظرًا لأن حواء

كانت منهكة من الكفارة التى كانت تقدمها للرب فقد استجابت لتوسلات الشيطان الذى قادها إلى زوجها، وحينما شاهده آدم أدرك فى الحال أنه الشيطان فصرخ باكيًا : "حواء كيف تدعى خصمك يغويك مرة أخرى ؟ إنه الذى حرمنا من السير بالجنة ومن كل بهجتها الروحية" ، فعاودها الصراخ قائلة : "الويل لك أيها الشيطان لماذا تعادينى دون سبب؟ ماذا جنيناه حتى تطاردنا على هذا النحو الماكر" ؟ فتنهد الشيطان عميقًا وقال إنه يغار من آدم لأنه سبب خروجه من الجنة وفقدان مجده وأنه صمم على إخراجه منذ هذه اللحظة .

وحينما سمع آدم اعتراف الشيطان صلى إلى الرب قائلاً : " يارب العالمين إن حياتى بيديك . أبعد عنى هذا العدو الذى يحاول أن يعرض روحى إلى الهلاك. وهبنى المجد الذى سلبه " . وقد اختفى الشيطان فى التو غير أن آدم واصل تكفيره عن ذنبه فظل واقفًا بمياه نهر الأردن أربعين يومًا(١٠٦) .

وقد لاحظ آدم خلال وقوفه بالمياه أن الأيام قد أصبحت أقصر فتخوف من أن يظلم العالم لما اقترفه من خطيئة وأن يتعرض للهلاك ، وقضى آدم ثمانية أيام بين الصلاة والصوم ليتجنب الهلاك ، ومع هذا فحينما لاحظ بعد انقضاء فصل الشتاء أن اليوم أصبح أطول قضى ثمانية أيام مبتهجًا . واحتفل فى العام التالى بمجىء فصلى الشتاء والصيف ؛ ولهذا السبب يحتفل الوثنيون بعيد الإله " ساتورن " تمجيداً لآلهتهم . هذا بالرغم من أن آدم كرس تلك الأيام احتفالاً بصنائع الرب(١٠٧) .

وحينما لاحظ آدم غروب الشمس للمرة الأولى تملكه خوف عظيم ، وحدث أن قال آدم مساء السبت : " الويل لى لقد أظلم العالم لما اقترفت من ذنب ، وسيصبح العالم خاويًا وبلا شكل، وستحل على عقوبة الموت التى أنبأنى بها الرب " . وقضى طيلة الليل يبكى ، وبادلته حواء التى جلست أمامه أيضًا الدمع، وحينما حل الفجر أدرك آدم أن ما بث الرعب فى نفسه لم يكن سوى ظاهرة من ظواهر الطبيعة فقدم حيوان أحادى القرن الذى خُلق قرنه قبل حوافره(١٠٨) قربانًا إلى الرب فى المنطقة التى شُيد عليها فيما بعد المذبح فى القدس(١٠٩) .

سفر رازيئيل

وأقام آدم بعد طرده من الجنة صلاة للرب قال فيها : " يارب العالمين خلقت كل العالم بمجد وشرف الواحد العظيم ، وفعلت ما طاب لك ، إن مملكتك قائمة إلى الأبد وحكمك وسلطانك على كل الأجيال. لا يخفى عنك شيء ولا يتخفى شيء عن عينيك ، خلقتني بيديك وجعلتني سيد كل الكائنات وعلى رأسي كل صنائعك غير أن الأفعى المتآمرة الملعونة أغوتني بشجرة الرغبة والشهوات وأغوت زوجتي. ولكنك لم تطلعني على مصير أبنائي ونسلي من بعدي . وأعلم علم اليقين أنه ليس هناك تقي أمامك ، ومن أنا حتى أقف أمامك بوجه وقح ، فأين فمي لأحدثك به ؟ وأي عين تجرؤ على المشاهدة. وقد طُردت من الجنة لمعصيتي وخطيئتي ؟ ويجب أن أحرث الأرض التي أُخذت إليها ، هذه الأرض التي يشعر من بها من سكان وحيوانات وكل من بها بالخوف مني. وقد غابت عني الحكمة وارتحلت منذ اللحظة التي أكلت فيها من شجرة معرفة الخير والشر ، والآن فإني أحمق وأصبحت لا أعرف شيئًا وجاهلاً لا أدرك شيئًا. والآن يارب يارحيم أدعوك أن تشمل برحمتك من وضعته على رأس مخلوقاتك ، والروح التي وضعتها به ، والروح التي نفختها به ، وارحمني فأنت الرحيم واجعل غضبك بطيئًا لأنك محب ، ولترتفع صلواتي إلى عرش مجدك ، وليصل تضرعي إلى عرش رحمتك ، ولتنظر إلى بمحبتك ، ولتكن كلمات فمي مقبولة لديك ولا تصرف نظرك عن تضرعي، إنك أزلي أبدي ، إنك الملك منذ قديم الزمان وإلى الأبد ، ولتشمل رحمتك صنع يدك ، هبني المعرفة والفهم حتى أعرف ما يعتريني كل يوم وشهر ، ولا تحرمني من عون عبيدك وملائكتك .

وفي اليوم الثالث وبعد أن قدم صلاته وبينما كان جالسًا على ضفاف النهر الذي يتدفق من الجنة ظهر له في منتصف النهار الملاك " رازيئيل " حاملاً كتابًا بيده ، وخاطب الملاك آدم بقوله : آدم لماذا تجلس وجلاً ومهمومًا وحزينا؟ لقد ترددت كلماتك في السماء في تو اللحظة التي تضرعت فيها إلى الله. وأخذت مهمة تعليمك كلمات طاهرة وفهما عميقا ، وأن أجعلك حكيمًا من خلال هذا الكتاب المقدس الذي أحمله وأن تعلم بالتالي ما يعتريك بالحياة حتى موتك . وسيصبح كل نسلك والأجيال اللاحقة مثلك

إذا قرأت هذا الكتاب بإخلاص وتواضع واتبعت تعاليمه، وستعلم هذه الأجيال أيضًا ما سيحل عليها كل شهر ويوم وكل ليلة ، وستتجلى لها كل الأشياء وستعلم وتفهم الكوارث التى ستحل عليها ، والمجاعات والوحوش الضارية التى تتعرض لها، وستعرف إذا ما كانت ستتعرض إلى فيضانات أم إلى مواسم جفاف ، وإذا ما كانت ستنعم بالوفرة فى الحبوب أم تتعرض للقحط وإذا ما كان الشر سيعم العالم ، والجراد سيبيد الأرض ، وإذا ما كانت الثمـــار ستتساقط من الأشجار قبــل أن يكتمل نضجها وإذا ما كانت الحروب ستعم الأرض وإذا ما كانت الأمراض والأوبئة ستنتشر بين البشر والماشية وإذا ما كان الخير أو الشر مقدرًا بالسماء ، وإذا ما كان الدم سيعم الأرض وإذا ما كان أنين الموتى سيعم المدن . والآن تقدم يا آدم وأنصت إلى ما أخبرك به عن هذا الكتاب وقداسته" .

وقرأ الملاك عندئذ من الكتاب ، وحل الرعب بآدم فور استماعه إلى كلمات الكتاب المقدس فور خروجها من فم الملاك غير أن الملاك شجعه قائلاً : انهض يا آدم . تشجع ولا تخف . خذ الكتاب منى واحفظه لأنك ستستمد المعرفة منه وستصبح حكيمًا ، وستعلم محتوياته لكل من يستحق معرفتها .

وفى اللحظة التى تناول فيها آدم الكتاب اشتعلت النيران بموقع قريب من النهر ، وصعد الملاك صوب السماء ، فعلم آدم أن من حدثه كان ملاك الرب وأن الكتاب الذى أتاه كان من الملك المقدس. واستخدم آدم هذا الكتاب لمعرفة أسرار القداسة والطهارة ، ويتضمن هذا الكتاب كل المعارف الواجب تعلمها والغيب ، ويعلم هذا الكتاب المرء كيف يمكن للبشر استدعاء الملائكة وإجابة كل التساؤلات ، ولكن لا يمكن أن يستخدم هذا الكتاب إلا الحكماء والأتقياء الذين لا خوف عليهم من خطط الأشرار والذين تتسم حياتهم بالصفاء، وحينما يرحلون عن العالم يجدون راحتهم الأبدية فى مكان لا تتواجد به الشياطين والأرواح الشريرة ، ويتم إنقاذهم من أيدى الأشرار(١١٠) .

مرض آدم

وحينما بلغ آدم من العمر تسعمائة وثلاثين عامًا ألم به المرض وأحس أن عمره يدنو من النهاية فاستدعى كل نسله وجمعهم أمام بوابة دار العبادة التى كان يصلى فيها للرب – وكان جمعهم ليباركهم – وأحست عائلته بالدهشة حينما وجدته ممددًا على فراشه لعدم معرفتها بمصدر ألمه ومعاناته[١١١] ، وتصور أفراد عائلته أنه قد سقط أسير حنينه لثمار الجنة وأنه يشعر بالإحباط لعدم وجودها، وأعلن ابنه " شيث" استعداده للذهاب إلى بوابات الجنة ليطلب من الرب تكليف أحد ملائكته بإعطائه ثمار الجنة غير أن آدم أوضح لهم أن سر عذابه يكمن فى أن عقاب الرب سيحل عليهم نتيجة لمعصيته[١١٢] . وكانت دموع آدم غزيرة وأنينه يفوق الاحتمال فقالت حواء والدمع يعتصرها : آدم أعطنى نصف ألمك وسيسعدنى احتماله. إنك تتحمل هذا العذاب من جراء ما ارتكبت ".

وكلف آدم حواء وشيث بالتوجه إلى بوابات الجنة والتوسل إلى الرب ليرحمه ، وأن يطلبا منه أن يرسل ملاكه ليحضر بعضًا من زيت الحياة الذى يتدفق من شجرة الرحمة ، وأن يعطيه إلى رسله ليرحمه ويخلصه من عذابه . وبينما كان " شيث " يسير نحو الجنة هاجمه وحش ضار فصرخت حواء قائلة للوحش : " كيف تجرؤ على وضع يدك على صور الرب؟ " فأجاب الوحش : " إنه خطؤك . لو لم تفتحى فمك لتناول الثمرة المحرمة لما كان فمى فُتح لتدمير إنسان . واحتج " شيث " قائلاً : " كف عن الحديث والمساس بصورة الرب حتى يوم الحساب . فابتعد الوحش وقال : سأتجنب صورة الرب ، ثم انسل فى الخفاء[١١٣] .

وعند وصولهما إلى بوابات الجنة بدأت حواء وشيث فى النحيب ، وتوسلا إلى الرب أن يهبهما الزيت المتدفق من شجرة رحمته ، وتضرعا له لساعات طوال، وظهر كبير الملائكة ميخائيل فى النهاية وأخبرهما أن الرب بعثه ليخبرهما أنه لن يمنحهما ما يتضرعان من أجله ، وأن آدم سيموت فى غضون بضعة أيام لأن الموت كُتب عليه هو ونسله وأن زيت الحياة سيُمنح يوم البعث فقط للأتقياء الذين سينعمون بكل نعم ومشتهيات الجنة[١١٤] .

وعـادت حـواء وشـيث وأخـبـرا آدم بقـدره المحـتـوم فـقـال آدم لحـواء : " أية نكبـة أنزلتـهـا بنـا حـينمـا فـجـرت الغـضب العظيم . انظرى : لقد أصـبح الموت قـدرنا. ادعى أبناءنا وأحـفـادنا وأخبريهم بـخطيئتنا. وبينمـا تمدد آدم على فراش الألم قصت حواء قصة خروجهما من الجنة "[١١٥] .

قصة حواء عن الخروج من الجنة

بعد أن خُلقت قسم الرب الجنة وكل المخلوقات بين آدم وبينى ، فقد خصص لآدم شرقـى وشمـالى الجنة كمـا خـصص له ذكور الحيوانات. أما أنا فقد كنت سيدة الغرب والجنوب وإناث الحـيـوانات. وقرر الشـيطان الذى كان يشـعر بـالخزى والعار لفصله من عـالم مـلائكة السـمـاء[١١٦] أن يجلب الدمـار وأن ينتـقم لفـشله فـتـمكن من أن يسـتـمـيل الأفـعى إلى جانبه وأوعز إليـهـا أن الحيوانات نعمت قبل خلق آدم بكل مـا كان ينمو فى الجنة غير أن طعامها أصبح بعد خلقه قاصراً على الأعشاب ، ومن هنا فإن إخراج آدم من الجنة سـيـصبح فى صـالح الجمـيع. وانتـابت الأفـعى حالة من التردد لخشيـتـهـا من غضب الرب غيـر أن الشـيـطان هدأ مـخـاوفـهـا قـائـلاً : لقد أصـبـحت أداة فى يدى[١١٧] وسـأتحـدث علـى لسـانـك ، وهكذا سـتـنـجـحـيـن فى إغـواء الإنـسـان" .

ولذلك خـرجت الأفـعى من الجـدار المحيط بـالجنة لتكمل حـديثـهـا مـعـى من خـارج الجنة . وقد حـدث هذا فى اللحظة نفسـهـا التى لجأ فيـهـا الملاكان اللذان كانا يوفـران الحـماية لى إلى السموات لعبادة الرب : ولذا كنت وحـيـدة. وحـينمـا تراءى الشـيطان فى صـورة ملاك واقترب من جدار الجنة مرتلاً بعض التسابيح خُدعت إذ تصـورت أنه ملاك حقًا. ودار حوار بينى وبين الشيطان عبر الأفعى كان نصه كالتالى :

- هل أنت حواء ؟
- نعم .
- ماذا تفعلين بالجنة ؟
- وضعنا الرب بها لزراعتها وأكل ثمارها .

- حسنًا. غير أنك لا تأكلين من كل الأشجار .

- إننا نتناول ثمار كل الأشجار باستثناء تلك الشجرة الواقعة وسط الجنة ، ولقد حرم الله تناول ثمارها وإلا سنتعرض للموت .

وبذلت الأفعى كل الجهود الممكنة لإقناعي أنه ليس هناك ما يدعو للخوف وأن الله علم أني وآدم سنصبح مثله عند تناول ثمار الشجرة ، ومن ثم فإن الحقد هو الذى دفعه لقول : لا تأكلا من هذه الشجرة(١١٨) . ورغم كل الجهود التى بذلتها الأفعى ظلت صامدة رافضة المساس بالشجرة. وتمكنت الأفعى من أن تقطف ثمرة لى ، ولذا فتحت بوابة الجنة وتسللت الأفعى إليها. وفور دخولها قالت : أعتذر عما قلت ولن أعطيك ثمرة الشجرة المحرمة . ولم تكن هذه سوى وسيلة دنيئة لإغوائى ، ووافقت الأفعى على أن تعطينى ثمرة الشجرة بعد أن أدعو زوجى آدم ليتناولها، وجعلتنى الأفعى أردد القسم التالى : أقسم بعرش الرب والملائكة وشجرة الحياة أن أعطى زوجى هذه الثمرة وأجعله يتناولها ، وصعدت الأفعى - فيما بعد - الشجرة وبث فيها سمها فبثت سم النزعات الشريرة بداخل الثمرة(١١٩) ، وأنزلت الغصن الذى تنمو عليه إلى الأرض، وحينما أمسكت الغصن علمت فى التو أن الطهارة التى كنت أتدثر بها(١٢٠) رحلت عنى فبدأت فى النواح لما حل بى وللقسم الذى أجبرتنى الأفعى على تأديته .

واختفت الأفعى عن الشجرة فى الوقت الذى كنت أفتش فيه عن أوراق شجر لتغطية عريي غير أن الأشجار التى كانت فى متناول يدى أسقطت أوراقها فى اللحظة نفسها التى أكلت فيها من الثمرة المحرمة(١٢١) ، ولم تحافظ سوى شجرة التين على أوراقها ، وكانت هذه هى الشجرة التى حُرمت من تناول ثمارها(١٢٢) . ودعوت آدم بعد أن نطقت بالكثير من كلمات الكفر لتناول الثمرة ، وأدرك آدم فور تناول الثمرة حقيقة ما آل إليه حاله فاتهمنى قائلاً : أيتها المرأة الشريرة ماذا أنزلت بى ؟ لقد أبعدتنى عن بهاء الرب .

وسمعت أنا وآدم فى الحين ذاته كبير الملائكة ميخائيل(١٢٣) ينفخ فى البوق ، وكانت كل الملائكة تصرخ . قال الرب : هلموا إلى الجنة وأصغوا إلى الحكم الذى سأصدره على آدم(١٢٤) . وتخفينا لخوفنا من حكم الرب. وظهر الرب فى الجنة

جالسًا فى مركبته التى كانت تجرها الملائكة ، وكانت الملائكة تحيط به وتسبح له ، ومع دخوله الجنة أينعت الأشجار بعد أن كانت قد أسقطت أوراقها[١٢٥] ، وكان عرشه مشيداً على شجرة الحياة. وخاطب الرب آدم قائلاً : آدم أين تتخفى ؟ هل تعتقد أنه لا يمكننى العثور عليك ؟ وهل يمكن أن يتخفى المنزل عن صانعه[١٢٦] ؟

وحاول آدم إلقاء اللوم على خاصة أنى كنت وعدته بأن أحميه أمام الرب ، واتهمت بدورى الأفعى غير أن الرب أصدر حكمه العادل على ثلاثتنا فقال لآدم : طالما أنك لم تطع أوامرى وأنصت إلى صوت زوجك فملعونة الأرض رغم كل ما تفعله بها . وعند زراعتك الأرض لن تهبك غلتها ، ولن تمنحك سوى الشوك، وستتناول خبزك بعرق وجهك . وستواجه الصعاب وستكبر ضجراً ولن تجد راحة ، ولن تذوق الطيب ، وسيضربك الحر ، وستذبل من البرد، وستكدح كثيراً ولن تجنى شيئًا. وستتمرد عليك الحيوانات التى تفرض سيطرتك عليها لأنك لم تحفظ أوامرى"[١٢٧] .

وكان الحكم الذى أصدره الرب على كالتالى : " ستتعرضين إلى ألم وعذاب شديدين فى الولادة، وسيعتصرك الألم عند الولادة ، وحينما ستكونين قاب قوسين أو أدنى من الموت ستصرخين قائلة : ربى أنقذنى ولن أشتهى المتع الحسية ، ولن تتحقق متعتك إلا بزوجك[١٢٨] .

وتضمن الحكم الإلهى إنزال كافة الأمراض علينا فقال الرب لآدم : سأنزل عليك سبعين وباء لتخليك عن عهدى، وسيحل الوباء الأول على عينيك والثانى على سمعك ، وستحل عليك الأوبئة الواحد تلو الآخر[١٢٩] .

أما الأفعى فخاطبها الرب قائلاً : لأنك أصبحت وعاءً للشر[١٣٠] وتخادعين الأبرياء فإنك ملعونة أكثر من كل حيوانات الأرض وستحرمين من الأطعمة التى كنت تأكلينها ، وستأكلين طيلة أيام حياتك التراب ، وستسيرين على صدرك وبطنك ، وستُحرمين من يديك وقدميك وأذنيك وجناحيك وأطرافك التى أغويت بها حواء وزوجها ودفعتهما إلى المعصية والخروج من الجنة، وسيدوم العداء بينك وبين نسل البشر، ولن يتوقف البشر عن ضرب رأسك حتى يوم الحساب[١٣١] .

موت آدم

وقالت حواء لآدم في يومه الأخير على وجه الأرض : ولماذا أحيا بعد رحيلك؟ وكم سأقضى من الوقت بعد موتك ؟ أخبرنى . وطمأنها آدم بأنها لن تعيش طويلاً وأنهما سيموتان ويُدفنان معًا فى المكان ذاته، وأمرها ألا تلمس جسده حتى يقوم ملاك الرب باتخاذ التدابير اللازمة ، وأن تبدأ فى الصلاة إلى الرب فى الحال حتى تخرج الروح من جسده .

وبينما جلست حواء على ركبتيها أثناء تأدية الصلاة(١٣٢) أتاها ملاك الرب وأمرها بالنهوض قائلاً : انهضى وتوقفى عن الكفارة ، تنبهى لقد خرج زوجك من حالة الاضطراب المميت ، انهضى وشاهدى روحه وهى تصعد إلى خالقها للوقوف أمامه " . انظرى إلى هذه المركبة التى يغمرها الضوء والتى تجذبها أربعة نسور مشعة وتسبقها الملائكة ، إن روح آدم ترقد بهذه المركبة التى تصحبها الملائكة إلى السماء ، ومع وصولها فإن الملائكة تحرق البخور حتى تغلف سحب الدخان السماء ، وتصلى الملائكة إلى الرب طلبًا للمغفرة على صورته وصنع يديه .

وحينما سيطر الرعب والخوف على حواء دعت ولدها " شيث " وأمرته بمشاهدة ما رأت وأن يفسر لها المشاهد السماوية التى تعجز عن فهمها فسألته : من هذان الزنجيان اللذان يصليان لوالدك ؟ فأخبرها أنهما الشمس والقمر وأنهما عجزا عن الإضاءة أمام خالق الضوء(١٣٣) . وبمجرد أن أنهى شيث حديثه نفخ أحد الملائكة البوق وصرخت كل الملائكة قائلة : تبارك مجد الرب الذى رحم آدم صنع يديه . وأحاط ملاك ممن ينتمون إلى طبقة " الساروفيم " من الملائكة بآدم ونقله إلى نهر " أشيرون " وغسله ثلاث مرات وأحضره إلى الرب الذى مد يده بعد أن جلس إلى عرشه ورفع آدم إلى كبير الملائكة ميخائيل قائلاً : ارفعه إلى جنة السماء الثالثة واتركه هناك حتى يوم الحساب . ونفذ الملاك ميخائيل الأمر الإلهى وأنشدت كل الملائكة أنشودة أثنت فيها على الرب لمغفرته لآدم .

وتوسل ميخائيل للرب ليسمح له بحضور إعداد جسد آدم للقبر ، وبعد أن وافق الرب توجه ميخائيل بصحبة كل الملائكة إلى الأرض، وعند دخولهم إلى الفردوس

الأرضى أينعت كل الأشجار وفاحت عطورها الزكية مما أدخل البشرية جمعاء فى حالة من الهدوء والسكينة . وحينما كان جسد آدم مسجى على الأرض حدثه الرب : فلتعلم أنى سأحول بهجة الشيطان ورفاقه إلى أسى ، وسيتحول أساك إلى متعة وسأعيد إليك مجدك فستجلس فوق عرش من أغواك . وستكون الأفعى ملعونة وكل من يصغى إليها[١٣٤] .

وبناء على أمر الرب غطت كبار الملائكة فيما بعد جسد آدم بالكتان[١٣٥]، وسكبت عليه زيتًا طيب الرائحة ، ودفنت على النحو ذاته جسد هابيل الذى لم يُدفن منذ أن قتله قابيل إذ إن كل الجهود التى بذلها القتلة لإخفائه ذهبت هباء ، فكانت جثته تخرج مرارًا وتكرارًامن الأرض لتصرخ قائلة : لن ينعم مخلوق بالهدوء فى الأرض حتى يعيد أول من خُلق إلى جسدى التراب الذى تشكل منه[١٣٦] .

وحملت الملائكة جسدى آدم وهابيل إلى الجنة ، وكان جسد هابيل طيلة هذا الوقت قابعًا على حجر كانت الملائكة قد وضعته ، ودفنتهما الملائكة فى البقعة التى أخذ الرب منها التراب لصنع آدم[١٣٧] .

ونادى الرب جسد آدم قائلاً : آدم آدم " ، وأجاب الجسد قائلاً : ربى إنى هنا " ، فقال الرب : قلت لك مرة إنك من تراب وستعود إلى التراب وأعدك الآن بالبعث ، وسأوقظك يوم الحساب الذى ستنهض فيه كل الأجيال التى ستخرج من صلبك . وغلق الرب القبر حتى لا يمسه أحد بسوء خلال الأيام الستة التالية وحتى يسترد ضلعه بعد موت حواء[١٣٨] .

موت حواء

وقضت حواء المدة الواقعة بين رحيل آدم ورحيلها فى النحيب ، وكان ما يؤلمها على وجه الخصوص أنها لم تعرف ما صار إليه جسد آدم خاصة أن " شيث " هو الوحيد الذى كان مستيقظًا عند دفن الملاك لآدم . وحينما دنت ساعتها دعت الرب أن تُدفن فى البقعة ذاتها التى يوجد بها زوجها. وصلت إلى الله قائلة : رب كل القدرات

لا تبعد خادمتك عن جسد آدم الذى أخذتنى منه والذى شكلتنى من أطرافه . دعنى أسكن بمسكنه رغم أنى امرأة مذنبة . وكما كنا معًا فى الجنة غير منفصلين ، وكما تعرضنا إلى الغواية للتمرد على شريعتك لا تفصلنا الآن عن بعضنا . وفى نهاية صلاتها رفعت عينيها إلى السماء وطلبت من الرب : رب العالمين اقبض روحى . وأسلمت روحها إلى الرب .

وأتى كبير الملائكة ميخائيل وعلم " شيث " كيف يعد حواء للدفن ، وهبطت ثلاثة ملائكة ودفنت جسدها فى قبر آدم وهابيل ، وحدث ميخائيل شيث بقوله : هكذا سيُدفن كل البشرحتى يوم البعث . وذكر بعد أن أعطاه هذه الوصية " لا تنوح أكثر من ستة أيام[١٣٩] لأن الراحة فى اليوم السابع هى الدليل على البعث فى اليوم التالى فالرب استراح فى اليوم السابع من كل الأعمال التى خلقها وصنعها[١٤٠] .

وبالرغم من أن الموت جُلب إلى العالم عبر آدم إلا أنه لا يتحمل مسئولية موت البشر. وكان آدم قد ذكر ذات مرة " لست معنيًا بموت الأشرار غير أنى لا أحب أن يوبخنى الأتقياء وأن يحملونى مسئولية موتهم ، وأتوسل إليك ألا تُذكر خطيئتى . ووعده الرب بتنفيذ رغبته . ومن هنا فحينما يدنو الموت من الإنسان فإن الرب يظهر أمامه ويأمره بكتابة كل ما فعله فى حياته ويخبره " إنك تموت لما ارتكبت من أعمال شريرة ". وحينما ينهى الإنسان ما كتبه فى سجل أعماله يأمره الرب بإغلاقه ، ويحضر الرب هذا السجل يوم البعث ، وسيعلم كل إنسان حقيقة ما فعل[١٤١] ، ويعرض الإنسان فور موته على آدم الذى يُتهم بأنه تسبب فى موته غير أن آدم ينفى الاتهام بقوله " لم أرتكب سوى معصية واحدة . من منكم حتى وإن كان أكثركم تقوى لم يرتكب أكثر من معصية[١٤٢] ؟ .

الفصل الثالث

الأجيال العشرة

مولد قابيل

كانت هناك عشرة أجيال بين آدم ونوح مما يظهر مدى صبر الرب على كل الأجيال التى أثارت غضبه حتى جلب الطوفان[١] ، وقد غير الرب - لعقوقهم - خطته الخاصة بخلق ألف جيل خلال الفترة الممتدة من خلق العالم حتى تلقى موسى الشريعة على جبل سيناء ، ومن هنا فقد رجع عن خلق تسعمائة وأربعة وسبعين جيلاً قبل الطوفان[٢] .

وأتى الشر إلى العالم مع قابيل ، ابن آدم الأكبر الذى كان أول من أنجبته امرأة. وحينما وهب الرب الجنة إلى أول زوجين من البشر حذرهما من الجماع غير أن حواء جامعت بعد خطيئتها الشيطان الذى كان فى صورة أفعى ، وأثمر جماعهما عن قابيل الأب الأول لكل الأجيال العاقة التى تمردت واحتجت على الرب. ولأن قابيل من نسل الشيطان الذى هو الملاك سمائيل فقد أصبح شكله يحمل الكثير من مظاهر ملائكة "الساروفيم". ومع مولد قابيل صرخت حواء بقولها : رُزقت برجل من خلال ملاك الرب[٣] .

ولم يكن آدم فى صحبة حواء خلال حملها فى قابيل . وبعد أن استسلمت لإغواء الشيطان مرة أخرى وسمحت له بأن يخرجها مما كانت تقوم به للتكفير عن ذنوبها[٤] رحلت عن زوجها متجهةً صوب الغرب لتخوفها من أن يؤدى بقاؤها إلى تعرض آدم للأسى . وبقى آدم فى الشرق. وحينما اكتملت فترة حملها وناوبتها آلام المخاض تضرعت إلى الرب ليساعدها غير أنه لم ينصت لتضرعها فتساءلت " تُرى من سيخبر آدم بما أنا فيه ؟ أناشدك يا أنوار السموات عند عودتك إلى الشرق أن تخبرى زوجى بما أنه فيه " وصرخ آدم فى اللحظة ذاتها قائلاً : " إن شكوى حواء اخترقت أذنى ،

تُرى هل انقضت عليها الأفعى ثانية ؟" وأسرع آدم بالتوجه إليها ، وعند وصوله وجدها والألم يعتصرها فابتهل إلى الرب ليخفف عنها آلامها فظهرت ملائكة الرب الاثنى عشر ، ومعها الشمس والقمر[٥] ووقفوا جميعهم بجانبها لمساعدتها ، ووقف الملاك ميخائيل على يمينها وربت على وجهها وصدرها قائلاً : لتحل عليك ياحواء ومن أجل آدم البركة . إن الرب لم يرسلنى لمساعدتك إلا بفضل ابتهالات آدم . استعدى لإنجاب طفلك . وفور انتهاء الملاك ميخائيل من عبارته خرج الطفل وكان الضياء ينبعث منه[٦] ، وسرعان ما وقف الطفل على قدميه وأسرع فى العدو ثم عاد ممسكاً بعصا من القش وأعطاها لأمه. ولهذا السبب يُعرف باسم قايين " هذا الاسم الذى يعنى فى العبرية "ساق القش" .

واصطحب آدم حواء والصبى إلى منزله بالشرق ، وأرسل الرب إليه عن طريق الملاك ميخائيل أنواعًا مختلفة من الحبوب ، وعلمه زراعة الأرض لتنتج الحبوب حتى يمكنه الحفاظ على عائلته ونسله[٧] ، وحملت حواء مرة ثانية وأنجبت طفلاً دعته هابيل لأنها قالت إنه وُلد ليموت .

قاتل أخيه

ولم يكن مقتل هابيل على يد قابيل بالحدث غير المتوقع كلية لوالديه إذ كانت حواء قد رأت فى حلم دم هابيل يتدفق إلى فم قابيل الذى كان يشربه بنهم رغم توسل أخيه هابيل ألا يشربه[٨] . وحينما قصت حواء حلمها على آدم قال لها راثيًا حاله : ألا ينذر هذا بموت هابيل على يد قابيل ؟ ، ففصل بين الصبيين وخصص لكل منهما مسكنًا مستقلاً ، وعلم كلاً منهما مهنة خاصة به ، فاشتغل قابيل بحراثة الأرض فى حين عمل هابيل راعيًا للغنم غير أن كل هذه الجهود ذهبت هباءً إذ قتل هابيل رغم كل هذه الاحتياطات على يد أخيه[٩] .

وكان هناك أكثر من سبب للإحساس بالعداء الذى أضمره قابيل لهابيل ، وبدأت هذه العداوة حينما قبل الرب القربان الذى قدمه هابيل بإرساله نارًا من السماء لحرقه بينما رُفض القربان المقدم من قابيل[١٠] وكانا قد قدما القرابين فى الرابع عشر من

شهر نيسان بناءً على أمر أبيهما الذى كان قد حدث أبناءه قائلاً : " هذا هو اليوم الذى سيقدم فيه شعب إسرائيل فيما بعد الأضاحى . ولذلك فلتقدما الأضاحى إلى خالقكم فى هذا اليوم حتى يرضى عنكم " . وكان المكان الذى اختاراه لتقديم القرابين هو الذى أقيم عليه فيما بعد الهيكل فى القدس[١١] . وقد اختار هابيل أفضل ما فى قطيعه لتقديمه كقربان غير أن قابيل تناول فى البدء وجبته وقدم للرب ما تبقى من طعامه فقدم له بضع حبوب من بذور الكتان. ولا غرابة فى أن الأضحية التى قدمها لم تحظ برضا الرب خاصة أن الحبوب التى قدمها كان الرب قد لعنها من قبل[١٢] . وبالإضافة إلى العقاب الذى حل عليه فقد أضحى وجهه أسود كالدخان[١٣] . ومع هذا لم يطرأ أى تحول على سلوكه حتى بعد أن حدثه الرب قائلاً : إذا أصلحت سلوكك سأغفر خطيئتك ، وإذا لم تفعل سألقى بك إلى عالم النزعات الشريرة التى ستتحكم فى قلبك ، وسيصبح أمامك إما أن تخضع لهذه النزعات وإما أن تسيطر عليها[١٤] .

وأحس قابيل أنه مخطئ ، وأعقب هذا الإحساس تفجر خلاف بينه وبين هابيل فقال : اعتقدت أن العالم خُلق من خلال الخير[١٥] غير أنى أرى أن عمل الخير لا يثمر . إن الرب يحكم العالم بقسوة وإلا فلماذا قُبل قربانك ورُفض قربانى؟ واعترض هابيل عليه فذهب إلى أن الرب يكافئ الأعمال الخيرة دون النظر إلى الأشخاص، وإذا كان الرب قد قبل أضحيته ورفض ما قدمه قابيل فإن السبب يتمثل فى أن أعماله كانت خيرة وأعمال أخيه شريرة[١٦] .

ولم يكن هذا هو السبب الوحيد الذى جعل قابيل يضمر الكراهية لهابيل إذ كان حب المرأة أحد الأسباب التى أدت إلى وقوع الجريمة . وحتى يتم ضمان تناسل الجنس البشرى فقد خُلقت بنت لتكون زوجة لقابيل، وكانت الشقيقة التوأم لهابيل على قدر كبير من الفتنة والجمال، وابتغاها قابيل[١٧]، ولذلك فقد كان يطيل التفكير دائمًا فى طرق التخلص من أخيه .

ولم تتأخر الفرصة فى المجيء ، فدخلت إحدى أغنام هابيل ذات يوم إلى حقل كان قابيل قد زرعه ، فصرخ : أى حق يدعك تقيم على أرضى وتدع غنمك ترعى فيها ؟ فأجاب هابيل : وأى حق يدعك تستخدم منتجات أغنامى ، وصنع الملابس من صوفها ؟ وإذا تركت صوف غنمى الذى ترتديه ودفعت فى مقابل لحم القطيع سأرحل عن أرضك

كما تبتغي بل وسأطير في الهواء إذا أمكنني ، وقال قابيل عندئذ : وإذا قتلتك من سيطلب الثأر لدمك ؟ فأجاب هابيل : إن الرب الذي جلبنا إلى العالم سيثأر لي ، وسيطالب بدمي إذا ذبحتني . إن الرب هو الحكم الذي يمكر بالماكرين ، وينزل الأعمال الشريرة بالأشرار، وإذا قتلتني سيكون الرب مطلعًا على سرك ، وسينزل العقاب بك .

ولم تثر هذه الكلمات سوى غضب قابيل الذي انقض على أخيه(١٨) غير أن هابيل كان أكثر قوة منه ، وكان يمكنه التغلب عليه ولكنه صفح عنه وأطلق سراحه ، وانقض قابيل فور أن أُطلق سراحه على هابيل وقتله، وما أصدق مقولة : " لا تحسن إلى الشرير خشية أن ينقض عليك(١٩) .

عقاب قابيل

كانت الطريقة التي لقي بها هابيل مصرعه من أبشع الطرق التي يمكن تصورها . ولم يكن قابيل يعلم الإصابة التي يمكنها أن تميت هابيل فرجم قابيل كل جسد هابيل بالحجارة حتى أصابته إحدى الأحجار في عنقه فلقي حتفه، وقرر قابيل بعد أن ارتكب جريمته الفرار قائلاً : سيطلب أبواي مني معرفة ما ألم بهابيل لأنه لا وجود لأي إنسان آخر على الأرض . وعبرت هذه الفكرة بذهنه حينما ظهر الرب أمامه وحدثه قائلاً : يمكنك أن تهرب من والديك ولكن أيمكنك الهروب من وجودي أيضًا ومن ذا الذي يمكنه التخفي في أماكن لا أراها ؟ وا حسرتاه على هابيل الذي رحمك وتجنب قتلك حينما كان هذا بوسعه . ومن المؤسف أنه منحك فرصة قتله .

وحينما سأله الرب : أين أخوك هابيل ؟ أجاب قابيل : هل أنا حارس أخي ؟ إنك أنت الذي تراقب كل الكائنات وتطلب تقريرًا مني ؟ لقد قتلته لأنك أنت الذي زرعت بي كل النزعات الشريرة ، وطالما أنك تحمي كل الأشياء فلماذا سمحت لي بقتله ؟ يارب أنت الذي قتلته فلو كنت قبلت قرباني كما فعلت معه لما كنت حقدت عليه وقتلته . غير أن الرب قال : إن صوت دم أخيك الصاعد من جراحه الكثيرة يحتج عليك(٢٠) وكذلك دم كل الأتقياء المتفجر من خاصرتي هابيل " .

وأدانت روح هابيل أيضًا القاتل لأنها لم تجد راحتها فى أى مكان فلم تتمكن من التحليق فى السماء أو الاتحاد مع جسدها فى القبر خاصة أنه لم يكن لأى روح من قبل القيام بهذا الأمر(٢١) . أما قابيل فقد أصر على عدم الاعتراف بخطيئته وقال مصراً إنه كيف كان يمكنه تصور أن الحجارة التى رجم بها هابيل ستقضى عليه ؟ وقد لعن الرب الأرض بسبب ما فعله قابيل ، ولعنها بألا تثمر شيئًا له(٢٢) . وعاقب الرب الأرض لاحتفاظها بجثة هابيل وعدم إخراجها(٢٣) .

وواصل قابيل عناده قائلاً : يارب العالمين أهناك من يعاونون فى جمع المعلومات ويدينون البشر؟ إن والدى فقط يعيشان على وجه الأرض ولا يعلمان شيئًا عما فعلت. إنك تقيم فى السماء فكيف تعلم ما يحدث فى الأرض؟ فأجاب الرب : إنك أحمق . إنى أقود العالم بأسره . لقد صنعته وسأقوده . وأعطت هذه الإجابة لقابيل فرصة التظاهر بالتوبة فقال : أتتحمل كل العالم وتعجز عن تحمل خطيئتى(٢٤) ؟ أم أن خطيئتى بلغت من الكبر حدا لا يُحتمل ، لقد طردت والدى من أمامك البارحة ، وتطردنى اليوم من أمامك ، وسيُقال على هذا النحو إنك لا تتوقف عن الطرد(٢٥) .

وبالرغم من أن كل ما قاله هابيل كان ضربًا من المخادعة وبعيدًا عن التوبة الصادقة فقد صفح الرب عن قابيل ، وأزاح عنه نصف العقاب فبينما حكم الرب على قابيل فى البدء بأن يهيم على وجهه فى الأرض إلى الأبد فقد اقتصرت عقوبته على التجوال فقط ، وكانت معاناة قابيل فوق الاحتمال إذ ارتعدت الأرض تحت قدميه واجتمعت كل الحيوانات المتوحشة والأليفة والتى كان من بينها الحية الملعونة محاولةً الفتك به انتقامًا لدم هابيل ، ولم يعد بمقدور قابيل فى نهاية الأمر تحمل هذا الوضع فصرخ باكيًا : أين يمكننى الذهاب من روحك أو الفرار من وجودك(٢٦) وحتى يحميه الرب من هجوم الوحوش كتب الرب أحد حروف اسمه المقدس على جبين قابيل(٢٧) . وخاطب الرب الحيوانات قائلاً : لن يكون العقاب الذى سيحل بقابيل مثل ذلك الذى سيحل بالقتلة فى المستقبل. لقد سفك الدم حقًا غير أنه لم يكن هناك أحد ليعلمه. وعلى أية حال فإن من يقتل سيُقتل " . وأعطى الرب قابيل الكلب لحمايته من الوحوش الضارية ، وأنزل عليه مرض الجذام ليكون علامة على كونه مذنبًا .

وأسفرت توبة قابيل رغم أنها لم تكن صادقة عن نتيجة طيبة فحينما رآه آدم واستفسر منه عن العقوبة التى حلت به أخبره قابيل أن توبته نالت رضا الرب فقال آدم مندهشًا : لم أعرف أن التوبة قوية إلى هذا الحد ، ومن هنا نظم ترنيمة للثناء على الرب بدأها بالكلمات التالية : " ما أروع أن تعترف للرب بأخطائك[٢٨] .

وكان للجريمة التى ارتكبها قابيل نتائج وخيمة ليس فقط عليه وإنما على كل الطبيعة فقد كان مذاق ثمار الأرض شبيها بمذاق ثمار الجنة غير أن جهوده فى الزراعة أصبحت تذهب درج الريح ، ولم تعد تثمر سوى الأشواك[٢٩] . وتغيرت الأرض وتدهورت طبيعتها فى اللحظة التى لقى فيها هابيل حتفه فرفضت الأشجار والنباتات الواقعة فى المنطقة التى عاش فيها هابيل أن تثمر لإحساسها بالحزن عليه غير أن الأشجار الواقعة فى المنطقة التى كانت تخص هابيل عاودت مع ميلاد "شيث" الإثمار ، ومع هذا لم تكن قدرتها على الإثمار كما كانت عليه فبينما كانت كرمة العنب تحمل تسعمائة ستة وعشرين نوعًا من الثمار أصبحت تحمل نوعًا واحدًا فقط ، وكان هذا ما حدث أيضًا مع سائر الأنواع غير أنها ستسترد قدراتها الأصليــة فى العالم الآخر[٣٠] .

وكانت جثة هابيل قد بقيت لفترة طويلة على وجه الأرض خاصة أن آدم وحواء كانا قد احتارا فيما يفعلان بها، وقد اكتفيا بالجلوس منتحبين جوارها فى حين تكفل كلب هابيل بحماية الجثة من الطيور والوحوش، ولاحظ الوالدان خلال نحيبهما – وعلى حين غرة – أن غرابًا أزاح التراب عن بقعة ما بالأرض وأخفى بها طائرًا ميتًا من نوعه بالأرض، واتبع آدم ما فعله الغراب مع هابيل فدفنه بالأرض ، وكافأ الرب الغراب لما فعله أمام آدم. وعند ولادة الغربان فإن ريشها يكون أبيض ولذلك تهجرها كبار الطيور لعدم معرفتها بها . ويطعمها الرب حتى يصبح ريشها أسود وعندئذ تعود إليها كبار الطيور. ويكافئها الرب أيضًا بالاستجابة إلى مطلبها حينما تصلى الغربان إليه طلبًا للمطر[٣١] .

سكان الأراضى السبعة

وحينما ُطرد آدم من الجنة وصل فى البدء إلى أدنى أرض من الأراضى السبع ، التى تعرف باسم " إيرتس "(أرض) ، وهذه الأرض مظلمة لايتسلل إليها الضوء وخالية بالكامل. وعند مجىء آدم إلى هذه الأرض تملكه الرعب وتخوف خاصة من لهيب السيف المسلط عليها، وبعد أن كفر آدم عن خطيئته قاده الرب إلى الأرض الثانية التى تعرف باسم " أداماه " التى يعد الضوء بها انعكاسًا للسماء والنجوم والكواكب. وتسكن فى هذه الأرض كائنات شبيهة بالأشباح تعد نتاجًا لاتحاد الإنسان بالأرواح(٣٢) . وتعيش هذه الأشباح فى حالة دائمة من الحزن ولا معرفة لها بالسعادة. وعند خروج هذه الأشباح من أرضها إلى تلك التى يسكنها البشر تتحول إلى أرواح شريرة ، وترجع الأشباح مرة أخرى إلى مستقرها وتتوب عن أفعالها الشريرة وتحرث الأرض وتفلحها غير أنها لا تثمر شيئًا(٣٣) . وقد ولد على هذه الأرض " أداماه " قابيل وهابيل وشيث غير أن قابيل أرسل بعد مقتل هابيل إلى طبقة " إيرتس " التى أُكره فيها على التوبة لفرط خوفه من ظلام هذه الطبقة ، ولهيب السيف المسلط عليها. وحينما قبل الرب توبته سمح له بالصعود إلى الطبقة الثالثة التى تعرف باسم " أرخا " التى تتلقى بعضًا من ضوء الشمس. وقد ُوهبت هذه الأرض لأبناء قابيل لتصبح لهم إلى الأبد ، ويفلحون الأرض فى هذه الطبقة ويزرعون فيها الأشجار غير أنها لا تثمر شيئًا من الحبوب .

وبعض أبناء قابيل من العمالقة وبعضهم الآخر من الأقزام ، ولكل منهم رأسان ومن هنا لا يمكنهم أن يصلوا أبدًا إلى أى قرار، ويعيشون دائمًا فى حالة من الخلاف(٣٤) . وقد يحدث أن يتسموا فى لحظة بالتقوى غير أنهم سرعان ما ينزعون إلى الشر فى اللحظة التالية .

ويعيش فى الأرض الرابعة التى تعرف باسم "جىء" جيل برج بابل ونسله ، وقد أباد الرب هذا الجيل لا سيما أن هذه الأرض الرابعة ليست بعيدة عن جهنم وقريبة من لهيب نيرانها(٣٥) . ويتسم سكان هذه الأرض بالمهارة فى كل الفنون والتفوق فى كل العلوم والمعارف ، ومسكنهم يفيض بالثراء. وحينما يقوم أحد سكان أرضنا بزيارتهم

يهبونه أغلى ما لديهم غير أنهم يقودونه فيما بعد إلى الأرض الخامسة التى تعرف باسم " نشياه " إذ يصبح فيها غير واع بأصله وموطنه. ويسكن هذه الأرض أقزام لا أنوف لهم ، ويتنفسون بالتالى من فتحتين بدلاً من الأنف ، وليست لديهم ذاكرة . وحينما يحدث شيء ينسوه كلية ، ولهذا فإن هذه الأرض تعرف باسم " نشياه " أى النسيان. وتشبه الأرض الرابعة والخامسة أرض أرخا فأشجارها لا تثمر شيئًا ألبتة .

ويسكن الأرض السادسة التى تعرف باسم " تسياه "(الجفاف) رجال يتسمون بالوسامة، ويمتلكون ثروة وفيرة ، ويعيشون فى قصور غير أنهم يفتقرون إلى المياه ، ولا غرابة فى هذا الأمر خاصة أن مسمى هذه الأرض يعنى الجفاف، ومن هنا فنادراً ما تنبت ، كما أن زراعة الأشجار لا تنجح فى هذه الأرض. ويسرع سكان هذه الأرض إلى أى نبع ماء يتم اكتشافه ، وينجحون فى بعض الأحيان فى التسلل عبر هذه المياه إلى أراضينا التى يشبعون فيها من الطعام الذى نتناوله. ويتسم هؤلاء السكان بأنهم شديدو الإيمان على نحو يفوق سائر البشر(٣٦) .

وقد ظل آدم بطبقة " أداماه " حتى بعد مولد " شيث " ، ثم مضى عبر الطبقة الثالثة " أرخا " التى يسكنها نسل قابيل ، والطبقات الثلاث الأخرى وهى : "جيء " و" نشيا " و " تسيا " ، ثم نقله الرب إلى الأرض السابعة التى نسكنها والتى تعرف باسم " تيفيل" .

نسل قابيل

وقد علم قابيل أن خطيئة سفك الدم التى ارتكبها سيُعاقب عليها فى الجيل السابع، وكان هذا ما أمر الرب به عليه(٣٧)، ومن هنا سعى إلى تخليد اسمه من خلال الآثار(٣٨) فأصبح مشيداً للمدن. وقد دعا أول مدينة " إينوخ " نسبة إلى ابنه لأنه بدأ ينعم عند ميلاد إينوخ بقدر من الراحة والسلام(٣٩) . وعلاوة على هذا فقد شيد ست مدن أخرى(٤٠) ، وكان تشييد هذه المدن عملاً بعيداً عن روح الشريعة إذ أحاط هذه المدن بسور وأجبر عائلته على الإقامة بداخله . ولم يتسم سائر أعماله بالتقوى . ولم يكن للعقاب الذى أنزله الرب به أى تأثير إيجابى عليه إذ واصل ارتكاب الخطايا ليضمن المتعة بالرغم من أن جيرانه كانوا يتعرضون للأذى حيث كان يزيد من ثروات أهل بيته

من خلال أعمال العنف والاغتصاب ، وكان يحصل على المتع والملذات من خلال السرقة بل وأصبح زعيمًا لمن يسيرون فى طرق الشر. وقد أحدث تغييرًا فى حياة البساطة التى كان البشر يحيونها قبله إذ كان أول من أدخل المقاييس والأوزان. وبينما عاش البشر على نحو بسيط وكريم قبله إذ لم يعرفوا فى حينهم شيئًا عن هذه الصنائع فقد جعل حياتهم تعتمد على الخداع[٤١] .

وكان كل نسله شبيهًا بقابيل إذ لم يلتزم بالتقوى وأصول معرفة الرب ، ولهذا قرر الرب أن يبيدهم[٤٢] .

وقد أدرك الموت قابيل خلال الجيل السابع من البشرية ، وحل الموت عليه على أيدى حفيده الأكبر لاميح، وكان لاميح هذا كفيفًا ، وكان حينما يتوجه للقنص يقوده ابنه الصغير الذى كان يخبر أباه بظهور أية حيوانات صغيرة أمامه يمكن صيدها ، وكان لاميح يقتنصها برمحه، وتوجه لاميح مع ابنه ذات مرة فى مهمة للقنص، ولاحظ الصبى شيئًا ذا قرن على بعد فظن فى الحال أنه وحش فأبلغ الكفيف لاميح بالاستعداد لتوجيه سهمه إليه، وسقطت الفريسة بالفعل على الأرض ، وحينما اقتربا من الضحية هتف الصبى قائلاً : " والدى لقد قتلت شيئًا يشبه الإنسان فى كل شىء إلا أنه ذو قرن على ناصية رأسه " . وعلم لاميح فى الحال أنه قتل سلفه قابيل الذى كان الرب وضع قرنًا على رأسه كعلامة مميزة له[٤٣] .

وقد توالت النكبات إذ فتحت الأرض فمها وابتلعت الأجيال الأربعة التى خرجت من صلب قابيل وهى : " اينوخ " و " إيراد " و " محوجائيل " و " ميتوشائيل " . ولما كان لاميح كفيفًا لم يمكنه الذهاب إلى منزله ، وكان عليه أن يجلس بجوار جثة قابيل وابنه. ومع حلول المساء عثرت عليه زوجاته اللاتى كن يبحثن عنه ، وحينما علمن ما حدث أردن الانفصال عنه خاصة بعد أن علمن أن من أنجبه قابيل قُدر عليه الفناء . غير أن لاميح ذكر : أنه إذا كان قابيل الذى تعمد القتل عوقب فى الجيل السابع فأنا لم أعتزم قتل أحد ولذا آمل أن يحل العقاب فى الجيل السبعين . وتوجه لاميح مع زوجاته إلى آدم الذى استمع إلى الطرفين وحكم فى صالح لاميح[٤٤] .

وتجلى فساد الأزمنة ، والفساد الذى حل بقطيع قابيل خاصة فى حقيقة أن لاميح وكل أبناء جيل الطوفان تزوجوا زوجتين حتى تتولى الأولى مهمة إنجاب ورعاية الأطفال على أن تكون الأخرى مخصصة للمتع الحسية ، وكانت هذه الأخرى تتحول إلى عقيمة عبر بعض الوسائل الاصطناعية. ولما كان أهل هذا العصر شديدى الاهتمام بالمتعة أكثر من اهتمامهم بالقيام بواجبهم تجاه الجنس البشرى فقد وهبوا كل حبهم للنساء العاقرات فى حين أن زوجاتهم كانت تقضى أيامهن مثل الأرامل فى حالة من الحزن .

وقد أنجبت " عيدا " و " تسيلا " زوجتا لاميح طفلين ، فأنجبت عيدا " يابال " و " يوبال " ، أما تسيلا فأنجبت ولداً دعته " توبال قابيل " وبنتًا دعتها " نعمة " . وكان يابال أول رجل يشيد معبداً للأوثان. أما يوبال فقد كان أول من ابتدع الموسيقى التى تُعزف فى المعابد. وكان " توبال قابيل " اسمًا على مسمى إذ أكمل عمل سلفه قابيل فبينما كان قابيل أول من ارتكب جريمة القتل فإن " توبال قابيل " كان أول من عرف كيفية سن الحديد والنحاس ، كما عمل على تزيين الأدوات المستخدمة فى الحروب والصراعات المختلفة . واكتسبت " نعمة " اسمها من الأصوات الجميلة التى كانت تعزفها حينما كانت تدعو المصلين لعبادة أوثانهم(٤٥) .

نسل آدم وليليث

وحينما سمعت زوجتا لاميح قرار آدم وأرادتا الاستمرار فى العيش مع زوجهما توجهتا إليه قائلتين : أيها الطبيب اشفنا . وكانتا تشيران على هذا النحو إلى حقيقة أنه كان يعيش منعزلاً عن زوجته منذ وفاة هابيل لأنه قال : ولماذا أنجب أطفالاً إذا كان الموت مقدراً عليهم(٤٦) ؟

وبالرغم من أن آدم تجنب الجماع مع حواء فقد زارته خلال نومه أرواح إناث، وأسفر اتحاده معها عن إنجاب أرواح وعفاريت من أنواع مختلفة(٤٧) وُهبت جميعها خواص فريدة .

وكان قد عاش فى فلسطين ذات حين رجل بالغ الثراء شديد التقوى، وكان ابنه يدعى الحاخام " حانينا " الذى حفظ التوراة عن ظهر قلب، وحينما أدرك هذا الرجل أنه

على شفا الموت استدعى ابنه " حانينا " وأمره بدراسة التوراة صبحًا وعشيا ، وأن ينفذ وصايا الشريعة وأن يكون صديقًا وفيا للفقــراء ، وأخبره أيضًا أنه هو وزوجه (أى والدة الحاخام حانينا) سيموتان فى اللحظة نفسها ، وأن أيام الحداد السبعة يجب أن تنتهى عشية عيد الفصح، وأوصاه ألا يفرط فى حزنه وأن يتوجه إلى السوق ف اليوم نفسه ، وأن يشترى أول ما يعرض عليه دون النظر إلى ثمنه. وإذا كان هذا الشيء صالحاً للأكل فليعده ويتناوله ببهجة ، وأنه سيُجازى خيراً عن كل التكاليف والمشقة . وقد حدثت كل الأمور على النحو التالى إذ توفى الرجل وزوجه فى اليوم نفسه ، وقد وافقت نهاية أسبوع الحداد عشية عيد الفصح. ونفذ الابن مخطط والده إذ توجه إلى السوق والتقى فيه برجل عجوز أعطاه طبقًا من الفضة ليبيعه. وبالرغم من أن سعر هذا الطبق كان باهظًا فقد اشتراه كما أمره والده. وتم وضع الطبق على الطاولة التى يجلس أفراد الأسرة عليها لقراءة صلاة عيد الفصح . وحينما فتح الحاخام حانينا العلبة التى يوجد بها الطبق وجد طبقًا آخر يوجد به ضفدع حى يقفز بسعادة. وقد أعطى هذا الحاخام الضفدع طعامًا وشرابًا، فكبر حجمه مع الانتهاء من حفل عيد الفصح ، فأقام الحاخام " حانينا " له مكانا تناول فيه الضفدع طعامه وشرابه. ومع مضى الوقت ضاق هذا المكان على الضفدع فأقام الحاخام مكانا آخر له وأعطاه الكثير من الطعام والشراب ، وقام الحاخام بكل هذه المهام حتى لا ينتهك وصية والده غير أن الضفدع تمدد حجمه واستهلك كل ما لدى صاحبه حتى جرد الحاخام من كل ما يملك. وفتح الضفدع فمه وتحدث قائلاً : عزيزى الحاخام حانينا لا تقلق وأرى أنك ربيتنى واعتنيت بى ويمكنك أن تسألنى عما تبتغى وسأنفذ ما تبتغيه . فأجاب الحاخام : لا أبتغى شيئًا سوى أن تعلمنى كل التوراة اللغات السبعين التى يتحدثها البشر[٤٨] ، واستجاب الضفدع فأخذ يكتب بضع كلمات على الورق وكان الحاخام يبتلعها، ولم يتلق الحاخام على هذا النحو التوراة والسبعين لغة فحسب وإنما تعلم أيضًا لغة الوحوش والطيور، وحدث الضفدع زوجة الحاخام حانينا " لقد أحسنت الاعتناء بى ولم أعوضك غير أنى سأثيبك قبل الرحيل عنك ولكن عليك أن ترافقينى إلى الأيك ، وستشاهدين ما سأفعله معك " . وبالتالى فقد ذهبا معه إلى الأيك ، وعند الوصول إلى هناك بدأ الضفدع فى الصراخ ، وتجمعت كل الوحوش والطيور على صراخه ، وأمرهم بأن يجمعوا أكبر قدر ممكن من الأحجار الكريمة ، وكان عليهم أيضًا إحضار الأعشاب

والجذور إلى زوجة الحاخام حانينا، وعلمها الضفدع كيف يمكنها إستخدام كافة هذه الأشياء فى علاج الأمراض المختلفة ، وأمرهما الضفدع بأخذ كافة هذه الأشياء إلى منزلهما، وحينما كانا فى طريق العودة خاطبهما الضفدع قائلاً : ليت الرب الرحيم يرحمكما ويعوضكما عن كل المشاق التى قد تقابلونها . والآن سأجعلكم تعرفون من أنا ، فأنا ابن آدم الذى رُزق به خلال الأعوام المائة والثلاثين التى انفصل خلالها عن حواء ، وقد وهبنى الرب قدرة التجلى فى أى شكل أبتغيه . وارتحل الحاخام حانينا وزوجه إلى منزلهما ، وأصبحا بالغى الثراء ونعما بالاحترام وثقة الملك(٤٩) .

شيث ونسله

وكان لنصائح زوجتى لاميح أثرها الفعال فى آدم ، فبعد أن قضى مائة وثلاثين عامًا منفصلاً عن حواء فقد عاد إليها ، وقد أصبح حبه لها أعظم بكثير من حبه السابق، فقد أصبحت تجول بخاطره حتى فى الوقت الذى لم تكن متواجدة فيه بجسدها معه، وأسفرت عودتهما إلى بعضهما البعض عن إنجاب " شيث" الذى قُدر له أن يكون جدا للمسيح المنتظر(٥٠) .

وقد تشكل " شيث " كاملاً منذ مولده على نحو جعله معفياً من طقس الختان، فقد كان واحداً من بين ثلاثة عشر فرداً وُلدوا كاملين على هذا النحو(٥١) . وحينما رُزق آدم به فقد كان يشبهه للغاية وعلى خلاف قابيل الذى لم يكن شبيهاً بأبيه. وقد أصبح " شيث " وبالمعنى الحقيقى للكلمة أبًا للجنس البشرى وخاصة للأتقياء فى حين أن الفاسقين والملحدين كانوا من نسل قابيل(٥٢) .

وقد أصبح نسل قابيل حتى خلال حياة آدم من الأشرار ؛ ومن ثم كانوا يموتون واحداً تلو الآخر ، وكان كل من يولد منهم أكثر فسقًا من سابقه، وكانوا يتسمون بالقسوة فى الحروب ، والإفراط فى اللجوء للسرقة . وحينما كان أحدهم يُكلف بالقتل فقد كان يتسم بالإفراط فى القتل .

أما شيث فحينما نضج ووصل إلى المرحلة التى يمكنه أن يميز فيها الخير أصبح تقيا فضلاً عن شخصيته المميزة ، بل وهجر الأطفال الذين كانوا يحرصون على محاكاته،

وأثبتت سماته جدارتها فكانت تسكن وتتسلل إلى الجميع دون أية مشقة ودون أن يتعرضوا إلى أية محنة طيلة حياتهم وحتى موتهم، وخلقت هذه الخواص أيضًا ذلك النوع الفريد من الحكمة المعنية بمعرفة الأجرام السماوية ونظامها. ولم تكن هذه المعرفة تضيع قبل أن تُعرف على نحو جيد، وقد دعمت هذه المعرفة تنبؤ آدم بأن العالم سيُدمر مرة بقوة النيران ومرة أخرى بسبب عنف المياه. وقد نقشوا اكتشافاتهم على القرميد والحجارة حتى يبقى ما كُتب على الحجارة فى حالة إذا ما أفنى الطوفان عمود القرميد(٥٣) .

إينــوخ

وحينما سئل إينوخ عمن يكون والده أجاب شيث . ولما واصل أهل عصره سؤاله عن والد شيث فأجاب آدم . وحينما عاودوا سؤاله " ومن يكــون والد آدم ؟ " أجابهم : لم يكن له أب أو أم ، وخلقه الرب من تراب الأرض . وجادلوه قائلين : ولكن ليس للإنسان شكل التراب . فأجابهم : يعود الإنسان بعد الموت إلى التراب إذ قال الرب سيعود الإنسان للتراب غير أن الإنسان خُلق فى يوم الخلق على صورة الرب . وحينما سألوه : وكيف خُلقت المرأة ؟ أجابهم : خلق الرب الذكر والأنثى . فسألوه : كيف ؟ أجابهم : أخذ الرب المياه والتراب وشكل منهما الإنسان. فعاودوا سؤاله : ولكن كيف ؟

وأخذ إينوخ ست كتل من تراب الأرض ومزجها مع بعضها البعض مشكلاً صورة من التراب والطين، فاحتج من يستمعون إليه قائلين : غير أن هذا الشكل الذى صنعته لا يسير ولا تدب فيه روح الحياة . وحاول فيما بعد أن يظهر لهم كيف نفخ الرب روح الحياة فى آدم غير أنه حينما بدأ ينفخ فى الصورة التى صنعها دخل الشيطان إلى الصورة وسار ومن هنا فقد ضل القوم الذين كانوا يتساءلون عن هذه الأمور إذ ساروا خلف الصورة قائلين : ما الفرق بين السجود أمام هذه الصورة وبين إجلال مجــرد رجل(٥٤) ؟

تضمن جيل إينوخ على هذا النحو أول من عبدوا الأصنام ، ولم يتأخر عقابهم لحماقتهم إذ جعل الرب البحر يتجاوز حدوده وغمر على هذا النحو الأرض، وأضحت فيه الجبال صخوراً وتحللت فيها أيضًا جثث الموتى. وكان من بين تبعات الوثنية أيضًا

أن ملامح الأجيال اللاحقة لم تعد شبيهة بصورة الرب أو بملامح آدم وشيث وإينوخ، وأصبحوا يشبهون القردة و" القنطورس " هذا الكائن الخرافى الذى نصفه رجل ونصفه فرس، وكان من بين تبعات الوثنية أيضًا أن الأشباح لم تعد تخاف البشر(٥٥) .

وكان من بين التبعات الخطيرة التى تولدت عن الممارسات الوثنية التى ظهرت فى عهد إينوخ ، أنه حينما طرد الرب آدم من الجنة ظلت الحضرة الإلهية متوجة فوق أحد الملائكة الجالسة تحت شجرة الحياة . وقد هبطت الملائكة من السماء ودخلت مساكنها لتتلقى تعاليمها ، أما آدم ونسله فجلسوا بالقرب من مدخل هذه المساكن لينعموا ببهاء الحضرة الإلهية التى تعد أشعتها أكبر من أشعة الشمس خمسة وستين ألف مرة . وحينما يحل ضياء الحضرة الالهية على المرء فإن المرض لا يحل به ، ولا تجرؤ الحشرات أو العفاريت على الاقتراب منه أو المساس به .

وفى عهد إينوخ بدأ البشر فى جمع الذهب والفضة والجواهر والأحجار الكريمة من كافة أنحاء الأرض ، وصنعوا منها أوثانًا كان يبلغ ارتفاع الواحد منها ألف فرسخ .

أما الأسوأ من هذا وذاك فقد تعلموا من خلال الملاكين " عوزا " و "عزائيل" فنون السحر ، فقد نصبوا أنفسهم سادة للكائنات السماوية وأجبروا الشمس والقمر والنجوم للخضوع لهم بدلاً من الخضوع للرب. وأجبر هذا الوضع الملائكة على سؤال الرب : "ما الإنسان الذى تهتم به ؟ ولماذا لاتتخلى عن علاك بالسموات ومجدك وعرشك العالى وتنزل للبشر الذين يعبدون الأوثان الذين يضعونك فى مقام الأوثان ؟" وتم تكليف الحضرة الإلهية بالصعود إلى السماء فى هالة من الضوء ، وقد رافقها فى صعودها عشرات الآلاف من الملائكة(٥٦) .

سقوط الملائكة

وتزايد فساد الجنس البشرى ، الذى تجلى فى البدء فى عهد إينوخ ، على نحو ضخم فى عهد حفيده " يارید " ، وكانت هذه الزيادة نتيجة لسقوط الملائكة ، فحينما شاهدت الملائكة جمال وجاذبية بنات البشر اشتهتها بقولها : سنختار لأنفسنا زوجات

من بنات البشر، وسننجب منهن . وقال كبير الملائكة "شيمحازاى : أشعر بالخوف فلن تتمكنوا من وضع خطتكم موضع التنفيذ غير أنى سأتحمل تبعات خطيئتكم . فأجابته الملائكة : نقسم جميعًا بعدم التخلى عما نعتزم القيام به ، وأننا سننفذ ما نعتزمه حتى النهاية " .

وهبط مائتا ملاك إلى قمة جبل " حيرمون " ، واكتسب الجبل هذا الاسم لارتباط اسمه بمعنى الحرام ، وبقيت الملائكة على هذا الجبل لتنفذ غرضها، ودنست الملائكة تحت قيادة كبار الملائكة نفسها مع بنات البشر فعلمتها السحر ، وكيفية اقتلاع الجذور ومعرفة أسرار فعالية النباتات، وأسفر زواج الملائكة ببنات البشر عن ميلاد جنس من العمالقة يبلغ طول الواحد منهم ثلاثة آلاف ذراع ، وكان هؤلاء يستهلكون ممتلكات البشر. وحينما فنيت كل الأشياء ولم يعد يمكنهم الحصول على شيء ألبتة انصرفوا إلى البشر والتهموا كثيراً منهم ، وبدأ من تبقى من البشر فى الاعتداء على الطيور والحيوانات والزواحف والأسماك فأكلوا لحومها وشربوا دماءها .

واشتكت الأرض فيما بعد من الأعمال الشريرة لغير المتقين غير أن الملائكة التى سقطت واصلت إفساد البشر، فعلم عزازيل البشر كيفية صنع سكاكين الذبح ، والأسلحة والدروع ، وأظهر لهم المعادن وكيفية صنع كافة أنواع الحلى والأساور منها وكيفية طلاء جفون العيون باللون الأحمر وكيفية تزيين الرموش ، وكيف يزينون أنفسهم بالمجوهرات الثمينة النادرة وبكل ألوان الطلاء. وقد علم كبير الملائكة شيمحازاى البشر إعداد التعاويذ ، أما الملاك " أرماروس " فعلمهم السحر ، وعلمهم " باراخيل " التمييز بين النجوم ، وعلمهم " كوكابيل " علم التنجيم ، وعلمهم " حزقيال " علم العرافة من السحب ، وعلمهم " أراخيل " علامات الأرض ، وعلمهم " سمساويل " علامات الشمس ، وعلمهم " سيرينيل " علامات القمر(٥٧) .

وفى الوقت الذى دنست فيه كل هذه الأعمال البغيضة الأرض فقد عاش "إينوخ" فى مكان سرى ، فلم يعرف أحد من البشر مسكنه أو ما حدث له لأنه كان يرتحل مع الملائكة الساهرة والمقدسة. وحينما سمع إينوخ صوتًا يناديه : إينوخ يا كاتب العدالة اذهب إلى حماة السماء الذين تركوا السموات مكانها الأبدى المقدس والذين دنسوا أنفسهم مع النساء ، وأصبحوا يتصرفون مثل البشر إذ يتزوجون النساء

ويعرضون أنفسهم إلى الهلاك على الأرض، اذهب وأخبرهم أنهم لن يجدوا سلامًا أو غفرانًا ، فكلما أفرطت الملائكة فى الاستمتاع بنسلها فإنها لن تلقى سوى موت أبنائها والحسرة عليهم . أخبرها أن هذه الملائكة ستصلى وستبتهل إلى الأبد غير أنها لن تجد رحمة أو سلامًا .

وتوجه إينوخ إلى " عزازئيل " وسائر الملائكة الساقطة ليخبرها بقدرها المحتوم الذى قُدر عليها فامتلآت الملائكة بالخوف وارتعدت فرائصها ورجت إينوخ أن يتقدم بالتماس نيابة عنها وأن يقرأه على رب السموات لأنه لم يعد يمكنها أن تحدث الرب مثلما كانت تحدثه من قبل ، وأنها لا تجرؤ على رفع عينيها إلى السماء لإحساسها بالخزى من ذنوبها. واستجاب " إينوخ " لطلبها فُمنح فى إحدى رؤاه الإجابة التى كان عليه أن ينقلها إلى الملائكة. وقد تراءى لإينوخ أنه نُقل إلى السموات عبر السحب ، وأنه أُجلس أمام عرش الرب ، فذكر الرب " اذهب وقل إلى حماة السموات الذين أرسلوك إلى للتوسط من أجلهم : حقا أنتم الذين يجب أن تبتهلوا من أجل البشر وليس العكس ولماذا تخليتم عن العلى والسموات الأبدية لتدنسوا أنفسكم مع بنات البشر وتتزوجوهن وأن تتصرفوا مثل سائر أعراق الأرض وأن تنجبوا أبناءً عمالقة ؟ إن العمالقة الذين سيكونون من أجساد وأرواح سيدعون أرواحًا شريرة على الأرض ، وستكون الأرض سكناهم، وستخرج الأرواح الشريرة من أجسادهم لأن هذه الأرواح خُلقت فى العلا ، وستكون هذه الأرواح أرواحًا شريرة على الأرض ، وستدعى أرواحًا شريرة. أما أرواح السموات فستكون السماء سكناها غير أن أرواح الأرض التى وُلدت على الأرض فستسكن الأرض، أما أرواح العمالقة فستلتهم وتحطم وتضطهد وتهاجم وتشن الحروب وتسبب الدمار للأرض. ولن تتناول هذه الملائكة شيئًا من الطعام ولن تعطش ، وستكون غير مرئية، وستهاجم هذه الأرواح أطفال البشر والنساء لأنها خرجت وانطلقت منهم. ولما كانت الأرواح خرجت من أجسادهم لتدمر دون أن تتعرض إلى عقاب فإنها ستواصل الدمار حتى اليوم الذى ينتهى فيه العالم. والآن وفيما يتعلق بحماة السموات الذين أرسلوك لتبتهل من أجلهم والذين كانوا فيما مضى فى السماء أخبرهم : لقد كنتم فى السماء وبالرغم من أنه لم يتم كشف الأشياء الخفية لكم فإنكم تعرفون أشياءً غامضة غير مهمة ، وأفصحتم عن هذه الأمور بقسوة قلوبكم إلى النساء ، وسيرتكب الرجال والنساء من خلال هذه المعارف الشر على الأرض. أخبرهم أنهم لن ينعموا بالسلام[٥٨] .

إينوخ حاكماً ومعلماً

وبعد أن قضى " إينوخ " فترة طويلة منعزلاً عن البشر سمع ذات مرة صوت ملاك يناديه : إينوخ إينوخ استعد لمغادرة منزلك والمكان السرى الذى تخفيت به ، واستعد للسيطرة على البشر لتعلمهم الطرق التى سيسلكونها ، والأعمال التى سيفعلونها حتى يسيروا فى طرق الرب" .

وتخلى إينوخ عن عزلته وتوجه إلى منازل البشر حيث جمعهم حوله وعلمهم على نحو يرضى الرب، وأرسل رسلاً إلى كافة الأماكن معلنين : يا من تبتغون معرفة طرق الرب والسلوك القويم تعالوا إلى إينوخ . ومن هنا احتشد عدد كبير من القوم حوله لسماع الحكمة التى سيعلمها وليتعلموا منه الخير والصواب، وتجمع حوله ما لا يقل عن مائة وثلاثين ملكًا وأميراً وأسلموا لحكمه ليتعلموا منه مثلما علم وأرشد الآخرين. وعم العالم على هذا النحو السلام خلال مائتين وثلاثة وأربعين عامًا أى خلال الفترة التى كان فيها لاينوخ نفوذ وتأثير .

ومع انتهاء هذه الفترة وفى العام الذى توفى فيه آدم الذى دفنه " شيث " و "إينوش " و" إينوخ " و " ميتوشيلاح " قرر إينوخ أن يعتزل البشر مرة أخرى وأن يتفرغ لعبادة الرب ، غير أنه تراجع تدريجياً فقد كان يقضى فى البدء ثلاثة أيام فى الصلاة والتسبيح للرب ثم كان يعود فى الرابع إلى حوارييه ويعلمهم. ومضت سنوات طوال على هذا النحو ثم عاود الظهور بين قومه مرة فى الأسبوع أو فى الشهر أو فى العام ، ولم يجرؤ الملوك والأمراء وكل من كانوا يبتغون مشاهدة إينوخ للاستماع إلى كلماته الاقتراب منه خلال فترات اعتزاله. ولما كانت الروح القدس تطغى على ملامحه فقد كانوا يتخوفون على أرواحهم إذا ما نظروا إليه؛ ولهذا قرروا أن يطرحوا مطالبهم أمامه فى اليوم الذى يظهر فيه أمامهم .

وكان لتعاليم إينوخ أضخم الأثر فى المستمعين إليه ، إذ سجدوا أمامه ورددوا قائلين : عاش الملك. وبينما كان إينوخ يلقى أحد دروسه على أتباعه ظهر ملاك وأبلغه أن الرب قرر تنصيبه ملكًا على ملائكة السموات وكان يحكم حتى هذا الحين البشر. ودعا إينوخ بالتالى كل سكان الأرض وخاطبهم بقوله : دعيت للصعود إلى السماء ،

ولا أعلم فى أى يوم سأصعد إليها ، ولذلك سأعلمكم الحكمة والصدق قبل الصعود إلى السماء . ولم يقض إينوخ فيما بعد سوى بضعة أيام بين البشر ، علم خلالها البشر معرفة الرب والتقوى ووضع أسس الشريعة والنظام لتدبير أمور البشر. وشاهد من اجتمعوا حوله جواداً ضخماً يهبط من السموات ، فحدثوا إينوخ عنه فقال : إن هذا الجواد لى إذ حان وقت الرحيل عنكم ولن أُشاهد مرة أخرى . وكان هذا ماحدث بالفعل . ودنا الجواد من إينوخ فامتطاه ودعاهم من عليه لعبادة الرب والسير فى طرقه. وقد سار خلفه ثمانمائة ألف من أتباعه غير أن إينوخ دعا أتباعه فى اليوم التالى للعودة قائلاً : اذهبوا إلى منازلكم خشية أن يلم الموت بكم إذا واصلتم السير معى . واستجاب معظم من كان معه إلى دعوته وعاد إلى منزله غير أن نفراً قليلاً بقى معه لستة أيام هذا بالرغم من أنه كان يدعوهم يوميا للعودة حتى لا يتعرضوا للموت. وفى اليوم السادس من الرحلة قال لمن كانوا يرافقونه : اذهبوا إلى منازلكم لأنى سأصعد فى الغد إلى السماء ، وسيتوفى كل من يقترب منى ، ومع هذا بقى بعض رفاقه معه قائلين : سنذهب معك أينما ذهبت ، ولن يفرقنا عنك سوى الموت .

وحُمل إينوخ فى اليوم السابع إلى السماء فحملته مركبة كانت تجرها عدة خيول من النار ، وفى اليوم التالى بعث الملوك الذين كانوا قد عادوا إلى ديارهم فى الوقت المناسب عدداً من الرسل للاستفسار عن مصير من كانوا مع إينوخ والذين كانوا قد رفضوا مفارقته ، ولم يجد الرسل فى البقعة التى صعد منها إينوخ سوى كم ضخم من الثلج والبرد ، وحينما بدأوا فى التفتيش تحته وجدوا جثث كل من كانوا مع إينوخ الذى كان فى العلى بالسماء(٥٩) .

صعود إينوخ

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى صعد فيها إينوخ إلى السماء إذ كان قد سبق له الصعود حين كان يرتحل بين البشر فقد سُمح له مشاهدة كل ما بالأرض والسماء. وبينما كان نائماً ذات مرة حل بقلبه حزن عظيم فبكى بالحلم لعدم معرفته بمغزى الحزن أو ما سيلم به، وتراءى له فى الحلم رجلان كانت وجوههما تسطع كالشمس ، وكانت عيونهما كالشموع فى احتراقها ، وكانت النار تخرج من شفاههما ،

وكانت أجنحتهما تلمع أكثر من الذهب ، وكانت أياديهما ناصعة أكثر من الثلج . ووقفا على رأس سرير إينوخ وناداياه باسمه فنهض من نومه وسارع بالانحناء أمامهما ، وكان الرعب يتملكه ، وقال له الرجال : كن مبتهجًا يا إينوخ ولا تخف فقد بعثنا الرب الأبدى إليك ، وستصعد هذا اليوم معنا إلى السموات . فأخبر بهذا بنيك وخدمك ولا تدع أحداً يبحث عنك حتى يعيدك الرب إليهم .

وفعل إينوخ ما أُمر به . وبعد أن فرغ من الحديث إلى بنيه وعلمهم ألا يحيدوا عن الرب والحفاظ على أحكامه فقد استدعاه هذان الرجلان وحملاه على أجنحتهما ووضعاه على الغمام الذى أخذ فى الارتفاع حتى وضعاه تحت أول سماء، وجعلاه يشاهد الملائكة المائتيه الذين يحكمون النجوم ، وعبادتهم للسماء ، وشاهد من موضعه هذا أيضاً خزائن الذهب التى تحتويها السحب .

وأخذاه فيما بعد إلى السماء الثانية حيث شاهد بها سجن الملائكة التى سقطت لعدم طاعتها لأوامر الرب فقالت هذه الملائكة لإينوخ : يا رجل الرب ابتهل إلى الرب من أجلنا ، فأجابهم : لست سوى إنسانٍ فانٍ ، ومن أنا حتى أبتهل إلى الملائكة ؟ ومن ذا يعلم أين تقودنى خطواتى أو ما ينتظرنى ؟

وأخذه الرجلان فيما بعد إلى السماء الثالثة حيث أظهرا له الجنة وما تتضمنه من أشجار ذات ألوان زاهية ، وثمارها الناضجة اللذيذة ، وكل أنواع الأطعمة التى تنتجها، وشاهد فى وسط الجنة شجرة الحياة التى يرتاح الرب عندها عند مجيئه إلى الجنة. ولا يُمكن وصف هذه الشجرة لفرط جمالها ولمشهدها الجميل، وهذه الشجرة أجمل من كل الأشياء المخلوقة، ويشبه لونها اللون الذهبى والقرمزى من كل جوانبها ، كما أنها بالغة الشفافية كالنار ، وتتدفق من جذرها فى الجنة أربعة أنهار تصب عسلاً ولبنًا وزيتًا ونبيذًا ثم تتجه إلى جنة عدن التى تقع على الحدود بين المنطقة الأرضية من الفاسد وبين الحدود السماوية التى لا تعرف الفساد ثم تذهب هذه الأنهار إلى الأرض. وشاهد أيضاً ثلاثمائة ملاك يحرسون الجنة ، ولا يتوقفون عن عبادة الرب كل يوم . وقد شرحت الملائكة لإينوخ خلال قيادتها له أن هذا المكان معد للصديقين فى حين أن المكان المخيف الواقع فى المناطق الشمالية من السماء الثالثة معد للمذنبين ، وشاهد فى هذه المناطق كل صنوف العذاب والظلام الدامس الذى لا يخترقه الضوء ، وناراً سوداء

مشتعلة دومًا ، وتحيط النيران هذا المكان من كافة جوانبه ، كما يحيطه الثلج من كل جوانبه ، وهكذا فإن من يدخـل هذا المكان يحترق ويجمد ، ولا تأخذ المـلائكة شفقة أو رحمة بالمذنبين ، وتحمل أسلحة متوحشة ، كما أن تعذيبها شديد الهوان .

وأخذته الملائكة فيما بعد إلى السماء الرابعة وأظهرت له كل ما يتحرك بها وكل أشعة الشمس والقمر ، فشاهد الخمسة عشر ألف ملاك الذين يخرجون مع الشمس كل صباح ويبقون معها طيلة النهار ، المـلائكة الألف الذين يبقون معه فى المساء ، وتسير هذه الملائكة ذات الأجنحة الستة أمام عربة الشمس فى حين يتولى مائة ملاك مهمة الحفاظ على دفء الشمس وإضاءتها ، وشاهد أيضًا المخلوقات العجيبة والغريبة وهى العنقاء التى تجلس فى العربة مع الشمس والتى تذهب معها لإحضار الحرارة والندى ، وأظهرت له هذه الملائكة أيضًا البوابات الست التى تقع شرق السماء الرابعة التى تتقدم منها الشمس ، والبوابات الست فى الغرب والتى تجلس الشمس بجانبها ، والبوابات الست التى يخرج منها القمر ، وتلك التى يدخل منها ، وشاهد فى وسط السماء الرابعة جيشًا مسلحًا يخدم الرب ولا يتوقف عن استخدام آلات العزف والإنشاد .

وشاهد إينوخ فى السماء الخامسة حشدًا ضخمًا من الملائكة اسمه "جريجورى" ، وكـان مظهرها شبيهًا بالبشـر ، غير أن حجمها كـان أضخـم من العمـالقة ، وكانت ملامحها شاحبة وشفاهها صامتة. وعند تساؤل إينـوخ عنها أجابته الملائكة التى كانت تقودها قائلة : إن هذه المـلائكة رفضت مع قائدها سالاميل حكم الرب ، فقال إينوخ للملائكة : لماذا تتقاعسـون أيها الإخـوة عن خدمة الرب وتأدية واجباتكم للرب وتغضبونه ؟ واستمعت هذه الملائكة إلى إينوخ ، وحينما بدأت أصوات الأبواق تتردد بدأت هذه الملائكة فى الإنشاد معًا بصوت رخيم حزين .

وشاهد فى السماء السابعة المجموعات السبع العظام لكبار الملائكة التى ترتب وتدرس انقلابات النجوم وتغيرات القمر وانقلاب الشمس وتشرف على الظروف الطيبة والسيئة للعالم. وترتب هذه الملائكة أيضًا التعاليم والتوجيهات وكل الأناشيد والابتهالات ، وتخضع هذه الملائكة كل الأشياء الحيـة فى السمـوات والأرض. وتوجد بين هذه المـلائكة سبعة من طيور العنقاء وسبعة من ملائكة الشيروبيم ، وسبعة كائنات لكل منها ستة أجنحة ، وتنشد جميعها فى الحين ذاته .

وحينما وصل إينوخ إلى السماء وشاهد الحشود النارية لكبار الملائكة وقواها غير المادية وسيادتها وإمارتها وطاقاتها فقد تخوف وسرى الرعب فى نفسه. وأمسكت به الملائكة التى كانت تقوده وأخذته إليها قائلة : ابتهج يا إينوخ ولا تخف ، وأظهرت إليه الرب عن بعد جالسًا على عرشه العالى فى الوقت الذى اقتربت فيه ملائكة السماء المقسمة إلى عشر مراتب وانحنت احترامًا للرب ، وبدأت الملائكة وهى سعيدة ومبتهجة فى الإنشاد بأصوات منخفضة، وتقف هذه الملائكة دومًا أمام وجه الرب ولا تبرح مكانها صباحًا أو مساءً وتعمل دائمًا على تنفيذ مشيئته . أما الملائكة التى تعرف باسم "تشيروبيم" و " سيرافيم " فإنها تحيط بعرشه. وتلقى الكائنات ذات الأجنحة الستة ظلالها على العرش الإلهى ، وتغنى بصوت رقيق أمام وجه الرب بقولها : قدوس قدوس قدوس رب الجيوش، إن السموات والأرض تمتلئ بمجده . وحينما شاهد إينوخ كل هذا . قالت الملائكة التى كانت تقوده : إينوخ كنا مكلفين حتى هذه اللحظة بمصاحبتك : وارتحلت الملائكة عنه ولم يعد يراها. وبقى إينوخ فى السماء السابعة بمفرده فتملكه الرعب فحدثته نفسه بقولها : ويلى ماذا ألم بى ؟ غير أن جبريل أتى فى هذه اللحظة وقال: إينوخ لاتخف وانهض وهلم معى وقف أمام وجه الرب إلى الأبد ، فأجاب إينوخ : سيدى لقد رحلت روحى عنى من فرط الخوف. ادع القوم الذين جلبونى إلى هنا والذين اعتمدت عليهم " . وأسرع جبريل كورقة الشجر التى تحملها الريح ووضع إينوخ أمام الرب. وسجد إينوخ أمام الرب الذى قال له " لا تخف إينوخ ، انهض وقف أمامى إلى الأبد . ورفع ميخائيل إينوخ ونزع عنه بأمر من الرب ملابسه الأرضية ومسحه بالزيت المقدس وألبسه ملابس جديدة . وحينما أمعن إينوخ النظر فى ذاته فقد أحس أنه أصبح شبيها بملائكة الرب ، ورحل عنه الخوف والرعب، ودعا الرب واحدًا من كبار ملائكته الذين يتسمون بقدر أكبر من الحكمة مقارنة بالآخرين والذى كان يكتب كل أفعال الرب، وأمره الرب قائلاً : احضر الكتب من مخزنى وأعط ورقة لإينوخ وفسر له كل الكتب. وفعل الملاك ما أمر به وعلم إينوخ طيلة ثلاثين يومًا وليلة فلم تتوقف شفاهه عن الحديث ، كما أن اينوخ لم يتوقف عن كتابة كل شيء عن السموات والأرض والملائكة والبشر ، وكل مايستحق أن يتعلمه. وكتب أيضًا كل شيء عن أرواح البشر وتلك التى لم تولد والأماكن المعدة لها إلى الأبد. ونسخ إينوخ كل شيء بدقة فكتب ثلاثمائة وستة وستين كتابًا. وبعد أن تلقى كل التعاليم من رئيس الملائكة كشف له الرب

عن الأسرار العظيمة التى لا يعرفها حتى الملائكة ، فحدثه الرب عن كيف قام بخلق السموات والضوء والمياه والأرض . كما حدثه عن سقوط الشيطان والخلق وخطيئة آدم ، وكشف الرب أيضًا له أن العالم سيدوم لسبعة آلاف عام ، وأن الألفية الثامنة لن تعرف الحساب فلن تكون فيها حاجة لمعرفة السنوات والشهور والأسابيع والأيام والساعات .

وختم الرب وحيه لإينوخ بالكلمات التالية : والآن سأعطيك سمويل " و " راجويل " اللذين جلباك إلى. اذهب معهما إلى الأرض وحدث أبناءك عن الأشياء التى أخبرتك بها ، وما رأيت بالسماء بدءًا من أدنى سماء حتى عرشى وأعطهم الأعمال التى دونتها وسيقرءونها ، وسينقلونها إلى الأحفاد ومن جيل إلى جيل ومن أمة إلى أمة ، وسأعطيك رسولى ميخائيل ليحفظ كتابتك وكتابة آبائك آدم وشيث وإينوش وكينان وميهاليل ووالدك يارد، ولن أكون فى حاجة إليهم حتى نهاية العالم إذ علمت الملاكين " أريوك " و "ماريوك" اللذين بالأرض حمايتها ، وسأجلب بسبب شرور البشر طوفانًا على الأرض وسأدمر الأشياء جميعها غير أنى سأترك الصديق من نسلكم مع كل آل بيتكم إذ سيعمل بموجب مشيئتى ، وسيخرج من نسله جيل عظيم .

وأُرسل إينوخ فيما بعد إلى الأرض ليبقى بها ثلاثين يومًا ليعلم أبناءه وصايا الإله غير أن الرب بعث إليه قبل مغادرته للسموات ملاكًا كان مظهره كالثلج وكانت يداه كالجليد، وحينما أبصره إينوخ سرت قشعريرة بوجهه وتخوف من أن يحتمل البشر النظر إليه، وقد وضعته الملائكة التى كانت أخذته إلى السماء فى سريره وفى المكان الذى كان ميتوشيلاح ينتظره فيه صباحًا ومساءً. وقد جمع إينوخ أبناءه وأهل بيته وعلمهم كافة الأشياء التى شاهدها وسمعها ودونها وأعطى كتبه إلى أبنائه للحفاظ عليها ومطالعتها ونهاهم عن إخفاء ما بها وأن يخبروا كل من يبتغى المعرفة ما جاء بين دفتيها، وحينما اكتملت الأيام الثلاثون أرسل الرب الظلام على الأرض، هذا الظلام الذى أخفى البشر الواقفين مع إينوخ، وسارعت الملائكة بأخذ إينوخ وحملته معها إلى السماء العليا حيث استقبله الرب ووضعه أمام وجهه ، وعندئذ تلاشى الظلام عن الأرض وعم الضياء ، وفى اللحظة ذاتها تمكن البشر من مشاهدة كافة الأشياء غير أنهم لم يتفهموا كيف أُخذ اينوخ ، وأخذوا فى تمجيد الرب .

وكان إينوخ قد وُلد فى اليوم السادس من شهر سيفان ، وأُخذ إلى السماء فى الشهر ذاته وفى اليوم نفسه والساعة ذاتها . وقد سارع ميتوشيلاح وإخوانه ، وأبناء إينوخ ببناء مذبح فى مكان يُدعى " أخوذان " ، هذا المكان الذى لم يُعرف بهذا الاسم إلا لأنه كان المكان نفسه الذى أخذ منه ، وقد أتى الشيوخ وكافة القوم إلى الاحتفال المقام بمناسبة تشييد هذا المذبح وجلبوا الهدايا إلى أبناء إينوخ ، ودام هذا الاحتفال ثلاثة أيام سبحوا فيها الرب لأنه جعل اينوخ يقيم فيما بينهم[٦٠] .

تحويل إينوخ

وكانت خطيئة البشر هى السبب الذى جعل إينوخ يصعد إلى السماء ، وهذا ما كان قد قاله إينوخ نفسه إلى الحاخام يشماعيل. وحينما أفرط جيل الطوفان فى خطاياه وحدث الرب قائلاً : ارحل عنا فنحن لانبتغى معرفة طرقك . فقد حُمل إينوخ إلى السماء ليكون شاهداً على أن الرب لم يكن قاسياً رغم أنه حكم بدمار كل الكائنات الحية على الأرض .

وحينما حُمل اينوخ من الأرض إلى السماء تحت إشراف الملاك عنبينيل لاحظت الكائنات المقدسة مثل ملائكة " أوفانيم " و " سيرافيم " و " تشيروبيم " التى تحرك عرش الرب والأرواح الرئيسية التى جوهرها من النار المحرقة والتى تبعد عن العرش مسافة ستمائة وخمسين مليون وثلاثمائة برزخ وجود كائن بشرى فصرخت متسائلة : " من أين أتى شذا عطر من وُلد من رحم امرأة ، وأتى إلى السماء العليا التى تقطنها ملائكة النار المتلألئة ؟ " غير أن الرب أجابها قائلاً : "خدمى ومضيفى من "الشيروبيم" و "الأوفانيم" و "سيرافيم" لا تشعروا بالإهانة لوجود إينوخ ها هنا . وقد نقلت الحضرة الإلهية من الأرض إلى السماء بعد أن أنكر وجودى وسلطانى بنو البشر وذهبوا لعبادة الأوثان غير أن هذا الإنسان إينوخ من أصفى البشر فإنه أكثر البشر إيماناً وصدقاً وعدلاً من الجميع وهو الوحيد الذى استحق الرفع من العالم الأرضى " .

وقبل أن يتم السماح لإينوخ بالدخول للخدمة بالقرب من العرش الإلهى فقد فُتحت بوابات الحكمة أمامه، كما فُتحت أيضاً بوابات الفهم والإدراك والحياة والسلام والقوة ،

والمحبة والتواضع ، والمخافة من الذنب ، كما فُتحت أيضًا أمامه بوابات الحضرة الإلهية ، وبعد أن زوده الرب بالحكمة والذكاء والعدل والمعرفة والفهم ، والرحمة والتواضع ، والقوة والبهاء والجمال وكل الخواص التى لم تحصل عليها الكائنات السماوية وهبه الرب آلاف البركات ، كما أن طوله وعرضه أصبح فى طول وعرض العالم ، ولحق به من يمناه ويسراه ستة وثلاثون جناحًا كان كل منها فى حجم كل العالم ، ووهبه الرب أيضًا ثلاثمائة وخمسة وستين عينًا كان كل منها مشعًا كالشمس . وقد خُصص له عرش رائع بجوار بوابات السماء السابعة وأعلن رسول فى كل السموات من ذا الذى سيُدعى سيد المناطق السماوية ؟ لقد عينت خادمى "ميتاترون" أى أميرًا وسيدًا على كل الأمراء فى مملكتى باستثناء الأمراء الذين يحملون اسمى . وعلى كل من له طلب من الملائكة أن يتوجه إلى هذا السيد وعليكم إطاعة وتنفيذ ما يأمر به بناء على طلبى لأن أميرىْ الحكمة والفهم يعملان لديه ويكشفان له علوم السماء والأرض ومعارف ما هو حاضر وآت ، وعلاوة على هذا جعلته حارسًا على خزائن قصور سماء " عرافوت " ، وخزائن الحياه التى فى أعلى سماء .

ومن فرط المحبة حمل الرب إينوخ وألبسه ثيابا فاخرة لحقت بها كل أنواع الضياء ، ووضع على رأسه تاجًا كانت تزينه تسع وأربعون جوهرة ، وكان يحمل بهاء كل أجزاء السماوات وأنحاء الأرض الأربعة ، وقد وضع الرب التاج على رأس إينوخ فى حضور كل كائنات السماء ودعاه " الرب الصغير " ، ويحمل هذا التاج أيضًا الحروف التى خُلقت بها السموات والأرض والبحار والأنهار والجبال والوديان ، والكواكب والمجرات ، والرعد والبرق والثلج والبرد والعواصف وكل الأشياء التى يحتاجها العالم وغيبيات الخلق ، ويرتعد أمراء السماوات عند مشاهدة الميتاترون أمامهم بل ويسجدون أمامه، ويطغى بهاؤه وجلاله وجماله على كافة الملائكة مثل الملاك الشرير سمائيل أعظمهم ، وجبريل ملاك النار ، وبرديئيل ملاك البرد ، ورَوحيئيل ملاك الرياح ، وبركيئيل ملاك البرق ، وزعميئيل ملاك الأعاصير ، وتساكيئيل ملاك العواصف ، وشوعيئيل ملاك الزلازل ، وزعفيئيل ملاك الأمطار والبرد ، ورعميئيل ملاك الرعد ، ورعشيئيل ملاك الدوامات ، وشلجيئيل ملاك الثلج ، ومتريئيل ملاك المطر ، وشمشيئيل ملاك النهار ، وليليئيل ملاك الليل ، وجلجيئيل الملاك المتحكم فى نظام الشمس ، وأوفانيئيل ملاك القمر ، وكوكابيئيل ملاك النجوم ، وراحتيئيل ملاك المجرات .

وحينما تحول إينوخ إلى ميتاترون أضحى جسده نارًا سماوية فأضحى جسده لهيبًا وعروقه نارًا، وعظامه فحمًا مشتعلاً، وأضحى نور عينيه بريقًا سماويا وحدقتا عينيه مشعلاً من النار وشعره لهبًا متوهجًا ، كما أصبحت أطرافه وأعضاؤه شرارًا محترقًا وهيكله نارًا حارقة ، وكان على يمناه لهيب مضيء من النار ، وعلى يسراه مشعل من النار ، وكانت تحيطه من كل الجوانب الزوابع والعواصف والأعاصير والبرق(٦١) .

ميتوشيلاح

وبعد أن صعد إينوخ إلى السماء نصب كل الملوك ميتوشيلاح حاكمًا للأرض ، فسار على نهج والده إذ عمل على تعليم أبناء البشر طيلة حياته الحق والمعرفة والتقوى وعدم الانحراف البتة عن طريق الحق(٦٢) . وقد خلص العالم من آلاف الشياطين والعفاريت الذين من نسل آدم والذين أنجبهم من ليليث التى كانت شيطانة شريرة للغاية. وكانت هذه الشياطين والعفاريت تسعى عند التقائها بأى إنسان إلى إصابته وقتله حتى ظهر ميتوشيلاح وتضرع إلى الرب حتى يرحم البشر. وبعد أن قضى ميتوشيلاح ثلاثة أيام صائمًا فقد سمح الرب له بكتابة اسمه المقدس على سيفه الذى قتل به أربعة وتسعين ألفًا من العفاريت فى دقيقة واحدة حتى أتاه " أجريموس " الذى كان أول من وُلد من نسل العفاريت وطلب منه التوقف عن القتل بل وأبلغه فى ذات الحين بأسماء العفاريت ، وتمكن ميتوشيلاح على هذا النحو من وضع ملوكهم فى خزائن حديدية فى حين أن الآخرين فروا وتخفوا فى غياهب البحار والمحيطات. وقد عُرف بهذا الاسم لأنه يعنى قاتل العفاريت(٦٣) .

وكان إنسانًا شديد التقوى فنظم مائة وثلاثين مثلاً فى مديح الرب، وحينما توفى ميتوشيلاح سمع البشر وشاهدوا اهتياجًا بالسماء وشاهدوا تسعمائة صف من المعزين تماثل أحكام " المشنا " التسعمائة التى درسها ، وكانت الدموع تفيض من عيون الكائنات المقدسة على البقعة التى توفى فيها . وحينما شاهد الرب مدى حزن السموات والبشر على ميتوشيلاح فقد أثابهم جميعًا ، وأضاف سبعة أيام إلى فترة رحمته قبل إرسال الطوفان لتدمير الأرض(٦٤) .

الفصل الرابع

نـــوح

ميلاد نوح

أخذ " ميتوشيلاح " زوجة لابنه " لاميح " وأنجبت له ولداً ، وكان جسم الطفل عند ولادته أبيض فى لون الثلج وفى حمرة الوردة عند تفتحها ، وكان شعر رأسه وخصلاته الطويلة فى بياض الصوف ، وكانت عيناه كأشعة الشمس . وحينما فتح عينيه أضاء كالشمس كل المنزل ، وغمره بالضوء(١) . وحينما أُخذ من القابلة فتح فمه مسبحًا رب الخير(٢) غير أن أباه " لاميح " تملكه الخوف منه ففر إلى أبيه " ميتوشيلاح" وبث إليه خوفه قائلاً : رُزقت بمولود غريب ، إنه ليس كالبشر ، إنه يشبه أطفال ملائكة السموات كما أن طبيعته مختلفة ولا يشبهنا فضوء عينيه كأشعة الشمس وملامحه رائعة(٣) ، ويتراءى لى أنه ليس من صلبى وإنما هو من نسل الملائكة وأخشى أن تعم الحيرة الأرض خلال فترة حياته. أتيت إليك والدى لأرجوك الذهاب إلى أبينا إينوخ فى مستقره بين الملائكة لتعرف الحقيقة .

وحينما سمع " ميتوشيلاح " كلمات ولده توجه إلى إينوخ فى أقاصى الأرض ، وسيطر عليه البكاء هناك فسمع إينوخ نحيبه فتراءى له مستفسراً عما دعاه للمجىء فحدثه "ميتوشيلاح " عن سبب القلق الذى اعتراه ورجاه أن يخبره بالحقيقة فأجابه إينوخ : سيصنع الرب شيئًا جديداً بالأرض التى سيعمها الدمار وسيغمرها الفيضان لعام بأكمله . أما هذا الولد الذى رُزقت به فلن يمسه سوء ، وسيتم إنقاذ أبنائه الثلاثة غير أن الموت سيحل على كل البشر ، وسيحل عقاب شديد على الأرض التى ستتطهر من كل الدنس ، ولتخبر ولدك لاميح : " إن من أنجبه هو ابنه حقا ولتسميه نوحًا

لأنه سيتبقى لك ، وسيتم إنقاذ أبنائه من الدمار الذى سيحل على الأرض" . وحينما سمع "ميتوشيلاح" كلمات أبيه الذى أطلعه على أسرار الأشياء عاد إلى منزله ، وسُمى الطفل "نوحًا" لأنه جعل الأرض تعيش فى طمأنينة بعد الدمار الذى حل بها(٤) .

ولم يسمه نوحًا سوى جده " ميتوشيلاح " فى حين أن والده والآخرين كانوا يدعونه "مناحيم " . ولما كان جيله قد احترف الاشتغال بفن السحر والشعوذة ، تخوف " ميتوشيلاح " من أن يتعرض ابنه إلى خطر السحر فى حالة إذا ما عُرف اسمه، ومن هنا فقد حافظ على اسمه سرا . وكان اسم مناحيم الذى يعنى فى العبرية المواسى متناغمًا مع اسم " نوح " خاصة أنه كان يعنى أنه سيصبح مواسيًا فى حالة إذا ما توقف صانعو الشر عن صنائعهم الشريرة(٥) .

ومع ميلاده عم الإحساس بأنه سيجلب الراحة والخلاص ، وحينما أخبر الرب آدم " ملعونة الأرض بسببك" تساءل : "حتى متى ؟ " وأجابه الرب : حتى يُنجب ولد يجلب راحة لا يتعين معها خضوعه لطقس الختان ، وتحقق هذا الأمر مع نوح إذ تم ختانه وهو فى رحم والدته .

ومع ظهور نوح فى العالم حدث تحول ملموس فى مجريات العالم إذ توقفت اللعنة التى كانت حلت على الأرض بسبب خطيئة آدم والتى جعلت الشوك ينبت ويكثر بدلا من القمح الذى كانت تتم زراعته ، وتوقفت هذه اللعنة مع ظهور نوح إذ أصبحت الأرض تنبت ما يزرع فيها ، وحينما وصل نوح إلى مرحلة الرجولة ابتكر المحراث والمنجل والمعزقة والأدوات الأخرى اللازمة للزراعة . وكان البشر يستخدمون قبله أياديهم فقط فى الزراعة(٦) .

وكان هناك دليل آخر يفيد أن هذا الطفل الذى ولد للاميخ قدر عليه قدرٌ خارق فحينما خلق الله آدم سخر له كل الأشياء فجعل البقر يطيع من يعملون بالحراثة ، وجعل الحقول قابلة للحرث غير أن كل الأشياء تمردت عليه بعد عصيانه فرفض البقر الانصياع للمشتغلين بحرث الأرض ، كما أن الحقول أصبحت عنيدة ومستعصية على الزراعة ، وحينما ولد نوح عادت كل الأشياء إلى طبيعتها التى كانت عليها قبل عصيان آدم .

وكان البحر قبل ميلاد نوح دائم التمرد فكان يتجاوز حدوده مرتين فى اليوم إحداهما فى الصباح والأخرى فى المساء، فكان يغرق الأراضى حتى الأعماق غير أن البحار التزمت حدودها بعد مولده ، كما أن المجاعة التى كانت تصيب العالم فى زمن

لاميخ والتى كانت ثانى مجاعة تصيب الأرض من بين المجاعات العشر المقدرة عليها توقفت عن المجىء مع ميلاد نوح(٧) .

عقاب الملائكة

وحينما بلغ نوح مرحلة الرجولة سار على هدى جده " ميتوشيلاح" غير أن سائر البشر فى عصره تمردوا على هذا الرجل التقى متبعين أهواءهم الشريرة مرتكبين أعمالهم المقيتة(٨) . ولم يكن فسوق البشر سوى نتيجة للأعمال الشريرة التى قامت بها الملائكة التى سبق أن طُردت من الجنة هى ونسلها من العمالقة. وحينما صرخ الدم الذى سفكه الجبابرة على الأرض إلى السماء كلف الرب كل ملاك من كبار الملائكة الأربعة بمهمة بعينها ، فكلف الملاك " أوريئيل " بالتوجه إلى نوح وإخباره بأن الفيضان سيدمر الأرض وتعليمه طرق إنقاذ حياته. كما كلف الملاك رفائيل بإلقاء القبض على الملاك المطرود " عزازيل " ووضعه فى الأحجار الحادة والمدببة فى صحراء " دودائيل " ، وتغطيته بالظلام ، وأن يبقى على هذا الحال حتى يوم البعث الذى سيلقى فيه فى نار الجحيم، وستشفى الأرض من الفساد الذى سعى إلى إنزاله بها. كما تم تكليف جبريل بالعمل ضد الأشرار ، وأبناء الملائكة الذين تزوجوا من بنات البشر ، وإدخالهم فى صراعات مميتة كلا ضد الآخر ، أما نسل الملاك المطرود " شيمحازاى " فقد تم تسليمه إلى ميخائيل الذى جعلهم يشاهدون موت أبنائهم فى صراعاتهم الدموية ثم جمعهم وثبتهم تحت الأرض حيث سيظلون تحتها سبعين جيلاً حتى مجىء يوم البعث الذى سيحملون فيه إلى النار(٩) .

وهكذا كانت نهاية الملاكين "عزازيل" و " شيمحازاى " ، وحينما بدأ جيل الطوفان فى عبادة الأوثان تألم الرب كثيراً لما فعلوه ، وعندئذ نهض الملاكان "عزازيل" و " شيمحازاى " قائلين : رب العالمين لقد حدث ما ذكرناه عند خلق الإنسان، لقد ذكرنا من ذا الإنسان الذى تهتم به إلى هذا الحد فقال الرب : وما سيضحى عليه العالم دون الإنسان ؟ فقالت الملائكة : سنهتم به . فقال الرب : إنى عليم به وأعلم أنكم إذا قطنتم الأرض فإن النزعات الشريرة ستسيطر عليكم ، وستكونون أكثر قسوة وظلماً من البشر ،

فتوسلت الملائكة إلى الرب قائلة " فلتمنحنا الحق فقط فى الإقامة بين البشر ، وسترى كيف سنقدس اسمك " فاستجاب الرب إلى رغبتهم بقوله : اهبطوا وأقيموا معهم .

وحينما حلت الملائكة بالأرض ولاحظت مدى جمال بنات البشر لم تتمكن من كبح جماح عواطفها، فحينما رأى الملاك " شيمحازاى " الفتاة الفاتنة "إيستيحار" مال قلبه إليها وفُتن بها فوعدته بأن تسلم نفسها إليه إذا ما أنبأها بادئ ذى بدء باسم الذات الإلهية الذى يتمكن من خلاله من الصعود إلى السماء ، واستجاب إلى مطلبها غير أنها نطقت هذا الاسم فور معرفتها به وصعدت للسماء دون أن تفى بوعدها للملاك . وعندئذ قال الرب : إنها عصمت نفسها من الخطيئة ولهذا سنضعها بين النجوم السبعة حتى لا ينساها البشر إلى الأبد . ومن هنا فقد تم وضعها فى برج الثور الذى يضم ستة نجوم ساطعة وواحدة لا ترى بالعين المجردة .

ومع هذا لم يرتدع " شيمحازاى " و " عزازيل " عن الاقتران ببنات البشر بل وأنجب " شيمحازاى " ولدين . وبدأ " عزازيل " فى ابتكار الملابس والحلى التى تغرى بها النساء الرجال . ومن هنا فقد أرسل الرب الملاك " ميتاترون " ليخبر شيمحازاى " أن الرب قرر تدمير العالم وجلب الفيضان. وبدأ هذا الملاك المطرود فى رثاء حال العالم ومصير ولديه قائلاً : إذا هلك العالم فماذا سيأكل من يحتاجون يوميا إلى ألف جمل ، وألف حصان ، وألف ثور ؟

وقد راودت " حيوا " و " حيا " ولدى شيمحازاى الكثير من الأحلام فرأى أحدهما فى الحلم حجراً كبيراً يغطى الأرض ، كما رأى الأرض تغطيها خطوط مختلفة ومتباينة. وأتى فى هذه اللحظة ملاك حاملا سكينا قام بطمس كل الخطوط تاركًا منها أربعة حروف على الحجر. أما الابن الآخر فقد رأى بستان البهجة مليئًا بكافة أنواع الأشجار، ورأى الملائكة تقترب من الأشجار وهى تحمل فى يدها الفئوس. وقامت الملائكة بقطع الأشجار كافة ، ولم تترك سوى شجرة واحدة كانت تحمل ثلاثة أغصان .

وحينما استيقظ " حيوا " و " حيا " من حلمهما ذهبا إلى أبيهما الذى فسر لهما الحلم قائلاً : سيجلب الرب الطوفان ، ولن ينجو أحد منه سوى نوح وأبنائه . وحينما سمع الولدان هذه الكلمات انفجرا فى البكاء والنحيب غير أن الأب هدأ من روعهما

قائلاً : "مهلا .. مهلاً . لا تبتئسا ، فطالما أن البشر سيواصلون تقطيع الأحجار واستخدام الآوانى فإنهم سيذكرونكم دوماً " . وقد هدأت هذه النبوءة من روعهما .

وفرض " شيمحازاى " عقوبة على ذاته كنوع من التكفير عن الذنب فأوقف نفسه بين السموات والأرض، وظل على هذه الحال حتى يومنا هذا غير أن "عزازيل" ظل على عناده متمسكًا بخطيئة تضليل البشر عبر وسائل الإغراء، ولهذا السبب يتم التضحية بخروفين فى المعبد فى يوم الغفران ، فيُقدم أحدهما للرب لغفرانه ذنوب إسرائيل ، أما الآخر فيُقدم لعزازيل لتحمله لذنوب إسرائيل[10] .

وعلى خلاف السيدة التقية " إيستيحار " فقد أغوت " نعمة " الأخت المحبوبة " توبال قابيل " بجمالها الملائكة ، بل ونتج عن جماعها مع الملاك " شامدون" إنجاب الشيطان " أسمودوس"[11] ، وكانت نعمة فى وقاحة كافة نسل قابيل ، وكان ملؤها النزوع إلى الانغماس فى الملذات فكان الرجال والنساء الذين من نسل قابيل يسيرون عرايا ، ويسلمون أنفسهم لكل ممارسات العهر ، وكان من بينهم هؤلاء النسوة اللائى أغوى جمالهن وسحرهن الحسى الملائكة الذين حادوا عن درب الفضيلة . ومن جهة أخرى فحينما تمردت الملائكة على الرب وهبطت إلى الأرض فسرعان ما فقدت خواصها السماوية، واتحدت بالأجساد الأرضية ، وهكذا فقد تسنى لها ممارسة الجماع مع بنات البشر ، وأثمر جماع الملائكة مع نساء قابيل عن مولد العماليق[12] الذين عرفوا بقوتهم وخطيئتهم ، ومن هنا عُرفوا باسم " إيميم " لأنهم اعتادوا بث الرعب فى نفوس الجميع . غير أنه كانت لهم أسماء أخرى مثل " رفائيم " الذى عرفوا به لأنه حينما كان يتجاسر المرء على النظر إليهم فقد كان قلبه يضعف . كما عرفوا باسم " جيبوريم " أى العمالقة خاصة أن أحجامهم كانت ضخمة للغاية فكان طول الواحد منهم ثمانية عشر ذراعًا . وعرفوا أيضا باسم " زمزوميم " لأنهم كانوا شديدى التميز فى فنون القتال ، وكان من بين أسمائهم أيضًا " عناقيم " لأن أعناقهم كانت تلامس الشمس ، وكان من بين أسمائهم أيضًا " عيفيم " لأنه كان بمقدورهم – مثل الثعابين – التعرف على خواص التربة ، وعرفوا أيضا باسم " نفيليم " لأنهم وضعوا نهاية للعالم[13] .

جيل الطوفان

وبينما كان نسل قابيل يشبه أباه فى الخطيئة والفسوق فقد اتسمت حياة نسل "شيث" بالتقوى والفضيلة ، وتجلت الفروق بين الجماعتين فى مقر إقامة كل جماعة . فبينما أقامت عائلة " شيث " على الجبال الواقعة على أطراف الفردوس فقد أقامت عائلة قابيل فى منطقة دمشق وفى البقعة التى لقى فيها هابيل مصرعه على أيدى قابيل .

ومن المؤسف أن عائلة " شيث " أصبحت – فى عهد " ميتوشيلاح " وعقب وفاة آدم – عائلة فاسدة لتأثرها بنسل قابيل ، واندمجت العائلتان مع بعضهما البعض وارتكبتا كل الخطايا . وقد أثمر التزاوج بينهم عن ولادة " نفيليم " الذى جلبت خطاياه الطوفان إلى العالم . وادعوا من فرط الغطرسة أن نسلهم مثل نسل " شيث " بل وقارنوا أنفسهم بالأمراء الذين من نسل عريق(١٤) .

وعاش هذا الجيل فى حالة من الترف بسبب الظروف المثالية التى عاشها البشر قبل مجيء الطوفان فلم يعرفوا العناء أو التعب . ونتيجة لتناسلهم الضخم نشئوا متغطرسين بل وتغطرسوا على الرب فكان نشر البذور كفيلاً بإنتاج محصول يكفى احتياجاتهم لأربعين عاماً ، وقد تمكنوا بوسائل السحر من إجبار الشمس والقمر على خدمتهم(١٥) . ولم ترهقهم عملية تنشئة الأطفال الذين كانوا يولدون بعد مضى بضعة أيام من الحمل ، وكانوا يتمكنون من السير والتحدث بعد مضى بضعة أيام على ولادتهم ، وكانوا يساعدون أمهاتهم فى شد أحبال السفن . ولم يكن بمقدور العفاريت والشياطين المساس بهم . ويحكى أن طفلاً رضيعًا توجه ذات مرة لإحضار مصباح كهربائى فى الوقت الذى كانت أمه منشغلة بقطع أحد أشرعة السفن ، والتقى فى طريقه برئيس العفاريت ونشأ عراك بينهما ، وتردد على حين غرة صوت الديك ، فتوقف رئيس العفاريت عن الصراخ وأخبر الطفل " توجه إلى والدتك . ولولا صياح الديك لكنت قتلتك " فأجاب الطفل "أخبر والدتك لولا انشغال أمى بشراع السفينة لكنت قتلتك"(١٦) .

وكان لحياتهم الخالية من الهموم أثر ضخم فى خلو حياتهم من العمل ، وسلوكهم مسالك الأشرار. وقد تجاوز الرب برحمته وصبره ظلم البشر غير أن صبره نفد حينما بدأت حياتهم تتسم بغير العفة فالرب يغفر كل الخطايا باستثناء العيش على نحو تعوزه الأخلاق(١٧) .

وكانت رذيلة الجشع هى التى سارعت بوضع حد لهذا الجيل الظالم ، فكان أبناء هذا الجيل يتآمرون على نحو يجعلهم يمارسون أعمال النهب دون أن يقعوا تحت طائلة القانون ، فحينما كان أحد رجال القرية يجلب سلة مليئة بالخضراوات إلى السوق كان كل واحد من أبناء هذا الجيل يقترب منه ويسلب أحد الخضراوات. وبالرغم من قلة قيمة ما كانوا يأخذونه فلم يكن التاجر يجد ما يبيعه(١٨) .

وبعد أن قرر الرب إبادة المخطئين سمح لرحمته أن تسود فأرسل إليهم نوحا يعظهم مائة وعشرين عاماً محاولاً تعديل سلوكهم وأخذ يتوعدهم بخطر الطوفان الذى سيبيدهم فما كان منهم إلا أن ازدروه . وحينما رأوه منشغلاً ببناء الفلك سألوه إلى أين يتجه الفلك؟ فأجاب نوح سيبعث الرب إليكم بطوفان فقال المذنبون : أى طوفان تتحدث عنه ؟ إذا أرسل الرب طوفانًا من نار فسيمكننا حماية أنفسنا. وإذا أرسل طوفانًا من الماء فيمكننا تغطية الأرض بألواح من الحديد . أما إذا أتى الفيضان من علٍ سيمكننا أيضًا مواجهته ، فقال نوح : ستتسرب المياه من تحت أقدامكم ، ولن تتمكنوا من صدها .

وقد أخذتهم العزة بالإثم بعض الشىء لأن نوحا كان قد أخبرهم أن الطوفان لن يهبط عليهم طالما أن شخصًا تقيا مثل " ميتوشيلاح " لا زال يقيم بينهم ، وقد انقضت فترة الأعوام المائة والعشرين التى وضعها الرب كمهلة لاختبارهم عسى أن يرجعوا عن خطيئتهم ، ومع نهاية هذه المدة توفى " ميتوشيلاح " ، وأرجأ الرب تنفيذ حكمه عليهم أسبوعًا حدادًا على " ميتوشيلاح "، وتغيرت خلال هذه الفترة التى غلبت عليها الرحمة قوانين الطبيعة فأصبحت الشمس تشرق من الغرب ، وتغرب فى الشرق ، ومنح الرب المخطئين خلال هذه الفترة كل الأطعمة اللذيذة التى سينالها الصديقون فى العالم الآخر حتى يثبت لهم حجم الخسارة التى تعرضوا إليها(١٩) . غير أن كل هذه التنبيهات لم تعد مجدية بعد وفاة "ميتوشيلاح" وكافة الصديقين والأتقياء ، ومن ثم فقد أرسل الرب الطوفان على الأرض(٢٠) .

الكتاب المقدس

وكان بناء الفلك يحتاج إلى قدر كبير من الحكمة خاصة أنه كان لا بد أن يكون به مساحة كافية لكل كائنات الأرض بل والأرواح، غير أن الفلك لم يصمم لحمل الأسماك(٢١) . وقد اكتسب نوح الحكمة اللازمة من الكتاب الذى كان الملاك " رازيئيل " منحه لآدم هذا الكتاب الذى يعد سجلا لكل المعارف الأرضية والسماوية .

وبينما كان أول زوج من البشر يعيش فى الجنة اقترب " سامينيل " الذى كان يصحبه غلام من حواء ، وطلب منها الحفاظ على ابنه الصغير حتى يعود . ووعدته حواء بالحفاظ عليه ومع عودة آدم من تنزهه بالجنة وجد مع حواء طفلاً يصرخ ، وأخبرته حواء أن هذا الطفل هو ابن " سامئيل " . وأثار هذا الأمر غضب آدم الذى أخذ يتزايد مع اشتداد صراخ الطفل ، ولهذا وجه صفعة إلى الطفل وقتله غير أن جثته لم تتوقف عن الصراخ والنحيب ، ولم تتوقف الجثة عن صراخها حتى بعد أن مزقها آدم إرباً . وحتى يتخلص من هذه الكارثة فقد جعل مما تبقى من جثة الطفل طعاماً له ، وتناولها هو وزوجته حواء ، ومع انتهائهما من الطعام ظهر أمامها " سامئيل " وطلب منهما استرداد ولده ، وحاول المجرمان الإنكار مدعيين أنه ليست لديهما أية معرفة بالولد ، غير أن " سامئيل " نهرهما قائلاً : كيف يمكنكما ترويج مثل هذه الأكاذيب ؟ ألا تعلمان أن الرب سيهب إسرائيل التوراة التى جاء بها : ابتعد عن الكذب .

وبينما كانا يتحدثان على هذا النحو تردد فجأة صوت القتيل ، هذا الصوت الذى أخذ يتصاعد من قلبى آدم وحواء ، خاطب الصوت " سامينيل " قائلاً : تقدم . لقد تسللت إلى قلبى آدم وحواء ولن أدعهما ، ولن أدع قلوب أبنائهم وأحفادهم ، وسأعيش فى قلوبهم إلى الأبد " .

وغادرهما " سامينيل " وترك آدم يعتصره الألم ، وارتدى آدم الخيش ، ووضع على رأسه التراب ، وصام أياماً طوالا حتى ظهر الرب أمامه قائلاً : " يا بنى لا تخف من " سامئيل " ، سأعطيك علاجًا يساعدك على قهر خوفك خاصة أنه توجه إليك بناءً على اقتراحى ، فتساءل آدم وما العلاج؟ فأجاب الرب : "التوراة " فتساءل آدم ثانية : وأين هى ؟ فمنحه الرب كتاب الملاك " رازيئيل " الذى تدارسه آدم بكرة وعشيا ،

وبعد مضى فترة على حصوله على هذا الكتاب زارته الملائكة التى غارت من حصوله على الحكمة من هذا الكتاب فسعت بمكر ودهاء إلى تدميره إذ دعته ملائكة الرب وسجدت أمامه دون أن تبالى باعتراضه إذ كان يصرخ قائلاً : لا تسجدوا أمامى ولكن سبحوا الرب معى ودعونا نمجده فى علاه . غير أن قنوط الملائكة كان عظيماً للدرجة التى جعلتهم يسرقون منه الكتاب الذى منحه الرب لآدم ، وألقوه فى البحر . وقد بحث آدم عن الكتاب فى كل الأمكنة دون طائل مما تركه نهبًا للقلق والحيرة ، وصام مرة أخرى أيامًا طوالاً حتى تراءى الرب أمامه قائلاً : لا تخف يا آدم . سأهبك الكتاب ثانية ، فنادى الرب رحاب ملاك البحر وأمره باسترداد الكتاب من البحر وإعطائه لآدم . وفعل رحاب ما تلقاه من أمر(٢٢) .

ومع موت آدم اختفى الكتاب المقدس ، غير أن الكهف الذى أخفى به تكشف لإينوخ فى الحلم . واستمد إينوخ من هذا الكتاب معارفه عن الطبيعة والأرض والسموات ، وأصبح حكيما من خلال هذا الكتاب ، ومن هنا فاقت حكمته حكمة آدم ، وقد أخفى " إينوخ " فيما بعد هذا الكتاب .

وحينما قرر الرب جلب الطوفان على الأرض أرسل إلى نوح رئيس الملائكة رفائيل " حاملاً معه الرسالة التالية : أعطيك حاليًا الكتاب المقدس حتى تتكشف لك من خلاله كل الأسرار والغيوب ، وسيمكنك تنفيذ وصاياه بقداسة وبطهارة وبتواضع . وستتعلم منه كيف يمكنك بناء فلك الخشب من شجر الغوفرة ، هذا الفلك الذى ستجد فيه أنت وأبناؤك وزوجك الحماية .

وأخذ نوح الكتاب وحلت عليه الروح القدس حينما كان يتدارسه فعلم كل الأشياء المطلوب معرفتها لبناء الفلك ، والمجموع الكلى للحيوانات التى سيأخذها . وأخذ معه إلى الفلك الكتاب المصنوع من الياقوت، ووضع هذا الكتاب فى البدء فى سلة من الذهب، وساعده هذا الكتاب طيلة الوقت الذى قضاه فى الفلك فى التمييز بين الليل والنهار، وقد أعطى هذا الكتاب قبل وفاته إلى " سام " الذى قام فيما بعد بإعطائه إلى إبراهيم، وتسلسل هذا الكتاب من إبراهيم إلى يعقوب ولاوى، وموسى ، ويوشع ، وسليمان ، واكتسب كل منهم حكمته من هذا الكتاب ، كما اكتسب كل منهم مهارته فى تعلم الفنون والسيطرة على العفاريت والأرواح الشريرة من هذا الكتاب(٢٣) .

نزل الفلك

وتم الانتهاء من الفلك وفقًا للتعاليم الواردة فى كتاب " رازينيل " ، وكانت مـهـمـة "نوح" التالية جمع الحيوانات التى سيتم وضعها بالفلك ، فكان عليه جمع ما لا يقل عن اثنين وثلاثين نوعًا من الطيور، وثلاثمائة وخمسة وستين نوعًا من الزواحف. وقد أمر الرب الحيوانات بالتوجه إلى الفلك وقامت بالتجمع هناك ، ولم يبذل نوح جهدًا كبيرًا سوى الإشارة إليها لتجميعها[٢٤] . وفى الحقيقة كان عدد الطيور والحيوانات التى قدمت إلى الفلك أكبر مما كان مطلوبًا فأمر الرب نوح بالجلوس بجوار باب الفلك وكلفه بملاحظة أى الحيوانات تجلس عند وصولها إلى مدخل الفلك وأى منها يكتفى بالوقوف ، وأمره بإدخال من جلسوا فقط . وبقبوله هذه المهمة التى كلف بها لاحظ نوح وجود لبؤة وشبليها وجثموا جميعهم عند مدخل الفلك غير أن الشبلين صارعا اللبؤة التى نهضت ووقفت بجوارهما ، وقام نوح عندئذ بإدخال الشبلين فقط . أما الحيوانات المفترسة والماشية والطيور التى لم يقبل دخولها ، فقد ظلت واقفة بجوار الفلك لسبعة أيام خاصة أن عملية تجميع الحيوانات حدثت قبل مجىء الطوفان بأسبوع .

وكانت الشمس قد أظلمت يوم مجىء الحيوانات إلى الفلك ، كما أن أسس الأرض قعقعت ، وأنار البرق ، وتردد صوت الرعد على نحو لا مثيل له . أما المذنبون فقد ظلوا على معصيتهم ، ولم يغيروا مسلكهم الشرير طيلة الأيام السبعة .

وحينما بدأ الطوفان فى نهاية الأمر يتدفق فقد تجمع سبعمائة ألف من أطفال البشر حول الفلك مناشدين نوحا أن يوفر لهم الحماية ، فصرخ فيهم قائلاً : " ألستم من تمرد على الرب قائلين ليس هناك رب ؟ ولذلك جلب الدمار عليكم لإبادتكم ومحوكم من على وجه الأرض . ألم أخبركم بهذه النبوءة طيلة الأعوام المائة والعشرين الأخيرة ؟ ألم تصغوا إلى كلمات الرب غير أنكم تبتغون حاليًا العيش . فصرخ المذنبون قائلين : سمعًا وطاعة ، إننا مستعدون جميعًا للعودة إلى الرب إذا فتحت بوابة الفلك لاستقبالنا به حتى نحيا ولا نموت " . وأجاب نوح قائلاً: " إن ما تقومون به حاليًا ناجم عن حاجتكم وإلحاحها عليكم . ولماذا لم ترجعوا إلى الله خلال الأعوام المائة والعشرين التى منحها الله لكم للتوبة ؟ إنكم تأتون حاليًا وتتحدثون على هذا النحو لأن محنتكم تؤرق حياتكم ، ولذلك لن يستجيب الرب لكم ولن يصغى إليكم ، ولن يتحقق شىء مما تدعون".

وقد حاول المذنبون اقتحام مدخل الفلك بالقوة غير أن الحيوانات المفترسة التى كانت تجلس بجوار الفلك انقضت عليهم فقتل الكثير منهم فيما هرب آخرون فلقوا حتفهم على أيدى مياه الفيضان[٢٥] . ولم يكن بوسع المياه فقط القضاء عليهم إذ كانوا عمالقة فحينما هددهم نوح ببلاء الرب أجابوا : إذا أتت مياه الفيضان من عل فإنها لن تصل إلى أعناقنا ، أما إذا أتت من تحت فإن أقدامنا ضخمة على نحو يمكننا من تغطية منابع الماء . ومن هنا فقد أمر الرب كل قطرة ماء بالمرور عبر جهنم قبل سقوطها على الأرض ، ومن ثم فقد حرق المطر الساخن جلد المذنبين. وكان العقاب الذى حل بهم متماشياً مع جريمتهم فقد عوقبوا بالمياه الساخنة لأن رغباتهم الحسية كانت تجعلهم يشعرون بالسخونة ، وكانت تدفعهم للتجاوزات الأخلاقية[٢٦] .

وحينما حل الموت لم ينجح المذنبون فى كبح رغباتهم فى ممارسة الرذيلة فحينما بدأت المياه تتفجر وتخرج من ينابيعها ألقى المذنبون أطفالهم فى المياه لوقف الفيضان[٢٧] .

وبفضل رحمة الرب وجد نوح مأوى فى الفلك قبل بدء المياه فى تدمير كل شىء[٢٨] ، وبالرغم من أنه كان أفضل من أقرانه فلم يكن جديراً بأن يقوم الرب بمعجزات من أجله فقد كان إيمانه ضعيفاً ولذلك لم يدخل الفلك إلا بعد أن وصلت الميـــاه إلى ركبتيه ، وقد دخل الفلك معه زوجته نعمة بنت إينوش Enosh التى هربت من الخطر ، وأبناؤه الثلاثة وزوجاتهم[٢٩] .

ولم يتزوج نوح إلا بعد أن بلغ من العمر أربعمائة وثمانية وتسعين عاماً ، وأمره الرب عندئذ بالزواج ، ولم يكن نوح يبتغى جلب أطفال إلى العالم لإحساسه أنهم سيلقون حتفهم فى الطوفان ، ولم ينجب أبناءه الثلاثة إلا قبيل مجىء الطوفان بقليل[٣٠] ووهبه الرب عدداً قليلاً من الأبناء لا سيما أنه كان من الوارد أن يعفى من مهمة بناء فلك ضخم فى حالة إعلان المخطئين التوبة ، أما إذا لم يعلنوا التوبة وتعرض الأبناء إلى الفساد مثل جيلهم فإن الإحساس بالأسى على فقدانهم سيكون متماشياً مع عددهم القليل[٣١] .

وفى الوقت الذى ابتعد فيه نوح وأبناء عائلته فقط مقارنة بكل أبناء جيله عن الفساد كانت الحيوانات التى دخلت فى الفلك بعيدة كل البعد عن الخطيئة خاصة أن الحيوانات فى ذلك الوقت اتسمت بالفسق مثل سائر البشر فكان الكلب يضاجع الذئب ، ولم يبال كثير من الحيوانات والبشر بالنقاء الجنسى ، أما الحيوانات التى تم الحفاظ عليها فقد كانت تلك الحيوانات التى ابتعدت عن الخطيئة[٣٢] .

وقبل مجىء الطوفان كان عدد الحيوانات الدنسة أكبر من عدد الحيوانات الطاهرة غير أن هذا الوضع تغير فيما بعد إذ تم الاحتفاظ فى الفلك بسبعة أزواج من الحيوانات الطاهرة فى حين أن عدد الحيوانات غير الطاهرة بالفلك لم يتعد زوجين[٣٣] .

ولم يتمكن نوح من أخذ أحد الحيوانات إلى الفلك وهو حيوان " الريم " الذى تعذر إدخاله إلى الفلك بسبب ضخامة حجمه ، ومن ثم ربطه نوح إلى الفلك ، وجرى هذا الحيوان خلف الفلك[٣٤] . ولم يتمكن نوح أيضًا من أن يجد مكانًا للعظيم " أوج " الذى كان ملكًا لمنطقة " باشان" ، ومن هنا فقد جلس آمنًا على قمة الفلك ، وهرب على هذا النحو من مياه الفيضان ، وقد تصدق نوح عليه بالطعام يوميا عبر إحدى فتحات الفلك ، وقد أحسن نوح إليه لأن " أوج" كان قد وعده بأن يعمل فى خدمته هو ونسله إلى الأبد[٣٥] .

وقد وُجد كائنان من أغرب الأنواع ملاذًا فى الفلك ، فكان من بين الموجودات التى أتت إلى نوح الكذب الذى أتى بحثًا عن مأوى . وقد رفض نوح السماح للكذب بالدخول خاصة أنه لم يكن لديه أى رفيق فضلاً عن أنه كان يأخذ من كل الحيوانات زوجين فقط ، فذهب الكذب بحثًا عن شريك له فالتقى بسوء الطالع واتفقا فيما بينهما على الارتباط ببعضهما البعض شريطة أن يتكفل سوء الطالع بما يحرزه الكذب من نجاحات . وتم على هذا الأساس قبولهما فى الفلك . وحينما غادرا الفلك لاحظ الكذب أن كل ما يدركه سرعان ما يتبدد ، ومن ثم فقد سارع بالاستفسار عن هذه الظاهرة من سوء الطالع الذى أخبره : ألم نتفق على شرط حصولى على ما تحرزه من نجاح ؟ ومن هنا فقد اضطر الكذب للرحيل خاوى الوفاض[٣٦] .

الطوفان

وكانت مهمة تجميع الحيوانات فى الفلك من أبسط المهام التى ألقيت على عاتق نوح ، وفى المقابل فقد تمثلت أشق المهام التى واجهته فى توفير الطعام والمسكن لكل هذه الحيوانات لمدة عام . وفى مرحلة لاحقة قص " سام " بن نوح على إليعازر خادم إبراهيم قصة تجاربهم مع الحيوانات فى الفلك ، فقال : لقد واجهنا مشكلات جمة فى الفلك فكانت بعض الحيوانات تطعم فى الصباح ، كما كانت بعض الحيوانات الأخرى تطعم فى المساء ، ولم يكن لوالدى علم بالطعام الذى يتعين عليه تقديمه إلى حيوان الزكتا، وحينما شق التفاحة نصفين خرجت حشرة من الثمرة التى سرعان ما التهمتها ، وقام والدى فيما بعد بعجن النخالة وجعل منه طعاماً للحشرة . وقد عانى الأسد طيلة الوقت من ارتفاع فى درجة حرارته ، ومن هنا لم يسبب إزعاجًا للآخرين خاصة أنه لم يتلذذ بأى طعام جاف. وقد وجد والدى حيوان " الأورشانا " نائمًا فى إحدى زوايا الفلك فسأله ما إذا كان يحتاج شيئًا ليأكله فأجابه قائلاً : رأيتك منشغلاً فلم أحب أن أضيف عبئًا إلى مشاغلك" فأجاب والدى : ولتكن مشيئة الرب فى الحفاظ عليك إلى الأبد، وتحققت بالفعل هذه الدعوة[٣٧] .

وتزايدت هذه الصعاب حينما بدأ الطوفان فى هز الفلك والإطاحة به ، واهتز كل من كان بالفلك إلى الدرجة التى كانوا أشبه فيها بحبات العدس فى الإناء فبدأت الأسود فى الزئير ، والثيران فى الخوار والذئاب فى العواء ، وعبرت كل الحيوانات – وكل بصوته – عن ألمها .

وانهمرت دموع نوح وأبنائه حينما أحسوا أنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الموت فابتهل نوح إلى الرب قائلاً : "رب أغثنا لأنه ليس بمقدورنا تحمل الشر المحيط بنا فالموج يمور كما أن تيارات الدمار تبث الرعب فى نفوسنا، كما أن الموت محيق بنا ، اسمع صلاتنا وخلصنا ، كن معنا ، كن بنا رحيماً وخلصنا وأنقذنا"[٣٨] .

وكان الطوفان نتيجة لزواج العنصر الذكرى من المياه الواقع فوق جلد السماء والعنصر الأنثوى من المياه المتدفق من الأرض[٣٩] . وقد اندفعت المياه العليا عبر المساحة الخالية حينما أخرج الرب نجمين من مجموعة كوكب الثور . وحتى يتم

وقف الطوفان كان لزامًا على الرب أن ينقل نجمين من برج الدب إلى برج الأطلس ، ولهذا السبب يعدو برج الدب خلف برج الأطلس إذ إن برج الدب يبتغى استرداد ولديه غير أنهما لن يعودا إليه إلا فى العالم القادم[٤٠] .

وطرأت خلال عام الطوفان تحولات أخرى على عالم الأجرام السماوية فقد حُجب خلال هذا العام ضوء كل من الشمس والقمر. وكان الفلك مزدانًا بحجر كريم كان ضوؤه فى الليل أكثر قوة من ضوئه بالنهار مما أتاح لنوح التمييز بين النهار والليل[٤١] .

ودام الطوفان عامًا كاملاً فبدأ فى السابع عشر من شهر " حيشفان " ، كما أن المطر لم يتوقف عن الهطول أربعين يومًا حتى السابع والعشرين من شهر كيسلو . وكان العقاب الذى حل بالبشر على ذات قدر جريمة الجيل المخطئ. وكان جيل الطوفان قد عاش على نحو غير أخلاقى وأنجب أطفالاً لم يعيشوا فى أرحام أمهاتهم سوى أربعين يومًا . ودام الطوفان من السابع والعشرين من شهر نوفمبر حتى الأول من شهر مايو ، وغطت المياه خلال هذه الفترة الأرض وبلغ ارتفاعها خمسة عشر ذراعًا . وأُبيد خلال هذه الفترة كافة الأشرار ولقى كل منهم العقاب الذى يستحقه[٤٢] . وكان قابيل من بين هؤلاء الذين هلكوا ، وهكذا تم الثأر لهابيل[٤٣] . وكانت قدرة المياه على التدمير بالغة القوة ، ومن هنا لم تبق جثة آدم فى قبرها[٤٤] .

وفى الأول من شهر مايو بدأت المياه فى النقصان بمقدار ربع ذراع فى اليوم ، ومع مضى ستين يومًا وفى العاشر من شهر آب ظهرت قمم الجبال. وكان نوح قد أرسل فى العاشر من شهر تموز الغراب ، وأرسل فى الأسبوع اللاحق الحمامة فى أول رحلة من رحلاتها الثلاث . ولم تختف المياه كلية عن الأرض إلا بعد أن انقضت فترة طويلة من الأول من شهر آب حتى الأول من شهر تشرين. وكانت الأرض أشبه بالوحل حتى بعد انتهاء الطوفان مما ألزم المقيمين فى الفلك بالبقاء داخله حتى السابع والعشرين من شهر " حيشفان " ، وهكذا قضوا بالفلك سنة كاملة[٤٥] .

وكان نوح قد واجه صعوبة بالغة فى التعرف على حالة المياه، وحينما ابتغى إرسال الغراب حدثه الطائر قائلاً : إن الرب إلهك يكرهنى ، وتكرهنى أنت أيضًا .

إن الرب يكرهنى لأنه أمرك بأخذ سبعة أزواج من الحيوانات الطاهرة إلى الفلك وزوجين فقط من الحيوانات غير الطاهرة التى أنتمى إليها. إنك تكرهنى لأنك لم تختر رسولاً من بين الأزواج السبعة بالفلك وفضلت اختيارى وهكذا لن يتبقى سوى زوج واحد فقط. ولتفترض أنى هلكت بسبب الحرارة أو البرد فعندئذ سيفقد العالم الكثير. وربما تشتهى زوجى ولهذا تريد القضاء على . وأجابه نوح بقوله : أيها الوقح إنه لزام على أن أعيش منفصلاً عن زوجى بالفلك ولهذا فإن مثل هذه الخواطر لا تطرأ على ذهنى(٤٦) .

ولم يقدر النجاح للغراب فى مهمته فحينما شاهد جثة أحد الأموات تفرغ لالتهامها ولم ينفذ بالتالى المهام التى أوكلها إليه نوح. ومن هنا تم إرسال الحمامة التى عادت قبيل حلول الظلام حاملة غصن زيتون فى منقارها كانت قد أخذته من جبل الزيتون بالقدس خاصة أن الأرض المقدسة لم يغمرها الطوفان. وحينما اقتلعت الحمامة هذا الغصن ذكرت للرب : رب العالمين اجعل طعامى مرا كالزيتون ولكن أعطه لى من يدك ولا تعطنى طعامًا حلو المذاق من أيدى البشر(٤٧) .

نوح يغادر الفلك

وبالرغم من أن الأرض أخذت شكلها القديم الذى كانت عليه فى نهاية العام الذى حل به العقاب فلم يغادر نوح الفلك إلا بعد أن تلقى أمرًا من الرب بمغادرته وحدث نفسه قائلاً : كما دخلت الفلك بأمر من الرب سأغادره بناء على أمره غير أنه حينما أمره الرب بمغادرة الفلك رفض الانصياع للأمر لتخوفه من أن يجلب الرب طوفانا آخر بعد أن كان قد اعتاد العيش على أرض صلبة وبعد أن رزقه الرب بنعمة الأبناء ، ولذلك لم يغادر الفلك إلا بعد أن أقسم الرب أنه لن يجلب طوفانا آخر(٤٨) .

وحينما خطا خارج الفلك إلى الخواء أخذ ينتحب لرؤية الدمار الذى جلبه الطوفان فقال للرب : رب العالمين إنك تعرف بالرحيم فكان يجب أن تظهر رحمتك تجاه مخلوقاتك . فأجاب الرب قائلاً : أيها الراعى الأحمق تحدثنى الآن هكذا ، ولم تفعل هذا حينما خاطبتك برقة قائلاً : أراك إنسانًا تقيا ورائعًا فى جيلك وسأجلب الطوفان

على الأرض لتدمير الخلق . اصنع فلكًا لنفسك من الخشب ، وهكذا حدثتك وأخبرتك بكل الظروف حتى تطلب الرحمة للأرض ولكنك لم تعتن بالدمار الذى سيحل بالأرض فور علمك أن الفلك سينقذك ، ولم تقم إلا ببناء فلك لذاتك حتى تنقذ نفسك . لقد فنيت الأرض. افتح فمك وأقم الصلاة للرب .

وأدرك نوح عندئذ حماقته ، وحتى يسترضى الرب ويعترف بحماقته قدم أضحية للرب(٤٩) الذى قبلها بندائه له باسمه نوح(٥٠) . ولم يقدم نوح الأضحية بنفسه إذ قام ابنه سام بكل المهام الخاصة بالكهنة ، وكان سبب هذا الأمر أن نوحا غفل ذات يوم فى الفلك عن تقديم وجبة الطعام المخصصة للأسد الذى استبد به الجوع فوجه ضربة إليه جعلته أعرج إلى الأبد ، ومن ثم أصبح يعانى عيبًا خلقيا حرمه من فرصة تأدية مهام الكاهن(٥١) .

وتكونت الأضاحى من ثور وخروف وماعز ويمامتين وحمامتين صغيرتين. ووقع اختيار نوح على هذه الأنواع مفترضًا أنها مخصصة للأضاحى لا سيما أنه رأى أن الرب أمره بأخذ سبعة أزواج منهم إلى الفلك، وتأسس المذبح فى المكان نفسه الذى قدم عليه آدم وقابيل وهابيل أضاحيهم ، والذى أقيم فيما بعد فى القدس(٥٢) .

وبعد أن تم الانتهاء من تقديم الأضاحى بارك الرب نوحا وأبناءه، وجعلهم سادة الأرض كما كان آدم(٥٣) وأوصاهم قائلاً : أثمروا وتكاثروا على الأرض خاصة أن جنسى البشر والحيوانات كانا منفصلين عن بعضهما البعض خلال الفترة التى قضياها فى الفلك لأن النفس تعاف الشهوات حينما تحل المصائب والكوارث . ولم ينتهك أحد بالفلك هذا النظام سوى حام والكلب والغراب الذين تلقوا جميعًا عقابهم ، فكان عقاب حام أن نسله أصبح جلد نسله ضاربًا إلى السمرة(٥٤) .

وكدليل على أن الرب لن يبيد الأرض مرة أخرى وضع قوسه فى السحب، ومن هنا فحينما يفرط البشر فى الرذيلة فإن القوس يخبرهم أن خطاياهم تلحق ضررًا بالعالم . وقد حدث فى بعض العصور أن البشر عاشوا فى تقوى وورع ومن ثم لم يتخوفوا من العقاب . وفى هذه الأوقات لم يكن من الوارد مشاهدة قوس الرب الذى يتبدى فى شكل عصا الكمنجة(٥٥) .

وسمح الرب لنوح ونسله أن يأخذوا من لحوم الحيوانات طعامًا لهم والذى كان محرمًا تناولها منذ وقت آدم وحتى عهد نوح ، غير أنه كان لزامًا عليهم تجنب الدم . وقد أصدر نوح سبع وصايا عرفت باسم وصايا نوح ، وتعد هذه الوصايا مفروضة على جميع البشر وليس على إسرائيل فقط غير أن الرب هو الذى أمر بعدم سفك دماء البشر ، ومن هنا فإن من يسفك دم الإنسان يسفك دمه . وحتى لو حكم البشر بإطلاق سراح المذنب فإن العقاب سيحل به إذ سيموت على نحو غير طبيعى مثلما فعل بأخيه الإنسان ، وكما أن الحيوانات تفترس البشر فإن القصاص من حياتهم مطلوب(٥٦) .

لعنة السكر

وفقد نوح صفة " التقى " حينما بدأ فى الانشغال بزراعة العنب إذ أصبح بعد زراعته إنسانًا عاديا ، وأسفرت المحاولة الأولى لإنتاج النبيذ عن ظهور أول من أفرط فى احتساء الخمر ، وأول من صب الشتائم واللعنات على رفاقه ، وأول من أدخل نظام العبودية. وكان هذا هو الطريق الذى نجمت عنه كل الأشياء ، وكان نوح قد وجد العنب الذى أخذه آدم من الجنة عند خروجه منها مطرودًا ، وحينما تذوق هذا العنب وجده شهيا فقرر زراعة العنب والاهتمام به(٥٧) ، وقد أثمرت شجرة العنب فى يوم زراعتها نفسه ، واستخرج النبيذ من عصير العنب واحتساه فسكر ، وفقد كرامته ، ووقعت كل هذه الأحداث فى يوم واحد، وكان الشيطان هو الذى ساعده فى زراعة هذا الكرم ، فكان الشيطان متواجدًا فى اللحظة التى انشغل فيها نوح بزراعة فسيلة العنب التى وجدها، وسأله الشيطان : ماذا تزرع ؟ فأجاب نوح : أزرع عنبًا . فعاود الشيطان سؤاله : وما خواص ما سينتجه ؟

نوح : إن ثمرة هذه الشجرة حلوة المذاق سواء كانت جافة أو رطبة ، كما أنه يستخرج منها نبيذًا يسعد قلب الإنسان .

الشيطان : فلنتشارك فى نشاط زراعة العنب .

نوح : موافق .

وقام الشيطان لذلك بذبح حمل أعقبه بذبح أسد فخنزير فقرد ، وجعل دم كل ذبيح يتدفق تحت شجرة الكرم ، ونقل على هذا النحو إلى نوح صفات وخواص النبيذ بقوله : يكون الإنسان قبل تناول النبيذ بريئًا كالحمل وإذا شرب منه باعتدال يشعر أنه كالأسد قوة ، غير أنه يشبه الخنزير إذا تناول منه ما يفوق طاقته ، وإذا شرب منه إلى درجة السكر يتصرف كالقرد فيرقص ويغنى ويتحدث بالفحش دون أن يعلم ما يصنع(٥٨) .

ولم يرتدع نوح مثله مثل آدم الذى كان خروجه من الجنة بسبب النبيذ إذ إن حبة العنب كانت هى الثمرة المحرمة التى أسكرته(٥٩) .

وبعد أن غلب السكر نوحا توجه إلى خيمة زوجته ، وشاهده ابنه حام هناك فأخبر إخوانه بما لاحظه وقال: كان للإنسان الأول ولدان قتل أحدهما الآخر، أما هذا الإنسان فله من الأبناء ثلاثة ويبتغى إنجاب ابن رابع . ولم تشف هذه الكلمات غير المهذبة غليل حام من والده فأضاف إلى خطيئة عدم الاحترام فاحشة محاولة القيام بعملية لوالده لمنعه من الإنجاب .

وحينما أفاق نوح من سكرته وأصبح رزينًا راجح العقل صب لعنته على حام فى شخص كنعان أصغر أبنائه ، ولم يتمكن من إلحاق أى أذى بحام خاصة أن الرب كان قد وهب رضاه وبركته على نوح وأبنائه الثلاثة عند خروجهم من الفلك ، ولذلك صب لعنته على آخر أبناء الابن الذى منعه من إنجاب ابن آخر(٦٠) .

وتتسم عيون أبناء حام الذين من نسل كنعان بالاحمرار ، فحام أبصر أباه عاريًا ، كما أن شفاههم مشوهة الشكل لأنه تحدث بشفتيه عن حالة أبيه المشينة ، كما أن شعرهم أجعد لأنه كان قد لوى عنقه لمشاهدة عرى أبيه، ويسيرون عرايا لأنه لم يحرص على تغطية عرى أبيه ، وقد عوقب على النحو نفسه الذى ارتكب به خطيئته لأن طريقة الرب فى العقاب هى معاقبة المرء بما يقترفه من ذنب .

وكان على كنعان أن يعانى عوضًا عن أبيه ، غير أن بعضًا من العقاب حل عليه لما اقترفه من إثم إذ إن كنعان هو الذى جذب انتباه حام إلى حالة أبيه المقززة(٦١) وكانت وصية كنعان الأخيرة إلى أبنائه كالتالى : لا تذكر الحقيقة ، لا تتجنب السرقة ، ولتحى حياة خليعة ، ولتكره سيدك بكل ما فى قلبك من حقد وضغينة ، وليحب كل منكم الآخر"(٦٢).

وكما قدر على حام أن يعانى لسلوكه المشين فقد كوفئ " سام " و " يافث " للبر والتبجيل اللذين أبدياهما تجاه والدهما إذ حملا ثوبًا ووضعاه على كتفيهما سائرين بظهريهما متجنبين النظر إلى عرى والدهما مغطين على هذا النحو عرى والدهما . أما المصريون وأهل الحبشة الذين من نسل حام فقد قادهم ملك آشور عرايا إلى الأسر فى حين أنه حينما حرق ملاك الرب الأشوريين الذين من نسل سام فى المعسكر لم يتعرضوا للعرى إذ قاومت ثيابهم الحريق ، وحينما عانى " جوج " فيما بعد من الهزيمة فقد أمده الرب هو ونسله ونسل يافث بالأكفان وبمكان للدفن .

وبالرغم من ظهور " سام " و" يافث " فى صورة الأبناء الأبرار بوالدهما فقد استحق سام النصيب الأكبر من الثناء إذ كان سام أول من بادر بستر عرى أبيه فى حين أن " يافث " لحق به بعد أن تم البدء فى ستر الوالد ، ولذلك كوفئ أبناء سام بثواب خاص تمثل فى وضع " الطاليت " الذى يرتدونه فى حين أن نسل يافث يرتدون التوجا(٦٣) . وكان من السمات المميزة لسام أن اسمه ورد فى سياق مباركة الرب لنوح فجاء بالعهد القديم " تبارك الإله رب سام " . ويكمن وجه التفرد والتميز فى أن اسم الرب لا يكون مضافًا لاسم أى كائن حى إذ إنه لا يضاف إلا إلى من رحلوا عن الحياة(٦٤) .

وقد تجلت علاقة سام بيافث فى مباركة الرب لهما بقوله : سيهب الرب يافث أرضًا شديدة الجمال ، كما أن أبناءه سيكونون من المرتدين وسيتلقون دراستهم فى مدارس سام(٦٥) وعلم نوح أيضًا أن روح الإله ستستقر فى أول هيكل يؤسسه سليمان ابن سام ، وليس فى الهيكل الثانى الذى سيؤسسه "قورش" من نسل يافث(٦٦) .

نسل نوح ينتشرون

وحينما أصبح معروفاً لحام أن والده لعنه فر خجلاً وأقام مع عائلته فى المدينة التى شيدها لزوجته والتى أطلق عليها اسم " نيلاتاموك " ، وقد حذا " يافث " الذى أحس بالغيرة من أخيه حذو حام ، كما أنه شيد مدينة لزوجته باسم "أداتانيس" . أما سام فقد كان الوحيد من أبناء نوح الذى لم يترك أباه ، وقد شيد على الجبل

وعلى مقربة من منزل والده منزلاً أسماه باسم زوجته " تسيدكيتيلباب " ، وتقع المدن الثلاث بالقرب من جبل " لوبار " الذى يستقر عنده الفلك ، وتقع المدينة الأولى بجنوبه فى حين تقع المدينة الثانية غربه ، أما المدينة الثالثة فتقع شرقه .

وحاول نوح غرس التعاليم والوصايا التى تلقاها فى نفوس أبنائه وأحفاده فنهاهم خاصة عن الزنا والنجاسة وكل أنواع الظلم التى جلبت الطوفان على الأرض وحذرهم من مغبة الفرقة والحقد لخوفه من قيامهم بعد وفاته بسفك الدماء . وحذرهم من هذا الأمر على وجه الخصوص حتى لا يتعرضوا للفناء الذى تعرض له من سبقوهم . وكان من بين الشرائع التى كلفهم باحترامها تلك الشريعة التى تنص على عدم تناول ثمار أية شجرة خلال السنوات الثلاث الأولى من طرحها وأن يخصص نتاجها خلال السنة الرابعة للكهنة وأن يقدم على مذبح الرب . وبعد أن فرغ نوح من تقديم تعاليمه ووصاياه قال : هكذا فعل جدكم الأعلى إينوخ فقد وعظ على هذا النحو ولده " ميتوشيلاح " ونقل ابنه هذه الوصية إلى ولده " لاميح " الذى نقلها لى ، ولا يمكننى سوى نقل هذه الوصية إلى أبنائى مثلما فعل " إينوخ " مع ولده . وحينما عاش نوح حتى الجيل السابع من حياة البشر فقد أشهد أبناءه وأحفاده على تنفيذ الوصايا ، وأشهدهم عليها حتى يوم وفاته(٦٧) .

وقسم نوح فى عام ١٥٦٩ بعد خلق العالم الأرض على أبنائه الثلاثة بالتساوى وفى حضور ملاك الرب. وأخذ كل ولد من أولاده نصيبه فأخذ سام الجزء الأوسط من الأرض ، وأصبح هذا الجزء خاصا بنسله إلى الأبد، وابتهج نوح بحصول سام على هذا الجزء فباركه بقوله : وليكن مستقر الرب فى أرض سام خاصة أنه توجد ثلاثة أماكن مقدسة فى المنطقة الخاصة بسام وهى قدس الأقداس بالهيكل ، وجبل سيناء الذى يقع وسط الصحراء ، وجبل صهيون الذى يقع وسط الأرض .

وكان الجزء الجنوبى من الأرض من نصيب حام ، أما الجزء الشمالى فكان من نصيب يافث ، وتتسم أرض حام بارتفاع درجة حرارتها فى حين أن أرض يافث تتسم بالبرودة غير أن أرض سام لا تتسم بالحرارة أو البرودة ويتسم جوها بالاعتدال(٦٨) .

وتم تقسيم الأرض قبيل وفاة " بيليج " الذى أطلق عليه والده " إيبر" هذا الاسم ، وكان نبيا عالمًا بالغيب فعرف أن الأرض سيتم تقسيمها فى عهد ابنه[٦٩] ، وكان لبيليج أخ يعرف باسم " يوقتان " ، وقد عرف بهذا الاسم لأن حياته كانت قصيرة على الأرض[٧٠] .

وفى المقابل وبينما كان أبناء نوح الثلاثة يقفون فى حضرة أبيهم الذى كان يقسم الأرض عليهم هددهم نوح باللعنة فى حالة إذا أقدم أى منهم على أخذ أى جزء غير مخصص له فأجابوا جميعهم : موافقون . موافقون[٧١] . وهكذا فقد تم توزيع مائة وأربع بقع من الأرض وتسع وتسعين جزيرة على اثنين وسبعين أمة كانت لكل منها لغتها المستقلة مستخدمين ستة عشر شكلاً مختلفًا من الكتابة . وقد خصصت ليافث أربع وأربعون قطعة من الأرض وثلاث وثلاثون جزيرة واثنتان وعشرون لغة وخمسة أنواع من الكتابة ، أما حام فقد حصل على أربعة وثلاثين أرضًا وأربع وعشرين لغة وخمسة أنواع من الكتابة ، وحصل سام على ستة وعشرين أرضًا وثلاث وثلاثين جزيرة وست وعشرين لغة وستة وعشرين نوعًا من الكتابة . وحصل سام هكذا على قدر أكبر من حروف الكتابة مقارنة بأخويه . وكانت حروف اللغة العبرية التى حصل عليها هى الحروف التى لم يحصل عليها أحد غيره[٧٢] .

أما الأرض المخصصة لأبناء يعقوب الاثنى عشر فتم منحها على نحو مؤقت لكنعان وصيدون وحيث واليبوسيين والأموريين والجيرجاشيين والحيفيين والأركيين والسينيين والإرفاديين والسامريين والحاميين ، وكان على هذه الأمم الحفاظ على الأرض حتى يأتى ملاكها الصالحون[٧٣] .

وفور حصول أبناء نوح وأحفادهم على الأراضى المخصصة لهم بدأت الأرواح الشريرة فى إغواء البشر وتعذيبهم منزلة بهم كافة صنوف العذاب والآلام فقادتهم على هذا النحو إلى الموت الروحى والمادى ، وحينما توسل نوح إلى الرب ليرحم البشر فقد أرسل الملاك " رفائيل " الذى أباد تسعة أعشار الأرواح الدنسة على الأرض غير أنه ترك العشر المتبقى من هذه الأرواح لروح "ماشتيما" الشريرة حتى يعاقب بها المذنبين ، وقد أوحى رفائيل بمساعدة من رئيس الأرواح الشريرة إلى نوح أسماء كافة صنوف العلاج الموجودة فى النباتات والتى قد يحتاج إليها ، وسجل نوح أسماء هذه الصنوف

من العلاج في كتاب ونقله إلى ابنه " سام "(٧٤) ، ويعد هذا الكتاب مصدر كل الكتب الطبية التي يستمد منها حكماء الهند وآرام ومقدونيا ومصر معارفهم، وقد كرس حكماء الهند أنفسهم لدراسة الأشجار والأعشاب التي تنطوي على الأدوية، وكان الأرمن بارعين في معرفة خواص الحبوب والبذور وترجموا كتب الطب القديمة إلى لغتهم ، وكان حكماء مقدونيا أول من عمل على تطبيق المعارف الطبية على نحو عملي ، أما المصريون فقد سعوا إلى الارتقاء بمفعول الأدوية من خلال فنون السحر والتنجيم ، وعملوا على تدريس حكم وأمثال الكلدانيين التي وضعها " كانجار " الذي كان سليل أور بن كيسد ، وانتشرت المهارات الطبية حتى وصلت إلى عهد إيسكولابيوس ، وتنقل هذا الحكيم المقدوني في رفقة أربعين ساحراً من بلد إلى بلد فيما وراء الهند متجهين جميعهم صوب الفردوس ساعين للحصول على أخشاب من شجر الجنة حتى يذاع صيتهم في كافة أنحاء المعمورة ، غير أن آمالهم تبددت وتحطمت ، فحينما وصلوا إلى المنطقة المراد الوصول إليها ووجدوا أخشاب شجرة الحياة ومدوا أياديهم للحصول على ما يبتغون انبعث من سيف الرب ضوء شديد القوة حرقهم وأبادهم ، واختفت مع رحيلهم المعارف الطبية التي لم تنهض ثانية إلا في عهد "أحشويرش" وفي عهد الحكيم المقدوني" أبقراط وفي عهد الحكيم العبراني آساف(٧٥) .

فساد البشر

ومع انتشار البشر زاد الفساد. وحينما كان نوح على قيد الحياة قام نسل سام وحام ويافث بتعيين أمراء يتولون الإشراف على شئونهم فتولى نمرود إمارة نسل حام ، ويقطان إمارة نسل سام ، وفينيك إمارة نسل يافث . وبلغ عدد رعايا الأمراء الثلاثة قبل وفاة نوح بعشر سنوات عدة ملايين ، وحينما وصل هذا الحشد من البشر إلى بابل أخبر كل منهم الآخر : أصغ .. إن الوقت ماض بنا ، وسيفر الجار من جاره والأخ عن أخيه وسيشن كل فرد الحرب ضد الآخر ، هيا بنا ولنشيد مدينة وبرجًا تصل قمته إلى السماء ولنترك اسمًا عظيمًا على الأرض ، وليقم كل منا بصناعة حجر ينقش عليه اسمه " . ووافق الجميع على هذا الاقتراح باستثناء اثني عشر شخصًا تقيا كان إبراهيم من بينهم ، ورفض هؤلاء الأتقياء الانصياع للآخرين ، وألقى البشر القبض

عليهم وأحضروهم أمام الأمراء الثلاثة ، وبرروا رفضهم بقولهم : لن نصنع حجارة ولن نبقى معكم لأننا لا نعرف ولا نعبد سوى إله واحد ، وحتى لو أحرقتمونا مع الحجارة فلن نتراجع عن دربنا . وواصل نمرود و فينيك حديثهما الحاد ضد الاثنى عشر شخصاً مقررين إلقاءهم فى النار ، وكان يقطان التقى على صلة وثيقة بهؤلاء الأفراد الذين قدموا إلى المحاكمة فحاول إنقاذهم ومن هنا فقد عرض على اثنين من رفاقه منحهم مهلة سبعة أيام . وتم قبول خطته لأنه كان الأرفع مقامًا ، وتم حجز الاثنى عشر شخصًا فى منزل يقطان ، وقد كلف يقطان خمسين من خدمه بوضع السجناء على البغال وأخذهم إلى الجبال حتى يمكنهم الفرار من العقاب المحدق بهم ، وكان يقطان قد أمدهم بغذاء يكفيهم لمدة شهر ، وكان يقطان واثقًا من أن فترة فرارهم إما ستشهد تقلب المشاعر وانصراف الناس عن غرضهم أو أن الله سيحمى الهاربين ، وفى الوقت الذى قبل فيه أحد عشر سجينًا خطة الهروب بامتنان كان إبراهيم هو الوحيد الذى رفضها قائلاً : تنبهوا من الاندفاع إلى الجبال للفرار من النار ، وما عسانا أن نفعل إذا خرجت الوحوش الكاسرة من الجبال والتهمتنا أو إذا عازنا الطعام ، وعندئذ سنموت من الجوع ، وسيعثرون علينا كفارين من شعب هذه الأرض ، وسنموت بخطيئتنا . ولأن الرب خالد ولأنى أثق به لن أرحل عن هذا المكان الذى اعتقلونى فيه . وإذا قُدر على الموت بخطيئتى سأموت بناءً على رغبته ومشيئته " .

وسعى يقطان عبثًا ثنى إبراهيم عن قراره وإقناعه بالفرار غير أن هذه المحاولات لم تزده إلا رفضًا فبقى متفردًا فى أسره فى الوقت الذى فر فيه الأحد عشر الآخرون . ومع انتهاء المهلة ومع عودة الجماعة التى كان أفرادها يبتغون قتل الاثنى عشر أسيرًا فلم يتمكن " يقطان " من تقديم سوى إبراهيم ، وبرر موقفه قائلاً إن باقى الأسرى تمكنوا من الفرار فى غضون الليل . وقد كان أفراد الجماعة على وشك الانقضاض على إبراهيم وإلقائه فى الأتون غير أن إحساساً بالزلزال خيم على الجميع بل وخرجت النيران من الأتون فالتهمت كل الحاضرين والذين بلغ عددهم أربعة وثمانين ألفا ، غير أن النيران لم تمس إبراهيم . ولذلك توجه إلى أصدقائه الأحد عشر وأبلغهم بالمعجزة التى حدثت له . وعادوا جميعًا معه رافعين تسابيحهم إلى الرب دون أن يتحرش بهم أحد(٧٦) .

نمروذ

وكان نمروذ[٧٧] أول زعماء البشر الفاسدين ، وكان والده " كوش " قد تزوج والدته وهو طاعن فى السن ، وكانت لنمرود مكانة عزيزة فى نفوس طرفى هذه الزيجة المتأخرة . ووهبه الأب الملابس المصنوعة من الجلود والتى كان الرب كسا بها آدم وحواء عند خروجهما من الجنة . وكان كوش قد حصل على هذه الملابس من حام . وكانت هذه الملابس انتقلت من آدم وحواء إلى " إينوخ " ومنه إلى " ميتوشيلاح " ومنه إلى نوح الذى كان آخر من دخل الفلك. وحينما كان نزلاء الفلك على وشك الخروج من مأواهم سرق حام الملابس وأخفاها ونقلها فيما بعد إلى ابنه البكر " كوش "[٧٨] . وكانت لهذه الملابس خواص فريدة فلم يكن من الممكن قهر كل من يرتديها . وقد تساقطت وحوش وطيور الغابات أمام نمرود حينما وقع بصرها عليه وهو يرتدى هذه الملابس[٧٩] كما أن النصر كان حليفه فى كل منازلاته مع البشر[٨٠] . ولم يكن للجميع دراية بمصدر قوته التى لا تقهر غير أنهم نسبوها إلى شجاعته المتفردة ، ومن ثم نصبوه ملكًا عليهم[٨١] . وقد نصبوه ملكًا بعد ذلك الصراع الذى تفجر بين نسل " كوش " ونسل " يافث " الذى انتهى بانتصار نمرود إذ ألحق هزيمة نكراء بعدوه مستعينًا بعدد محدود من الجنود . واتخذ " كوش " شينار " عاصمة له ثم امتدت سيطرته لتشمل المناطق المجاورة حتى تمكن عبر حيله المتنوعة من أن يصبح حاكمًا لكل العالم ، وكان " كوش " أول كائن حى يتمكن من بسط نفوذه على كل العالم ، هذا الأمر الذى لن يتحقق إلا للمسيح المخلص[٨٢] .

وكلما كانت قوته تتزايد كان يفرط فى الرذيلة ، ولم يعرف البشر منذ مجىء الطوفان مذنبًا مثل " نمروذ " إذ صنع منذ ذلك الحين أوثانا من الخشب والحجارة بل وعبدها ، غير أنه لم يشعر بالارتياح من العيش على نحو متحرر من عبادة الإله ومن ثم بذل كل مافى وسعه لإغواء رعاياه للسير على دروب الغواية ، وقد استعان فى مهمته هذه بابنه " ماردون " ، وقد نشأ خلال عصرهما وحياتهما ذلك المثل القائل " لا يخرج من صلب الشرير سوى شرير "[٨٣] .

وكان للنجاح الذى حالف نمروذ فى كل مهامه أعظم الأثر فى شيوع الشر فلم يعد البشر يثقون فى الرب وإنما أصبحوا لا يثقون إلا فى قواهم وقدراتهم(٨٤) هذا الموقف الذى سعى نمروذ إلى إشاعته فى كل العالم(٨٥) ، ولذلك يقول البشر : لم يظهر منذ خلق العالم شخص مثل نمرود ماهر فى اقتناص البشر والحيوانات ، ولم يظهر مخطئ مثله أمام الرب "(٨٦) .

ولم تشبع كل هذه الخطايا رغبات نمرود الشريرة ، فلم يكتف بإبعاد البشر عن الإله إذ سعى إلى دفعهم لعبادته فنصب نفسه ربا ، وصنع لنفسه عرشًا مثل عرش الرب ، وكان هذا العرش هو البرج الذى شيد من صخرة مستديرة ، ووضع على قمته عرشًا من خشب الأرز ، وأقام على هذا العرش أربعة عروش من الحديد والنحاس والفضة والذهب ، وكان يوجد فوق العرش الذهبى حجر كريم بيضاوى الشكل ، كما كان حجمه شديد الضخامة ، واتخذ من هذا الحجر مقعداً وكان يجلس عليه بل وكانت الشعوب المختلفة تأتى إليه لتقديسه(٨٧) .

برج بابل

ووصل ظلم وإلحاد نمرود إلى الذروة عند بنائه لبرج بابل، وكان رفاقه قد عرضوا عليه خطة تشييد مثل هذا البرج ، ووافق نمرود على ما عرضوه عليه . وقد شيده فى "شينار" ستمائة ألف خادم . ولم يكن هذا المشروع سوى محاولة لعصيان الرب ، وقد سادت فى أوساط من أقدموا على تشييد البرج ثلاثة اتجاهات للتمرد فدعى الاتجاه الأول إلى صعود السماء ومحاربة الرب ، أما الاتجاه الثانى فدعى إلى صعود السماء ووضع الأوثان بها وعبادتها هناك . أما أصحاب الاتجاه الثالث فدعوا إلى صعود السماء وتدميرها بالأقواس والرماح .

واستغرق تشييد البرج سنوات طوالا ، ووصل إلى ارتفاع شاهق إلى الدرجة التى لم يمكن فيها للمرء أن يصعده إلا فى عام كامل ، وكان العاملون فى بناء البرج يهتمون بالأحجار أكثر من اهتمامهم بالبشر من هنا فبينما لم يذرفوا الدمع على سقوط أى عامل من البرج عند بنائه فقد كانوا يبكون بكاءً مريراً عند سقوط أى حجر من البرج

لا سيما أن إعادة أى حجر إلى موضعه كان يستغرق عامًا بأكمله ، وقد انكبوا على أداء عملهم لإنجاز مهمتهم ، ومن ثم لم يسمحوا للمرأة حتى وهى فى حالة المخاض بالتوقف عن تقطيع الحجارة .

ولم يتوانوا قط عن تنفيذ أعمالهم ، وكانوا يطلقون من قمة البرج سهامهم صوب السماء ، وحينما كانت السهام تعود إليهم فقد كانت تتراءى لهم وكأنها ملطخة بالدماء ، ومن ثم كانوا يفرطون فى أوهامهم ويصرخون : " قتلنا كل ما بالسماء . ولذلك التفت الرب إلى الملائكة السبعين المحيطين بعرشه وحدثهم قائلاً : لنذهب إليهم ونبلبل ألسنتهم حتى لا يفهم أحدهم الآخر . وكان هذا ما حدث ومن ثم لم يفهم أحد الآخر فحينما كان المرء يطلب من رفيقه آلة لتثبيت الحجر فقد كان يعطيه حجرًا ومن ثم كان المرء يقذف رفيقه بالحجر ويقتله ، وقد قتل كثيرون على هذا النحو ، أما الآخرون فقد لقوا حتفهم وفقًا للطريقة التى عصوا بها الرب فقد حول الرب من قالوا : نصعد إلى السماء ونقيم بها أوثانا ونعبدها " إلى قردة وأشباح ، أما من قالوا : لنصعد إلى السماء ونهاجمها بأيدينا . فقد زرع الرب روح الفرقة فيما بينهم وجعلهم يقاتلون بعضهم البعض . وفيما يتعلق بمن قرروا منازلة الرب فقد شتتهم الرب فى كل أرجاء الأرض .

وبخصوص البرج الذى لم يكن قد تم الانتهاء من بنائه فقد هبط جزء منه فى داخل الأرض وحرقت النيران جزءًا منه ولم يتبق سوى ثلثه(٨٨) ولم يفقد البرج سماته الخاصة فلازال كل من يمضى جواره ينسى كل مايعرفه(٨٩) .

أما العقاب الذى حل بالأجيال المذنبة فقد كان هينًا فقد تم إبادة جيل الطوفان كلية بسبب ما شاع فى وسط أبنائه من سرقة ونهب فى حين أنه تم الحفاظ على جيل برج بابل رغم تجديفهم على الرب ، ويكمن سبب هذا الأمر فى أن الرب يعلى من شأن السلام والاستقرار ، ولذلك فقد أباد الرب كلية جيل الطوفان الذى شاعت فيه أعمال السلب والنهب والذى أضمر فيه الجميع الكراهية لبعضهم البعض . أما جيل برج بابل فقد عاش أبناؤه فى حالة من السلم والمحبة ومن ثم فقد اكتفى الرب بتشتيت من تبقى منهم حيا(٩٠) .

علاوة على العقاب الذى أنزله الرب بالمخطئين والذى تمثل فى بلبلة الألسنة فقد وقع حادث فريد تمثل فى هبوط الرب على الأرض ، هذا الحادث الذى يحدث عشر مرات خلال الفترة الواقعة بين لحظة خلق العالم ويوم الحساب ، وحينما هبط الرب وملائكته السبعون المحيطون بالعرش على الأرض حدد نصيب كل أمة من الأمم فخصص الرب لغة كل أمة ، وقد أصبحت العبرية لغة إسرائيل لأنها كانت اللغة التى استخدمها الرب عند خلق العالم[٩١] .

الفصل الخامس

إبراهيم

الأجيال الشريرة

كانت هناك عشرة أجيال بين نوح وإبراهيم الأمر الذى يظهر مدى رحمة الرب خاصة أن كل هذه الأجيال أثارت غضبه حتى مجىء أبينا إبراهيم الذى حصل على ثواب كل هذه الأجيال(١) . ومن أجل إبراهيم أظهر الرب مدى صبره خلال حياة هذه الأجيال العشرة . بل لقد خلق العالم لما تمتع به من خصال وصفات حميدة(٢). وكان مجيئه إلى العالم معروفًا لجده الأعلى " رئو " الذى تنبأ عند ميلاد ابنه " سيروج " بقوله : سيخرج من صلب هذا الطفل فى الجيل الرابع من سيقيم فى الأعالى وسيعرف باسم الكامل والطاهر وسيكون أبًا للأمم ولن يحل عهده ، وسيتكاثر نسله إلى الأبد(٣) .

وكانت هـذه هى اللحظة المناسبة التى كان يجب فيهـا أن يظهر خليل الرب(٤) على الأرض ، فقد كان نسل نوح غارقين فى كافة أنواع الرذيلة وبدأوا فى الشقاق والقتل وسفك الدم ، كما كانوا قد بدأوا فى تشييد المدن المحصنة والجدران والأبراج وفى تنصيب فرد واحد على مصائر كل الأمة ، وشن الحروب ضد بعضهم البعض فحاربت الشعوب والأمم والمدن بعضها الآخر . كما بدأوا فى ارتكاب كافة أنواع الرذيلة والحصول على الأسلحة وتعليم أبنائهم فنون الحرب ، وبدأوا فى أخذ الأسرى وبيعهم كعبيد ، وصنعوا لأنفسهم تماثيل من السبائك ، هذه التماثيل التى عُبدت خاصة أن الأرواح الشريرة أضلت كل الذين كانوا تحت قيادة " ماستيما " ودفعتهم إلى الرذيلة والنجاسة ، ولهذا السبب نبه " رئو " ابنه " سيروج " وحذره من اتباع طرق الآخرين الذين ساروا على درب الخطيئة والإثم ، وحينما كبر وصار رجلاً أصبح من

الواضح أنه قد تم اختيار اسمه على نحو جيد لأنه عبد الأصنام أيضًا وعلم ابنه "ناحور" فنون الكلدانيين المتعلقة بالتنبؤ بالغيب وممارسة السحر وفقًا للعلامات التى تتراءى فى السماء وحينما أنجب " ناحور " ابنا أرسل " ماستيما " الغربان وأنواعا مختلفة من الطيور لسلب الأرض وسلب البشر من حصيلة أعمالهم إذ كانت هذه الطيور تستولى على البذور فور قيام البشر بنشرها وقبل تغطيتها ، وقد سمى " ناحور" ابنه " تيراح " لأن الغربان وسائر الطيور أصابت البشر بالطاعون ، والتهمت ما نشروه من بذور ، وعرضتهم للفقر والعوز[٥] .

ميلاد إبراهيم

وكان تيراح قد تزوج " إيميتالى " بنت " كارنابو "[٦] وأنجبا إبراهيم ، وكان الملك " نمروذ " قد أخبرته النجوم[٧] بميلاد إبراهيم خاصة أن هذا الملك الشرير كان منجمًا شريرًا ، ومن هنا فقد عرف أنه سيولد فى عصره رجل يتمرد عليه ويكذب دينه ، وفى إطار حالة الخوف على مصيره التى سيطرت عليه بعد ما أخبرته به النجوم أرسل إلى أمرائه والحكام العاملين تحت إمرته يسألهم المشورة فيما أرقه فقالوا : إن المشورة التى أجمعنا عليها هى أن تشيد منزلاً عظيمًا وتضع حراسًا عليه ، وأن تنشر فى كافة أنحاء مملكتك أنه يتعين على كل النساء الحوامل التوجه إلى هذا المنزل مع القابلات اللاتى يتعين عليهن البقاء معهن حتى لحظة ولادتهن ، وأشاروا عليه أنه حينما تحين هذه اللحظة فعلى القابلات قتل المولود إذا كان ذكرًا . أما إذا كان المولود طفلة فيتم الإبقاء عليها على قيد الحياة .

وفرح الملك بهذه المشورة وأعلن فى كافة أرجاء مملكته داعيا كل المشتغلين بالبناء إلى تشييد منزل عظيم له يبلغ ارتفاعه ستين ذراعًا وعرضه ثمانين ذراعًا ، وأصدر بعد الانتهاء من تشييد هذا المبنى قرارًا ثانيًا دعا فيه كل النساء الحوامل إلى التجمع والبقاء فيه حتى تحين لحظة الوضع ، وتم تعيين حرس وتكليفه بأخذ النساء إلى المنزل ، وتم وضع بعض الحراس بالمنزل وقام بعضهم الآخر بالالتفاف حول المنزل لمنع النساء من الهرب ، ولم يكتف الملك بهذا إذ أرسل قابلات إلى المنزل وأمرهن بقتل كل الذكور

فور خروجهم إلى الحياة غير أنه أمرهن بإلباس الإناث عند ولادتهن قماشا ناعمًا من الألياف الحريرية وثيابًا مطرزة وأن يتم تكريمهن عند خروجهن من مقر احتجازهن ، وقد تم قتل ما لا يقل عن سبعين ألف طفل .

وعندئذ ظهرت الملائكة أمام الرب قائلة : ألا ترى ما يفعله نمرود بن كنعان المذنب الذى يجدف على الرب والذى يذبح أطفالا أبرياء لم يرتكبوا أية جريمة ؟ فأجاب الرب قائلاً : أيتها الملائكة إنى عليم وشهيد ولا تأخذنى سنة ولا نوم ، إنى أرى وأعلم ما يخفى وما يعلن وسترون ما أنا فاعل بهذا المذنب الذى يجدف على الرب ، فسأرسل عليه ذراعى لتأديبه "(٨) .

وكان " تيراح " قد تزوج فى هذا الحين والدة إبراهيم ، وحينما كبر جسدها فى نهاية شهور الحمل الثلاثة الأولى(٩) ، وتسلل الشحوب إلى محياها سألها تيراح ما يؤلمك زوجتى لقد أصبحت شاحبة وجسدك منتفخًا ؟ فأجابت قائلة أعانى كل عام من هذا المرض(١٠) غير أن هذه الإجابة لم تشف غليل تيراح فازداد تمسكًا بموقفه قائلاً : أرنى جسدك . يبدو لى أنك حامل ، وإذا كان الأمر على هذا النحو فينبغى ألا تنتهك تعاليم ربنا نمرود"(١١) . وحينما تحسس بيده جسدها حدثت المعجزة إذ صعد الجنين من أحشائها يتخفى تحت صدرها ، ومن هنا لم يتمكن تيراح من إدراك أنها حامل ، فذكر لزوجته : لقد ذكرت الحقيقة . ولم يتضح شىء حتى وضعت وليدها .

وحينما جاءها المخاض فرت خائفة من المدينة وارتحلت صوب الصحراء، وسلكت فى طريقها دربًا محاذيًا للوادى(١٢) حتى وجدت كهفًا فدخلته لتحتمى به ، وفى اليوم التالى اعتصرها المخاض حتى أنجبت وليدها فعم ضياؤه الكهف ، وكان ضياؤه لا يقل بهاءً عن ضياء الشمس ، وابتهجت الأم ، وكان هذا الوليد هو إبراهيم .

ورثت الأم حالها لوليدها قائلة : وا أسفاه : أنجبتك فى الوقت الذى يتولى فيه نمرود العرش ، ولأجلك قتل سبعين ألف رضيع، ولأجلك أخاف عليك وأخشى أن يتنبه الملك إليك ويقتلك ، ومن الأفضل أن تلقى حتفك هنا فى هذا الكهف عن رؤيتك قتيلاً على صدرى يا ولدى ، وخلعت الثياب التى كانت تتدثر بها ولفت بها الطفل ثم تركته فى الكهف قائلة : " ليكن الرب معك ، ولن يتخلى الرب عنك "(١٣) .

الطفل يعلن عن وجود الرب

وترك الطفل فى الكهف وحيداً بدون رعاية فبدأ فى النحيب، وأرسل الرب إليه الملاك جبريل ليناوله لبنا ليتغذى به ، وجعل الملاك اللبن يتدفق من إصبع يد الرضيع اليمنى ، وظل الطفل يرضع من إصبعه لعشرة أيام[١٤]، ووقف الطفل فيما بعد ومضى تاركًا الكهف[١٥] وسار بمحاذاة الوادى، وحينما غربت الشمس وسطعت النجوم قال : أهذه هى الآلهة . وحينما لاح الفجر واختفت النجوم قال : لن أعبد النجوم لأنها ليست آلهة . وحينما سطعت الشمس قال : إنها ربى وسأمجده . غير أن الشمس غربت فقال " إنها ليست إلها " فنظر إلى القمر عسى أن يتخذه إلها . غير أنه سرعان ما اختفى فصرخ : إنه ليس ربا ، إن هناك إلها يحرك كل شىء "[١٦] .

وظل يناجى نفسه حتى لاقاه الملاك جبريل محييا بقوله : السلام عليك . فقال إبراهيم : وعليك السلام . وسأله من أنت ؟ فأجاب جبريل قائلا : إنى الملاك جبريل رسول الرب . وقاد إبراهيم إلى نبع ماء قريب فغسل إبراهيم وجهه ويديه وقدميه وصلى إلى الرب وسجد أمامه .

وفى غضون هذه الأحداث فكرت أم إبراهيم بينما كان يغمرها الدمع والحزن فى وليدها ، فارتحلت عن المدينة متجهة إلى الكهف الذى تركته به ، وحينما لم تجده عاودها البكاء وقالت : ويلى أوضعتك هنا لتصبح فريسة للوحوش الضارية من دياب وأسود وذئاب ؟ وسارت إلى حافة الوادى حيث وجدت وليدها غير أنها لم تعرفه لأنه كان قد كبر فخاطبت الفتى قائلة : السلام عليك " فأجابها : وعليك السلام . وسألها : عم تبحثين فى الصحراء؟ " فأجابت : ارتحلت عن المدينة بحثا عن ولدى . فسألها إبراهيم : ومن جلب ابنك هنا ؟ : فأجابت الأم : لقد حملت من زوجى تيراح ، وحينما تمت أيام الحمل اعتصرنى القلق على الجنين الذى برحمى خشية أن يأتى الملك ابن كنعان ويقتله كما قتل سبعين ألف طفلٍ قبله ، وقد وصلت إلى الكهف الواقع بهذا الوادى بشق الأنفس إذ كانت تعتصرنى آنذاك آلام المخاض ، وقد أنجبت ولدى بهذا الكهف وتركته به وأتيت بحثًا عنه غير أنى لم أجده .

وتحدث إبراهيم عندئذ قائلاً : كم كان يبلغ من العمر هذا الطفل الذى تتحدثين عنه ؟

الأم : كان يبلغ حوالى عشرين يومًا .

إبراهيم : وهل يعقل أن تترك أم وليدها فى الصحراء عشرين يومًا ثم تأتى للبحث عنه ؟

الأم : لا شك أن الرب سيظهر أنه رحيم .

إبراهيم : إننى الابن الذى أتيت للبحث عنه فى هذا الوادى .

الأم : ولدى وكيف كبرت على هذا النحو ؟ حينما تركتك كنت تبلغ من العمر عشرين يومًا ، وأراك تسير حاليًا وتتحدث[١٧] .

إبراهيم : أمى . هذا ماحدث وعليك أن تعرفى أنه يوجد بالعالم إله حى مهيب إلى الأبد وأنه يرانا ولكنه لا يُرى ، إنه فى السموات العلى ، وتمتلئ الأرض بمجده " .

الأم : ولدى هل يوجد إله آخر غير نمرود ؟

إبراهيم : نعم يا أمى إنه رب السموات والأرض، إنه أيضًا رب نمرود بن كنعان . ولهذا اذهبى وبلغى هذه الرسالة إلى نمرود .

وعادت والدة إبراهيم إلى المدينة وأخبرت زوجها تيراح أنها عثرت على ولدها ، وتوجه تيراح الذى كان أميرًا على قدر كبير من النفوذ فى منزل الملك إلى البلاط الملكى وسجد أمام الملك . وقد كان من عادات هذه الأيام أنه لم يكن يحق لمن يقف أمام الملك رفع رأسه حتى يأمره الملك برفع رأسه ، وسمح نمرود لتيراح بالنهوض والتقدم بطلبه ، ومن هنا قص تيراح كل ما حدث مع زوجته وابنه ، وحينما سمع نمرود هذه القصة سيطر عليه خوف واستشار كل العاملين لديه من مستشارين وأمراء عما يمكن أن يفعله مع هذا الفتى فأجابوه قائلين : ملكنا إلهنا كيف تخاف من طفل صغير؟ فضلاً عن أنه يوجد عشرات الآلاف من الأمراء فى مملكتك[١٨] وآلاف الحكام ومئات المشرفين وعشرات النظار وعدد كبير لا حصر له من القادة ، ومن ثم يمكنك إرسال أصغر أمير لإحضار هذا الولد والزج به فى السجن ، غير أن الملك قاطعهم قائلاً : هل رأيتم قط

طفلاً يبلغ من العمر عشرين يوماً يسير على قدميه ويتحدث بلسانه معلناً وجود إله لا شريك له يَرى ولا يُرى ؟ وعقدت كلمات الملك ألسنة الأمراء المجتمعين الذين أصابهم الفزع[١٩] .

وقد ظهر آنذاك الشيطان فى صورة إنسان يرتدى ثوبًا من الحرير الأسود ، وخر ساجداً أمام الملك ، فقال نمرود : ارفع رأسك وقدم طلبك . فسأل الشيطان الملك : لماذا تعيش فى هذا الرعب والخوف من هذا الفتى الصغير ؟ وسأنصحك بما أنت فاعل : افتح خزائن أسلحتك وهب السلاح إلى كل الأمراء والرؤساء والحكام وكافة الجنود وأرسلهم لإحضاره لخدمتك والعمل تحت إمرتك " .

وقبل الملك النصيحة المقدمة من الشيطان وأخذ بها فأرسل جيشًا مسلحًا لإحضار إبراهيم ، وحينما رأى الفتى الجيش يقترب منه سيطر عليه الخوف فانهمرت دموعه التى توسل من خلالها إلى الرب لمساعدته ، واستجاب الرب إلى دعائه فأرسل الملاك جبريل إليه وقال له : لا تخف ولا تبتئس لأن الرب معك وسيخلصك من أيدى أعدائك . وأمر الرب جبريل بوضع سحب كثيفة شديدة السواد بين إبراهيم والمغيرين عليه ، وفر الجنود خائفين من هذه السحب الكثيفة عائدين إلى ملكهم نمرود قائلين له : دعنا نغادر هذه المملكة . ووهب الملك المال إلى أمرائه وخدمه الذين هربوا مع الملك إلى بابل[٢٠] .

ظهور إبراهيم العلنى

وقد أمر الرب إبراهيم من خلال الملاك جبريل بتتبع نمرود إلى بابل فاعترض لأنه لم يكن مسلحًا على نحو جيد يمكنه من منازلة الملك غير أن الملاك جبريل هدأ من روعه بقوله : لست فى حاجة إلى أية تدابير أو مؤن فى الطريق فلن تمتطى جواداً ولست فى حاجة إلى جنود لشن الحرب ضد نمرود ، كما أنك لست فى حاجة إلى عربات للقتال أو فرسان ، اجلس فقط على كتفى وسأحملك إلى بابل .

وفعل إبراهيم ما أمر به ، ووجد نفسه فى طرفة عين أمام بوابات مدينة بابل[٢١] ، وقد دخل المدينة بناء على أمر الملاك ودعا المقيمين بداخلها بصوت عال قائلا :

إن الأبدى هو الرب الذى لا إله غيره ، إنه رب السموات ورب الأرباب ورب نمرود ، ولتعترفوا جميعًا أيها الرجال والنساء والأطفال بهذه الحقيقة . اعترفوا أيضًا بأنى إبراهيم خادم الرب والخادم الأمين لبيته .

والتقى إبراهيم بوالديه فى بابل ، وشاهد أيضًا الملاك جبريل الذى أمره بإعلان إيمانه الحقيقى أمام والده ووالدته ، ومن هنا حدثهم إبراهيم قائلاً : إنكما تعبدان إنسانًا مثلكم وتعبدان صورة نمرود ، ألا تعلمان أن الفم الذى بهذه الصورة لا يتحدث وأن عيونه لا ترى ، وأن آذانه لا تسمع . إن هذه الصورة لا تسير على قدمين ، وليست هناك جدوى منها سواء لكما أو للآخرين ؟

وحينما سمع تيراح هذه الكلمات أقنع إبراهيم بأن يتبعه إلى البيت الذى أخبره به ولده بكل ما حدث ، وكيف أمكنه قطع رحلة تستغرق أربعين يومًا فى يوم واحد. ومن هنا توجه تيراح إلى نمرود وأخبره أن ولده إبراهيم ظهر فجأة فى بابل[٢٢] ، فاستدعى الملك إبراهيم الذى توجه إليه مع والده ، وقد مضى إبراهيم خلال طريقه إلى القصر بالأمراء وذوى النفوذ حتى وصل إلى العرش الملكى فأمسك به وهزه صارخًا بقوله : يا نمرود إنك حقير وقذر فإنك تنكر جوهر الإيمان والرب المتين الحى إلى الأبد ، وخادمه إبراهيم ؛ فاتل ورائى الكلمات التالية : إن الأبدى هو الرب الواحد الأحد الذى لا شريك له ، إنه ليس بجسد ، ويعيش إلى الأبد ولا تأخذه سنة ولا نوم ، لقد خلق العالم عسى البشر أن يؤمنوا به ، اعترف أيضًا بى وبأنى خادم الرب والخادم الأمين لبيته[٢٣] .

وبينما كان إبراهيم يردد دعوته هذه بصوت عال سقطت الأصنام على وجوهها وسقط معها أيضًا الملك نمرود[٢٤] ، وقد سقط الملك جثة هامدة لساعتين ونصف وحينما دبت فيه الروح ثانية ذكر قائلاً : أكان هذا صوتك يا إبراهيم أم صوت الرب ؟ فأجابه إبراهيم بقوله: هذا الصوت هو صوت أقل الكائنات التى استدعاها الرب. فقال نمرود : حقا إن رب إبراهيم عظيم وقوى وهو ملك الملوك ، وأمر الملك نمرود تيراح بأخذ ابنه والعودة إلى مدينته ، وفعل الأب والابن ما أمرهما الملك به[٢٥] .

الداعى للإيمان الحق

وحينما بلغ إبراهيم من العمر عشرين عامًا حل المرض بأبيه تيراح الذى حدث ولديه " حاران " و" إبراهيم " قائلاً : أستحلفكما بحياتكما ولدَىَّ ببيع هذين الصنمين لى فليس بمقدورى إنفاق المال اللازم للتوقية باحتياجاتنا . وقد نفذ حاران رغبة والده غير أنه حينما كان يدنو أى فرد من إبراهيم للتعرف منه على سعر الصنم كان يجيب : ثلاث عملات وكان إبراهيم يستفسر منه فى المقابل عن عمره وحينما كان الفرد يجيب أنه يبلغ من العمر ثلاثين عامًا فكان إبراهيم يجيبه : إنك تبلغ من العمر ثلاثين عامًا غير أنك ستعبد صنمًا صنعته فقط اليوم . وكانت هذه الاجابة تدفع المشترى للرحيل ، وحينما كان يقترب من إبراهيم شخص آخر لشراء الصنم مستفسرًا عن سعره كان إبراهيم يجيب : خمس عملات ويستفسر منه عن عمره فكان الشخص يجيب خمسين عامًا ومن هنا كان إبراهيم يجيبه وكيف تشترى هذا الصنم ؟

وأخذ إبراهيم فيما بعد الصنمين ووضع رباطًا حول عنقيهما وسحبهما على الطريق صارخًا بصوت جهورى : من ذا الذى سيشترى صنمًا ليعبده وليست له جدوى سواء للمشترى أو للصنم ذاته . إن للصنم فمًا غير أنه لا ينطـق ، وعيـونا غير أنها لا ترى ، وقدما غير أنها لا تسير ، وآذانا غير أنها لا تسمع .

وشعر كل من سمع كلمات إبراهيم بالدهشة من كلماته ، وبينما كان يقطع الشوارع التقى بامرأة عجوز اقتربت منه بغرض شراء صنم كبير وجميل ومحبوب فقال إبراهيم مندهشًا : إمرأة عجوز تشترى صنمًا ! إنى لا أرى فائدة من أية أصنام كبيرة أو صغيرة ، وأية جدوى عادت عليك من عبادة الصنم الكبير الذى اشتريته من أخى حاران ؟ فأجابت العجوز : اقتحم اللصوص منزلى فى المساء وسرقوه بينما كنت فى الحمام . فسألها إبراهيم : وإذا كان الوضع على هذا النحـو فكيـف تأمنين إلى صنم لا يمكنه حماية نفسه ؟ وكيف يمكنك القول بأن الصورة التى تعبدينها إله ؟ ولو كانت هذه الصورة إلهًا فلماذا لم يحم نفسه من أيدى اللصوص؟ ليست هناك أية جدوى من الصنم سواء لنفسه أو لمن يختال به[٢٦] .

وواصلت العجوز حديثها قائلة : إذا كنت تنطق بالحقيقة فمن أعبد ؟ فأجابها إبراهيم : رب العالمين الذى خلق السموات والأرض والسماء وكل ما فيها ، اعبدى الرب الذى هو رب أرباب نمرود وتيراح ورب المشرق والمغرب والجنوب والشمال ، ومن هو نمرود ؟ إنه كلب يدعى أنه إله يستحق العبادة ؟

ونجح إبراهيم فى إيقاظ وعى المرأة العجوز التى أصبحت من أكثر الدعاة حماسة لعبادة الرب الحق ، ومن هنا أبادت الصنم الذى أرجعه اللصوص إليها وحطمته قطعًا صغيرة وانطلقت فى الطرقات صارخة : ليعبد رب إراهيم كل من يبتغى إنقاذ روحه من الفناء ومن يبتغى أن تثمر أفعاله . وهكذا فقد آمن عدد كبير من الرجال والنساء بدعوتها .

ووصلت شائعات إلى الملك عن أقوال وأعمال المرأة العجوز فأرسل يستدعيها ، وحينما مثلت أمامه وبخها بشدة وسألها : كيف جرؤت على عبادة إله غيرى ؟ فأجابت العجوز : إنك تتنكر لحقيقة الإيمان فليس هناك إله سوى الرب الحق ، إنك مدين بحياتك له غير أنك تعبد غيره وتنكره وتنكر تعاليمه وتجحد عبده إبراهيم .

وكانت المرأة العجوز على وشك التضحية بحياتها من أجل دعوتها غير أن الخوف والرعب تمكنا من نمرود بعد أن تزايدت أعداد المرتبطين بتعاليم إبراهيم ، ولم يعرف الملك كيف يمكنه التعامل مع الشخص الذى كان يعمل على تقويض أسس المعتقد القديم ، فرتب بناءً على نصيحة الأمراء التابعين له حفلاً لسبعة أيام أمر خلاله الحضور بثيابهم الرسمية وحليهم سواء من الفضة أو الذهب ، وتوقع الملك أنه يمكنه عبر هذه الحيلة إظهار مظاهر الثروة والقوة وبث الرعب فى نفس إبراهيم وإعادته إلى حظيرة إيمان آبائه ، وكان نمرود قد وجه الدعوة إلى إبراهيم عبر أبيه " تيراح " فدعاه للحضور حتى تتسنى له فرصة مشاهدة عظمته وثرائه ومجده وأمرائه غير أن إبراهيم رفض الجلوس إلى الملك ، ومن جهة أخرى استجاب إبراهيم إلى رغبة والده الخاصة برعاية أصنامه وأصنام الملك فى غيابه .

وبينما كان يجلس وحيداً بجوار الأصنام أخذ يردد : الأبدى هو الرب ، الأبدى هو الرب " فقام بإنزال الأصنام من عروشها واستهل تدميرها بفأسه ، وبدأ مهمة تحطيم

الأصنام بأكبر فأس وانتهى منها بأصغر فأس ، وقد بتر رجل أحد الأصنام وأطاح برأس صنم آخر وفقأ عين آخر(٢٧) ، وبعد أن شوه الأصنام كافة وضع فأسه فى أيدى أكبر الأصنام .

وحينما عاد الملك بعد انتهاء الحفل وجد أصنامه محطمة ومبعثرة فلما استفسر عمن ارتكب هذا الأمر المشين أشارت أصابع الاتهام إلى إبراهيم فاستدعاه الملك وسأله عن دوافع ارتكاب هذا العمل فأجاب إبراهيم : لم أرتكب هذا الفعل ، وقد قام كبير الأصنام بتدمير باقى الأصنام ، ألا ترى أن الفأس لايزال بيده ؟ وإذا لم تصدقنى سله وسيجيبك .

فى المحرقة

ووصل غضب الملك من إبراهيم إلى الذروة فأمر بالزج به فى السجن وأمر الحراس بعدم مناولته الخبز والماء(٢٨) ، غير أن الرب سمع صلاة إبراهيم فأرسل جبريل إليه فى زنزانته ، وأقام جبريل معه على مدى عام كامل أمده خلالها بكافة أنواع الأطعمة وبنبع من الماء الصافى كان قد حفره أمامه ، وفى نهاية العام وقف مسئولو المملكة أمام الملك ونصحوه بإلقاء إبراهيم فى النار حتى يؤمن البشر بنمروذ إلى الأبد . ومن هنا أصدر الملك مرسوما لكل رعاياه فى كل أقاليمه من رجال ونساء وشباب وشيوخ كلفهم فيه بإحضار الخشب لمدة أربعين يومًا ووضعه فى محرقة عظيمة وإضرام النيران فيه(٢٩) ، ووصلت ألسنة اللهب إلى السموات مما بث الرعب فى نفوس الجميع ، وأمر الملك حارس السجن بإحضار إبراهيم وإلقائه فى اللهب غير أن الحارس حرص على تذكير الملك أن إبراهيم لم يتناول طيلة عام كامل طعامًا أو شرابًا ومن ثم فإن المنية وافته بالتأكيد غير أن نمروذ كلفه بالتوجه إلى السجن وإحضاره لإلقائه فى المحرقة إذا كان حيا وحرق جثته إذا كان قد توفى حتى يتم القضاء على ذكراه إلى الأبد .

وحينما وصل الحارس إلى السجن ووجد إبراهيم حيا تملكته الدهشة فسأله : من كان يجلب إليك الطعام والشراب طيلة الأيام الماضية ؟ فأجابه إبراهيم : وهبنى الطعام

والشراب الرب الذى هو رب كل شيء وإله الآلهة كافة ورب الأرباب الذى يقوم بالمعجزات والذى هو رب نمرود وتيراح والعالم بأسره ، إنه يرزق الموجودات كافة بالطعام والشراب، إنه يَرى غير أنه لا يُرى ، إنه فى السموات ولكنه يوجد فى كل مكان فيراقب ويرى كل شيء " .

وحينما نجا إبراهيم من الجوع والعطش كان لهذه المعجزة أعظم الأثر فى إقناع الحارس بحقيقة الرب ونبيه إبراهيم ومن ثم أعلن إيمانه على الملأ ، ولم يكن لتهديد الملك له بالموت إذا لم يتراجع عن معتقده الجديد والحقيقى أى جدوى ، وحينما رفع السياف سيفه ووضعه على رقبته لقتله هتف الحارس : إن الأبدى هو الرب رب العالم بأسره ، ورب المجدف عليه نمرود . ولم يجد السيف فى قتله ، إذ كلما وُضع السيف عليه كان يسقط متحطمًا(٣٠) .

ولم يحل كل ما حدث دون تراجع الملك عن غرضه ورغبته فى قتل إبراهيم حرقًا فأرسل أحد أمرائه لجلب إبراهيم ولكن عند قيام الأمير بمهمة إلقاء إبراهيم فى النيران خرج اللهيب من المحرقة والتهمه . وتم القيام بأكثر من محاولة لإلقاء إبراهيم فى المحرقة وفشلت جميعها إذ كانت النيران تحرق كل من كان يقدم على إلقاء إبراهيم فى المحرقة ، فلقى عدد كبير من أمراء نمرود حتفه ، وظهر الشيطان فى صورة آدمية ونصح الملك بوضع إبراهيم فى منجنيق وإلقائه فى النيران ، مما يضمن عدم اقتراب أحد من النار ، بل وصمم الشيطان بنفسه المنجنيق ، وبعد أن تأكد الجميع من كفاءة المنجنيق وصلابته كبلوا أيدى إبراهيم وقدميه وكانوا على وشك وضعه فى النيران ، وفى اللحظة ذاتها اقترب الشيطان الذى اتخذ صورة البشر من إبراهيم وقال : إذا كنت تبتغى الخلاص من نيران نمرود اسجد أمام الملك وآمن به . غير أن إبراهيم رفض كل محاولات الإغواء قائلاً : فليوبخك الرب أيها الدنس الحقير الذى تجدف على الرب فتركه الشيطان .

ثم أتت والدة إبراهيم وتوسلت إلى ابنها لعبادة نمرود لينجو من الخطر الوشيك غير أنه قال : أمي يمكن للماء إطفاء نيران نمرود غير أن نار الرب لن تخمد إلى الأبد فلا يستطيع الماء إطفاءها(٣١) . وحينما سمعت الأم هذه الكلمات قالت : لينقذك الرب الذى تعبده من نيران نمرود " .

وتم وضع إبراهيم فى نهاية الأمر فى المنجنيق ، ورام ببصره صوب السموات قائلاً : ربى إلهى إنك ترى ما يعتزم هذا المذنب القيام به ضدى[٣٢] . وكانت ثقة إبراهيم فى الرب غير قابلة للاهتزاز . وحينما تلقت الملائكة الإذن الإلهى بإنقاذه ظهر الملاك جبريل أمامه وسأله : إبراهيم هل أنقذك من النيران ؟ فأجاب إبراهيم الرب الذى أثق به رب السموات والأرض سينقذنى . ولما رأى الرب مدى تسليم روح إبراهيم له أمر النار " كونى بردًا واجلبى السلام لعبدى إبراهيم "[٣٣] .

ولم تكن هناك حاجة للمياه لإطفاء النيران إذ أخرجت أخشاب الأشجار التى تم وضعها فى المحرقة براعم ، وأثمرت كل منها حسب نوعها ، وتحولت المحرقة إلى حديقة ملكية جلست بها الملائكة بجوار إبراهيم ، وحينما شاهد الملك هذه المعجزة قال : إنه سحر عظيم . لقد عرفت أنه ليس للنار سلطان عليك ، كما أظهرت فى الحين ذاته أنك تجلس فى حديقة ملكية . غير أن أمراء نمرود تدخلوا جميعًا قائلين : لا ياسيدى . إن ما نراه ليس سحراً، إننا نرى سلطة الإله العظيم، إله إبراهيم الذى ليس هناك إله غيره، ونعترف أنه هو الرب وأن إبراهيم عبده . وفى هذه اللحظة آمن كل الأمراء وكل البشر بالحى رب إبراهيم ، وصرخوا جميعًا : إن الرب هو إله السموات فى العلا ، ورب الأرض ، وليس هناك إله غيره "[٣٤] .

وكانت يد إبراهيم هى العليا ليس فقط على الملك الشرير نمرود وإنما على كل أتقياء عصره بمن فيهم نوح وسام وآيبر وآشور[٣٥] ، فلم يبد نوح على سبيل المثال أى اهتمام بنشر دعوة الإيمان بالإله واهتم فى المقابل بزرع حديقته وكان منغمسًا فى الملذات الحسية ، أما سام وآيبر فقد عملا فى الخفاء . وفيما يتعلق بآشور فقد قال : كيف يمكننى العيش بين هؤلاء المخطئين ؟ وهجر الأرض[٣٦] . أما الوحيد الذى ظل ثابتًا على موقفه فكان إبراهيم الذى قال : لن أتخلى عن الرب ، ومن ثم لم يتخل الرب عنه خاصة بعد أن لم يستجب لدعوات أبيه أو أمه .

وكان هذا الخلاص المعجز لإبراهيم من نيران المحرقة فضلاً عن حظوظه اللاحقة تحقيقًا وتفسيراً لما كانت النجوم قد أخبرت به والده تيراح الذى رأى نجم "حاران" يحترق ويسيطر فى الحين ذاته على العالم بأسره . وقد أصبحت دلالة هذه الرؤية شديدة الوضوح بعد توالى هذه المعجزات إذ كان " حاران " مترددًا ومتذبذبًا فى إيمانه فلم يدر ما إذا كان عليه مناصرة إبراهيم أم عبدة الأصنام . وحينما كان يتم

إلقاء من يرفضون عبادة الأصنام فى المحرقة كان حاران يحدث نفسه قائلاً : سيتم إلقاء إبراهيم قبلى فى المحرقة وإذا نجا من هذه المحاكمة سأنضم إلى ركبه. أما إذا حدث العكس فسأقف ضده . وبعد أن أنقذ الرب إبراهيم من الموت وحل الدور على "حاران" ليعلن حقيقة إيمانه أعلن تضامنه مع عقيدة إبراهيم غير أنه حينما دنا من المحرقة[٣٧] أحاطت به النيران والتهمته لأنه كان مزعزع الإيمان بالرب ، وقد أحسن تيراح قراءة النجوم ومعرفة أسرارها إذ إن سارة[٣٨] بنت حاران أصبحت زوجة إبراهيم وملأ نسلها الأرض[٣٩] ، وحقا فقد كان موت حاران مستحقا[٤٠] .

وبعد أن وقعت كل هذه المعجزات من أجل إبراهيم والتى شهدها الملك والأمراء والعاملون لديه أتى الجميع إليه وسجدوا أمامه غير أن إبراهيم أمرهم " لا تسجدوا أمامى بل اسجدوا للرب سيد الكون الذى خلقكم . اعبدوه واسلكوا مسالكه لأنه هو الذى أنقذنى من النيران وهو الذى خلق نفس وروح البشر وشكل الإنسان فى رحم أمه وجلبه إلى العالم ، ويشفى من المرض كل من يضعون ثقتهم به" .

وأذن الملك لإبراهيم بالانصراف ومنحه عند خروجه عدداً كبيراً من الهدايا القيمة اشتملت على عبدين نشأ فى القصر الملكى ، وكان أحدهما يدعى " أوجى " أما الآخر فكان يدعى إليعازر ، وقد حذا الأمراء حذو الملك فوهبوا إبراهيم الفضة والذهب والأحجار الكريمة ، ولم يفرح إبراهيم بهذه الهدايا بقدر فرحته بمن اتبعوه وآمنوا بديانته والذين بلغ عددهم ثلاثمائة فرد .

هجرة إبراهيم إلى حاران

وتفرغ إبراهيم على مدى عامين لمهمته المختارة والمتمثلة فى نشر الدعوة إلى الإيمان بالرب وتعاليمه فى أوساط البشر[٤١] ، ونعم فى مهمته الخيرة بمساعدة زوجته سارة التى تزوجها فى غضون هذه الفترة ، فبينما كان يعظ الرجال ويسعى إلى تشجيعهم على اعتناق دعوته تفرغت زوجته لمحادثة النساء عن دعوة إبراهيم[٤٢] ، وقد كانت خير رفيق لإبراهيم ، وحقا كانت قدراتها النبوئية تفوق قدرة زوجها[٤٣] ، ومن ثم كانت تدعى فى بعض الأحيان باسم " الرائية "[٤٤] .

ومع انتهاء العامين حدث أن حلم نمرود حلمًا وجد فيه نفسه مع جنده على مقربة من محرقة اللهيب فى الوادى الذى كان إبراهيم قد ألقى به ، وخرج رجل شبيه بإبراهيم من المحرقة واندفع صوب الملك شاهرًا سيفه فجرى الملك خائفًا منه ، وألقى هذا الشخص صوب رأس نمرود بيضة خرج منها تيار ضخم أغرق كل جند نمرود ، ولم ينج سوى الملك وثلاثة من رجاله . وحينما فحص نمرود رفاقه لاحظ أنهم يرتدون ثيابًا ملكية وأنهم يشبهونه فى الشكل والمظهر. ورجع هذا السائل مرة أخرى ليأخذ شكل البيضة وخرجت منها فرخة طارت واستقرت على رأس الملك ونقرت إحدى عينيه .

وكان الملك مضطربًا فى منامه فقام فزعًا وقلبه يخفق بشدة وكان صوته صوت الطبول ، وكان خوفه عظيمًا . وحينما نهض من نومه فى الصباح أرسل يستدعى حكماءه والسحرة وقص عليهم حلمه ، فوقف الحكيم " أنوكو " وقال : اعلم أيها الملك أن الحلم يشير إلى المصيبة التى سيجلبها إبراهيم ونسله عليك ، وستحين اللحظة التى سيقوم فيها مع أتباعه بشن الحرب على جندك وسيبيدونهم. ولن يهرب من الموت سواك وحلفائك الملوك الثلاثة غير أنك ستلقى لاحقًا مصرعك على يد واحد من نسل إبراهيم . اعلم أيها الملك أن مصيرك هذا قد تنبأ به حكماؤك عند مطالعتهم النجوم منذ اثنين وخمسين عامًا وعند ميلاد إبراهيم ، وطالما أن إبراهيم يعيش على هذه الأرض فلن تنعم أنت أو مملكتك بالاستقرار " .

واقتنع نمرود كلية بكلمات الحكيم " أنوكو " وأرسل بعضًا من خدمه لمحاصرة إبراهيم وقتله . وقد حدث أن إليعازر العبد الذى كان إبراهيم قد حصل عليه كهدية من نمرود كان متواجدًا فى البلاط الملكى فأسرع إلى إبراهيم لإقناعه بالفرار قبل مجيء شرفاء الملك، وقبل سيده نصيحته واحتمى بمنزل نوح وسام الذى تخفى به طيلة شهر ، وأخبر الضباط الملك أنه بالرغم من جهودهم الحثيثة فقد عجزوا عن العثور على إبراهيم ، ومن ثم لم يهتم الملك بالبحث عن إبراهيم .

وحينما زار " تيراح " ولده إبراهيم فى مخبئه عرض إبراهيم عليه الرحيل عن الأرض والإقامة فى كنعان للفرار من ملاحقات نمرود ، فقال : فلتفكر فى أن نمرود لم يغدق عليك بالألقاب من أجلك وإنما لصالحه ، وإذا استمر فى منحك أعظم الامتيازات

فإنها لا تعدو جميعها عن أشياء زائلة خاصة أن الثروات والممتلكات لا تجدى يوم الحكم الإلهى . والدى : أنصت إلى صوتى ، ولنرحل عن أرض كنعان ونعبد الرب الذى خلقك حتى يكون لك حيث تكون .

وعمل نوح وسام على دعم مساعى إبراهيم فى إقناع والده تيراح بالرحيل حتى استجاب لهما فارتحل مع إبراهيم ولوط بن حاران إلى بلدة حاران بكل ممتلكاتهم ، ووجدوا الأرض طيبة مثل أهلها الذين سرعان ما قبلوا نفوذ إبراهيم ، وأطاع عدد كبير منهم تعاليمه وأصبحوا أتقياء[٤٥] .

وكان لقرار تيراح بالرحيل عن موطنه من أجل إبراهيم وإقامته فى أراض غريبة وقيامه بهذا الأمر حتى قبل تلقى إبراهيم الأمر الإلهى أعظم الأثر فى سماح الرب له برؤية ولده حاكمًا لكل العالم ، وحينما حدثت المعجزة وأنجب الوالدان إسحاق وهما طاعنان فى السن - توجه كل العالم إلى إبراهيم وسارة لمعرفة ما قاما به حتى تحققت لهما هذه المعجزة فقص إبراهيم على الجميع ما حدث بينه وبين نمروذ ، وكيف كان مستعدا لأن يضحى بنفسه من أجل مجد الرب وكيف أن الرب أنقذه من نيران المحرقة. وقبل الجميع - إعجابًا وتقديرًا لشخص إبراهيم وتعاليمه - تنصيبه ملكًا عليهم ، وحتى يتم تخليد مولد إسحاق المعجز فإن العملات التى سكها إبراهيم حملت على إحدى وجهيها صورة زوجين عجوزين وحملت على وجهها الآخر صورة زوجين صغيرين إذ إن إبراهيم وسارة عادا إلى شبابهما عند ميلاد إسحاق فقد أضحى شعر إبراهيم الأبيض أسود كما تلاشت التجاعيد التى كانت تعترى وجه سارة .

وعاصر تيراح مجد ابنه سنوات طويلة إذ إن المنية وافته بعد أن بلغ إسحاق من العمر خمسة وثلاثين عامًا[٤٦] وكان ثوابه عظيمًا لما قام به من أعمال خيرة إذ قبل الرب توبته ، كما أنه دخل الجنة بعد وفاته ، ولم يدخل النار رغم أنه قضى الجزء الأكبر من حياته فى الخطيئة ، وحقا فقد كان إبراهيم على وشك فقدان حياته على أيدى نمرود بسبب خطأ والده تيراح[٤٧] .

النجم فى الشرق

وكان تيراح مسئولاً ينعم بمكانة مرموقة فى بلاط نمرود ، فكان الملك وحاشيته يتعاملان معه بقدر كبير من الاهتمام ، وحينما أنجب طفلاً دعاه " أبرام " لأن الملك كان قد نصبه مكانة أكثر سموا . وفى ليلة ميلاد إبراهيم أتى منجمو وحكماء نمرود إلى منزل تيراح وتناولوا معه الطعام والشراب وابتهجوا معه تلك الليلة ، وحينما غادروا المنزل رنوا بأبصارهم صوب السماء لرؤية النجوم فشاهدوا نجمًا عظيمًا قادمًا من الشرق عابرًا السماء ، وقد ابتلع هذا النجم النجوم الواقعة فى الزوايا الأربع من السماء. وتملكتهم الدهشة جميعًا لما شاهدوه غير أنهم أدركوا ما حدث وعرفوا أهمية ما يشهدون فحدثوا بعضهم البعض قائلين : يدل ما شهدناه على أن الطفل الذى ولد لتيراح هذه الليلة سيكون عظيمًا ومثمرًا وسيملك كل الأرض هو وأبناؤه إلى الأبد ، وسيقتل هو وأبناؤه الملوك العظام وسيرثون أراضيهم .

وذهبوا إلى منازلهم فى المساء ، واستيقظوا مبكرين واجتمعوا فى دار الاجتماع وتشاوروا قائلين : عجبًا من ذاك المشهد الذى رأيناه البارحة والذى لازال خفيا على الملك ولم يطلع عليه ، والذى سيعرفه فى الأيام اللاحقة وسيسألنا لماذا أخفيتم هذا الأمر عنى ؟ وعندئذ سنلقى حتفنا ، والآن فلنذهب لنخبر الملك بما شا هدناه ، وتفسيرنا لما رأينا . وتوجهوا إلى الملك وأخبروه بما شاهدوه وتفسيرهم له ونصحوه بالاهتمام بابن تيراح وقتل الرضيع .

فأرسل الملك يستدعى تيراح ، وحينما أتى حدثه قائلاً : جاءنى أنك رزقت بطفل ليلة أمس، وقد تراءت فى السماء عند مولده علامات معجزة ، أعطنى الطفل حتى نقتله قبل أن يمسه الشر ، وسأقايضه بمنحك منزلا مليئا بالفضة والمجوهرات . وأجابه تيراح : إن الأمور التى تعدنى بها تشبه من وعد بغلاً بكوم من الشعير شريطة أن يتم بتر رأسه فأجابه البغل : وأى نفع سيعود على من الشعير ومن سيتناوله بعد قتلى ؟ وعلى هذا النحو فما أنا فاعل بالفضة والذهب بعد وفاة ابنى ومن سيرثنى ؟ غير أنه حينما رأى تيراح مدى غضب الملك من كلماته أضاف : وليفعل الملك ما يشاء مع عبده ، كما أن ابنى ملكه ، ولن أقايضه هو أو أخويه الأكبر منه .

ومع هذا فقد تحدث الملك قائلاً : سأشترى ابنك بثمن " فأجابه تيراح : مولاى امنحنى ثلاثة أيام لتدبر الأمر والتشاور فيه مع عائلتى. ووافق الملك على هذا الشرط ، وفى اليوم الثالث أبلغ الملك تيراح : أعطنى ابنك بثمن كما حدثتك وإذا لم تستجب لأمرى سأقتل كل من فى منزلك ، وسأمزقك .

وأخذ تيراح الولد الذى كانت قد ولدته القابلة ذلك اليوم وأحضره إلى الملك وأخذ ما كان يستحقه منه ، وأخذ الملك الطفل وقذفه بعنف إلى الأرض متصوراً أن هذا الطفل هو إبراهيم غير أن تيراح كان قد أخذ ابنه إبراهيم مع والدته ومرضعته وأخفاهما فى كهف، وكان يوفر احتياجاتهم جميعها هناك مرة كل شهر كما كان الرب مع إبراهيم فى الكهف الذى شب فيه إبراهيم غير أن الملك وخدمه تصوروا أن إبراهيم قد قتل .

وحينما بلغ إبراهيم من العمر عشرة أعوام ترك هو ووالدته وخادمته الكهف خاصة أن الملك وخدمه كانوا قد نسوا جميعًا موضوع إبراهيم .

وفى ذلك الحين كان كافة قاطنى الأرض باستثناء نوح وآله لا يتوقفون عن معصية الرب وأخذ كل فرد منهم ربه أو أربابه من الأخشاب أو الأحجار التى لا تنطق أو تسمع أو تنقذ من الأسى ، وكان الملك وخدمه وتيراح وآل بيته أول من عبدوا أصنامًا من الأخشاب أو الحجارة ، فصنع تيراح اثنى عشر إلهًا ضخمًا حتى يتواءم عددها مع عدد شهور السنة ، وكان يعلى من شأن كل منها مرة كل شهر على التوالى(٤٨) .

المؤمن الحق

وقد توجه إبراهيم ذات مرة إلى معبد الأصنام فى منزل والده لتقديم الأضاحى لهم غير أنه وجد الصنم " ماروماث " الذى كان منحوتًا من الحجارة ساجداً على وجهه أمام الإله " ناحور " المصنوع من الحديد ، وقد ثقل عليه حمل الصنم " ماروماث " بمفرده فاستدعى والده لوضع الصنم فى مكانه ، وبينما كانا منشغلين بمهمتيهما سقطت رأس الصنم من مكانها فأخذ تيراح حجرا ونحت صنمًا آخر ، واضعًا رأس الصنم القديم على جسد الصنم الجديد الذى نحته ، واستمر تيراح فى مهمته وصنع خمسة آلهة وسلمها جميعا إلى إبراهيم وأمره ببيعها فى شوارع المدينة .

وامتطى إبراهيم حماره وتوجه إلى النزل الذى يتوقف فيه بعض التجار القادمين من مدينة " فاندانا " فى سوريا وهم فى طريقهم إلى مصر آملاً أن يضع بالنزل ما يحمله من أصنام ، وحينما وصل إلى النزل تجشأت إحدى جمال التجار مما أخاف حماره الذى فر خائفًا فكسر ثلاثة أصنام ، ولم يكتف التجار باقتناء صنمين من إبراهيم وإنما سددوا ثمن الأصنام المحطمة بعد أن أخبرهم أنه لا يمكنه العودة إلى والده بأموال أقل مما توقع أن يناله فى مقابل ما صنعه .

وجعل هذا الحادث إبراهيم يشعر بأنه ليست لهذه الأصنام قيمة فحدث نفسه قائلاً : ما هذه الشرور التى يرتكبها والدى ؟ ألا يعد والدى صانع هذه الآلهة فلا يمكن لهذه الآلهة الوجود دون نحته وعنائه ؟ ألم يكن من الأحرى أن يعبدوه دون الأصنام وأن يدركوا أنها من صنع يديه ؟ وبينما كان مستغرقًا فى تأملاته وصل إلى المنزل وناول والده عند دخوله المبلغ الذى أخذه فى مقابل بيع الأصنام الخمسة ، فابتهج تيراح قائلاً فلتباركك آلهتى لأنك أحضرت لى ثمن الآلهة الخمسة وأن جهدى لم يذهب هباءً . غير أن إبراهيم أجابه : " انصت يا والدى .. إن آلهتك تتبارك من خلالك لأنك سيدها منذ أن شكلتها فبركتها هى الدمار كما أن عونها هو الفناء ، إنها لاتساعد ذواتها فكيف يمكنها مساعدتك أو مباركتى ؟ " .

وانفجر تيراح غضبًا من إبراهيم لتحدثه على هذا النحو ضد آلهته ، وأخذ إبراهيم يفكر فى غضب والده منه ، فتركه وغادر منزله غير أن تيراح رجاه أن يعود وحدثه قائلاً : اجمع رقائق خشب من أشجار البلوط التى كنت أصنع منها صورًا قبل عودتك وأعد لى طعام العشاء . واستعد إبراهيم لتنفيذ أمر والده وحينما أخذ رقائق الخشب وجد صنمًا صغيرًا نقش على جبهته اسم " الإله باريسات " ، وقد ألقى رقائق الخشب فى النيران ووضع " باريسات " بجوارها قائلاً : أصغ إلى واهتم يا باريسات بألا تنطفئ النار حتى عودتى ، وإذا خفتت النار زدها اشتعالاً . وبعد أن أنهى حديثه غادر المكان ، وعند عودته وجد باريسات مستلقيًا على ظهره ومحترقًا بشدة ، وضحك إبراهيم قائلاً : حقا يا باريسات إنه بوسعك الإبقاء على النار مضرمة وإعداد الطعام . وبينما كان إبراهيم يهمس بهذا الحديث تحول الصنم إلى رماد .

وأخذ إبراهيم صحون الطعام إلى والده ، فتناول والده الطعام واحتسى ما شرب وسعد وبارك إلهه " ماروماث " غير أن إبراهيم قال لوالده : لا تبارك إلهك ماروماث وبارك إلهك " باريسات " لأنه من فرط حبه لك ألقى نفسه فى النار حتى يتم إعداد وجبتك فصرخ " تيراح " متسائلاً : وأين هو الآن ؟ فأجابه إبراهيم : لقد أضحى رماداً فى لهيب النار : فذكر " تيراح " " ماأعظم قدرة باريسات . سأصنع إلهًا آخر وسيصنع غداً الطعام لى " .

وبينما أثارت هذه الكلمات ضحك إبراهيم فقد أثارت فى نفسه إحساسًا بالشجن لقسوة فؤاد أبيه فواصل حديثه موضحًا رأيه فى الأصنام فقال : والدى لا يهم أى صنم من الصنمين تبارك . إن سلوكك مشين لأن الأصنام الواقعة فى المعبد المقدس تستحق العبادة أكثر من صنمك فالصنم " زوكوس " الذى يعبده أخى ناحور أكثر جلالاً من "ماروماث " لأنه صنع من الذهب فضلاً عن أنه سيصبح من الممكن إعادة تشكيل هذا الصنم حينما يشيخ . غير أنه حينما يضعف إلهك " ماروماث " فلن يصبح من الممكن تجديده لأنه صنع من الحجارة . كما أن الإله "يوؤف " الذى يسمو على سائر الآلهة مصنوع من الفضة كما أن البشر يدهنونه بالزيت لإظهار عظمته . غير أن الهك "باريسات" كان مدفونًا فى الأرض قبل أن تجعل منه إلهًا . والآن فإنه جاف وعمه الوهن . وقد وقع من عل إلى الأرض وانتقل من حالة الجلال إلى حالة يرثى لها ، كما أن وجهه أضحى شاحبًا ناهيك بأن النار أحرقته ولم يتبق منه سوى الرماد ولم يعد له وجود . ومع هذا فتقول : سأصنع الآن إلهًا آخر وسيعد غداً أفضل الطعام لى . وواصل إبراهيم حديثه قائلاً : أبتاه إن النار تستحق أن تعبد أكثر من آلهتك المصنوعة من الذهب والفضة والخشب والحجارة لأن النار تحرقها جميعًا ، غير أن النار لا أدعوها ربًا فبمقدور الماء إخمادها ، ولا أدعو الماء ربا لأن الأرض تمتصها ، والأرض أكثر جلالاً فبمقدورها قهر الماء غير أنى لا أدعو الأرض إلهًا لأن الشمس تصيبها بالجفاف. وأرى أن الشمس أكثر جلالاً من الأرض لأنها تضىء كل العالم بأشعتها . ولكننى لا أدعو الشمس ربا لأن ضوءها يختفى عند حلول الظلام ، ولا أدعو القمر والنجوم آلهة لأن ضوءها يختفى حينما يمضى الوقت المخصص لضوئها . والدى : انصت إلى ما سأخبرك به .. إن الرب الذى خلق كل الأشياء هو الرب الحق ، فهو الذى

أضفى لون الحمرة على السموات وذلك اللون الذهبى الذى يكسو الشمس وهذا الضياء النابع من القمر والنجوم ، وهو الذى يجعل الأرض جافة فى الوقت الذى تقع فيه وسط الماء ، كما أنه وضعك على الأرض ، وقد سعى الرب إلى حينما كانت هذه الأفكار تراودنى(٤٩) .

محطم الأصنام

ومع هذا لم يقتنع تيراح بحديث إبراهيم ، وعند إجابته على سؤال إبراهيم بشأن خالق السموات والأرض وبنى البشر فقد اصطحب تيراح ابنه إبراهيم إلى ساحة يوجد بها اثنا عشر صنمًا وعدد كبير من الأصنام الصغيرة . وأشار تيراح إليها قائلاً : هذه هى الآلهة التى صنعت كل ما تراه على الأرض ، وخلقتنى وخلقتك وكل البشر . وسجد تيراح أمام آلهته وترك الساحة مع ولده .

وتوجه إبراهيم فيما بعد إلى والدته وحدثها قائلاً : انظرى ! لقد أظهر والدى لى من صنعوا السموات والأرض وكافة بنى البشر ولذلك أسرعى وأحضرى جديًا من القطيع وأعدى لحمًا لذيذ المذاق حتى أقدمه إلى آلهة والدى عساى أن أنال رضاهم . ونفذت الأم رغبة ابنها ومع هذا فحينما قدم إبراهيم قربانه إلى الآلهة رأى أنها لا تتحدث ولا تسمع ولا تتحرك وأن أيا منها لم يمد يده لتناول الطعام ، وسخر إبراهيم منها قائلاً : " من المؤكد أن اللحم الذى أعددته لا يروق لكم أو أنه لا يكفيكم ، ولذلك سأعد لحمًا طازجًا غدًا ، وسيكون أفضل وأضخم مما أقدمه الآن حتى أرى ما يصدر عنكم " . غير أن الآلهة ظلت صامتة ولم تتحرك بعد حصولها على القربان الثانى مثلما لم تتحرك بعد حصولها على القربان الأول .

وحلت روح الرب على إبراهيم فهتف قائلاً : ويلى من والدى وجيله الفاسد الذى تصبو قلوب أبنائه إلى الخيلاء والذى يعبد أبناؤه أصنامًا من الخشب والحجارة ، هذه الأصنام التى لا تأكل ولا تشرب ولا تشم ولا تسمع ولا تتحدث . إن أفواهها لا تتحدث وعيونها لا ترى وآذانها لا تسمع وأياديها لا تحس وأقدامها لا تتحرك .

وأخذ إبراهيم فيما بعد بلطة في يده وحطم كل آلهة والده. وحينما انتهى من تحطيمها وضع البلطة في يد أكبر الآلهة ومضى في طريقه ، وحينما تنامى إلى سمع تيراح صوت تحطم البلطة على الحجر اندفع إلى ساحة الأصنام ، وقد وصلها في اللحظة ذاتها التي كان إبراهيم يغادرها وحينما شاهد تيراح ما حدث اندفع في أثر إبراهيم وقال : أي أذى ألحقت بآلهتي ؟ فأجابه إبراهيم : وضعت أمامهم لحمًا طيب الطعم ، وحينما اقتربت منهم عسى أن يتناولوا الطعام مدوا أياديهم جميعًا لتناول اللحم قبل أن يمد كبيرهم يده لتناول اللحم ، وغضب هذا الإله الكبير منهم لسلوكهم المشين فأخذ البلطة وحطمهم ، انظر إن البلطة لا زالت في يديه كما ترى " .

واشتد غضب تيراح من إبراهيم فقال : إنك لا تحدثني إلا بالكذب فهل توجد روح أو نفس أو طاقة في هذه الآلهة للقيام بما تقول ؟ أليسوا مصنوعين من الخشب والحجارة ؟ ألم أصنعهم بيدي ؟ إنك الذي وضعت البلطة في أيدي كبير الآلهة وتقول إنه هو الذي حطم سائر الأصنام . وأجاب إبراهيم والده قائلاً : وكيف إذًا تعبد هذه الأصنام التي لا تملك أية طاقة للقيام بأي شيء؟ هل يمكن لهذه الأصنام التي تثق فيها أن تخلصك ؟ وهل يمكنها سماع صلواتك التي ترفعها إليها ؟ وبعد أن تحدث إبراهيم على هذا النحو داعيًا والده لإصلاح نهجه وتجنب عبادة الأصنام قفز أمام تيراح وأخذ البلطة من أيدي الصنم الكبير وحطمها وفر من أمام أبيه .

وتوجه تيراح إلى نمرود وسجد أمامه وتوسل إليه حتى يسمع قصته الخاصة بابنه الذي أنجبه منذ خمسين عامًا وما فعله مع آلهتهم وكيف تحدث عنهم ، وقال تيراح للملك : سيدي وملكي استدعه ليمثل أمامك واحكم عليه بما يقضي الشرع حتى نتخلص من شره . وحينما تم إحضار إبراهيم ليقف أمام الملك قص إبراهيم عليه القصة نفسها كما رواها لتيراح عن الإله الكبير الذي حطم الآلهة الأصغر غير أن الملك قال : إن الأصنام لا تتحدث ولا تأكل ولا تتحرك " . وعندئذ وبخه إبراهيم لعبادة آلهة تعجز عن القيام بأي شيء وطالبه بعبادة إله الكون ، وكانت آخر كلماته " إذا لم ينصت قلبك العاصي إلى كلماتي ولم تتخل عن السير على دروبك الشريرة وتعبد الرب الأبدي فإنك ستموت في نهاية أيامك وملوك الخزي ، وسيحل الخزي بشعبك وكل من معك الذين يستمعون إلى كلماتك ويسيرون على دروبك الشريرة .

وأصـدر الملك أمراً بالزج بإبراهيم فى السجن ، وبعد مضى عشرة أيام على اعتقاله دعا كل الأمراء وعلية القوم بمملكته للمثول أمامه وعرض عليهم قضية إبراهيم ، فحكموا عليه بالإعدام حرقًا وبالتالى أوقد الملك نارًا لثلاثة أيام وليال بالمحرقة فى " كسديم " ، وتقرر حمل إبراهيم من سجنه إلى المحرقة .

وأتى كل سكان الأرض الذين كان عددهم تسعمائة ألف رجلٍ وامرأة وطفلٍ لمشاهدة ما سيحدث لإبراهيم ، وحينما جُلب من سجنه تعرف عليه المنجمون فى التو فقالوا للملك : إن هذا الرجل بالتأكيد هو من عرفناه صبيا والذى ابتلع النجم الكبير عند مولده النجوم الأربعة ، وتنبه إلى أن والده عصى أمرك وسخر منك لأنه جلب لك طفلاً آخر وقتلته . وكان تيراح شديد الخوف لأنه كان متخوفًا من غضب الملك فاعترف بأنه قد خدعه . وحينما حدثه الملك قائلاً : أخبرنى من حثك على فعل ما قمت به ولا تخف شيئًا ، وعندئذ لن تموت ، فاتهم تيراح كذبًا حاران الذى كان يبلغ من العمر عند ميلاد إبراهيم اثنين وثلاثين عاماً ، واتهمه بأنه هو الذى حثه على خداع الملك. وبموجب أمر الملك خلع إبراهيم وحاران ثيابهما باستثناء ملابسهما الداخلية وتم تكبيل أيديهما وأقدامهما بقيود حريرية وتم إلقاؤهما فى المحرقة ، ونظراً لأن قلب حاران لم يكن يسلم كلية بمشيئة الرب فقد التهمته النيران، كما التهمت الحرس الذين ألقوهما فى المحرقة ، أما إبراهيم فقد أنقذه الرب ولم يحترق هذا بالرغم من احتراق القيود التى كان مكبلاً بها ، وقد سار إبراهيم طيلة ثلاثة أيام وليال فى خضم النيران فأتى الخدم إلى الملك قائلين له : لقد شاهدنا إبراهيم يسير بين النيران(٥٠) .

ولم يصدقهم الملك للوهلة الأولى ومع هذا فلم يتوجه لمشاهدة ما يقصونه إلا بعد أن أكد عدد من أمرائه المخلصين ما ذكره الخدم فأمر الملك خدمه بأخذ إبراهيم من النيران غير أنهم عجزوا عن تنفيذ المهمة لأن نيران المحرقة اندفعت نحوهم ، وحينما حاولوا الاقتراب ثانية من المحرقة اندفعت نيرانها لتحرق وجوههم فلقى ثمانية منهم مصرعهم واستدعى الملك فيما بعد إبراهيم وقال له : يا عبد رب السموات اخرج من النيران وقف أمامى . فخرج إبراهيم من النيران ومثل أمام الملك ، وتحدث الملك قائلاً : كيف لم تحرقك النيران ؟ فأجاب إبراهيم : إن رب السموات والأرض الذى أثق به والذى يمسك كل الأشياء أنقذنى من النيران التى ألقيتنى فيها "(٥١) .

إبراهيم فى كنعان

وتعرض إبراهيم إلى عشرة إغواءات غير أنه صمد فى مواجهتها مظهراً مدى حبه[٥٢] وتمثل الاختبار الأول فى رحيله عن وطنه . وكانت الصعوبات التى واجهها كثيرة وشديدة وعلاوة على هذا كان كارهًا للرحيل عن وطنه فتحدث إلى الرب قائلاً : ألن يتحدث البشر عنى بقولهم إنه يسعى إلى جلب كل الأمم تحت أجنحة الرب غير أنه تخلى عن والده العجوز فى حاران وارتحل ؟ غير أن الرب أجابه : دعك من التفكر فى والدك وعشائرك ورغم أن أفواههم تتحدث بالود إلا أنهم لا يجتمعون إلا على تدميرك [٥٣] .

وترك إبراهيم والده فى حاران وارتحل إلى كنعان واصطحبته خلال رحلته بركة الرب الذى قال له : سأجعل منك أمة عظيمة وسأباركك وسأجعل اسمك عظيمًا . وقد قدر لهذه المباركات الثلاث مواجهة الشرور التى تخوف إبراهيم من أن يتعرض لها عقب هجرته خاصة أن ترحاله من مكان إلى آخر كان يعنى وقف نمو عائلته والتقليل من كينونة المرء واعتباره[٥٤] . وكانت أهم بركة تمتع بها إبراهيم هى كلمة الرب " ستكون مباركًا" ، وكانت هذه العبارة تعنى أن كل من سيكون على صلة بإبراهيم سيصبح مباركًا ، بل إن البحارة أصبحوا مدينين له برحلاتهم المثمرة[٥٥] . وعلاوة على هذا صان الرب وعده بأن اسم إبراهيم سيذكر فى حينه فى الابتهالات وأن الرب سيتم تمجيده بوصفه درة إبراهيم ، هذا التميز الذى لم يمنح لأى كائن فان إلا لداود[٥٦] غير أن كلمات " ستكون مباركًا " ستتحقق فى الآخرة فقط أى حينما يعرف نسل إبراهيم من بين الأمم باسم النسل الذى باركه الرب[٥٧] .

وحينما تلقى إبراهيم فى البداية الأمر الإلهى بالرحيل عن وطنه لم يخبر إلى أى أرض سيرتحل غير أن أعظم ما تاق إليه كان تنفيذ أمر الرب[٥٨] وأظهر إبراهيم ثقته فى الرب عند قوله : إنى مستعد للذهاب أينما ترسلنى . وأمره الرب عندئذ بالذهاب إلى الأرض التى سيتجلى فيها له ، وحينما ذهب إلى كنعان التى تجلى فيها الرب له علم لحظتها أنها أرض المعاد[٥٩] .

وعند دخوله كنعان لم يعلم أنها الأرض المخصصة لنسله ومع هذا فقد ابتهج عند وصوله إليها ، وحينما كان إبراهيم يشاهد قومه فى أرض الرافدين وآرام يأكلون ويشربون ويعملون على تلبية شهواتهم فقط كان يقول : ليت قومى لا ينشئون فى هذه الأرض . غير أنه لاحظ عند دخوله كنعان أن سكانها يعملون جادين فى زراعة أراضيهم فقال : ليت نسلى يكون من سكان هذه الأرض . وحدثه الرب عندئذ قائلاً : سأهب نسلك هذه الأرض(٦٠) . وسعد إبراهيم بهذه العهود المبهجة فأقام مذبحًا للرب ليشكره على هذا الوعد وارتحل فيما بعد جنوبًا صوب البقعة التى تأسس فيما بعد عليها الهيكل ، وأسس فى الخليل ثانية مذبحًا وفرض سيطرته على هذه المنطقة ، كما أسس مذبحًا فى منطقة " عاى " لأنه تنبأ أن كارثة ستحل بنسله فى هذه المنطقة عند غزو يشوع لها . وكان يأمل أن يصرف المذبح النتائج الوخيمة التى قد تحل .

وكان كل مذبح يقيمه يتحول إلى مركز لأنشطته كداعية ، وحينما يصل إلى أى مكان يبتغى الرحيل إليه كان ينصب خيمة لسارة أولاً ولنفسه فيما بعد ثم يهدى قوم المكان لعبادة الرب ، وهكذا أنجز مهمة اعتراف كل البشر بالرب(٦١) .

وكان إبراهيم فى هذا الحين لا يعدو كونه غريبًا فى أرض المعاد ، وبعد أن تم تقسيم الأرض على أبناء نوح وبعد أن أخذ كل منهم نصيبه فقد حدث أن كنعان بن حام ارتاب فى المنطقة الممتدة من لبنان حتى نهر مصر رافضًا الإقامة فى المنطقة المخصصة له غربى البحر وأقام فى المنطقة المطلة على لبنان وشرقى وغربى حدود الأردن وحدود البحر ، أما حام وأبوه وإخوته " كوش " و "ميتسريم" فقد حدثوه قائلين : إنك تعيش فى أرض ليست لك لأنه تم تخصيصها لنا بعد أن تم توزيعها ، أما إذا تمسكت فستكون أنت ونسلك ملعونين فى أرض العصيان ، لقد أقمت هنا على نحو عاص وسيتعرض أبناؤك للعصيان وسيتعرض نسلك للإبادة ، ولا ترتحل إلى أرض سام لأن هذه الأرض مخصصة لسام ونسله ، وملعون أنت وستكون ملعونًا أمام كل أبناء نوح بسبب اللعنة التى حلت عليك لأننا أقسمنا على هذا التقسيم أمام القاضى المقدس وأمام أبينا نوح .

غير أن نوحًا لم يستمع إلى كلمات أبيه وإخوانه فأقام هو وأبناؤه(٦٢) فى أرض لبنان من حمص حتى مدخل مصر. وبالرغم من أن الكنعانيين استولوا – على نجو غير شرعى – على الأرض فقد احترم إبراهيم حقوقهم فزود جمالهم بالكمامات حتى يمنعهم من الرعى فى أراضى الآخرين(٦٣) .

ترحاله فى مصر

وتمكن إبراهيم بصعوبة بالغة من الإقامة فى كنعان التى تعرضت آنذاك لمجاعة بالغة القسوة ، وكانت واحدة من المجاعات العشر المخصصة لعقاب البشر ، وقد حلت المجاعة الأولى فى عهد آدم أى حينما لعن الرب الأرض بسببه ، وحلت المجاعة الثانية فى عهد إبراهيم ، وأجبرت المجاعة الثالثة إسحاق على الإقامة بين الفلسطينيين ، وقد أجبر دمار المجاعة الرابعة بنى يعقوب على النزول إلى مصر لشراء الحبوب ، وحلت المجاعة الخامسة فى عهد القضاة مما اضطر إيليميلخ وعشيرته للإقامة فى أرض موءاب ، وحدثت المجاعة السادسة خلال عهد الملك داود ودامت ثلاث سنوات . وحدثت المجاعة السابعة فى عهد إيليا الذى أقسم بعدم هبوط المطر أو الطل على الأرض ، ووقعت المجاعة الثامنة فى عهد إليشع حينما تم بيع رأس حمار لاقتناء ثمانين قطعة من الفضة ، وتحل المجاعة التاسعة على البشر على نحو تدريجى من عصر إلى عصر، أما العاشرة فستكون بلاءً على البشر وستحل قبل مجيء المسيح المخلص ، ولن يجوع البشر خلالها إلى الخبز أو الماء وإنما لكلمات الرب[٦٤] .

وسادت المجاعة التى وقعت فى عهد إبراهيم فى كنعان فقط ، ونزلت بالأرض لتختبر إيمانه ، وصمد فى مواجهة هذا الإغواء مثلما صمد فى مواجهة الإغواء الأول فلم يُظهر أية علامة من علامات نفاد الصبر تجاه الرب الذى كان قد أمره بالرحيل إلى أرض المجاعة[٦٥] وأجبرته المجاعة على مغادرة كنعان لفترة والتوجه إلى مصر التى تعرف فيها على حكمة الكهان والتى عمل فيها على تعليمهم الحقيقة عند الضرورة[٦٦] .

ولاحظ إبراهيم خلال رحلته من كنعان إلى مصر مدى جمال سارة فلم يكن – ولفرط طهارته – قد مل النظر إليها غير أنهما بينما كانا يخوضان غمار الماء خلال رحلتهما شاهد جمال قسمات وجهها فى الماء فقد كان جمالها مشعا كالشمس[٦٧] ، ولذلك حدثها قائلاً : إن المصريين حسيون للغاية ولهذا سأضعك فى تابوت حتى لا أتعرض بسببك إلى أى ضرر . وعند تخوم مصر سأله جامع الضرائب عما يحتويه التابوت فأخبره إبراهيم إنه يحتوى على شعير فاحتج الحرس بقولهم : إنه يحتوى على قمح .

فأجاب إبراهيم : حسنا إنى مستعد لدفع الضريبة على القمح . فقال الحرس : إنه يحتوى بلا شك على كمون . فوافق إبراهيم على دفع الضريبة المقررة . وحينما اتهموه بإخفاء ذهب فى التابوت وافق إبراهيم على تسديد الضريبة المفروضة على الذهب والأحجار الكريمة .

وحينما رأى الحرس أنه لا يعترض على أى اتهام رغم ارتفاع تكلفته سرت روح الشك فى نفوسهم فأصروا على فحص محتويات التابوت ، وعند فتحهم للصندوق عنوة ازدانت كل مصر بجمال سارة فأصبحت كل جميلات مصر أشبه بالقردة مقارنة بها ، وفاق جمالها جمال حواء[٦٨] . ودخل خدم فرعون فى مزاد فى مواجهة بعضهم البعض للفوز بجمال سارة هذا بالرغم من اتفاقهم على أنه ليس من الممكن أن يكون مثل هذا الجمال المشع حكرًا على فرد ، وأخبروا الملك بهذا الموضوع[٦٩] فأرسل الفرعون قوة مسلحة لإحضار سارة إلى القصر[٧٠] . وقد فتن فرعون بجمالها فأمر خدمه بحمل الهدايا إليها[٧١] ، وفاضت دموع إبراهيم ورفع صلواته إلى الرب متوسلا بقوله : هل هذا ما أثاب به لثقتى فيك ؟ ومن أجل كرمك وحبك لا تجعل من آمالى وبالاً[٧٢] . وتوسلت سارة إلى الرب أيضًا بقولها: ربى أمرت زوجى بالرحيل عن وطنه وأرض آبائه والتوجه إلى كنعان كما وعدته بأن تجزل له العطاء إذا نفذ وصاياك ، وقد فعلنا الآن ما أمرتنا به ، وتركنا وطننا وأبناءنا وارتحلنا إلى أرض غريبة ، ونزلنا بين قوم ليس لنا عهد بهم ، أتينا إلى هنا لإنقاذ قومنا من المجاعة غير أن الكارثة تحل الآن بنا . رب أغثنى وأنقذنى من أيدى هذا العدو وأظهر لى بفضل رحمتك الخير .

وظهر الملاك لسارة بينما كانت تقف بين يدى الملك الذى لم يره ، وأمرها الملاك بالتحلى بالشجاعة بقوله : لا تخافى ياسارة فقد سمع الرب صلواتك . واستفسر الملك من سارة عمن أتت فى صحبته إلى مصر فذكرت سارة أنه إبراهيم أخوها. وتعهد الملك بأن يجعل إبراهيم عظيمًا وقويا وأن يصنع له كل ما تبتغيه سارة . فأرسل إليه قدرًا كبيرًا من الذهب والفضة ووهبه ماسا ولؤلؤا وأغناما وثيرانا وعبيدًا وإماءً وخصص له مكانًا للإقامة داخل القصر الملكى[٧٣] . ومن فرط محبته تزوج سارة وكتب عقد زواج لها ووهبها الذهب والفضة والعبيد والإماء فضلاً عن مقاطعة " جوشين " التى احتلها نسل سارة فيما بعد . وكان من أبرز ما قدمه لها ابنته هاجر التى قدمها لها كأمة إذ فضل أن تكون ابنته أمة لسارة عن أن تكون أمة فى أى مكان آخر[٧٤] .

ولم يجد كل هذا الكرم فحينما اقترب فى المساء من سارة ظهر ملاك الرب وفى يده عصا ، وحينما كان الفرعون يلمس حذاء سارة لمساعدتها فى خلعه كان الملك يعصف بالفرعون ، وحينما اقترب من ثوبها عصف به ثانية وكان الملاك يسأل سارة كل مرة عما إذا كان من الممكن أن تدعه يسدد ضرباته إلى الفرعون وكان يفعل كل ما كانت تأمره به .

أما المعجزة الثانية التى حدثت فكانت أن داء الجزام أصاب الفرعون ونبلاءه وخدمه وجدران منزله ومضجعه فلم يمكنه تحقيق رغباته الشهوانية[٧٥] ، وكانت الليلة التى عانى فيها فرعون وحاشيته من العقاب الذى يستحقونه هى ليلة الخامس عشر من شهر نيسان أى الليلة نفسها التى عاقب فيها الرب فيما بعد المصريين لتخليص بنى إسرائيل نسل سارة[٧٦] .

وأحس فرعون بالرعب من الوباء الذى حل به فاستفسر من الكهنة عن كيفية التخلص من هذا الداء فأطلعوه أن سارة هى العلة الحقيقية لهذا الداء الذى حل به فاستدعى إبراهيم وأعاد إليه زوجته طاهرة دون أن يمسها أحد واعتذر له عما حدث قائلاً : إنه كان ينوى الارتباط بها متصوراً أنه شقيق سارة[٧٧] بل ووهب هدايا قيمة للزوج وزوجته اللذين ارتحلا إلى كنعان بعد أن قضيا ثلاثة شهور فى مصر[٧٨] . وعند وصولهما كنعان توجها إلى المأوى نفسه الذى أقاما فيه من قبل حتى يقدما مثالاً مفاده أنه ليس من المناسب أن يبحث المرء عن مقر جديد لإقامته إلا إذا اضطر إلى هذا[٧٩] .

وكانت إقامة إبراهيم المؤقتة فى مصر على قدر كبير من الأهمية لقاطنى هذا البلد لأنها أظهرت لحكماء هذه الأرض تفاهة وعبث رؤاهم ، كما أن إبراهيم علمهم علمى الفلك والتنجيم اللذين لم يكونا معروفين لهم قبل عصره[٨٠] .

الفرعون الأول

وكان الحاكم المصرى - الذى كان لقاؤه مع إبراهيم عديم الجدوى - أول من حمل اسم فرعون ، وعرف الملوك اللاحقون بهذا الاسم . وترتبط نشأة هذا الاسم بحياة

ومغامرات " راكيون " المعدم الذى كان على قدر كبير من الحكمة ، وعاش " راكيون " فى " شنعار " وحينما وجد أنه ليس بمقدوره الإقامة فى شنعار قرر الرحيل إلى مصر حيث توقع أن يظهر فيها حكمته أمام الملك " أشويروش بن عنام " ، وتوجه إلى مصر عسى أن يحظى بإعجاب الملك وأن يوفر له فرصة العيش وأن يكون عظيمًا . وحينما دخل مصر أدرك أنه من عادات سكان هذا البلد بقاء الملك فى قصره بعيداً عن أعين الشعب ، وكان يظهر مرة واحدة فى السنة يتلقى خلالها الشكاوى . ولم يعرف " راكيون" الذى كان قد ملأه الإحساس بخيبة الأمل كيف يمكنه توفير قوته فى البلد الغريب مما اضطره لقضاء الليل فى الخرائب متحملاً قسوة الجوع . وقرر فى اليوم التالى الاشتغال فى بيع الخضراوات فالتقى بالصدفة ببعض المشتغلين بالخضراوات غير أنه – ولعدم معرفته بعادات البلد – لم يكن حظه وفيراً فى مهمته بل وهاجمه بعض الأفراد المتوحشين وسرقوا منه أدواته وجعلوه أضحوكة للجميع ، وفى الليلة التالية – التى اضطر لقضائها فى الخرائب – اختمرت خطة حكيمة فى ذهنه فنهض وجمع ثلاثين فرداً لا يجمعهم سوى حب الشهوات وأخذهم إلى منطقة الجبانات وكلفهم باسم الملك بجمع مائتى قطعة من الفضة عند دفن أى فرد وإلا فلن يتم الدفن ، ونجح على هذا النحو فى تحقيق قدر كبير من الثروة فى ثمانية شهور، ولم يجمع خلال هذه المدة الفضة والذهب والأحجار الكريمة فحسب وإنما حصل على قدر كبير من القوة والنفوذ .

وحينما ظهر الملك فى اليوم المخصص لظهوره أمام الشعب قدموا له شكواهم من الضريبة التى فرضت على دفن الموتى فقالوا : ماذا تنزل بعبيدك ؟ إنك لا تسمح لأحد بدفن موتاه إلا بعد أن يسدد لك ما تطلبه من فضة وذهب . أحدث مثل هذا الأمر فى العالم منذ عهد آدم ؟ أحدث أنه لم يتم دفن الموتى إلا بعد تسديد المال ؟ إننا نعلم أنه يحق للملك جباية الضريبة من الأحياء غير أنك تأخذ الجزية من الموتى أيضًا وتنفذ هذا الأمر يوميا ، أيها الملك لم يعد بمقدورنا تحمل هذا الأمر لأن المدينة ستتعرض على هذا النحو للدمار .

وثار الملك ثورة عارمة بعد أن أطلعه الشعب على حقيقة أعمال راكيون فأمر الملك بإحضاره وقوته المسلحة للمثول أمامه ، ولم يأت " راكيون " خاوى الوفاض إذ سبقه

فى السير آلاف الشباب والعذارى الذين كانوا يمتطون الجياد ويسيرون على نحو منظم، وكان كل هؤلاء هدية إلى الملك . وحينما مثل " راكيون " أمام الملك سلمه كميات كبيرة من الذهب والفضة والمجوهرات وزاد عليها بأن أعطاه فرسا عظيما . وكان لهذه العطايا ومظهرها الفخيم أكبر الأثر فى نفس الملك ، وحينما وصف راكيون بكلمات منتقاة ولسان معسول ما فعله لم ينجح فى استمالة الملك فحسب وإنما نجح فى استمالة كل الحاشية فحدثه الملك قائلاً : لن تسمى فيما بعد راكيون المعدم وإنما ستسمى فرعون لأنك تحصل الضرائب من الموتى .

وكان تأثير راكيون ضخماً للغاية ومن هنا قرر الملك والنبلاء والشعب مجتمعين وضع شئون المملكة فى أيدى فرعون . وعمل فرعون تحت إشراف " أشويروش " على تطبيق القانون والعدالة طيلة العام ، وكان الملك يصدر أحكامه فى اليوم الذى كان يظهر فيه ، وتمكن فرعون من خلال السلطة التى وهبت له وبعض الممارسات التآمرية من اغتصاب السلطة الملكية وجمع الضرائب من كل سكان مصر ومع هذا أحبه الشعب وتقرر أن يحمل كل حاكم لمصر لقب فرعون(٨١) .

حرب الملوك

وعند عودة إبراهيم من مصر تعرضت علاقاته مع عائلته لبعض الظروف المزعجة فتطور النزاع بين رعاة قطيعه وبين رعاة قطيع لوط ، وكان إبراهيم قد زود قطيعه بكمامات غير أن لوطاً لم يتخذ هذه الخطوة ، وحينما قام الرعاة الذين تولوا قيادة قطيع إبراهيم بأخذ رعاة قطيع لوط فى إحدى المهام فقد أجابوا : من المعروف بالتأكيد أن الرب أخبر إبراهيم : لنسلك سأعطى الأرض ، غير أن إبراهيم عقيم ولن يكون له نسل ، وسيموت غداً وسيخلفه لوط ، ومن هنا فإن قطيع لوط يستهلك ما يخصه لا ما يخص سيدهم . فذكر الرب : حقا لقد أخبرت إبراهيم " سأعطى الأرض لنسلك ولكن بعد أن تتم إبادة سبعة الأمم من على وجه الأرض . ويقطنها حالياً الكنعانيون والبيريزيون . ولهم حق الإقامة فيها " .

وبعد أن امتد النزاع من الخدم إلى السادة وبعد أن فشل إبراهيم فى دعوة ابن أخيه لوط لتقويم سلوكه فقد قرر إبراهيم الرحيل عن قومه رغم أنه كان يتعين عليه إجبار لوط على الإذعان إليه بالقوة ، ومن هنا فلم ينفصل لوط عن إبراهيم فحسب وإنما عن إله إبراهيم أيضًا ، وذهب لوط إلى منطقة كان فيها للانحلال والرذيلة السطوة ، هذه المنطقة التى حل فيها عليه العقاب بعد أن طغت عليه رغباته ودفعته للرذيلة .

ولم يطمئن الرب لعدم عيش إبراهيم فى وئام مع أهله واعتزاله العالم ، ومن جهة أخرى فقد استاء الرب من قبول إبراهيم ضمنًا للوط كوريثه ، هذا بالرغم من أنه قد وعده بكلمات بينات : لنسلك سأعطى هذه الأرض . وبعد أن انفصل إبراهيم عن لوط تلقى ثانية وعدًا بأن كنعان ستصبح لنسله الذى سيكثره الرب كرمل الشطآن - وكما يملأ الرمل الأرض فإن نسل إبراهيم سينتشر فى الأرض من أقصاها إلى أدناها ، وكما أن الأرض تحيا حينما تحل عليها المياه فإن نسله سيحيا بالتوراة التى تشبه الماء ، وكما أن الأرض تحتمل أكثر مما تحتمل المعادن فإن نسله سيحيا إلى الأبد فى حين أن عبدة الأصنام سيتعرضون للفناء ، وكما أن الأرض ممهدة فإن نسله سيعيشون فى ظل الممالك الأربعة(٨٢) .

وكان لرحيل لوط تبعات وخيمة إذ إن الحرب التى شنها إبراهيم ضد الملوك الأربعة كانت شديدة الارتباط برحيل لوط ، وكان لوط يبتغى الإقامة فى المنطقة وفيرة المياه بالأردن غير أن المدينة الوحيدة بالسهل التى قبلته كانت سدوم التى قبل ملكها ابن أخ إبراهيم دون النظر إلى موقف إبراهيم(٨٣) . وكان الملوك الخمسة الأشرار قد خططوا لشن الحرب على سدوم بسبب لوط ومهاجمة إبراهيم فيما بعد(٨٤) . وكان نمرود العدو اللدود لإبراهيم أحد هؤلاء الملوك، وكان السبب المباشر للحرب أن " تشيدورلاومير " الذى كان أحد قادة جيش نمرود تمرد على الملك بعد أن تشتت بناة البرج ونصب نفسه حاكمًا على " عيلام " ثم استعبد القبائل الحامية المقيمة فى المدن الخمسة بسهل الأردن وأجبرها على دفع الجزية، وقد ظلت هذه القبائل على وفائها لحاكم " عيلام " طيلة اثنى عشر عامًا غير أنها رفضت - فيما بعد - تسديد الجزية ودام تمردها ثلاثة عشر عامًا ، وبعد أن أصيب هذا الحاكم بالخزى تزعم نمرود

سبعة آلاف جندى ضد قائده السابق ، وقد لقى نمرود فى المعركة التى نشبت بين " عيلام " و" شنعار " هزيمة ساحقة إذ فقد ستمائة جندى من قواته ، وكان من بين قتلاه " ماردون " ابن الملك" . وقد عاد ذليلاً ومهانًا إلى بلده مما اضطره إلى الاعتراف بسيادة "شيدورلاومير " الذى شكل تحالفًا مع " آريوخ " ملك " اليسار " و " تيدال " الذى كان ملكًا لعدة أمم ، هذا التحالف الذى كان الغرض منه سحق مدن الأردن . وتقدمت القوات الموحدة لهؤلاء الملوك والبالغ قوامها ثمانمائة ألف صوب المدن الخمسة مخضعةً كل ما كانت تواجه فى طريقها[٨٥] ومدمرة نسل العماليق، وسقطت فى أيدى هذه القوات الأماكن المحصنة وكافة المدن[٨٦] . وواصلت هذه القوات المسير عبر الصحراء حتى وصلت إلى نبع الماء المتدفق من الصخرة الواقعة فى "كاديش" أى البقعة التى خصصها الرب ليعلن فيها حكمه ضد موسى وهارون لما نشب بينهما من خلاف على المياه ، وتقدمت هذه القوات فيما بعد إلى المنطقة المركزية فى فلسطين التى تكثر بها أشجار التمر ولاقت هذه القوات هناك جيوش الملوك الخمسة الكفرة وهم : النذل بيرا ملك سدوم ، والمذنب بيرشا ملك جومورا ، والحاقد شيناب ملك أدماه ، والشهوانى " شيمبر " ملك زيبوئيم ، وملك بيلا – المدينة التى تأكل أبناءها – ولقى الملوك الخمسة هزيمة نكراء فى وادى " سيديم " المثمر ، وفى تلك القنوات التى شكلت فيما بعد البحر الميت ، وقد فرت فلول القوات المنهزمة إلى الجبال ، أما الملوك فقد جمدوا فى أماكنهم ، ولم ينج سوى ملك سدوم الذى بقى حتى يهدى من لم يؤمنوا إلى الإيمان بالرب ، هؤلاء الذين لم يؤمنوا بقدرة الرب على إنقاذ إبراهيم من المحرقة[٨٧] .

وقد سلب الغزاة سدوم من كل البضائع والمؤن وأخذوا لوطا متباهين بقولهم : لقد أخذنا ابن أخ إبراهيم أسيراً بغرض إخفاء الهدف الحقيقى لأنشطته المتمثلة فى إلحاق الأذى بإبراهيم[٨٨] .

وفى الليلة الأولى من مساء عيد الفصح وبينما كان إبراهيم يتناول فطيرة العيد اللدنة [٨٩] أتاه كبير الملائكة ميخائيل وحدثه عن أسر لوط ، ويُعرف هذا الملاك باسم " باليت " أى الفأر ، وعُرف بهذا الاسم لأنه حينما طرد الرب " سامائيل " وجنده من مكانهم المقدس بالسماء أمسك الزعيم المتمرد بميخائيل محاولاً جذبه إلى أسفل غير أن ميخائيل لم ينج من السقوط إلا بفضل مساعدة الرب[٩٠] .

وحينما أتت إبراهيم أخبار سوء أحوال ابن أخيه نبذ فى الحال شقاقه مع لوط ولم يفكر إلا فى طرق ووسائل الخلاص[٩١] . وجمع فى هذا الحين أتباعه الذين علمهم الإيمان الحق والذين عُرفوا جميعهم باسم إبراهيم[٩٢] . وأعطاهم إبراهيم ذهبًا وفضةً قائلاً لهم : لتعلموا أننا ذاهبون إلى حرب لإنقاذ أرواح بشرية. ولذلك لا تصرفوا أنظاركم إلى الغنائم إذ يوجد أمامكم الذهب والفضة . وعلاوة على هذا حثهم قائلاً : إننا نعد العدة للذهاب إلى الحرب ولن يلحق بركبنا من ارتكب إثمًا ومن يخشى حلول العقاب الإلهى عليه . ولم يتبق مع إبراهيم سوى إليعازر فقال الرب : لقد تخلى الجميع عنك سوى إليعازر وسيكون فى قوة هؤلاء الذين سعيت للحصول على دعمهم عبثًا والذين كان يبلغ عددهم ثلاثمائة وثمانية عشر فرداً[٩٣] .

وقد دارت رحى هذه الحرب مع جيوش الملوك القوية والتى خرج منها إبراهيم منتصراً فى الخامس عشر من شهر نيسان ، أى فى الليلة التى تحدث فيها المعجزات[٩٤] ، وكان من بين هذه المعجزات أن السهام والحجارة التى صُوبت نحوه لم يكن لها أى تأثير[٩٥] فى حين أن الرمال وعصف وجذام الأرض التى ألقاها إبراهيم على العدو تحولت إلى سهام مميتة[٩٦] ، وفى نهاية المعركة جلس إبراهيم الذى كان طوله يفوق طول سبعين فرداً مجتمعين وطلب طعامًا وشرابًا يكفى سبعين فرداً ثم تقدم بخطوات واسعة فكان يقطع فى كل خطوة أربعة أميال حتى استولى على الملوك وأباد قواتهم ، ولم يتمكن إبراهيم من مواصلة السير إذ كان قد وصل إلى منطقة دان التى عظم فيها "يروبعام" من مكانة العجول الذهبية ، وقد وهنت فى هذا المكان المشئوم قوة إبراهيم[٩٧] .

ولم يكن هذا الانتصار الذى تحقق ممكنًا إلا بفضل القوى السماوية التى وقفت بجانبه إذ جعل كوكب المشترى الليل أكثر سطوعًا لإبراهيم ، كما أن الملاك " لايلا " قاتل من أجله[٩٨] وحقا فقد كان هذا النصر نصراً للإله، واعترفت كل الأمم أن هذا النصر ليس نصراً بشريا فأسست عرشًا لإبراهيم وأقامته فى قلب ساحة المعركة. وحينما قام الجميع بتنصيب إبراهيم على العرش هتفوا قائلين : إنك ملكنا ، وأميرنا وإلهنا . غير أن إبراهيم نهرهم بقوله : إن للكون ملكًا وإلهًا ، ورفض كل الألقاب التى حصل عليها ، وأعاد للجميع كل ما وهبوه باستثناء صغار الأطفال الذين احتفظ بهم ليعلمهم معرفة الرب ، وغفروا فيما بعد معصية آبائهم .

وقرر ملك سدوم فيما بعد وعلى نحو متغطرس الالتقاء بإبراهيم ، وكان فخوراً بأنه أُنقذ على نحو معجز من السقوط فى الوحل بل واقترح على إبراهيم بالاحتفاظ بالغنائم لنفسه[٩٩] غير أن إبراهيم رفضها بقوله : رفعت يدى إلى الرب الإله فى علاه الذى خلق العالم من أجل الأتقياء ولن آخذ شيئًا ألبتة يخصك مهما صغر منـــك ، وليس لى حق أيا كان فى البضائع التى أُخذت كغنائم[١٠٠] باستثناء ما أكله الصغار ، وما أخذه بعض الرجال الذين بقوا بجوار معدات القتال هذا بالرغم من أنهم لم يشاركوا فى القتال . وكان النموذج الذى أقره إبراهيم بإعطاء نصيب فى الغنائم لمن لم يشاركوا فى القتال هو الذى اتبعه داود الذى لم يبال باحتجاج الأشرار والضعفاء الذين ذهبوا إلى أنه لا يحق لمن لم يشاركوا فى القتال أن ينعموا بالغنائم مثل الجنود الذين شاركوا فى القتال[١٠١] .

وبالرغم من النجاح العظيم فلم يكن إبراهيم معنيا بموضوع الحرب إذ كان متخوفًا من التعدى على الوصية التى تحرم سفك الدماء ، كما كان منزعجًا من انزعاج سام الذى قضى نسله نحبهم فى المواجهة غير أن الرب طمأنه بقوله : لا تخف لقد اقتلعت الأشواك فقط . أما سام فسيباركك ولن يلعنك . وهذا ما حدث بالفعل ، فحينما عاد إبراهيم من الحرب فقد قابله سام بالخبز والنبـيذ[١٠٢] . ويُعرف سام أيضًا باسم " ملكى صيدق " أى ملك التقوى ، وكاهن الرب العلى ، وملك القدس. وقد علم هذا الكاهن الأعلى إبراهيم شرائع الكهانة ، والتوراة ، بل وباركه حتى يثبت له مدى صداقته ودعاه خليل الرب فى امتلاك العالم خاصة أنه رأى أن اسم الرب لم يُعرف بين البشر إلا من خلاله[١٠٣] . غير أن " ملكى صيدق " نظم الكلمات التى بارك بها إبراهيم على نحو غير مناسب إذ ذكر اسم إبراهيم قبل ذكر الرب ، ومن هنا عاقبه الرب بسلب شرف الكهانة منه ، ونقله إلى إبراهيم الذى ستبقى الكهانة مع نسله إلى الأبد[١٠٤] .

ونظرًا لتقديس إبراهيم للاسم المقدس برفضه أخذ شىء من غنائم الحرب[١٠٥] فقد أثابه الرب بأن منح نسله وصيتين : وكانت الوصية الأولى تدعو إلى وجود خيوط طويلة متهدلة على ملابسهم ، أما الوصية الثانية بوضع عصابة على جبينهم . وتهدف الوصيتان إلى تخليد ذكرى أسلافهم الذين رفضوا أخذ أى شىء مهما صغر من ساحة القتال[١٠٦] .

العهـد

وتجلى الرب بعد انتهاء الحرب بفترة وجيزة لإبراهيم ليخفف من وخز ضميره بشأن سفك دماء بعض الأبرياء، ولم يعتصر نفسه الألم إلا بسبب شيء ضئيل الأهمية، وقد طمأنه الرب في الحين ذاته بأنه سيجعل أتقياءً مثله يخرجون من نسله، وأنهم سيكونون درعًا لأجيالهم(١٠٧) . وقد منحه الرب الحق في أن يسأل فيما يشاء ، ولم يحظ أحد غيره بهذا الحق باستثناء يعقوب ، وسليمان ، وأحاز ، والمسيح المخلص. فتحدث إبراهيم مستفسراً : رب العالمين إذا أثار نسلي في أي وقت غضبك فمن الأفضل أن أبقى بلا نسل ، وسيسعد لوط الذي ارتحلت من أجله حتى دمشق التي كان الرب يحميني فيها بأن يرثني ، وعلاوة على هذا فقد طالعتني النجوم بأني لن أنجب . وعندئذ أصعده الرب إلى ما بعد جلد السموات وقال : إنك نبي ولست منجمًا(١٠٨) . وعندئذ لم يطلب إبراهيم أية علامة بأنه سيُبارك بنسله ، وقد آمن – دون أن ينطق بأية كلمة – بالرب، وهكذا أُثيب لإيمانه بنصيبه في هذا العالم والعالم الآخر ، وأن إسرائيل سيحقق الخلاص لثقته الشديدة في الرب(١٠٩) .

وبالرغم من إيمانه العميق فقد ابتغى معرفة السمات والخصال التي ستجعل نسله يبقى، ولذلك أمره الرب بأن يقدم له أضحية من ثلاثة عجول ، وثلاثة أغنام ، وثلاث قمريات ، وحمامة صغيرة . وقد أخبر الرب إبراهيم على هذا النحو بالأضاحي المختلفة التي يجب أن تُقدم في الهيكل للتكفير عن ذنوب إسرائيل ولتحقيق رفاهيته(١١٠) . واستفسر إبراهيم مرة أخرى من الرب عما سيحدث لنسله بعد دمار الهيكل فأجابه الرب : إذا قرءوا باب الأضاحي كما هو مدون في الشريعة سأرى أن هذه القراءة وكأنها بديل للأضاحي وسأغفر كل ذنوبهم(١١١) . وكشف الرب لإبراهيم خلال حديثه مسار كل التاريخ اليهودي وتاريخ كل العالم فأخبره أن العجل البالغ من العمر ثلاثة أعوام يرمز إلى سيطرة بابل ، والماعز ترمز إلى إمبراطورية اليونان ، والكبش يرمز إلى سلطة الفرس ، وبني إسماعيل ، والحمامة ترمز إلى إسرائيل .

وأخذ إبراهيم هذه الحيوانات وقسمها على نحو متواز، ولو لم يفعل هذا لما كان بوسع إسرائيل التصدي لحكم الممالك الأربعة غير أنه لم يقسم الطيور مشيراً إلى أن

إسرائيل ستصبح وحدة واحدة ، أما الأضاحى من الطيور فقد أصبحت جثثًا وأخرجها إبراهيم من صفوف سائر الحيوانات معلنًا على هذا النحو مجىء المسيح المخلص الذى سيقطع عبدة الأوثان إربًا غير أن إبراهيم أمره بالانتظار حتى مجىء الوقت المخصص لظهوره(١١٢) . وقد أُطلع إبراهيم على زمن مجىء المسيح المخلص ، وموعد بعث الأموات. وحينما وضع إبراهيم أنصاف أضاحى الحيوانات فى مواجهة بعضها البعض دبت روح الحياة فى الحيوانات ، كما حلقت الطيور(١١٣) .

وبينما كان إبراهيم يعد هذه الأضاحى وهبه الرب رؤيا بالغة الأهمية فبعد أن غربت الشمس ، وحل السبات بإبراهيم شاهد فى نومه محرقة مليئة بالدخان ، وجهنم ، والمحرقة التى يعدها الرب للمخطئين ، بل وشاهد الوحى فى سيناء ، والأضاحى التى سيقدمها إسرائيل ، وملك الممالك الأربعة . وتملك إبراهيم رعب عظيم فحدثه الرب بقوله : إبراهيم طالما أن أبناءك سينفذون وصيتى بدراسة التوراة والعبادة فى الهيكل سيُنقذون من النزول بجهنم ، ولن أدعهم يعيشون تحت حكم ممالك غريبة غير أنهم إذا أهملوا تنفيذ هذين الواجبين سيتعرضوا لهاتين العقوبتين. ولا يمكن لأحد سواك الاختيار بين عقوبة جهنم وعقوبة العيش تحت حكم ممالك أجنبية . وقضى إبراهيم طيلة اليوم فى حالة من التردد حتى دعاه الرب قائلاً : حتى متى ستظل مترددًا بين هذين الخيارين؟ اختر أحدهما وليكن العيش تحت حكم الأجانب . وأطلعه الرب على الأعوام الأربعمائة من العبودية التى سيقضيها إسرائيل فى مصر منذ ميلاد إسحاق. وعلم إبراهيم فى الحين ذاته أيضًا أنه سيكون لوالده تيراح نصيب فى العالم الآخر خاصة أنه كان قد كفر عن أعماله الشريرة ، وعلاوة على هذا فقد أُوحى لإبراهيم أن ولده إسماعيل سيسير على درب التقوى خلال حياة والده وأن حفيده عيساو لن يضل الطريق إلا بعد وفاته ، وكما تلقى الوعد بخلاص بنى إسرائيل فقد علم أيضًا أن نسله سيعانون العبودية فى أرض ليست لهم ، وعلم إبراهيم أيضًا أن الرب سيعاقب الممالك الأربع وسيدمرها(١١٤) .

ميلاد إسماعيل

وقد تم لأبرام هذا العهد الذى تم فيه الكشف عن مصائر نسل إبراهيم فى الوقت الذى لم يكن لديه فيه أطفال[١١٥] وحينما كان إبراهيم وسارة يقيمان خارج الأرض المقدسة أحسا أن عقمهما يعد عقاباً لعدم التزامهما بالعهد، وبعد أن ظلا على هذه الحال بعد إقامتهما فى فلسطين لعشر سنوات أحست سارة أنها مسئولة عن عدم الإنجاب[١١٦] .

وقد كانت سارة على أتم الاستعداد ودون أن تساورها أية غيرة لمنح أمتها هاجر زوجة لإبراهيم[١١٧] فأطلقت سراحها[١١٨] خاصة أن هاجر كانت من ممتلكاتها إذ كانت حصلت عليها من فرعون والد هاجر، وكانت سارة هى التى علمتها وأطعمتها ومن هنا سارت على درب التقوى والصدق مثل سيدتها[١١٩] وهكذا أصبحت رفيقة مناسبة لإبراهيم ، ووافق إبراهيم بموجب روح القدس على عرض سارة .

وأحست هاجر - فور انتهاء جماعها مع إبراهيم - بأنها ستنجب طفلاً فبدأت تسىء معاملة سيدتها هذا بالرغم من أن سارة كانت تحسن معاملتها مثلما كانت تفعل دومًا. وحينما كان نبلاء السادة يأتون لمشاهدة سارة فقد كانت تدعوهم دومًا لزيارة المسكينة هاجر أيضًا ، وكانت زوجات النبلاء يستجبن لدعوتها غير أن هاجر كانت تستغل هذه الفرصة للإساءة إلى سارة فكانت تقول : إن سيدتى سارة تظهر ما لا تبطن ، إنها تظهر انطباعًا بأنها امرأة صادقة تقية غير أنها ليست على هذا النحو وإلا فكيف يفسر أنها لا تنجب بعد سنوات طويلة من الزواج فى حين أنى أصبحت حاملاً فور زواجى من إبراهيم ؟ "

وكانت سارة تكره التشاحن مع أمتها السابقة غير أنها كانت تنفث عن غضبها مع إبراهيم[١٢٠] بقولها : إنك أنت الذى تسىء إلى ، إنك تسمع كلمات هاجر ولا تذكر شيئًا لدحضها وكنت آمل أن تكون معى ، لقد تركت من أجلك موطنى ومنزل والدى وسرت معك فى أراض غريبة مؤمنة بالرب ، وقد ادعيت فى مصر أنى شقيقتك حتى لا يلحق بك أى أذى ، وحينما رأيت أنى لا أنجب أخذت أمتى المصرية هاجر ووهبتها

لك زوجة مكتفية بفكرة أنى سأربى الأطفال الذين ستنجبهم ، غير أنها تسىء معاملتى فى وجودك ، ولينظر الرب إلى الظلم الذى قُدر على ، وليحكم بينى وبينك ويرحمنا ويعيد السلام إلى دارنا ويهبنا ذرية لا تجعلنا فى حاجة إلى نسل هذه الأمة المصرية التى من نسل الكفرة الذين ألقوك فى المحرقة(١٢١) .

وكان إبراهيم شخصًا متواضعًا ومن هنا كان مستعدًا للإحسان إلى سارة فوهبها الحق فى التخلص من هاجر كما يحلو لها غير أنه أضاف محذرًا : لا يمكنك أن تجعليها أمة بعد أن أطلقت سراحها . غير أن سارة لم تبال بهذا التحذير فأساءت معاملة هاجر بل ورمقتها بنظرة شريرة جعلت جنينها يسقط ففرت هاجر من المكان ، والتقت هاجر خلال سيرها بعدة ملائكة أمروها بالعودة وأخبروها أنها ستنجب طفلاً وأنه يجب أن يُدعى إسماعيل ، وكان هذا الطفل واحدًا من ستة أطفال كان الرب قد حدد أسماءهم قبل مولدهم وهم : إسحاق ، وإسماعيل ، وموسى ، وسليمان ، ويوشيا ، والمسيح المخلص(١٢٢) .

وبعد مضى ثلاثة عشر عامًا على ميلاد إسماعيل كُلف إبراهيم بأن يضع علامة العهد على جسده وأجساد الذكور من آل بيته ، وتلكأ إبراهيم فى البدء فى تنفيذ الأمر الإلهى لتخوفه من أن يؤدى ختانه إلى وضع حاجز بينه وبين سائر البشر غير أن الرب أمره قائلاً: يكفيك أنى ربك إلهك كما يكفى العالم أنى ربه وإلهه(١٢٣) .

وتشاور إبراهيم مع أصدقائه الثلاثة " أنير " و " أشكول " و " مامر " بشأن وصية الختان فقال الأول : لقد دنوت من العام المائة وتفكر الآن فى تحمل كل هذا الألم ؟ . وكانت نصيحة الصديق الثانى أيضًا ضد الختان إذ ذكر أشكول : حينما تختن نفسك سيمكن الأعداء التعرف عليك بسهولة . أما الصديق الثالث مامر فقد كان الوحيد الذى نصحه بطاعة الرب فقال : لقد أخرجك الرب من المحرقة ونصرك فى صراعك مع الملوك ، وأمدك بالطعام خلال المجاعة وتتردد الآن فى تنفيذ أمره ووصيته بشأن الختان(١٢٤) ، وفعل إبراهيم بالتالى ما أمره الرب به فى ضوء النهار متحديًا الجميع(١٢٥) .

وقام إبراهيم بختان نفسه فى العاشر من شهر تشرين أى فى يوم الغفران وفى البقعة ذاتها التى أقيم عليها فيما بعد الهيكل لأن ما قام به إبراهيم سيظل تكفيرًا على الدوم والأبد لخطايا إسرائيل(١٢٦) .

زيارة الملائكة

وفى اليوم الثالث الذى أعقب الختان وحينما كان إبراهيم يعانى ألمًا شديدًا[١٢٧] حدث الرب الملائكة بقوله : اذهبوا إليه ولتزوروا المريض . غير أن الملائكة رفضت بقولها : من ذا الإنسان الذى تهتم به ؟ ومن ذا الذى تزوره ؟ أتبتغى أن تذهب إلى مكان غير طاهر ملىء بالدم والقذارة ؟ غير أن الرب أجاب قائلاً : أهكذا تتحدثون ؟ ولتعلموا طيلة حياتكم أن رائحة الدم أطيب لى من روائح العطر والبخور . وإذا لم تبتغوا زيارة إبراهيم سأتوجه بمفردى[١٢٨] .

وكان اليوم الذى توجه فيه الرب لزيارة إبراهيم شديد القيظ لأنه حدث فى اليوم ذاته ثقب فى جدار جهنم ومن ثم وصلت حرارتها إلى الأرض غير أن إبراهيم ظل بمرقده غير منزعج من الألم[١٢٩] ، ومع هذا فقد أحس إبراهيم بالاستياء من عدم مجىء أحد لزيارته فبعث خادمه إليعازر ليرى إذا ما كان بالطريق أى قوم رحل. وحينما عاد إليعازر خاوى الوفاض أعد إبراهيم - رغم مرضه والحرارة الشديدة - العدة للسير على الطريق عسى أن يفلح فيما فشل فيه إليعازر خاصة أنه لم يثق بالكامل فى إيعازر واضعًا فى ذهنه المقولة المعروفة " لا حقيقة بين العبيد "[١٣٠] .

وتراءى الرب فى هذه اللحظة محاطًا بالملائكة لإبراهيم فحاول إبراهيم فى التو النهوض من مجلسه غير أن الرب لاحظ وجود كل مظاهر الاحترام ومن هنا فحينما اعترض إبراهيم على أنه لا يعقل أن يجلس فى حضرة الرب ذكر الإله : طالما أنك حى فإن كل نسلك الذى يتراوح عمره بين الرابعة والخامسة سيجلس فيما بعد فى المدارس والمعابد وأنا موجود بها[١٣١] .

وشاهد إبراهيم آنذاك كلا من " ميخائيل " و " جبريل " و " رفائيل " الذين تراءوا فى صورة بشر يقومون بزيارة المريض، وكان الرب قد كلف كلا منهم بمهمة بعينها على الأرض فكُلف رفائيل بتضميد جرح إبراهيم فى حين أن ميخائيل كُلف بأن يجلب إلى سارة أنباءً سعيدة عن أنها ستنجب طفلاً ، كما تم تكليف جبريل بإبادة سدوم وعمورة. وعند وصول الملائكة إلى خيمة إبراهيم لاحظت أنه كان منشغلاً بتمريض نفسه فانسحبت وغادرت المكان[١٣٢] ، ومع هذا فقد أسرع إبراهيم بالسير خلفها من بوابة

أخرى بالخيمة كان بها مدخل من كل الجوانب[١٣٣] ، وكان إبراهيم قد رأى أن واجب الضيافة أكثر أهمية من واجب تلقى الحضرة الإلهية . والتفت إبراهيم إلى الرب قائلاً : رب لا تترك عبدك فى الوقت الذى يعمل فيه على الترحيب بضيوفه[١٣٤] . ثم قدم نفسه إلى الغريب الذى كان يسير بين الآخرين ، وقد تفهم إبراهيم ما لاحظه على الغريب أنه أكثرهم أهمية ، ولم يكن هذا الشخص سوى كبير الملائكة ميخائيل فدعاه لدخول الخيمة ، وكان لسلوك ضيوفه الذين عاملوا بعضهم البعض بأدب شديد أكبر الأثر فى نفس إبراهيم فتأكد أنه يستضيف قوماً على قدر كبير من الأهمية[١٣٥] . غير أنه حينما لاحظ أنهم يشبهون فى مظهرهم الخارجى العرب وعبدة التراب أمرهم بغسل أقدامهم حتى لا يدنسوا خيمته[١٣٦] .

ولم يعتمد إبراهيم فى حكمه على قراءة ملامح ضيوفه فقط إذ كانت لديه شجرة بجوار خيمته كانت فروعها تمتد لتنشر ظلالها على من آمنوا بالرب غير أن فروعها كانت ترتفع ولا تلقى ظلالها على غير المؤمنين. وحينما كان إبراهيم يشاهد هذه العلامة كان يبدأ فى الحال فى تشجيع المؤمنين بآلهة عديمة الجدوى على الإيمان بالإله الحق. وكما كانت الشجرة تميز بين التقى والشرير كانت تميز أيضاً بين الطاهر والدنس . وكانت الشجرة تحرم من بهم دنس من الاستحمام بالحمام الطقسى المخصص لهم فى النبع الذى كان يتدفق من جذورها والذى كانت مياهه تظهر فى التو لمن تعد نجاستهم حالة عابرة من الممكن التخلص منها. أما الآخرون فقد كان لزاما عليهم الانتظار سبعة أيام حتى تظهر المياه. وقد أمر إبراهيم بالتالى الرجال الثلاثة بأن يستندوا فى وقوفهم على جذع الشجرة حتى يمكنه ويمكنها التعرف على أحوالهم[١٣٧] .

ولما كان التقى الحق يعد بالقليل ويقدم الكثير[١٣٨] فقد قال إبراهيم : سأحضر كسرة من الخبز خاصة أنى رأيت أنكم تسيرون بجوار خيمتى وقت العشاء ويمكنكم الرحيل بعد تناول الطعام وشكر الرب[١٣٩] . وبعد أن تم تقديم الوجبة للضيوف اتضح أنها وجبة ملكية تفوق ما كان يتم تقديمه فى عهد سليمان إذ كان إبراهيم قد توجه إلى القطيع لذبح بعض المواشى لتقديمه كطعام للضيوف، وقد ذبح ثلاثة عجول حتى يدع كل فرد من ضيوفه يتناول ما يكفيه من طعام[١٤٠] ، وحتى يعتاد إسماعيل على الأعمال المرضية للرب فقد أمره إبراهيم بذبح العجول وتقديمها[١٤١] وأمر سارة بخبز العيش ،

ولما كان إبراهيم يعلم أن النساء يعاملن الضيوف على نحو بخيل فقد كان طلبه واضحًا إذ قال لها صراحة : أعدى ثلاث وجبات . ولم يتم إحضار الخبز إلى مائدة الطعام لأن إبراهيم كان يتناوله دائمًا فى حالة نظيفة غير أنه كان قد اتسخ قبل تقديمه(١٤٢) .

وقد قدم إبراهيم الطعام بنفسه إلى ضيوفه وتراءى له أن ضيوفه الثلاثة تناولوا الطعام غير أن ما رآه كان وهمًا حيث إن الملائكة لم تأكل شيئًا(١٤٣) ، ولم يتناول هذا الطعام سوى أصدقائه الثلاثة "آنير" و "أشكول" و "مامر" ، وشاركهم الطعام إسماعيل ، أما الوجبة التى كانت قد وضعت أمام الملائكة فقد التهمتها نيران سماوية(١٤٤) .

وبالرغم من أن الملائكة ظلت على صورتها البشرية فإن شخصية إبراهيم ظلت على سموها مما جعل كبار الملائكة تشعر بضآلتها(١٤٥) . وبعد أن فرغت الملائكة من طعامها سألت عن سارة رغم علمها أنها معتزلة بخيمتها غير أنها رأت أنه من الواجب تقديم الشكر لربة المنزل وإرسال كوب من النبيذ إليها لمباركته(١٤٦) . وقد أعلن كبير الملائكة ميخائيل فى هذه اللحظة ميلاد إسحاق فرسم خطا على الجدار قائلاً : حينما تعبر الشمس هذه النقطة ستحمل سارة ، وعند عبورها النقطة الأخرى ستنجب طفلاً . وكانت هذه الرسالة موجهة إلى سارة وليس إلى إبراهيم الذى كان الوعد بكثرة بنيه قد أُوحى إليه قبلها بزمن طويل(١٤٧) . وحينما أبلغت الملائكة هذه الرسالة إلى سارة فقد وقف إسماعيل بين الملاك ميخائيل وسارة إذ لم يكن من الجائز أن يخبرها بهذه الرسالة فى الخفاء وعلى انفراد ، وكانت سارة على قدر كبير من الجمال فبُهت الملاك من جمالها فنظر إلى السماء عجبًا. وحينما عاود النظر إليها أحس بخلجاتها تتضاحك(١٤٨) قائلة : أيعقل أن يحمل هذا الرحم طفلاً وأن ترضع هذه الأثداء التى ذبلت رضيعًا فضلاً عن أن إبراهيم أضحى عجوزًا(١٤٩) .

وقال الرب لإبراهيم : وهل أنا عجوز عاجز عن القيام بالمعجزات ؟ ولماذا تتضاحك سارة قائلة "هل سأنجب طفلاً وأنا عجوز"(١٥٠) ؟ وكان هذا التوبيخ موجهًا إلى إبراهيم وسارة خاصة أنه لم يظهر سوى قدرٍ ضئيلٍ من الإيمان حينما أُخبر أنه سيرزق بطفل، غير أن الرب لم يذكر سوى شكوك سارة تاركًا إبراهيم فى التفكر فيما أخطأ فيه(١٥١) .

ولما كان الرب مهتما بسلامة حياتهما العائلية فلم يخبر الرب إبراهيم بكلمات سارة على وجه الدقة إذ كان من الوارد أن يسيء إبراهيم فهم ما قالته سارة عن أنه طاعن فى السن ، ونظراً لأهمية العلاقة الزوجية بين الرجل وامرأته فقد حافظ الرب فى علاه عليها على حساب الحقيقة(١٥٢) .

وبعد أن فرغ إبراهيم من الترحيب بضيوفه توجه معهم لتوديعهم على الطريق فلا يقل وداع الضيوف أهمية عن استقبالهم(١٥٣) ، وارتحل الضيوف صوب سدوم فتوجه أحدهما لتدميرها والآخر لإنقاذ لوط. أما الثالث فعاد إلى السماء(١٥٤) .

مدن الخطيئة

وكان سكان سدوم وعمورة ومدن السهل الثلاث الأخرى من المذنبين والكفرة ، وكان يوجد بمدنهم واد ضخم يجتمعون به سنويا مع زوجاتهم وبنيهم وكل ذويهم للاحتفال بعيد كان يستغرق عدة أيام يمارسون فيه كافة أنواع الرذيلة، وحينما كان أى تاجر غريب يمضى بأراضيهم يحاصرونه جميعهم من كبير وصغير على حد سواء وكانوا يسلبونه كل ما يملك ، وحينما كانت الضحية تحاول الاحتجاج والاعتراض فقد كانوا يطردونه من المدينة .

وحدث ذات مرة أن رجلاً مرتحلاً من عيلام وصل إلى سدوم فى المساء ، ولم يجد أحداً يستضيفه فى المساء غير أنه وجد فى نهاية الأمر ثعلبًا حكيمًا يدعى " حيدور " دعاه للسير خلفه إلى منزله ، وكان حيدور هذا مفتونًا بسجادة فخمة كانت تطوق حمار الغريب بحبل طويل ، وكان يبتغى الاحتفاظ بها .

وتمكن " حيدور " بفضل إلحاحه على الغريب من إقناعه بالبقاء معه يومين ، هذا بالرغم من أنه كان يتوقع البقاء معه ليلة واحدة فقط ، وحينما ابتغى الغريب مواصلة رحلته سأل مضيفه عن السجادة والحبل فقال حيدور : لقد حلمت حلمًا وها أنذا لأفسره لك . إن الحبل يرمز إلى أنك ستعيش حياة طويلة فى طول الحبل ، أما السجادة المزركشة فتشير إلى أنك ستملك حديقة غناء ستنبت بها كافة أشجار الفواكه. وأصر الغريب على استرداد السجادة التى كانت معه ، أما حيدور فلم يكتف بإنكار

حصوله عليها فحسب وإنما طلب منه أجراً فى مقابل تفسير الحلم قائلاً : إن أجرى أربع قطع من الفضة غير أنى سأحصل منك على ثلاث فقط لأنك ضيفى .

وبعد أن قضيا وقتاً طويلاً فى الشجار والخصام وضعا قضيتهما أمام " شيرخ " أحد قضاة سدوم الذى قال : إن حيدور يعرف بأنه مفسر أحلام أهل الثقة ولا ينطق إلا بالحق " غير أن الغريب أعلن أنه غير راض عن الحكم وواصل دفاعه عن قضيته وأصدر " شيرخ " أمراً بإخراج المتخاصمين من قاعة المحكمة ، وحينما رأى أهل سدوم ما حدث اجتمعوا فيما بينهم وطاردوا الغريب الذى لم يفعل سوى أن رثى حاله .

وكما كان لسدوم قاض فقد كان لسائر المدن قضاة وهم " شاركار " فى عمورة ، و" زابناك " فى أدماه ، و" مانون " فى زيبوعيم . وقد أحدث إليعازر خادم إبراهيم تغييرات طفيفة فى أسماء هؤلاء القضاة بما يتماشى مع طبيعتهم فدعى الأول "شكار" أى الكاذب ، والثانى " شكرورا " أى كبير المخادعين، والثالث " كذبان " أى المخادع ، والرابع " مازلى دين " أى مفسد الأحكام. وبناءً على اقتراح القضاه تقرر أن تضع المدن سرائر فى الأراضى المشاع . ومن هنا فحينما كان يأتى غريب إلى أى من هذه المدن يمسك ثلاثة برأسه وثلاثة بقدميه ويجبرونه على الجلوس على إحدى هذه السرائر ، وإذا كان الغريب قصير القامة كان الستة يجذبون كل أطرافه حتى يشغل كل حيز السرير . أما إذا كان طويلاً فقد كانوا يحاولون تقليص حجمه بكل ما أوتوا من قوة للدرجة التى كان الغريب يوشك فيها على الموت ، وكانوا يعقبون على صرخاته قائلين : سنفعل ما نحن فاعلون لكل من يأتى إلى أرضنا .

وبعد فترة وجيزة أصبح الرحالة يتجنبون دخول هذه المدن غير أنه حينما كان يضل أحد المساكين طريقه ويدخل هذه المدن كان أهلها يقدمون إليه الذهب والفضة ولا يقدمون له الخبز حتى يموت من الجوع ، وبعد أن يلقى حتفه كان أهل المدينة يستردون ما وهبوه له من ذهب وفضة غير أنهم كانوا يتشاجرون على تقسيم ثيابه لأنهم كانوا يحرقونه عارياً .

وقد توجه إليعازر خادم إبراهيم ذات مرة إلى سدوم بناء على أمر سارة للاستفسار عن لوط. وقد حدث أنه دخل المدينة فى اللحظة التى كان سكانها يسرقون

ملابس أحد الغرباء. وما كان من إليعازر سوى أن أيد قضية هذا البائس فتهجم أهل سدوم عليه وألقى أحدهم حجارة على رأسه فنزف كمية كبيرة من الدم. وحينما شاهد المعتدى الدم يتفجر من رأسه طلب أجراً نظير وقف الدم غير أن إليعازر رفض أن يدفع له شيئًا فى مقابل الجرح فعُرضت حالته على القاضى " شاكارا " ، وصدر الحكم ضد إليعازر لأن شريعة هذه الأرض كانت تمنح المعتدى الحق فى أن يطلب أجراً فسارع إليعازر بإلقاء حجر على رأس القاضى ، وحينما شاهد الدم يخرج منه قال للقاضى " أعطنى أجرى " .

وكان سبب قسوتهم يتمثل فى ثرائهم الفاحش ، فكانت أرضهم من الذهب، وكانوا من فرط بخلهم وجشعهم فى الحصول على المزيد من الذهب يمنعون الغرباء من التمتع بشىء من ثرواتهم. وكانوا يغمرون الطرق بالمياه حتى لا يصل أحد إليهم . وكانوا يتعاملون بوحشية مع الحيوانات والطيور على حد سواء ، فكانوا يضنون على الطيور فيما تأكل وكانوا يقتلونها[١٥٥] . وكانت سلوكياتهم مع بعضهم البعض تتسم بالمكر والخداع فلم يجفلوا عن القتل حتى ينعموا بمزيد من الذهب ، وحينما كانوا يلاحظون تمتع أحد الأفراد بثروات عظيمة كانوا يتآمرون عليه فكانوا يأخذونه إلى مناطق نائية ويقتلونه .

وكان من أكثر الطرق التى كان هؤلاء اللصوص يتبعونها لتحقيق مآربهم الطريقة التالية : فحينما كانوا يعتزمون السرقة كانوا يطلبون من ضحيتهم الاحتفاظ ببعض الأموال الخاصة بهم والتى كانوا يغطونها بالزيت قبل إعطائها له، وكانوا فى الليلة التالية يتسللون إلى منزله ويسرقون المال الذى يجدونه عن طريق تعقب رائحة الزيت .

وكانت شرائعهم تهدف إلى إلحاق الأذى بالفقراء فكان القانون يفضل الأثرياء على الفقراء فكان من يملك ثورين ملزمًا بالتخلى عن ناتج يوم من أيام عمل قطيعه ، وفى المقابل فقد كان من يملك ثوراً واحداً ملزمًا بالتخلى عن ناتج يومين، أما اليتيم الفقير الذى كان مجبراً على رعى قطعان الماشية فترة أطول من هؤلاء الذين لديهم عدد أكبر من القطعان فقد كان يقتل ما استودع لديه من قطيع حتى يثأر من مضطهديه. وحينما كان يتم توزيع الجلود كان يصر على أن يأخذ ممن يملك رأسين من القطيع قطعة واحدة من الجلد فى حين كان يمنح من يملك رأسًا واحدة قطعتين من الجلود بما يتماشى مع الطريقة المتبعة فى تقسيم العمل[١٥٦] .

ولم يكن لوحشية أهل سدوم أية حدود فقد كانت للوط بنت تدعى " بالتيت " ، وعُرفت بهذا الاسم لأنها ولدت بعد أن فر لوط من الأسر بمساعدة إبراهيم. وعاشت " بالتيت " فى سدوم التى تزوجت فيها. وقد أتى متسول ذات مرة إلى المدينة وأصدر قضاة المدينة حكمًا بألا يعطيه أحد شيئًا حتى يموت من الجوع غير أن " بالتيت " أشفقت عليه فكانت تذهب يوميا إلى البئر لجلب المياه إليه ، وكانت تزوده بخبز كانت تخفيه فى وعاء الماء ، ولم يتمكن سكان سدوم وعمورة من تفهم كيف أنه لم يمت فتشككوا فى إمكانية قيام أحد سكان المدينة بتزويده بالطعام فى الخفاء ، وتخفى ثلاثة من السكان بالقرب من هذا المتسول ، وأمسكوا ببالتيت عند تقديمها الطعام لهذا الفقير. وكانت عقوبتها الموت حرقًا .

ولم يكن أهل أدماه أفضل حالاً من أهل سدوم فقد أتى " أدماه " ذات مرة رجل قصد أن يقيم ليلة بهذه المدينة حتى يواصل رحلته بالغد ، وقد التقت بنت أحد أثرياء المدينة بالغريب وقدمت له ماءً ليشربه وخبزًا ليتناوله ، وحينما سمع أهل أدماه انتهاك هذه الفتاة لشريعة البلد انقضوا عليها وقدموها للمحاكمة فحكم عليها القاضى بالموت فدهنها سكان المدينة من رأسها حتى أخمص قدميها بالعسل وتركوها على هذا النحو حتى يلتهمها النحل، وظلت الحشرات تلتهمها حتى وافتها المنية ، ولم يهتم أحد من أهل هذه المدينة بصرخاتها المدوية ، وقرر الرب عندئذ إبادة المذنبين[١٥٧] .

إبراهيم يدافع عن المذنبين

وحينما شاهد الرب أنه لا يوجد أى تقى بين سكان هذه المدن المخطئة ، ولن يكون هناك أى تقى من بين نسلهم يعامل من أجل خصاله سائر السكان على نحو متساهل فقد قرر أن يبيدهم جميعًا دفعة واحدة[١٥٨] . غير أن الرب أطلع إبراهيم قبل تنفيذ الحكم على ما سيفعله بسدوم وعمورة وسائر مدن الساحل لأنها شكلت فيما بينها جزءًا من أرض كنعان التى وعد بها الرب إبراهيم ولهذا قال الرب : لن أدمر هذه المدن دون موافقة إبراهيم[١٥٩] .

وقد ألح إبراهيم - كأب عطوف - على الرب أن يشفق على المذنبين فحدث الرب قائلاً : لقد أقسمت بألا تبيد مزيداً من البشر بمياه الطوفان فهل يعقل أن تتملص من القسم وأن تفنى هذه المدن بالنار؟ وهل يعقل ألا يقوم حاكم كل الأرض بعمل الحق؟ وإذا كنت تبتغى حقا الإبقاء على العالم يجب أن تتخلى عن حكم العالم بمعيار العدل فقط . وإذا تمسكت بالحق فقط فلن يكون هناك وجود للعالم . وعندئذ أجاب الرب إبراهيم بقوله : إنك تجد متعة فى الدفاع عما خلقت ولا تعتبرهم مذنبين؛ ولهذا لم أحدث أحداً سواك منذ نوح "(١٦٠) . وحاول إبراهيم أن يستخدم كلمات أكثر قوة وقسوة ليحافظ على حياة غير المؤمنين بالرب فقال : ليس من الوارد قيامك بقتل الصديقين والأوغاد معًا حتى لا يقول من يقطنون الأرض أن الرب يدمر أجيال البشر على نحو عنيف فقد دمر جيل إينوخ وجيل الطوفان كما أنه بلبل الألسنة .

وأجابه الرب بقوله : سأدع كافة الأجيال التى دمرتها تمضى أمامك عسى أن ترى أنها لم تلق العقاب الذى تستحق ، وإذا كنت ترى أنى لم أتصرف على نحو عادل أخبرنى ما يجب أن أفعله ، وسأسعى للعمل بما يتواءم مع ماتراه . وكان على إبراهيم عندئذ أن يقر أن الرب يتعامل بالعدل مع كافة مخلوقاته فى هذا العالم أو العالم الآخر(١٦١) . ومع هذا واصل إبراهيم حديثه قائلاً : هل ستبيد كافة هذه المدن حتى لو كان يوجد بكل منها عشرة أتقياء ؟ فقال الرب : لا لن أبيدها إذا وجدت فيها خمسين فرداً من الأتقياء(١٦٢) .

إبراهيم : لقد تجرأت على التحدث إلى الرب الذى لولا رحمته(١٦٣) لكنت أصبحت رماداً فى نيران نمرود غير أن مدينة " زوعر " تعد أصغر مدينة من المدن الخمس المخطئة فهل ستدمرها ؟

الرب : لن أدمرها إذا وجدت بها خمسة وأربعين فرداً من الأتقياء وليس خمسين .

إبراهيم : من الوارد أن يكون هناك فى كل مدينة من المدن الأربع المتبقية عشرة أتقياء ولتغفر برحمتك خطايا مدينة " زوعر " لأن خطاياها ليست كخطايا سائر المدن .

واستجاب الرب لطلبه غير أن إبراهيم واصل دفاعه وسأل الرب : ألن يشعر الرب بالرضا إذا كان يوجد فى كل مدينة من المدن الثلاث المتبقية ثلاثون فرداً من الأتقياء ،

وهل من الوارد أن يغفر للمدينتين الأصغر حتى لو لم يكن فيها أى تقى تستحق خصاله وقف حكم الإبادة ؟ واستجاب الرب مرة أخرى لطلب إبراهيم فوعده بألا يدمر المدن إذا وُجد فيها عشرون فرداً من الأتقياء بل ووافق الرب على ألا يبيد هذه المدن إذا وُجد بها عشرة أتقياء فقط(١٦٤) .

ولم يجرؤ إبراهيم على أن يطلب المزيد فقد كان يعلم أن نوحا وزوجه وأبناءه الثلاثة وأزواجهم والذين كانوا جميعًا من الأتقياء لم يتمكنوا من تغيير الحكم الصادر على جيل الطوفان ، وقد كان يأمل فى أن يصل عدد الأتقياء إلى عشرة من خلال لوط وزوجه وبناتهم الأربع وأزواجهن ، غير أن ما لم يعلمه كان أن أتقياء هذه المدن المذنبة – ورغم أفضليتهم على الآخرين – كانوا بعيدين عن الخير(١٦٥) .

ولم يتوقف إبراهيم عن الدعاء من أجل تخليص المذنبين حتى بعد أن رحلت الحضرة الإلهية عنه ، وقد ذهبت كل دعواته وابتهالاته أدراج الرياح(١٦٦) . وكان الرب قد حذر غير المؤمنين به على مدى اثنين وخمسين عاماً فجعل الجبال تهتز وترتعد غير أنهم لم ينصتوا أو يبالوا بالتحذير بل وواصلوا ارتكاب الخطايا حتى حل بهم العقاب(١٦٧) . إن الرب يغفر كل الخطايا إلا خطيئة الحياة غير الأخلاقية ، ولما كان هؤلاء المخطئون يعيشون حياة الفسوق والملذات فقد أحرقتهم النار(١٦٨) .

دمار المدن المذنبة

وغادرت الملائكة إبراهيم فى الظهيرة ووصلت إلى سدوم قبيل المساء، وأعلنت الملائكة كعادتها المهمة الموكلة إليها بسرعة البرق غير أن هذه الملائكة كانت ملائكة الرحمة فترددت فى تنفيذ مهمة التدمير آملةً فى انصراف الشر عن سدوم(١٦٩) . ومع مجيء الظلام أصبح قدر سدوم محتومًا إذ كانت ملائكة الدمار قد وصلت إلى سدوم(١٧٠) .

وكان لوط قد تعلم من إبراهيم العادة الجميلة الخاصة بالترحيب بالضيوف ، ومن هنا فحينما شاهد أمامه الملائكة فى صورة بشرية تصور أنهم مسافرون فدعاهم للإقامة بمنزله ، ومع هذا فنظراً لأن عقوبة الموت كانت العقوبة الوحيدة التى تُنزل

بمن يرحب بالضيوف فى سدوم فقد دعاهم لوط للمجيء إليه تحت جنح الليل(١٧١) وكان عليه أن يستخدم كل وسائل الأمان فأمر الملائكة بالسير خلفه فى طرق ملتوية .

ورفضت الملائكة – التى كانت تقبل دعوة إبراهيم دون تردد – الانصياع لطلب لوط لأنه من الطباع الحسنة أن يتلكأ المرء بعض الشيء فى قبول دعوة عامة البشر وأن يقبل دعوة علية القوم. ومع هذا كان لوط مصراً على دعوته فحمل الملائكة بالقوة إلى بيته(١٧٢) الذى تغلب فيه على اعتراض زوجته التى قالت : إذا سمع أهل سدوم ما فعلت سيقتلونك .

وقد قسم لوط منزله إلى قسمين : أحدهما له وضيوفه والآخر لزوجته حتى لا تتعرض زوجته إلى أى سوء فى حالة تعرضه إلى أى مكروه(١٧٣) . ومع هذا فإن زوجته هى التى خدعته إذ توجهت إلى أحد الجيران لتستعير ملحًا، وحينما سألها جيرانها ألم يكن يمكنها الحصول على الملح خلال النهار ؟ فقد أجابت : كان لدينا ما يكفينا من ملح حتى أتانا بعض الضيوف ولهذا نحتاج المزيد ، وهكذا انتشر خبر وجود غرباء بالمدينة(١٧٤) .

وكانت الملائكة مستعدة فى البدء للإنصات إلى التماس لوط بشأن المذنبين غير أنه حينما اجتمع أهل المدينة من كبار وصغار حول منزل لوط لارتكاب جريمة بشعة فقد رفضت الملائكة دعوة لوط قائلة : كان يمكنك حتى لحظات مضت التوسل من أجلهم غير أنه لم يعد مجديًا الآن . ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى ابتغى فيها أهل سدوم ارتكاب مثل هذه الجريمة إذ كانوا قد سنوا فيما بينهم شريعة دعت إلى معاملة كافة الغرباء على هذا النحو المخيف، وقد حاول لوط الذى كان قد تم تنصيبه يوم مجيء الملائكة إليه قاضيًا للمدينة إثناء السكان عما يعتزمون القيام به قائلاً : إخوانى .. لقد أبيد جيل الطوفان بسبب مثل هذه الخطايا التى تعتزمون ارتكابها ألا تتراجعون عما أنتم فاعلون ؟ غير أنهم أجابوه قائلين : كلا وحتى لو جاء إبراهيم فلن نبالى به ، وهل يعقل ألا تبالى بشرائع من سبقوك(١٧٥) ؟

ولم تكن سلوكيات لوط الأخلاقية كما ينبغى فيتعين على المرء أن يضحى بحياته من أجل الاحتفاظ بشرف وكرامة زوجه وبناته غير أن لوطا كان مستعدا للتضحية بهما ، ومن ثم كان عقابه شديداً(١٧٦) .

وأفصحت الملائكة للوط عن هويتها والمهمة المكلفة بتنفيذها في سدوم ، وأمروه بالهرب من المدينة مع زوجه وبناته الأربع منهن اثنتان متزوجتان[١٧٧] . وأبلغ لوط هذه الرسالة إلى أبناء إخوته غير أنهم سخروا منه قائلين : إنك أحمق ، ألا تسمع بالمدينة أصوات الكمان والناى والآلات النحاسية وتتحدث عن تعرض سدوم إلى الدمار. ولم يكن لهذا الازدراء من أثر سوى الإسراع في تنفيذ العقوبة على سدوم[١٧٨] فأمسك الملاك ميخائيل بيد لوط وزوجه وبناته في حين مس الملاك جبريل بإصبعه الصغير الصخرة التي شُيدت عليها المدن المخطئة ، وحركها من موضعها، وفي اللحظة ذاتها تحولت الأمطار التي كانت تهطل على هذه المدن إلى كبريت[١٧٩] .

وحينما فرغت الملائكة من إخراج لوط وبيته من المدينة أمرهم بالفرار لإنقاذ أنفسهم وألا ينظروا خلفهم حتى لا يروا الحضرة الإلهية بعد نزولها إلى الأرض لإعمال الدمار في المدن المخطئة . ولم تتمكن زوجة لوط من تمالك نفسها فنظرت خلفها من فرط حب الأم لبنيها لترى إذا ما كانت بناتها تتبعها غير أنها شاهدت الحضرة الإلهية فتحولت زوجته إلى عمود من الملح لازال موجوداً حتى يومنا هذا ، ولازالت قطعان الماشية تلعقه . ويختفي هذا العمود في المساء غير أنه يظهر في الصباح[١٨٠] .

وقد حث الملاك المخلص لوطا بأن يجد ملاذاً مع إبراهيم غير أنه رفض قائلاً : حينما كنت أعيش مستقلا عن إبراهيم كان الرب يقارن أعمالي بأعمال أهل المدينة فكنت أبدو رجلاً تقيا ، أما إذا عدت إلى إبراهيم سيرى الرب أن أعماله تفوقني بكثير[١٨١] . وقد استجاب الملاك لطلبه باستثناء مدينة " زوعر " من الدمار ، هذه المدينة التي تأسست بعد سائر المدن ، ومن ثم فلم تكن خطاياها في حجم خطايا سائر المدن المجاورة[١٨٢] .

وحل الدمار بمدن السهل في فجر السادس عشر من شهر نيسان لأنه كان يوجد من بين سكان هذه المدن من عبدوا الشمس والقمر. فقال الرب : إذا دمرت هذه المدن بالنهار سيقول عبدة القمر لو كان القمر موجوداً لأثبت أنه منقذنا ، وإذا دمرت هذه المدن بالمساء سيقول عبدة الشمس لو كانت الشمس موجودة لكانت قد أنقذتنا ، ولهذا سأنزل دماري في السادس عشر من شهر نيسان وفي اللحظة التي يتواجد فيها الشمس والقمر في السماء[١٨٣] . ولم يفقد سكان مدن السهل حياتهم في هذا العالم

فحسب وإنما فقدوا نصيبهم أيضًا فى العالم الآخر ، ومع هذا فستعود المدن إلى الوجود عند مجيء المسيح المخلص[١٨٤] .

وتعرضت سدوم للدمار فى اللحظة ذاتها التى كان إبراهيم يؤدى فيها صلاة الصباح ، ولهذا أصبحت هذه اللحظة – وعبر كافة العصور – ميقاتًا لصلاة الصباح[١٨٥] . وحينما نظر إبراهيم صوب سدوم وشاهد الدخان المتصاعد منها دعا الرب لتخليص لوط ، واستجاب الرب لدعائه ، وكانت هذه هى المرة الرابعة التى يكون فيها لوط مدينًا لإبراهيم الذى كان قد أخذه إلى فلسطين ، وجعله ثريا فى قطعان الماشية ، وفى عدد الخيام ، وأنقذه من الأسر ومن الدمار الذى حل على سدوم. أما نسل لوط من " عمونيين " و " مؤابيين " فبدلاً من أن يظهروا عرفانهم لنسل إبراهيم من بنى إسرائيل فقد ارتكبوا أربعة أعمال عدائية تجاههم فسعوا إلى تدمير إسرائيل من خلال لعنات بلعام ، وشنوا حربًا عليه فى عهدى " يفتاح " ويهوشافاط بل وأظهروا كراهيتهم لإسرائيل عند دمار الهيكل. ومن هنا كلف الرب أنبياءه الأربعة أشعيا ، وأرميا ، وحزقيال ، وصفنيا بعقاب نسل لوط[١٨٦] .

وبالرغم من أن لوط مدين بخلاصه إلى إبراهيم إلا أنه قد كوفئ أيضًا لأنه لم يخدع إبراهيم فى مصر حينما زعم أنه أخ لسارة[١٨٧] غير أن ثوابه الأعظم يتمثل فى أن المسيح المخلص سيكون من نسله لأن روث المؤابية هى الجدة العليا لداود ، كما أن ناعومى" العمونية هى والدة "رحبعام" ، والمسيح المنتظر من نسل هذين الملكين[١٨٨] .

بين الفلسطينيين

ودفع الدمار الذى حل بسدوم إبراهيم إلى الارتحال إلى جيرار . ولما كان معتادًا على إكرام المسافرين والمرتحلين فلم يشعر بالارتياح فى هذه المنطقة التى توقفت فيها كل وسائل الاتصال والنقل بسبب الدمار الذى حل بالمدن المذنبة، وكان من بين الأسباب التى دفعت إبراهيم للرحيل عن هذا المكان أن أهله كانوا يتحدثون كثيرًا عن الحادث القبيح الذى تعرضت إليه بنات لوط[١٨٩] .

وحينما وصل إلى أرض الفلسطينيين اتفق مع سارة على أن تدعى نفسها شقيقته مثلما فعلت فى مصر. وحينما وصلت إلى ملك الفلسطينيين أنباء عن فرط جمالها أمر بإحضارها وسألها عند مثولها أمامه عمن يصحبها فأجابت أنها فى صحبة شقيقها إبراهيم. ومن فرط إعجابه بها تزوجها الملك " أبيميليك " ، وأنعم على إبراهيم بالهدايا بما يتفق مع دعوى أنه شقيق الملكة. ومع حلول المساء وقبل أن يخلد للراحة وبينما كان جالسًا على عرشه نام أبيميليك حتى الصباح ، وكان قد شاهد خلال نومه حلمًا رأى فيه ملاك الرب رافعًا سيفه ومسلطه عليه لقتله. فسأل الملك خائفًا الملاك عن سبب ما هو فاعله ؟ فأجابه إنك ستموت بسبب المرأة التى أخذتها إلى منزلك هذا اليوم لأنها زوجة إبراهيم الذى يجلس معك، دعه هو وزوجته . أما إذا لم تفعل ما تؤمر به ستموت أنت وكل آل بيتك .

وفى تلك الليلة تردد صوت صراخ عظيم فى كل أرض الفلسطينيين بعد أن شاهدوا رجلاً حاملاً سيفه فى يده يقتل كل من بطريقه . وقد حدث فى الحين ذاته أن الرجال والحيوانات على حد سواء تجمعوا مع بعضهم البعض حتى أصبحوا كأعضاء الجسد الواحد ، وعاشت الأرض فى حالة لا توصف من الإثارة، وفى الصباح وحينما استيقظ الملك خائفًا مرعوبًا دعى كل خدمه وقص عليهم والدمع يتساقط من عينيه الحلم فقال أحد الخدم : أعد هذه المرأة إلى الرجل لأنه زوجها ، وحينما يحل هذا الرجل ببلد غريب يزعم أنها شقيقته وهذا ما فعله مع ملك مصر. وقد أرسل الرب عقوبات شديدة على فرعون حينما أخذ المرأة التى كانت معه. وتفكر أيها الملك أيضًا فيما حل بالبلد هذا المساء إذ عمها الألم والنحيب والاضطراب ، ونعلم أن ما تعرضنا إليه كان بسبب هذه المرأة(١٩٠) .

وكان من بين خدمه من قال : لا تخف الأحلام فإن ماتراه بها ليس سوى ضرب من الأكاذيب . ثم تراءى الرب مرة أخرى إلى أبيميليك وأمره بإطلاق سراح سارة وإلا سيحل عليه الموت(١٩١) . فأجابه الملك : أهذه طريقتك ؟ وأتصور عندئذ أن أجيال الطوفان وبلبلة الألسنة كانت بريئة . إن هذا الرجل ذهب إلى أن هذه المرأة شقيقته بل وذهبت هى إلى أنه شقيقها . وردد كل أهل بيتهما الكلمات ذاتها . فقال الرب : أعلم أنك لم ترتكب معصية حتى الآن لأنى أمسكك عن الخطيئة ، فأنت لم تعلم أن سارة

زوجة هذا الرجل[١٩٢] . إن إبراهيم النبى كان يعلم مسبقًا حجم الخطر الذى قد يتعرض إليه إذا أفصح فى التو عن كل الحقيقة[١٩٣] ولكنه كان يعلم كنبى أيضًا أنك لن تمس زوجه" .

وكان الدخان لازال يتصاعد من حطام سدوم ، فتخوف أبيميليك وأهله عند رؤية الدمار أن يحل بهم ذات المصير[١٩٤] ودعى الملك إبراهيم ووبخه لما سببه من أسى بسبب تقديمه معلومات خاطئة عن سارة . واعتذر إبراهيم عما فعل بدعوى أنه كان متخوفًا من أن يقتله سكان الأرض إذا قال إن سارة زوجه[١٩٥] . وقص إبراهيم كل تاريخ حياته بقوله : حينما سكنت فى منزل أبى حاولت كل أمم العالم إلحاق الأذى بى غير أن الرب أثبت أنه مخلصى . وحينما حاولت أمم العالم تضليلى ودفعى إلى عبادة الأوثان تجلى الرب لى قائلاً : ارحل عن بلدك وعشيرتك وآل بيتك . وحينما كانت أمم العالم على وشك الضلالة أرسل الرب نبيين من نسلى وهما سام وايبر لتوبيخها[١٩٦] .

ووهب أبيميليك هدايا قيمة إلى إبراهيم أى أنه تصرف على نحو مباين لسلوك فرعون الذى كان قد وهب الهدايا إلى سارة غير أن أبيميليك كان تقيًا فوهب الهدايا إلى إبراهيم حتى يصلى من أجله[١٩٧] ، وقد وهب ساره ثوبًا قيمًا ليغطى كل جسدها مخفياً مفاتنها التى تسر الناظرين. وفى ذات الحين فقد كانت هذه الهدية توبيخاً لإبراهيم لأنه لم يعط زوجته المظهر المناسب[١٩٨] .

وبالرغم من أن أبيميليك كان قد ألحق أذى شديداً بإبراهيم إلا أنه سامحه بل ودعى الرب من أجله . ويتضح من هنا أنه من الواجب ألا يكون المرء شديد اللين كورقة الشجر أو صلباً كأشجار الأرز . ومن الواجب أن يكون المرء بطيئًا فى غضبه، وأن يغفر فى التو لمن يسيء إليه فور اعتذاره ، ويجب ألا يفكر المرء فى الثأر حتى لو كان الأذى الذى لحق به شديداً وألا يضمر الكراهية لأخيه[١٩٩] .

وصلى إبراهيم من أجل أبيميليك بقوله : " رب العالمين خلقت الإنسان حتى يتكاثر نوعه ولتدع أبيميليك وآل بيته يتناسلون ويتكاثرون "[٢٠٠] . ونفذ الرب طلب إبراهيم بشأن أبيميليك وآل بيته ، وكانت هذه هى المرة الأولى فى تاريخ البشرية التى ينفذ فيها الرب

طلب إنسان بشأن إنسان آخر[٢٠١] وتم شفاء أبيميليك وكل رعاياه من كل الأمراض ، وأثبتت صلاة إبراهيم جدواها إذ حملت زوجة أبيميليك وأنجبت بعد أن كانت عاقراً لفترة طويلة[٢٠٢] .

مولد إسحاق

وحينما استجاب الرب إلى ابتهالات إبراهيم من أجل أبيميليك، وشفى ملك الفلسطينيين صرخت الملائكة ضجراً محدثة الرب بقولها : يارب العالمين إن سارة عاقر منذ عدة سنوات مثلما كانت زوجة أبيميلك ، وحينما ابتهل إبراهيم إليك من أجله وهبت زوجة أبيميليك طفلاً ، أفلا يكون من العدل والإنصاف أن تتذكر سارة وتهبها طفلاً ؟ . وكان لهذه الكلمات التى تحدثت بها الملائكة فى ليلة رأس السنة التى تتحدد فيها فى السماء مصائر كل البشر أثرها الفعال إذ ولد إسحاق فى أول أيام عيد الفصح أى بعد مضى سبعة شهور على رأس السنة .

وكان مولد إسحاق حدثًا بهيجًا ولم تقتصرالسعادة على دار إبراهيم إذ شملت البهجة والفرحة كل العالم خاصة أن الرب تذكر كل النساء العاقرات فى الوقت الذى تذكر فيه سارة فوهب الرب جميعهن أطفالاً ، كما أعاد فى هذا اليوم نعمة البصر إلى المكفوفين ، وعافى المقعدين ، وجعل البكم متحدثين ، وأعاد نعمة العقل إلى من كان أصابهم مس من الجنون .

وكان من بين المعجزات التى وقعت يوم ميلاد إسحاق أن الشمس سطعت على نحو لم تسطع به منذ خروج آدم من الجنة ، ولن تسطع على هذا النحو ثانية إلا فى الآخرة[٢٠٣] .

وحتى يتم إسكات كل من تساءلوا : هل يمكن لمن بلغ من العمر أرذله أن ينجب ولداً ؟ أمر الرب الملاك المسئول عن تشكيل الأجنة بأن يشكل إسحاق على شاكلة إبراهيم حتى يذكر كل من يشاهد إسحاق " لقد رزق إبراهيم بإسحاق"[٢٠٤] .

وقد رزق إبراهيم وسارة بذرية بعد أن وصلا إلى هذا العمر المتقدم وكانت الحكمة من هذا الأمر أنه كان من الضرورى أن يحمل جسد إبراهيم علامة العهد قبل أن يرزق بالولد الذى كان مقدراً له أن يصبح والد إسرائيل[٢٠٥] ، ولما كان إسحاق أول طفل يولد لإبراهيم بعد أن حمل علامة العهد فقد احتفل إبراهيم بختان ولده فى اليوم الثامن بعد مولده احتفالاً ضخماً[٢٠٦] .

وحضر هذا الاحتفال كل من " سام " و " أيبر " و أبيميلك ملك الفلسطينيين وحاشيته و " بيكول " الذى كان يقوم بخدمة الضيوف . وشارك فى الحضور أيضًا " تيراح " وولده "ناحور"[٢٠٧] . وتمكن إبراهيم فى هذه المناسبة من وضع حد لأحاديث القائلين : انظروا إلى هذا الرجل وزوجته الطاعنين فى السن ، لقد التقطا طفلاً لقيطًا من الطريق ، وحتى يثبتا صدق دعواهما فهما يقيمان هذا الاحتفال الضخم . ولم يكتف إبراهيم بدعوة الرجال إلى الحفل وإنما دعى أيضًا زوجات الأعيان وأطفالهن . وكان من المعجزات التى حدثت آنذاك أن الرب ملأ ثديى ساره بلبن يكفى إرضاع كل الرضع[٢٠٨] ، وقد أصبح الرضع الذين أتاحت لهم أمهاتهم الرضاعة من سارة من المهتدين عند نضوجهم ، كما أصبح بعضهم من الحكام الأقوياء الذين لم يفقدوا سلطانهم إلا بعد تجلى الرب على جبل سيناء إذ لم يقبلوا التوراة ، ويعد كل الوثنيين الأتقياء من نسل كل هؤلاء الرضع[٢٠٩] .

وكان من بين الضيوف الذين شاركوا إبراهيم فرحته واحد وثلاثون ملكًا وواحد وثلاثون قائدًا لفلسطين الذين أجهز عليهم " يوشع " عند غزوه للأرض المقدسة ، وكان من بين الحضور أيضا " أوج " ملك " باشان " الذى عانى من سخرية الضيوف الذين ذكروه بأنه كان ينعت إبراهيم بأنه ثور عقيم لن يرزق بذرية ، فأشار " أوج " إلى الطفل الصغير بازدراء قائلاً : لو وضعت إصبعى عليه سيباد ، وعندئذ قال الرب : إنك تسخر مما أعطيت لإبراهيم وسترى طيلة حياتك عشرات الآلاف والملايين من نسله وستخضع فى نهاية حياتك لهم[٢١٠] .

هروب إسماعيل

وحينما كبر إسحاق تفجرت المنازعات بينه وبين إسماعيل حول حق الابن البكر ، وكان إسماعيل قد أصر على حصوله على ضعفى نصيب إسحاق فى الميراث بعد وفاة إبراهيم وأن يحصل إسحاق على جزء واحد فقط ، وكان إسماعيل قد اعتاد منذ صباه على استخدام القوس والسهم وتوجيه سهامه صوب إسحاق مدعيًا أنه يداعبه(٢١١) ، وكانت ساره قد أصرت على أن ينقل إبراهيم كل ممتلكاته إلى إسحاق حتى لا تنشب أية خلافات بعد وفاته(٢١٢) فذكرت " لا يستحق إسماعيل أن يكون وريثًا مع ابنى إسحاق أو مع رجل مثل إسحاق"(٢١٣) . وعلاوة على هذا أصرت سارة على انفصال إبراهيم عن هاجر والدة إسماعيل وعن ولده إسماعيل حتى لا يجمعهما شىء سواء فى هذا العالم أو فى العالم الآخر .

وكان هذا التحدى من أصعب التحديات التى واجهها إبراهيم فتألم بشدة لانفصاله عن ولده فتراءى الرب له فى الليلة التالية وخاطبه : إبراهيم ألا تعلم أن سارة قدر لها منذ أن كانت فى رحم والدتها أن تكون زوجك ؟ إنها رفيقتك وزوجك ولم أجعل هاجر زوجك. إن سارة لم تنطق إلا بالحق فلا تحزن على رحيل الصبى أو الأمة . ونهض إبراهيم غداة اليوم التالى وأعطى هاجر وثيقة طلاقها وطردها هى وابنها ووضع حبلاً حول خاصرها حتى يعرف كل من يشاهدها أنها كانت أمة(٢١٤) .

ورمقت سارة ولد هاجر بنظرة شريرة جعلته يمرض وتسرى الحمى فى جسده، ولذا كان على هاجر أن تحمله لأنه لم يقو على السير ، وحينما اشتدت الحمى عليه أفرغت أمه كل ما كان معها من ماء فى جوفه لتسرى عنه ، ولم تكن هاجر تقوى على رحيل الروح عن جسد ولدها فسارعت بوضع إسماعيل تحت شجيرة الصفصاف التى كبرت فى البقعة نفسها التى حدثتها فيها الملائكة لتخبرها أنها ستنجب ولدًا . وحينما سيطر الإحساس بالمرارة عليها حدثت الرب قائلة : أخبرتنى بالأمس أنك ستزيد من نسلك على نحو لا يحصى لكثرة عدده غير أن ولدى يموت الآن عطشًا . وبكى إسماعيل أيضًا أمام الرب فأغاثهما بسبب حبه لإبراهيم غير أن الملائكة لم تكن شديدة التحمس لإغاثة إسماعيل فحدثت الرب بقولها : هل ستفجر البئر لمن سيقوم نسله بإماتة بنى إسرائيل عطشًا ؟ غير أن الرب تساءل فى اللحظة ذاتها هل إسماعيل فى هذه اللحظة

صادق أم شرير ؟ " فأجابت الملائكة إنه صادق فذكر الرب " إنى أعامل الإنسان وفقًا لما يستحقه فى كل لحظة(٢١٥) .

وكان إسماعيل تقيا حقا فى هذه اللحظة إذ كان يبتهل إلى ربه بقوله : يارب العالمين إذا كانت مشيئتك أن أفنى فاكتب الموت لى بطريقة أخرى غير الظمأ الذى لا يقوى عليه أحد . أما هاجر فبدلاً من التضرع إلى الرب فقد ابتهلت إلى أصنام آبائها. واستجاب الرب لصلوات إسماعيل فأمر بئر مريم بالتفجر ، هذا البئر الذى خُلق فى فجر يوم الخلق السادس(٢١٦) ، ورغم حدوث هذه المعجزة فلم تزدد هاجر إيمانًا فملأت الزجاجة ماءً لخوفها من أن يفنى الماء مرة أخرى ، وكانت هاجر قد قدمت من مصر وعادت إليها مرة أخرى لتختار زوجًا لولدها(٢١٧) .

زوجتا إسماعيل

وأنجبت زوجة إسماعيل أربعة ذكور وأنثى ، وارتحل إسماعيل فيما بعد مع والدته وزوجه وأبنائه عائدين إلى البرية التى وضعوا فيها خيامًا للسكنى ، وواصلوا وضع خيامهم وترحالهم شهراً تلو الآخر وعامًا تلو الآخر ، ووهب الرب إسماعيل قطعانًا وخيامًا ليس لشىء سوى أن إبراهيم والده ، وتكاثر قطيع إسماعيل ، وكان إبراهيم قد حدث زوجته سارة بقوله : سأذهب لرؤية ولدى إسماعيل الذى أشتاق لرؤيته لأنى لم أره منذ زمن طويل . وامتطى إبراهيم أحد جماله متجهًا إلى البرية لمشاهدة ولده إسماعيل لأنه سمع أنه يقيم بخيمة فى الصحراء مع كل أهله ، وحينما وصل إبراهيم إلى خيمة إسماعيل قرب الظهيرة سأل عنه ، وكان قد وجد زوجة إسماعيل بالخيمة مع أولادها غير أنه لم يجد بها زوجها ووالدته فسألها عن الجهة التى توجه إليها إسماعيل فأجابته أنه توجه للصيد ، وكان إبراهيم لا يزال يمتطى جمله خاصة أنه كان قد أقسم لسارة ألا يطأ الأرض بقدميه . وحدث إبراهيم زوجة إسماعيل بقوله : بنيتى أحضرى لى قليلاً من الماء لأروى به ظمئى بعد أن تعبت من الرحلة . فأجابته : ليس لدينا ماء أو خبز . وكانت لا تزال تجلس فى خيمتها دون أن تتنبه إلى أنها تحدث إبراهيم بل إنها لم تستفسر منه عن شخصه . وبينما كان إبراهيم جالسًا سمع وشاهد زوجة إسماعيل تسب وتضرب أبناءها وتتحدث بالسوء عن زوجها فدعاها للخروج من خيمتها فخرجت

ووقفت أمامه فحدثها من مجلسه بقوله : حينما يرجع زوجك إسماعيل أبلغيه أن رجلاً عجوزًا من أرض الفلسطينيين أتى إليك وصفى له شكلى ، وأخبريه أنك لم تستفسرى عن شخصى ، وقولى له عند عودته : دعك من وتد الخيمة الذى وضعته هنا وضع وتدا آخر مكانه .

وغادر إبراهيم بعد هذا الحديث المكان . وحينما عاد إسماعيل إلى خيمته أخبرته زوجته بما سمعته فعلم أن من حدثها كان والده وأن زوجته لم توقره ، وأدرك إسماعيل مغزى حديث إبراهيم إلى زوجته فاستجاب له وطلق زوجته وارتحل فيما بعد إلى أرض كنعان التى أخذ فيها زوجة أخرى وأحضرها إلى خيمته بالمكان الذى سكن فيه .

وبعد مضى ثلاث سنوات حدث إبراهيم سارة زوجته قائلاً : سأذهب مرة أخرى لرؤية ولدى إسماعيل فلم أره منذ وقت طويل . فامتطى جمله وتوجه إلى البرية ووصل إلى خيمة إسماعيل قرب الظهيرة ، وحينما سأل عن إسماعيل أتته زوجته من الخيمة وقالت : إنه ليس هنا يا سيدى فقد ذهب للصيد فى الحقول وإطعام الجمال . ثم قالت : تفضل يا سيدى إلى الخيمة ولتتناول كسرة من الخبز لأنك تعبت بالتأكيد من مشقة السفر . فقال إبراهيم : لن أتوقف لأنى أرغب مواصلة رحلتى ولكن أعطنى قليلاً من الماء لأطفئ عطشى . فأسرعت المرأة إلى الخيمة وأحضرت ماءً وخبزًا لإبراهيم ووضعتهما أمامه ودعته للأكل والشرب فأكل وشرب وابتهج إبراهيم وبارك إسماعيل . وبعد أن فرغ من طعامه بارك الرب وأخبر زوجة إسماعيل : حينما يرجع إسماعيل حدثيه أن رجلاً عجوزًا من أرض الفلسطينيين أتى إلى هنا وسأل عنك ، وأنك لم تكن هنا وأنك أطعمتيه وسقيتيه وأنه أكل وشرب وكان سعيداً ، وأنه أخبرنى بألا يقتلع وتد الخيمة الذى وضعه . وحينما فرغ إبراهيم من حديثه عاد إلى موطنه بأرض الفلسطينيين وحينما أتى إسماعيل إلى خيمته ذهبت زوجته لملاقاته بسعادة وبهجة ، وقصت عليه ما كان من حديث الرجل العجوز ، فعلم إسماعيل أن هذا الرجل والده وأن زوجته أحسنت استقباله فشكر الرب ، وأخذ إسماعيل زوجته وأبناءه وقطيعه وكل ما لديه وارتحل صوب والده بأرض الفلسطينيين . وقص إبراهيم على إسماعيل كل ما حدث بينه وبين زوجتى إسماعيل ، وأقام إسماعيل وأبناؤه مع إبراهيم أيامًا طوالاً فى تلك الأرض وسكن إبراهيم فى أرض الفلسطينيين فترة طويلة[٢١٨] .

العهد مع أبيميلك

وغادر إبراهيم أرض الفلسطينيين بعد أن قضى بها ستة وعشرين عامًا مرتحلاً ، وأقام بالقرب من الخليل حيث زاره " أبيميلك " مع عشرين من علية القوم(٢١٩) ، وطلبوا منه التحالف مع الفلسطينيين .

وحينما لم تكن لإبراهيم ذرية لم يؤمن عبدة الأوثان بتقواه وبعد أن أنجب إسحاق أخبروه : إن الرب يقف بجانبك . غير أنهم تشككوا مرة أخرى فى مدى تقواه حينما نبذ إسماعيل ، فقالوا فى قلوبهم : كيف يمكن لرجل تقى أن يخرج ولده من منزله ؟ وعندما لاحظوا أن أعمال إسماعيل لا تتسم بالتقوى قالوا : إن الرب معك فى كل ما تعمل . ولأن إبراهيم كان حبيب الله فقد أدركوا أنه بالرغم من دمار سدوم وتوقف حركة التجارة بتلك المنطقة فإن خزائن إبراهيم ظلت على ما هى عليه ، ولهذه الأسباب سعى الفلسطينيون إلى التحالف معه والبقاء فى السلطة لثلاثة أجيال لأن حب الآباء يمتد إلى الجيل الثالث .

وقبل أن يتم التوصل إلى عهد مع " أبيميلك " ملك الفلسطينيين وبخ إبراهيم هذا الملك بسبب ما فعله فى الماضى بشأن أحد الآبار ، وكان هذا التوبيخ متماشيًا مع قاعدة " إن التصحيح يقود إلى الحب " و " إنه لا سلام بدون إرشاد " . وأرجأ رعاة إبراهيم و" أبيميلك " نزاعاتهم على البئر وسلموا بقرار أن يكون البئر من نصيب الجماعة التى تتفجر فى أرضها المياه ، ومن ثم يمكن لماشيتها الارتواء ولكن رعاة " أبيميلك " لم يلتزموا بالاتفاق وأصروا على استخدام البئر لصالحهم(٢٢٠) . وحتى يثبت إبراهيم أن هذا البئر يخصه فقد أبعد عن هذا البئر السبع من الغنم ، واختار هذا الرقم بعينه ليكون متوافقًا مع الوصايا السبع الملزمة لكل أبناء نوح(٢٢١) . ولكن الرب قال : لقد أعطيته سبعة أغنام وسيقتل الفلسطينيون ذات يوم سبعة صديقين وهم " شمشون " و " حوفنى " و " بينحاس " و " شاءول " و أبناءه الثلاثة ، وسيدمرون سبعة أماكن مقدسة ، وسيضعون التابوت المقدس فى أرضهم كغنيمة حرب لسبعة شهور، وسيصبح بمقدور الجيل السابع فقط من نسلك امتلاك الأرض الموعودة لهم(٢٢٢) .

وبعد أن تم التوصل إلى عهد مع " أبيميلك " الذى اعترف بحق إبراهيم فى البئر فقد سمى المكان الذى توصلا فيه لاتفاق " بئر سبع " لأنهما أقسما فيه على عهد الصداقة .

وأقام إبراهيم سنوات طوالاً فى بئر سبع وسعى هناك إلى نشر شريعة الرب فغرس بستانًا ضخمًا هناك وجعل له أربع بوابات يواجه كل منها أنحاء الأرض : الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وزرع كرمًا بداخلها ، وكان منزل إبراهيم مفتوحًا دائمًا لعابرى السبيل الذين يدخلونه يوميًا للتزود بالطعام والشراب . وحينما يمر بمنزله من يحتاج إلى طعام كان إبراهيم يعطيه ما يحتاج من طعام وشراب ، وإذا مر عليه شخص عار كان إبراهيم يكسيه بالملابس التى يختارها ، ويعطيه فضة وذهبًا . ويحدثه عن الرب الذى خلقه ونصبه على الأرض(٢٢٣) ، وكان عابرو السبيل يتوجهون بالشكر إلى إبراهيم لما أعطاهم من طعام فكان يجيبهم متسائلاً : لم تتوجهون بالشكر إلى ؟ ارفعوا الشكر إلى مضيفكم القادر على توفير الطعام والشراب لكل المخلوقات. وسأله القوم : وأين هو ؟ فأجابهم بقوله : إنه حاكم السموات والأرض فهو الشافى والمكون للأجنة فى أرحام أمهاتهم ومخرجهم إلى العالم ومسبب نمو النباتات والأشجار ويميت ويحيى ، وينقل الأحياء إلى عالم الآخرة ويبعثهم . وحينما سمع القوم مثل هذه الكلمات تساءلوا : وكيف يمكننا العودة لشكر الرب وإظهار عرفاننا له ؟ فعلمهم إبراهيم الكلمات التالية : اذكروا تبارك الرب المبارك ، تبارك معطى الخبز والطعام لكل الكائنات . وعلم إبراهيم على هذا النحو من نعموا بكرمه وحسن ضيافته شكر الرب(٢٢٤) . ولم يعد دار إبراهيم مأوى للجياع والعطاشى وإنما أصبح مقرا تدرس به معرفة الرب وشريعته(٢٢٥) .

الشيطان يتهم إبراهيم

وبالرغم من كل الكرم الذى شهده منزل إبراهيم فقد حدث أن شخصًا فقيرًا أو يدعى الفقر خرج من المنزل خاوى الوفاض . وكان هذا الحدث هو سبب تعرض إبراهيم إلى الاختبار الأخير المتمثل فى التضحية بولده الحبيب إسحاق ، وحدث هذا الاختبار فى اليوم الذى احتفل فيه إبراهيم بمولد إسحاق إذ كان قد أعد مأدبة ضخمة دعى إليها كل نبلاء زمانه وزوجاتهم ، أما الشيطان الذى يظهر دائمًا فى الحفلات

والمــآدب التى لا يشارك فيها الفقراء والذى يترفع عن الأماكن التى يشارك فيها الفقراء فقد لجأ إلى المــأدبة التى أقامها إبراهيم وتوجه إليها فى صورة شحاذ يطرق الأبواب بحثًا عن صدقة . وكان الشيطان قد لاحظ أن إبراهيم لم يوجه الدعوة إلى أى فقير فعلم أن منزله هو الموضع الصحيح .

وكان إبراهيم منشغلاً بمسامرة ضيوفه المرموقين كما كانت سارة تحاول إقناع زوجاتهم أن إسحاق هو ولدها وأنه ليس بولد غير شرعى ، ولم يهتم أحد بالمتسول الواقف على الباب والذى لعن إبراهيم للرب[٢٢٦] .

ووقفت الملائكة ذات يوم أمام الرب ، وكان الشيطان معهم[٢٢٧] ، وقال الرب للشيطان : من أين أتيت ؟ فأجاب الشيطان بقوله : من الأرض التى أقطعها ذهابًا وإيابًا من أقصاها إلى أدناها . فقال الرب للشيطان : وماذا لديك لتقول عن بنى الأرض؟ فأجاب الشيطان بقوله : رأيت كل بنى الأرض يعبدونك ويتذكرونك حينما يكون لديهم مطلب منك ، وحينما يتحصلون على ما يبتغون يتخلون عنك ولا يتذكرونك ، أرأيت إبراهيم بن تيراح الذى لم تكن له ذرية فى البدء فعبدك وأقام لك مذابح أينما حل وقدم لك عليها الأضاحى ، وعمل على نشر اسمك فى أوساط كل أبناء الأرض ؟ والآن وبعد أن أنجب ولده إسحاق تخلى عنك ، لقد أقام مأدبة لكل سكان الأرض ونسى الرب فلم يقدم لك الأضاحى ، ولم يحرق لك قرابين سلامة أو حملاً كبشًا من بين كل ما ذبح فى اليوم الذى فطم فيه ولده ، كما أنه لم يشيد لك أى مذبح منذ أن ولد ابنه حتى بعد أن بلغ من العمر سبعة وثلاثين عامًا ، ولم يقدم لك أية أضاحٍ لأنه رأى أنك أعطيته كل ما ابتغى . فقال الرب للشيطان : هل فكرت حقا فى عبدى إبراهيم فليس هناك مثيل له على الأرض . إنه كامل وصادق أمامى يخشى الرب ويتجنب الشر . ولو قلت له قدم لى ولدك إسحاق فلن يبخل به على بل ولن يتوانى عن تقديم كل ما يملك . فأجاب الشيطان الرب بقوله : حدث إبراهيم بما قلت وسترى إذا ما كان سيعصاك[٢٢٨] .

وأراد الرب أن يختبر إسحاق أيضًا فحينما تباهى إسماعيل على إسحاق بقوله : كنت أبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا حينما حدث الرب والدى بختاننا ولم أعص كلماته التى أمر بها والدى . فأجاب إسحاق إسماعيل بقوله : لمــاذا تتباهى على بشأن هذه القطعة الصغيرة من اللحم التى أخذت من جسدك طاعة لأمر الرب ؟ فإذا طلب الرب من والدى أن أقدم كأضحية فلن أتردد وسأسارع بتنفيذ أمره .

الرحلة إلى موريا

وفكر الرب فى أن يختبر إبراهيم وإسحاق معًا(٢٢٩) فقال لإبراهيم : خذ الآن ولدك.

إبراهيم : لدى ولدان، ولا أدرى أيهما تأمرنى بأخذه .

الرب : ابنك الوحيد .

إبراهيم : إن الابن الوحيد هو ولد أمه والآخر هو الابن الوحيد لوالدته .

الرب : الذى تحبه .

إبراهيم : أحب هذا وذاك .

الرب : إسحاق(٢٣٠) .

إبراهيم : وإلى أين سأذهب ؟

الرب : الأرض التى سأريكها ، وقدم إسحاق هناك للمحرقة .

إبراهيم : لا أصلح لتقديم الأضحية . وهل أنا كاهن؟ أليس من الواجب أن يقوم الكاهن الأعلى بهذه المهمة ؟

الرب : عند وصولك إلى ذلك المكان سأجعلك كاهنًا(٢٣١). وحدث إبراهيم نفسه قائلاً : وكيف سأفصل ولدى إسحاق عن سارة والدته ؟ وأتى إبراهيم إلى الخيمة وجلس أمام سارة زوجته وحدثها قائلاً : كبر ولدى إسحاق ولم يتعلم بعد عبادة الرب ، وسأخذه غدًا إلى سام وولده أيبر حيث يتعلم هناك مسالك الرب إذ سيعلماه معرفة الرب وكيفية عبادته حتى يستجيب له . وأجابته سارة : تحدثت بالحق فافعل به ما قلت ولكن لا تبعده عنى ولا تجعله يقيم هناك طويلاً لأن روحى مرتبطة بروحه . فقال إبراهيم لسارة : دعينا نبتهل إلى ربنا بأن يحسن إلينا . وأخذت سارة ولدها إسحاق وقضى معها الليل وقبلته واحتضنته ، لم تتوقف عن إسداء النصح له حتى الصباح فقالت لإبراهيم : سيدى أتوسل إليك أن ترعى ولدك وأن تراقبه فليس لى ولد غيره . ولا تهمله فأطعمه إذا هاجمه الجوع وناوله الماء إذا عطش . ولاتجعله يسير على قدميه أو يجلس فى الشمس ولا تجعله يسير بمفرده ولا تحرمه شيئًا وافعل كل ما يطلبه منك .

وبعد أن قضت طوال الليل تنتحب بسبب فراق إسحاق استيقظت فى الصباح واختارت له ثوبًا من أجمل الثياب التى وهبها لها " أبيميلك " ، ووضعت على رأسه عمامة ثبتت عليها حجرًا كريمًا، ووفرت لهما التدابير اللازمة للطريق ، وذهبت سارة معهما ورافقتهما حتى بداية الطريق لتودعهما ثم طلبا منها العودة إلى الخيمة ، وحينما سمعت سارة هذه الكلمات من ولدها إسحاق أخذت فى النحيب وشاركها البكاء زوجها إبراهيم فبكى إسحاق أيضًا وشاركهم البكاء من كان معهم من خدم ، وأمسكت سارة بإسحاق واحتضنته وواصلت البكاء معه وقالت ساره متسائلة : ترى هل سأراك ثانية بعد هذا اليوم ؟

وارتحل إبراهيم وإسحاق بينما عادت سارة وخدمها إلى المنزل[٢٣٢] ، وكان إبراهيم قد اصطحب فى طريقه إسماعيل وإليعازر ، وبينما كانوا يسيرون على الطريق حدث إسماعيل إليعازر قائلاً : إن والدى يسير حاليًا مع إسحاق لتقديمه كأضحية للرب، وعند عودته سيعطينى كل ما يملكه لأرثه لأنى ولده البكر . فأجاب إليعازر قائلاً : لقد تركك إبراهيم مع والدتك وأقسم أنك لن ترث شيئًا مما يملك ، ولن سيترك كل أشيائه الثمينة إلا لخادمه ؟ أى لى إذ خدمته ليلاً نهارًا وقمت بكل ما يبتغيه . فقالت الروح القدس : لن يرث إسماعيل أو إليعازر شيئًا من إبراهيم[٢٣٣] .

وبينما كان إبراهيم وإسحاق يمضيان على الطريق ظهر الشيطان لإبراهيم فى صورة رجل طاعن فى السن ومتواضع محطم النفس وقال له : هل أنت أحمق أم غبى لترتكب هذه الحماقة مع ابنك؟ لقد وهبك الرب ولدًا فى آخر أيامك وستقوم بذبح من لم يرتكب إثمًا وكيف ستقوم بإبادة هذه الروح من على الأرض ؟ ألا تعرف أنه لا يقوم بهذا العمل سوى الرب ؟

وحينما سمع إبراهيم هذه الكلمات أدرك أنها صادرة عن الشيطان الذى يحاول أن يضله عن طريق الرب . وعاود الشيطـــان محاولته فظهر أمام إسحاق وتراءى له فى صورة شاب وسيم وقال له : ألا تعلم أن والدك الأحمق سيذبحك عبثًا هذا اليوم ؟ ولدى لا تنصت إليه لأنه رجل أحمق ولا تدع روحك السامية وصورتك الجميلة تفنيان من على الأرض .

وأخبر إسحاق والده بما قاله الشيطان فأجابه إبراهيم : احذر الشيطان ولا تنصت إلى كلماته لأن الشيطان يحاول أن يضلنا عن تعاليم ربنا . ووبخ إبراهيم الشيطان مرة ثانية فابتعد عنهما ، وحينما أدرك الشيطان أنه ليس بمقـدوره السيطرة على إبراهيم أو إسحاق نسخ نفسه فى صورة غدير ماء بالطريق . وعند وصول إبراهيم وإسحاق وإسماعيل وإليعازر إلى هذا المكان شاهدوا الغدير بمياهه القوية والغزيرة ، فدخلوا الغدير محاولين اجتيازه غير أنه كلما كانوا يجتازونه كان الغدير يزداد عمقًا حتى وصلت المياه إلى أعناقهم فبثت المياه فى نفوسهم الرعب . غير أن إبراهيم تعرف على المكان وعلم أن المياه لم تكن تغمره وأدرك أن الشيطان يكمن بالمياه ليصرفه هو وركبه عن تنفيذ أمر الرب ، ووبخ إبراهيم الشيطان بقوله : إن الرب يوبخك فارحل عنا لأننا نسير بأمر الرب . وفزع الشيطان من صوت إبراهيم وابتعد عنهم فجف المكان كما كان عليه من قبل . وذهب إبراهيم مع إسحاق صوب المكان الذى أخبره به الرب(٢٣٤) .

وتراءى الشيطان فيما بعد لسارة فى صورة رجل عجوز سألها قائلاً : أين ذهب زوجك ؟ فقالت : إلى عمله . فعاودها السؤال عن إسحاق فأجابت : ذهب مع والده إلى مكان دراسة التوراة . فقال الشيطان : إنك إمرأة عجوز مسكينة وستبكين على مصير ولدك ، فأنت لا تعرفين أن إبراهيم أخذ ولدك ليضحى به . وامتلأ قلب سارة بالرعب فارتجفت أطرافها ولم تعد تشعر بما حولها غير أنها تماسكت لتقول : إن إبراهيم سيقوم بكل ما أخبره به الرب(٢٣٥) .

وفى اليوم الثالث من الرحلة رفع إبراهيم بصره فشاهد المكان الذى أخبره به الرب، ولاحظ أنه يقع على قمة الجبل عمود من نار يصل الأرض بالسماء ، وغيم كثيف تراءى من خلاله مجد الرب فحدث إبراهيم ولده إسحاق قائلاً : ولدى أتشاهد ما أراه على قمة هذا الجبل البعيد ؟ فأجاب إسحاق : أشاهد عجبًا عمودًا من نار ، وغيمًا ومجد الرب بين السحب . وعلم إبراهيم عندئذ أن الرب سيقبل إسحاق كأضحية. فسأل إبراهيم كلا من إسماعيل وإليعازر : أتشاهدان مانشهده على الجبل ؟ فأجابا : لا نشاهد شيئًا سوى أنه جبل مثل غيره من الجبال . فعلم إبراهيم أن الرب لا يقبل مجيئهما معهما(٢٣٦) فأمرهما إبراهيم بالبقاء بجوار الحمار قائلاً : إنكما مثله فلا تشاهدان سوى ما يشاهده(٢٣٧) . وسأتوجه مع ولدى إسحاق إلى ذلك الجبل البعيد لنعبد به

الرب ونعود إليكما هذا المساء[٢٣٨] . وكانت النبوة قد حلت على إبراهيم فى هذه اللحظة لأنه تنبأ بعودته هو وإسحاق من الجبل[٢٣٩] . وبقى إليعازر وإسماعيل فى المكان الذى أمرهما إبراهيم بالبقاء فيه فى حين ابتعد إبراهيم وإسحاق فى طريقهما إلى الجبل .

التضحية

وبينما كانا يمضيان على الطريق حدث إسحاق والده : لدينا النار والحطب غير أنه ليس لدينا حمل لنقدمه كأضحية للرب . فأجاب إبراهيم إسحاق بقوله : اختارك الرب ولدى بدلاً من الحمل لتكون أضحية سلامة فقال إسحاق : سأفعل كل ما حدثك الرب به بسعادة وطمأنينة فعاود إبراهيم الحديث إلى ولده إسحاق قائلاً : هل يساور قلبك التفكير فى أن ما سنقوم به ليس صحيحًا ؟ أخبرنى ولدى ولا تخف عنى شيئًا . فقال إسحاق : لأن الرب حى ولأن روحك حية فلا يساورنى شىء يدفعنى لأن أحيد عن الكلمات التى حدثك بها الرب ، ولم يرتعد لى طرف أو جفن لما قلته ، ولم تسر بقلبى أية فكرة أو خاطرة شريرة بشأن ما قلت ، بل إن قلبى يفيض بالسعادة وأردد : تبارك الرب الذى اختارنى لأكون قربانًا له " .

وسعد إبراهيم للغاية بكلمات إسحاق فسارا معًا ووصلا إلى ذلك المكان الذى تحدث الرب عنه إلى إبراهيم[٢٤٠] وتقدم إبراهيم لبناء المذبح فى ذلك المكان وقام إبراهيم ببنائه مستعينًا بإسحاق الذى كان يناول والده الحجارة والأدوات المستخدمة فى البناء حتى انتهيا من تشييد المذبح ، وأخذ إبراهيم الأخشاب ورتبها على المذبح ، وشد وثاق إسحاق لوضعه على الخشب الموضوع على المذبح لتقديمه كأضحية للرب[٢٤١] ، وتحدث إسحاق فى هذا الموضع بقوله : أبتاه أسرع وشمر عن ساعديك وشد وثاق يدى وقدمى فلا أبلغ من العمر سوى سبعة وثلاثين عامًا وأنت رجل طاعن فى السن، فربما ترتعد فرائضى عند رؤية السكين فى يدك فرغبة الحياة قوية ، وقد أجرح نفسى فلا أصبح صالحًا لأن أكون أضحية ، أستحلفك أبتاه بالإسراع ولتنفذ مشيئة الله ولا تتوان ، اخلع ثوبك وتماسك ولتحرقنى بعد ذبحى واجعلنى رمادًا ثم اجمعه وأحضره إلى والدتى سارة وضعه فى تابوت بحجرتها ، فستتذكر كلما دخلت حجرتها ولدها إسحاق وتبكيه .

وذكر إسحاق أيضًا : عند انتهائك من ذبحي وعودتك إلى والدتي سارة ستسألك أين ولدي إسحاق فكيف ستجيبها؟ وماذا ستفعلان في هذا العمر المتقدم ؟ فأجابه إبراهيم : نعلم أنه من الممكن أن نبقى عليك بضعة أيام ، إن الرب الذى بث الطمأنينة في نفوسنا قبل ميلادك سيبث الطمأنينة فينا .

وبعد أن قام إبراهيم بوضع الأخشاب على نحو منظم وفرغ من شد وثاق إسحاق استجمع قواه ووضع ثوبه بجانبه وضم ركبتيه على إسحاق بكل قوته، ورأى الرب في علاه كيف كان قلبا إبراهيم وإسحاق متلازمين ، وكيف كانت الدموع تنهمر من عيني إبراهيم على إسحاق ، ومن إسحاق على الخشب الذى غمره الدمع، وحينما مد إبراهيم يده لتناول السكين لذبح ولده حدث الرب الملائكة متسائلاً : أترون كيف يظهر صديقي إبراهيم وحدانية اسمي في العالم ؟ ولو كنت أنصت إليكم عند خلق العالم حينما قلتم ما قيمة الإنسان الذى تهتم به ؟ فمن كان سيعلن وحدانية اسمي في العالم ؟

وانفجرت الملائكة عندئذ في العويل والصراخ قائلة : أين ثواب إبراهيم الذى كان يستضيف الفقراء والمسافرين بمنزله ويطعمهم ويشربهم ، ويذهب معهم إلى الطريق ليودعهم ؟ إن عهدك مع إبراهيم سيُنتهك إذ سبق لك أن قلت له : إنك ستُعرف من خلال نسل إسحاق . وإني سأثبت عهدي مع إسحاق . إن العهد سيُنتهك لأن حد السكين أصبح على رقبة إسحاق .

وتساقطت دموع الملائكة على السكين ، ومن هنا لم يمكنه ذبح إسحاق الذى كانت روحه قد فرت منه من فرط الرعب ، واستدعى الرب كبير الملائكة وقال له : لماذا تقف ها هنا ، ولاتجعل إسحاق يذبح ؟ وصرخ الملاك ميخائيل من فرط الحزن قائلاً : إبراهيم إبراهيم ارفع يدك عن الصبي ولا تفعل به شيئًا . وأجاب إبراهيم بقوله : أمرني الرب بذبح إسحاق وتأمرني بألا أذبحه ، فهل أستمع إلى كلمات المعلم أم إلى كلمات التلميذ[٢٤٢] ؟ ثم سمع إبراهيم صوتًا يتردد بالسماء قائلاً : يقول الرب أقسمت بنفسي لأنك فعلت هذا الأمر ولم تحتفظ بابنك بأني سأباركك في كل بركة ، وسأجعل نسلك كنجوم السموات ورمال البحر ، وسيسطر نسلك على بوابات الأعداء ، وسيُبارك نسلك في كل أمم الأرض لأنك أطعت صوتي .

وترك إبراهيم فى اللحظة ذاتها إسحاق الذى دبت فيه روح الحياة ثانية بفضل الصوت السماوى الذى نهى إبراهيم عن ذبح ولده، وفك إبراهيم القيود عن إسحاق الذى نهض واقفًا على قدميه مرددًا الابتهال " تبارك الرب الذى يحيى الموتى "(٢٤٣) .

ثم حدث إبراهيم الرب بقوله : هل أذهب دون أن أقدم أضحية ؟ فأجابه الرب : ارفع عينيك وانظر الأضحية التى أمامك(٢٤٤) . فرفع إبراهيم عينيه وشاهد حملاً بأيكة كان الرب قد خلقه خلال شفق مساء يوم السبت فى أسبوع الخلق، وأعد منذ ذلك الحين هذه الأضحية بدلاً من إسحاق، وقد أخرج إبراهيم الحمل من الأيكة التى كان بها ووضعه على المذبح كأضحية بدلاً من إسحاق، ونثر إبراهيم دم الحمل على المذبح وهتف قائلاً : هذا الحمل بدل ولدى وليكن دمه أمام الرب بدلاً من ولدى. وقبل الرب أضحية الحمل واعتبرها وكأن إسحاق هو الذى تمت التضحية به(٢٤٥) .

وكما كان خلق الحمل خارقًا للعادة فقد تم استخدام كل أجزاء جسمه على نحو خاص فلم يتم إهدار أى جزء منه فشكل رماد الأجزاء التى حرقت على المذبح أساس الجزء الداخلى من المذبح الذى تقدم عليه أضاحى التكفير مرة فى العام أى فى يوم الغفران الذى قدم فيه إسحاق كأضحية . أما أعصاب الحمل فقد صنع داود منها عشرة أوتار لقيثارته التى كان يعزف عليها ، واستخدم إيليا جلده فى صنع حزامه، أما قرناه فقد نفخ فى أحدهما عند انتهاء الوحى على جبلُ سيناء، أما الآخر فيستخدم للإعلان عن انتهاء المنفى ، وحينما يتم النفخ فى البوق العظيم فيأتى كل من كانوا على وشك الفناء فى أرض آشور ومن تم تركهم فى أرض مصر، وسيعبد كل هؤلاء الرب فى الجبل المقدس بالقدس(٢٤٦) .

وحينما أمر الرب الوالد بالتوقف عن التضحية بإسحاق قال إبراهيم : يحاول المرء إغواء الآخر لأنه لا يعلم ما بقلبه غير أنك تعلم أنى كنت مستعدا للتضحية بولدى .

الرب : كان هذا واضحًا لى وكنت أعلم مسبقًا أنك لن تبخل على بروحه .

إبراهيم : ولماذا إذًا ابتليتنى على هذا النحو ؟

الرب : كنت أرغب فى أن يعرفك كل العالم وأن يعرف أنى لم أخترك من بين كل الأمم عبثًا ، والآن فقد شهد كل البشر أنك تخشى الرب(٢٤٧) .

وفتح الرب عندئذ السموات فسمع إبراهيم الكلمات التالية : أقسم بنفسى .

إبراهيم : إنك تقسم وأقسم أيضًا بأنى لن أغادر هذا المذبح حتى أقول ما ينبغى قوله .

الرب : قل ما تبتغى قوله .

إبراهيم : ألم تعلن بأنك ستخرج من صلبى من سيملأ نسله العالم ؟

الرب : بلى .

إبراهيم : من تعنى من أبنائى ؟

الرب : إسحاق .

إبراهيم : كان يمكننى أن أوبخك(*) قائلاً يا رب العالمين لقد ذكرت بالأمس أن نسلك سيعرف من خلال إسحاق ، وتذكر الآن خذ ولدك ، ولدك الوحيد ، وقدمه كأضحية ، غير أنى أحجمت عن الكلام ولم أذكر شيئًا . ومن هنا فهل يمكن أن تغفر ذنوب أبناء إسحاق وأن تخلصهم من المعاناة إذا ارتكبوا أية ذنوب وأن تتفكر فى أن أباهم إسحاق كان سيقدم كأضحية .

الرب : لقد قلت ما كنت تبتغى قوله وسأقول الآن ما ينبغى أن أقول : سيعصينى أبناؤك فى المستقبل وسأحاكمهم يوم رأس السنة. وإذا ابتغوا مغفرتى فلينفخوا فى البوق المصنوع من الحمل فى هذا اليوم وسأغفر خطاياهم لأنى سأتذكر الحمل الذى حل محل إسحاق(٢٤٨). وأوحى الرب لإبراهيم أيضًا بأن المعبد الذى سيشيد فى البقعة التى قدم فيها إسحاق كأضحية سيتعرض للدمار(٢٤٩) وأن أبناءه سيتنقلون من مملكة إلى مملكة فسيخرجون من بابل ليقعوا تحت حكم " ميديا " التى سيخرجون منها ليصبحوا عبيداً لليونان والتى سيتحررون منها ليخدموا فيما بعد الرومان. غير أنهم سيحققون الخلاص الأخير مع تردد صوت البوق المصنوع من الحمل أى حينما ينفخ الرب فى البوق ويسير مع عواصف الجنوب(٢٥٠) .

وكان المكان الذى شيد فيه إبراهيم المذبح هو المكان نفسه الذى قدم فيه آدم الأضحية الأولى والذى قدم فيه هابيل وقابيل قربانيهما إلى الرب ، وهو المكان نفسه

(*) كذا فى الأصل .

الذى شيد فيه نوح مذبحًا للرب بعد أن أقام الفلك[٢٥١] ، وسمى إبراهيم المكان الذى علم أنه مخصص للهيكل " أورى " لأنه مخصص لتقوى وعبادة الرب[٢٥٢] ، كما أن سام سمى هذا المكان " شاليم " أى مكان السلام ، ومن هنا فإن الرب لم يعتد على تسمية إبراهيم أو سام وجمع المسميين وسمى المدينة " أورشليم"[٢٥٣] .

وبعد أن قدم إبراهيم الأضحية على جبل " موريا " عاد إلى منطقة " بئر سبع " التى كانت مسرحًا للكثير من أحاسيسه بالبهجة[٢٥٤] . أما إسحاق فقد حملته الملائكة إلى الجنة التى تجول فيها لثلاثة أعوام ، وعاد إبراهيم بمفرده إلى منزله وحينما رأته سارة صرخت : ذكر الشيطان الحقيقة حينما قال إنك ضحيت بإسحاق ، وبلغ بها الحزن أشده فارتحلت روحها عن جسدها[٢٥٥] .

وفاة سارة ودفنها

وبينما كان إبراهيم منشغلاً بالأضحية ذهب الشيطان إلى سارة وتراءى لها فى صورة رجل عجوز شديد التواضع والخنوع وقال لها : ألا تعلمين ما فعل إبراهيم بولدك الوحيد هذا اليوم ؟ لقد أخذ إسحاق وبنى مذبحاً وذبحه وقدمه أضحية . لقد انتحب الصغير أمام والده غير أنه لم تأخذه رحمة به . وبعد أن حدثها الشيطان بهذه الكلمات ارتحل بعيداً عنها فتصورت سارة أن هذا العجوز واحد ممن كانوا يسيرون مع ولدها ، وصرخت ساره منتحبة وقالت : ولدى إسحاق . ولدى ليتنى مت بدلاً منك ، قلبى ينفطر عليك ، وبعد أن ربيتك أضحت سعادتى بك إلى نحيب عليك ، لقد ظللت أبتهل إلى الله من أجل الولد حتى رزقت به وأنا فى التسعين من العمر ، والآن يتم ثوابى بالسكين والنار ولكنى أواسى نفسى بأن هذه مشيئة الرب ، وبأنك نفذت مشيئته . ومن ذا الذى يجرؤ على تجاوز وعصيان كلمات ربنا الذى يملك أرواح كل المخلوقات ؟ إنك الحق يا رب فكل أعمالك خيرة وصادقة كما أنى أبتهج بالكلمات التى تأمر بها ، وإذا كانت عيناى تفيضان بالدمع فإن قلبى يفيض بالبهجة .

ووضعت سارة رأسها على صدر إحدى خادماتها وبقيت هكذا طويلاً حتى أصبحت كالحجر . ونهضت فيما بعد وذهبت تستفسر عن ولدها وقادها السير حتى الخليل ولم

يتمكن أحد من أن يدلها على ما حدث لولدها ، وذهبت خادماتها يستفسرن عنه فى منزلى " سام " و " أبير " وعجزن عن العثور عليه ، وبحثن عنه فى كل بقعة من بقاع الأرض ولم يجدنه ، وأتى الشيطان إلى سارة فى صورة رجل عجوز وقال لها : حدثتك كذبًا أن إبراهيم لم يذبح ولده ولم يمت إسحاق . وحينما سمعت سارة هذه الكلمات كانت سعادتها غامرة ولم تحتمل ففاضت روحها من فرط السعادة .

وحينما عاد إبراهيم مع إسحاق إلى بئر سبع أخذا يبحثان عن سارة ولم يجداها . وحينما استفسرا عنها علما أنها ذهبت إلى الخليل لتبحث عنهما فذهبا إليها فى الخليل فوجداها وقد فارقتها الروح ، فانتحبا عليها وقال إسحاق : أواه يا والدتى ، كيف ترحلين عنى وإلى أين ذهبت ؟ وكيف تتركيننى ؟ وبكى إبراهيم وخدمه عليها وانتحبوا أشد ما يكون النحيب[٢٥٦] ، ولم يقم إبراهيم الصلاة بعد أن تملكه البكاء والنحيب على سارة[٢٥٧] ، ولم ينتحب إبراهيم على هذا النحو لفقدان سارة إلا لأنها احتفظت فى هذا العمر المتقدم بجمال شبابها وبراءة طفولتها[٢٥٨] .

ولم تكن وفاة سارة خسارة لإبراهيم وعشيرته فقط وإنما لكل البلد فكانت كل الأمور تسير على ما يرام حينما كانت على قيد الحياة غير أن حالة من الارتباك عمت بعد وفاتها ، وعم البكاء والرثاء والنحيب عليها كل العالم وبدلاً من أن يتلقى إبراهيم التعازى أخذ يواسى الآخرين فحدث المنتحبين بقوله : أبنائى لا تفرطوا فى الحزن على رحيل سارة فها هو الحدث الذى يلم بالجميع صديقين وأشرارًا على حد سواء وأرجوكم إعطائى مكانًا للدفن ليس كهبة وإنما فى مقابل مبلغ من المال[٢٥٩] .

وعبرت هذه الكلمات القليلة الأخيرة التى قالها إبراهيم عن فرط تواضعه الحقيقى فبالرغم من أن الرب وعده بكل الأرض إلا أنه أحس حينما تعين عليه دفن سارة أنه لابد أن يدفع فى مقابل الحصول على قبر ولم يفكر قط فى تجاوز كلمات وأوامر الرب ، وقد حدث قوم الخليل على نحو شديد التواضع قائلاً : إنى غريب بينكم وأرتحل فى أرضكم . فحدثه الرب قائلاً : إنك شديد التواضع وسأجعلك سيدًا وأميرًا على الجميع[٢٦٠] .

وقد تراءى إبراهيم لهم فى صورة ملاك فأجابوه قائلين : إنك ملاك الرب بيننا . وباختيار قبورنا فلتدفن موتاك إما فى قبور الأغنياء أو الفقراء كما تشاء[٢٦١] .

وأعرب إبراهيم فى البدء عن شكره للرب بسبب المشاعر الطيبة التى قوبل بها من قبل أبناء " شيث " ثم واصل مفاوضاته حول مغارة " المكفيلة "[(٢٦٢)] التى كان يعرف منذ زمن طويل قيمة المكان الذى تقع به خاصة أن آدم اختار هذه المنطقة ليدفن بها ، وحينما خشى آدم من أن يستخدم جسده بعد وفاته فى أية أغراض وثنية فقد خصص مغارة "المكفيلة" كمقبرة له حيث وضعت جثته فى أعماقها حتى لا يعثر عليها أحد[(٢٦٣)] ، وحينما دفن حواء هناك ابتغى أن يحفر على نحو أعمق خاصة بعد أن داعب شذا عطر الجنة حاسة الشم لديه ، غير أن صوتًا سماويا دعاه للتوقف عن الحفر ، وقد دفن شيث آدم فيها . وحتى عهد إبراهيم ظلت الملائكة تحيط بالمكان وترعاه ، وظلت النيران مشتعلة بقرب هذا المكان بفضل الملائكة ومن هنا لم يجرؤ أحد قط على الاقتراب من المغارة أو دفن موتاه فيها[(٢٦٤)] . وحينما استقبل إبراهيم الملائكة فى منزله وابتغى ذبح ثور للترحيب بهم فقد فر الثور من المنزل ، وأخذ إبراهيم فى البحث عنه حتى قادته قدماه إلى مغارة " المكفيلة " فشاهد فيها آدم وحواء مضطجعين على إحدى الأرائك ، وكانت الشموع موقدة على رأس الأرائك كما عمت رائحة شذا العطر كل الكهف .

ومن هنا ابتغى إبراهيم اقتناء مغارة " المكفيلة " من أبناء " شيث " سكان مدينة " يبوس " فقالوا : إننا نعلم أن الرب سيهب هذه الأراضى لنسلك وستقيم عهداً معنا بأن إسرائيل لن ينتزع مدينة يبوس من سكانها دون رضاهم . ووافق إبراهيم على هذا الشرط ، واقتنى الحقل الذى يملكه عفرون[(٢٦٥)] .

ووقع هذا الحدث فى اليوم الذى أصبح فيه " عفرون " رئيسًا لأبناء " شيث " وأصبح وضعه هكذا يتيح له التفاوض مع إبراهيم خاصة أنه لم يكن من الممكن أن يتفاوض إبراهيم مع من هو أقل منه مكانة ، وكان من بين ما حدث آنذاك أن أبناء "هيث" رفضوا تولية عفرون منصب الرئيس إلا إذا استجاب لرغبة إبراهيم[(٢٦٦)] .

ووافق " عفرون " على نحو مخادع بإعطاء الحقل دون الحصول على تعويض غير أنه حينما أصر إبراهيم على دفع مقابل فقد ذكر " عفرون " : رب أصغ إلى ، إن هذه القطعة من الأرض تبلغ قيمتها أربعمائة قطعة من الفضة فما قيمتها فيما بيننا ؟ وأظهر عفرون على هذا النحو أن كل اهتمامه منصب على المال فتفهم إبراهيم مقصده وعندما أتى إليه ليسدد الأموال اللازمة فى مقابل الحقل اختار له أفضل العملات[(٢٦٧)] ،

وقد وقع على هذا العقد أربعة شهود وهكذا أصبح حقل " عفرون " ومغارة "المكفيلة " الواقعة به تابعة لإبراهيم ونسله إلى الأبد .

وتم دفن سارة على نحو مهيب ووسط حب الجميع ، وقد سار خلف نعشها سام وولده " أيبر " و " أبيميلك " ملك الفلسطينيين و " أنير " و " إيشكول " و " مامر " وكل عظماء القوم ، وقد أقيم الحداد عليها سبعة أيام وأتى كل سكان الأرض لمواساة إبراهيم وإسحاق(٢٦٨) .

وحينما دخل إبراهيم المغارة لدفن سارة بالداخل رفض آدم وحواء البقاء بقولهما : نحن نخجل في وجود الرب من خطيئتنا ونخجل أيضًا بسبب أعمالك العظيمة . وعمل إبراهيم على التهدئة من روع آدم ووعده بأن يبتهل إلى الرب حتى يخلصه من إحساسه بالعار فعاد آدم إلى مكانه ثم دفن إبراهيم سارة . وأعاد حواء إلى مكانها(٢٦٩) .

وبعد مضى عام على وفاة سارة توفى " أبيميلك " ملك الفلسطينيين عن عمر يناهز مائة وثلاثة وتسعين عامًا ، وقد خلفه فى العرش ولده " بنيميلك " الذى كان يبلغ من العمر اثنى عشر عامًا ، وقد أخذ اسم والده بعد أن تولى العرش ، وقد سارع إبراهيم بتقديم واجب العزاء فى منزل " أبيميلك " .

وتوفى لوط أيضًا فى الحين ذاته عن عمر يناهز مائة واثنين وأربعين عامًا ، وقد تزوج ولداه " موآب " و " أمنون " زوجات كنعانية ، وأنجب موآب ولدًا ورزق " أمنون " بستة أولاد ، وكان نسلهما ضخمًا .

وعانى إبراهيم معاناة شديدة فى الحين ذاته بوفاة أخيه " ناحور " الذى وافته المنية فى " حاران " بعد أن بلغ من العمر مائة واثنين وسبعين عامًا(٢٧٠) .

مهمة إليعازر

وكانت وفاة سارة ابتلاءً شديدًا لم يشف منه إبراهيم فقد أحس طيلة وجودها بقربه بشبابه وقوته غير أن العجز والشيب ألما به بعد رحيلها(٢٧١) ، وكان إبراهيم أول من ذهب إلى ضرورة مخادعة الزمن بالعلامات والوسائل المناسبة ، وقد حدَّث قبل زمن

إبراهيم أن رجلاً عجوزاً لم يكن مميزاً في شكله عن شكل أي رجل صغير ونظراً لأن إسحاق كان على شاكلة والده فكثيراً ما كان يقع الخلط بينهما ، ومن هنا ابتهل إبراهيم من أجل أن يكون للمتقدم في السن علامة تميزه عن الشباب ، ولذا تغير منذ عهد إبراهيم مشهد الرجال حينما يتقدمون في السن ، وكانت هذه إحدى العجائب السبع العظام التي حدثت عبر التاريخ(٢٧٢) .

ولم تتخل بركة الرب عن إبراهيم وهو طاعن في السن حتى لا يقال إنها حلت عليه بفضل سارة فقط ، ومن هنا باركه الرب وأكثر نسله حتى بعد وفاتها ، فأنجبت هاجر له بنتاً ، كما أن إسماعيل تاب عن طرقه الشريرة ، وأسلم نفسه إلى إسحاق. وكما نعم إبراهيم بالسعادة في عائلته فقد نعم كل العالم بالسعادة ، وقد حاصر ملوك الشرق والغرب باب منزله لتلقي الحكمة ، وكان يتدلى من رقبته حجر كريم يملك القدرة على شفاء أي مريض ينظر إليه، ومع وفاة إبراهيم ربط إبراهيم هذا الحجر بعجلة الشمس، وكانت النعمة العظيمة التي لم يحظ بها أحد سوى إبراهيم وولده إسحاق ويعقوب بن إسحاق هي أنه لم يكن للرغبات الشريرة أية سطوة عليهم ، ومن هنا فقد كان لإبراهيم المقدرة على التكهن بما سيشهده العالم القادم(٢٧٣) .

وكان إبراهيم يستحق كل هذه البركات الإلهية التي حلت عليه خاصة أنه كان طاهر اليد ونقي السريرة كما أن روحه لم تصب إلى أي شيء به عبث(٢٧٤) .

وقد نفذ إبراهيم كل الوصايا التي تم الكشف عنها فيما بعد بل إنه نفذ كل التعاليم الربانية التي كان من بينها على سبيل المثال تلك المتعلقة بالقيود المفروضة على كل من يفكر في السفر يوم السبت ، ولنقائه فقد كشف الرب له عن التعاليم التي يعدها الرب يوميا في مجلسه السماوي(٢٧٥) .

غير أن الشيء الوحيد الذي كان إبراهيم يرغب فيه هو أن يتزوج إسحاق فأفصح عن رغبته هذه لخادمه العجوز إليعازر الذي كان يشبه سيده ليس فقط في مظهره الخارجي وإنما على الصعيد الروحي أيضاً . وكان إليعازر يمتلك مثل إبراهيم القدرة على السيطرة على الرغبات الشريرة(٢٧٦) كما كان خبيراً مثل سيده في الشريعة(٢٧٧) . وحدث إبراهيم إليعازر بالكلمات التالية : أصبحت طاعناً في السن ولا أعرف متى سأموت ، ولذا خذ عدتك وتوجه إلى بلدي وأطفالي وأحضر زوجة لولدي(٢٧٨) . وأفصح إبراهيم

على هذا النحو عن القرار الذى اتخذه بعد أن توجه إلى جبل موريا للتضحية بإسحاق فقد حدثته نفسه فى ذلك الحين بأنه إذا تمت التضحية بإسحاق بالفعل فإن ولده سيقضى نحبه دون أن يترك ذرية . وقد فكر فى أن يختار زوجة لإسحاق من بين بنات أصدقائه الثلاثة " أنير " و " إشكول " و " مامر " خاصة أنه كان يعلم أنهم من الأتقياء فضلاً عن أنه لم يكن يهتم بالأصول الثرية . وحدثه الرب عندئذ قائلاً : لا تنشغل بزوجة لإسحاق(٢٧٩) لقد تم توفير زوجة له ، فعلم إبراهيم أن الرب تذكر " ميلكاه " زوجة أخيه " ناحور " التى لم يكن لديها أبناء حتى مولد إسحاق وجعلها تنجب فأنجبت " بيتول " الذى أنجب أيضًا عند التضحية بإسحاق بنتًا قدر لها أن تكون زوجة إسحاق(٢٨٠) .

وكان إبراهيم قد قرر أن يأخذ زوجة لإسحاق من عائلته ، ورأى أنه إذا كانت الزوجة التى سيختارها ستكون من المهتديات فمن الأفضل أن تكون من عشيرته(٢٨١) ، وقد اتبع إبراهيم فى تفكيره هذا المثل القائل : إذا تحول قمحك إلى زوان فلتستخدمه فى الزرع .

وقال إليعازر لسيده : ربما لن تقبل أية امرأة السير معى إلى هذه الأرض فهل يمكن أن تتزوج بنتى إسحاق ؟ وأجاب إبراهيم : لا فإنك من جنس ملعون أما ولدى فمن جنس مبارك ولا يمكن أن تتحد اللعنة والبركة(٢٨٢) ولكن احذر فلا تحضر ولدى ثانية إلى الأرض التى أتيت منها لأنك إذا ذهبت به هناك فكأنك ذهبت به إلى الجحيم . وكما يبقى الرب على السموات فى حركتها فإنه سيضع الأمور فى نصابها أيضًا(٢٨٣) . وكما أن الرب أخذنى من منزل والدى وحدثنى وأقسم لى فى حاران بأنه سيعطى هذه الأرض لنسلى فإنه سيرسل ملاكه المعظم إليك وستأخذ زوجة لولدى من هناك . وأقسم إليعازر عندئذ لسيده بتنفيذ مشيئته(٢٨٤) .

التودد إلى ريبيكا

وقد توجه إليعازر فى صحبة عشرة رجال(٢٨٥) كانوا يمتطون عشرة جمال محملة بالجواهر والحلى إلى حاران ، وقد اصطحبه فى رحلته ملاكان وظيفة أحدهما حماية إليعازر خلال رحلته ، أما الآخر فكانت وظيفته حماية " ريبيكا "(٢٨٦) .

ولم تستغرق رحلة إليعازر سوى بضع ساعات حيث وصل إلى حاران مساء اليوم نفسه لأن الأرض أسرعت في سيرها على نحو عجيب(٢٨٧) ، وكان إليعاز قد توقف خلال رحلته لدى نبع ماء ودعا الرب بأن تكون زوجة إسحاق واحدة من بين الفتيات اللاتى يتوجهن إلى البئر لجلب الماء ودعا الرب أن تتميز عن غيرها بأن تقدم له ما يشربه(٢٨٨). ولم تكن هذه الرغبة ملائمة خاصة أنه كان من الممكن أن تقدم مجرد أمة له مايشربه(٢٨٩) . غير أن الرب أوفى بطلبه فبينما ذكرت كل الفتيات أنه لا يمكنهن أن يقدمن له ماءً مما حصلن عليه لأنه يجب عليهن الإسراع بالتوجه إلى ديارهن. وفيما بعد ظهرت " ريبيكا " التى أتت إلى البئر على خلاف العادة خاصة أنها كانت بنت والدها " بيثول " ملك حاران . وحينما أبلغ إليعازر هذه الطفلة الصغيرة برغبته فى شرب الماء فلم تعرب عن استعدادها فقط فى تنفيذ رغبته فحسب وإنما وبخت سائر الفتيات لعدم إحسانهن إلى غريب(٢٩٠) . وكان مما لحظه إليعازر أيضًا أن المياه ارتفعت من تلقاء ذاتها من قاع البئر إلى يدها فلم تكن فى حاجة إلى بذل أى مجهود لتسحبها . وبعد أن تأملها جيدًا أحس أنها ستكون الزوجة المختارة لإسحاق ، فأعطاها حلقًا يوضع فى أنفها علق عليه حجر كريم وزنه نصف شيكل وينذر بالنصف شيكل الذى كان على نسلها أن يقدمه كل عام فى الهيكل ، وقدم إليها سوارين من ذهب كان وزنهما عشرة شيكل كدليل على لوحى الحجارة والوصايا العشر المكتوبة عليه(٢٩١) .

وحينما أتت " ريبيكا " وهى تزينها الجواهر إلى والدتها وأخيها " لابان " سارع "لابان" إلى إليعازر ليقتله ويستولى على بضائعه وسرعان ما أدرك أنه لا يمكنه أن يلحق أذى بشخص عملاق مثل " إليعازر " ، وقد التقى به فى اللحظة التى كان إليعازر يمسك فيها بجملين ويحملهما عبر النهر(٢٩٢) . ونظرًا للتشابه القوى بين إليعازر وإبراهيم فقد تصور " لابان " أنه شاهد إبراهيم فقال " هيا يا من باركك الرب ، لقد طهرت منزلى من الأوثان"(٢٩٣) .

وعندما وصل إليعازر إلى منزل "بيتول" حاولوا قتله إذ وضعوا السم فى الطعام الموضوع أمامه غير أنه ولحسن الطالع رفض أن يتناول الطعام قبل أن يفرغ من كلامه . وبينما كان يقص حكايته أخبره الرب أن الصحن المخصص له يجب أن يوضع أمام " بيثول " الذى أكل منه ومات(٢٩٤) .

وقد أظهر إليعازر للجميع الوثيقة التى تضمنت أن إبراهيم نقل كل أملاكه إلى إسحاق وأوضح لأسرة إبراهيم مدى وعمق ارتباط إبراهيم بهم وقد مضت سنوات طوال على فراقه[٢٩٥] . غير أنه جعلهم يعرفون فى الحين ذاته أن إبراهيم لم يكن معتمداً عليهم ، وأنه من الوارد أن يبحث عن زوجة لولده من بين بنات إسماعيل أو لوط ووافقت عائلة إبراهيم فى البدء على السماح لريبيكا بالذهاب مع إليعازر ولكن بعد أن توفى بيتول فى غضون هذه الفترة لم يرغبوا فى أن يزوجوا ريبيكا دون الحصول على موافقتها ، كما رأوا أنه قد يكون من الأفضل أن تبقى فى المنزل خلال أسبوع الحداد على والدها[٢٩٦] ولكن إليعازر رأى أن الملاك الذى ينتظره لن يحتمل أى تأخير فقال : إن الرجل الذى ينتظرنى وأضاء طريقى ينتظرنى بالخارج . وحينما أعربت ريبيكا عن استعدادها للذهاب فى الحال مع إليعازر فقد نفذت والدتها وأخوها رغبتها وودعاها ببركاتهما[٢٩٧] . غير أن دعاءهما لم يصدر من أعماق قلوبهما . حقا إن دعوة الشرير لعنة ، ولهذا ظلت ريبيكا عاقراً لسنوات طوال[٢٩٨] .

وكانت عودة إليعازر إلى كنعان تحمل من العجب ما حمله ذهابه إلى حاران، فقد قطع الرحلة التى تستغرق سبعة عشر يوماً فى ثلاث ساعات حيث غادر حاران فى المساء ووصل الخليل[٢٩٩] فى الثالثة ظهراً أى وقت صلاة " مينحاه " ، هذه الصلاة التى كان إسحاق أول من أدخلها ، وقد كان فى وضع الصلاة حينما التقت عينا ريبيكا به فسألت إليعازر عمن يصلى . ورأت ريبيكا أنه ليس فرداً عاديا وأن جماله يفتن القلوب ، كما شاهدت الملاك الذى يرافقه ، ومن هنا لم يكن سؤالها نابعاً من مجرد الفضول[٣٠٠] .
وقد علمت فى الحين ذاته عبر الروح القدس أنها ستصبح أما للكافر عيساو فتملكها الرعب عندئذ ، وسرت بجسدها قشعريرة جعلتها تسقط من على الجمل فجرحت نفسها[٣٠١] .

وبعد أن سمع إسحاق المغامرات العجيبة التى قام بها إليعازر أخذ ريبيكا إلى خيمة والدته سارة ، وأظهرت أنها تستحق أن تكون خليفتها ، فظهر الغيم الذى كان مرئيا فوق الخيمة خلال حياة سارة والذى تبدد بعد وفاتها ، وسطع الضوء فى خيمة ريبيكا هذا الضوء الذى كانت سارة تشعله عند قدوم السبت والذى كان يضىء خلال الأسبوع كله . كما عادت مع ريبيكا البركة التى كانت ترفرف على الحمام الذى كانت

تربت عليه سارة ، وتم فتح أبواب الخيمة أمام المحتاجين ، وفتحت على مصراعيها كما كانت عليها خلال حياة ساره[٣٠٢] .

وكان إسحاق قد رثى والدته سارة على مدى ثلاث سنوات ، ولم يجد عزاءً لها فى ديار " سام " و " أيبر" التى كان يتلقى فيها تعليمه غير أن ريبيكا كانت تبث فى نفسه الطمأنينة بعد وفاة والدته[٣٠٣] خاصة أنها كانت قرينًا لسارة فى شخصها وروحها[٣٠٤] .

وكافأ إبراهيم عبده إليعازر بأن أعتقه خاصة أنه قام بمهمته على أكمل وجه[٣٠٥] ، وتحولت اللعنة التى حلت على إليعازر وكل نسل كنعان إلى بركة خاصة أنه خدم إبراهيم بوفاء[٣٠٦]. أما الثواب الأعظم الذى حل على إليعازر هو أن الرب سمح له بدخول الجنة حيا ، ولا يحل هذا الثواب إلا على حفنة قليلة من البشر[٣٠٧] .

السنوات الأخيرة لإبراهيم

وكانت ريبيكا قد شاهدت إسحاق قادمًا من طريق " بير لاحاى روى " أى من المكان الذى تقيم به هاجر ، وكان إسحاق قد توجه إليها بعد وفاة والدته سارة بغرض إعادة والده إبراهيم إلى هاجر[٣٠٨] التى كانت تعرف أيضًا باسم "قطورة"[٣٠٩] .

وكانت هاجر قد أنجبت ستة أبناء لم يحترموا والدهم كما ينبغى ، خاصة أنهم كانوا من عبدة الأوثان[٣١٠] . ولذلك حرص إبراهيم خلال حياته على إبعادهم عن ولده إسحاق ، وكلفهم بالارتحال إلى أبعد نقطة فى الشرق[٣١١] . وقد شيد لهم هناك مدينة أحاطها سور حديدى بالغ الارتفاع حتى يمنع الشمس من دخول المدينة ، غير أن إبراهيم زودهم بجواهر كان ضياؤها أقوى من ضوء الشمس ، هذه الجواهر التى سيتم استخدامها فى العصر المسيحيانى الذى " يخزى فيه القمر وتتوارى فيه الشمس خجلاً "[٣١٢] . وعلمهم إبراهيم أيضًا فنون السحر التى سيطروا بها على الأرواح والشياطين . وقد تعلم " لابان " و " بلعام " و " بيئور " والد بلعام فنون السحر[٣١٣] من هذه المدينة بالشرق .

وقد قام " إيفر " أحد أحفاد إبراهيم و " قطورة " بغزو ليبيا بقوة مسلحة، وفرض سيطرته على هذا البلد ، وقد نشأ هذا البلد المعروف باسم أفريقيا عن هذا الشخص "إيفر"(٣١٤) . كما أن آرام أصبحت مأهولة بالسكان من خلال نسل إبراهيم. وتزوج " تيراح " فى شيخوخته " بيليلاه " وأنجب منها " زوبا " الذى أنجب ثلاثة أبناء كان أكبرهم " آرام " الذى كان قويا وثريا . ولم يكن بوسع المنزل القديم فى حاران أن يكفيه هو ونسله ، وأبناء ناحور أخ إبراهيم ، فغادر " آرام " وإخوته حاران واستقروا فى واد أسسوا فيه مدينة دعوها " آرام – زوبا " ليخلدوا اسم الوالد وابنه البكر. أما مدينة " آرام النهرين " الواقعة على الفرات فقد أسسها " آرام بن كيموئيل " ابن أخ إبراهيم ، وكان اسمها الحقيقى " بيتور " نسبة إلى ابن آرام غير أن اسمها الأكثر شيوعًا " آرام النهرين " ، أما أبناء " كيسيد " ابن أخ إبراهيم أيضًا فقد أسسوا مدينة " كيسيد " الواقعة أمام " شنعار " ، ومن هنا فإن المدينة التى قدم منها الكلدانيون تعرف باسم " كسديم "(٣١٥) .

وبالرغم من أن إبراهيم كان يعلم يقينًا أن إسحاق يستحق أكثر من أى ابن من أبنائه التمتع بمباركة أبيه إلا أنه امتنع عن مباركته خشية أن يثير مشاعر العداء فى أوساط نسله. وتحدث قائلاً : لست سوى بشر. أحيا الآن بينكم وغدًا فى القبر، وقمت بكل ما كان يمكننى القيام به من أجل أبنائى ، ولتحل مشيئة الرب فى العالم . وتراءى الرب لإسحاق وباركه فور وفاة إبراهيم(٣١٦) .

ملاك الموت

وحينما اقترب يوم وفاة إبراهيم خاطب الرب ميخائيل قائلاً : انهض وتوجه إلى إبراهيم وقل له إنك راحل عن الحياة . حتى يمكنه أن يرتب شئون منزله قبل وفاته . فتوجه ميخائيل إلى إبراهيم ووجده جالسًا أمام الثور للحراثة ، وحينما شاهده إبراهيم لم يعرفه فألقى عليه السلام وقال : اجلس هنيهة وسأمر بذبح بهيمة ودعنا نتوجه إلى منزلى للراحة خاصة أن الليل قد اقترب ولننهض فى الصباح ونتجه أينما تشاء . ودعا إبراهيم أحد خدمه وقال له: اذهب وأحضر بهيمة حتى يمتطيها الغريب خاصة أنه تعب من رحلته . ولكن ميخائيل قال : أتجنب دائمًا الجلوس على ذوات الأربع فدعنا نسر حتى نصل إلى المنزل .

واجتازا خلال سيرهما فى طريقهما إلى المنزل شجرة ضخمة سمع إبراهيم أغصانها تترنم قائلة : قدوس أنت لحفاظك على الغرض الذى بعثت من أجله . وأخفى إبراهيم ما سمعه فى قلبه متصوراً أن الغريب الذى يسير معه لم يتنام إلى سمعه ترانيم الشجرة . وعند وصولهما إلى المنزل أمر إبراهيم الخدم بإعداد وجبة ، وبينما كانوا منهمكين فى عملهم استدعى إبراهيم ولده إسحاق قائلاً : انهض واجلب ماءً فى هذا الإناء حتى يمكننا غسل قدم الغريب . فأحضر إسحاق الإناء كما أمره والده فقال إبراهيم : أعتقد أنى لن أغسل فى هذا الإناء ثانية قدم أى ضيف غريب . وحينما سمع إسحاق هذه الكلمات انخرط فى البكاء وشاركه إبراهيم البكاء، وانهمرت دموع ميخائيل وسقطت فى ماء الإناء وتحولت إلى أحجار كريمة .

وقبل أن يجلس ميخائيل إلى المائدة نهض وصعد إلى السماء فى لحظة ووقف أمام الرب قائلاً : الرب والسيد فلتعلم مقدرتك أنى أعجز عن تذكير هذا الرجل الصادق بموته لأنى لم أر على الأرض إنساناً مثله فى حنوه وكرمه وصدقه وفى تجنبه لكل الأعمال الشريرة : فخاطب الرب ميخائيل بقوله : اهبط إلى صديقى إبراهيم ونفذ كل ما يخبرك به وتناول معه كل مايأكله وسألقى فكرة موت إبراهيم فى قلب ولده إسحاق بالحلم ، وسيقص إسحاق هذا الحلم وستفسره له فسيعرف نهايته المحتومة فقال ميخائيل : رب إن كل مخلوقات السماء ليست ذات جسد ، فلا تأكل أو تشرب ويقيم هذا الرجل لى مأدبة مليئة بأشياء أرضية لذيذة تدعو للفساد فماذا أفعل ؟ فأجابه الرب اهبط إليه ولا تبال بهذا فسأهبك عند جلوسك إليه نفساً آكلة ستلتهم كل ما يوضع أمامك .

وذهب الملاك إلى منزل إبراهيم حيث أكلا وشربا وابتهجا ، وحينما فرغا من العشاء صلى إبراهيم وشاركه الملاك ميخائيل صلاته ، واستلقى كل منهما على أريكته فى الحجرة ذاتها فى حين إن إسحاق غادر الحجرة حتى لا يزعج الملاك الضيف ، ومع حلول الساعة السابعة من الليل نهض إسحاق متوجها إلى باب غرفة أبيه صارخاً : دعنى يا والدى أحتويك قبل أن يأخذوك منى. فانتحب إبراهيم مع ولده إسحاق وشاركهما ميخائيل البكاء، وحينما سمعت سارة تحييهم نهضت من مرقدها قائلة : سيدى إبراهيم ما هذا البكاء هل أخبرك الغريب أن ابن أخيك لوط توفى أم أن مكروهاً أصابنا ؟

فأجابها ميخائيل : أختاه سارة(*) لم يحدث سوى أن ولدك إسحاق رأى وكما يخيل لى حلمًا وأتانا باكيًا فانفطرت قلوبنا وبكينا. وحينما سمعت سارة حديث ميخائيل أدركت فى التو أن من يحدثها أحد ملائكة الرب الثلاثة الذين رافقوها فيما مضى فأشارت إلى إبراهيم بالمجيء إليها لتخبره بما عرفت فقال إبراهيم : أدركت هذه الحقيقة حينما غسلت قدميه فقدماه هى الأقدام ذاتها التى غسلتها عند سنديانة " مامر " وهى التى أنقذت لوطا .

وعاد إبراهيم إلى غرفته وطلب من ميخائيل أن يفسر له حلم إسحاق فقال : ذكر ولدك إسحاق الحقيقة فستذهب وتصعد إلى السماء غير أن جسدك سيظل على الأرض لسبعة آلاف عصر ستصعد بعدها كل الأجساد ، رتب يا إبراهيم الآن كل أمور منزلك بعد أن سمعت ما قدر عليك . فأجاب إبراهيم : أعلم الآن أنك ملاك الرب وأنك أرسلت لتقبض روحى غير أنى لن أذهب معك وأفعل ما أمرت به . وعاد ميخائيل إلى السماء وأخبر الرب برفض إبراهيم إطاعة أوامره فأمره الرب بالنزول لتذكير إبراهيم بألا يعصى الرب الذى وهبه الكثير من النعم فذكره بأنه لم ينج أحد منذ آدم وحواء من الموت ، وبأن الرب من فرط إحسانه لم يدع الموت يلقاه .

وحينما أبلغه ميخائيل بهذه النصائح أدرك إبراهيم أنه من العبث معارضة مشيئة الرب فوافق على الموت غير أنه طلب أن يحقق له رغبة واحدة فقط قبل الموت فقال لميخائيل : أتوسل إليك سيدى إذا كان من الضرورى أن ترتحل روحى عن جسدى فلترفع جسدى لأرى كافة مخلوقات السموات والأرض . فصعد ميخائيل إلى السماء وحدث الرب عن رغبة إبراهيم فأجاب الرب : أحضر إبراهيم بجسده وسأريه كل الأشياء وأفعل له كل ما يشاء .

إبراهيم يطالع الأرض والسماء

وهبط كبير الملائكة ميخائيل واصطحب إبراهيم فى مركبة تجرها الملائكة وأصعده على هواء السموات وجعله يسير على الغمام فى صحبة ستين ملاكًا. وصعد إبراهيم بالمركبة فوق كل الأرض وشاهد كل الأشياء الخيرة والشريرة على الأرض.

(*) سبقت الإشارة إلى وفاة سارة !!

وعند نظره إلى الأرض شاهد شخصا يزنى مع امرأة متزوجة فالتفت إلى ميخائيل قائلاً : أرسل ناراً من السماء لتحرقهم . فانطلقت النيران وأحرقتهم لأن الرب كان قد أخبر ميخائيل بتنفيذ كل ما يشاء إبراهيم . وعاود إبراهيم النظر مرة أخرى فشاهد لصوصًا يقتحمون منزلاً فقال إبراهيم لميخائيل : دع الوحوش الضارية تخرج من الصحراء وتمزق اللصوص إربا . فخرجت الوحوش من مراقدها والتهمتهم. وشاهد على الأرض قوماً يعدون عدتهم للقتل فقال : فلتبتلعهم الأرض. فابتلعتهم الأرض أحياء ثم تحدث الرب إلى ميخائيل بقوله : أعد إبراهيم إلى منزله ولا تدعه يطف بكل الأرض فإنه لا يطيق صبراً على المخطئين غير أنى صبور على المذنبين عسى أن يتوبوا عن خطاياهم ويتم إنقاذهم .

وتوجه ميخائيل بالمركبة إلى مسار آخر وأحضر إبراهيم إلى مكان محاكمة الأرواح فشاهد إبراهيم بوابتين إحداهما رحبة والأخرى ضيقة ، وكانت الضيقة خاصة بالصديقين وكان من يعبرونها يدخلون الجنة ، أما البوابة الواسعة فكان الأشرار يجتازونها ليلقوا الدمار والعقاب الأبدى ، وعندئذ بكى إبراهيم قائلاً : ويلى ماذا أنا بفاعل فجسدى الضخم لن يمكنه اجتياز هذه البوابة الصغيرة ؟ فأجابه ميخائيل بقوله : لا تخف ولا تبتئس فستدخلها وسيدخلها معك كل من هو مثلك .

وشاهد إبراهيم روحًا تجلس فى المنتصف بين البوابتين بعد محاكمتها فسأل ميخائيل عن سبب بقائها على هذا النحو فأخبره ميخائيل : تبين للديان أن حسناتها وخطاياها متساوية . فقال إبراهيم لميخائيل: دعنا نصلى من أجل هذه الروح ولنرى هل سيسمعنا الرب . وحينما فرغا من صلاتهما أخبر ميخائيل إبراهيم أن الصلاة أنقذت الروح ، وأن الملاك حملها إلى الجنة فقال إبراهيم لميخائيل : دعنا نبتهل إلى الرب حتى يشمل برحمته أرواح المذنبين الذين لعنتهم فيما مضى ودمرتهم والذين التهمتهم الأرض ومزقتهم الوحوش وأفنتهم النيران بكلماتى . وأعلم الآن أنى أخطأت أمام ربى .

وبعد أن فرغ كبير الملائكة وإبراهيم من صلاتهما أتاهما صوت من السماء قائلاً : إبراهيم سمعت صوتك وصلاتك وغفرت خطيئتك وخطايا من تصورت أنى أبدتهم ، لقد أعدتهم إلى الحياة من فرط رحمتى .

وحينما أعاد ميخائيل إبراهيم إلى منزله وجدا سارة وقد توفيت قبل أن ترى ماذا ألم بإبراهيم بعد أن اعتصرها الحزن وأسلمت روحها[٢١٧] . وبالرغم من أن ميخائيل نفذ رغبة إبراهيم وأظهر له كل الأرض والثواب والعقاب فقد رفض إبراهيم أن يسلم روحه لميخائيل ، فصعد كبير الملائكة ثانية إلى السموات ، وقال للرب يقول إبراهيم إنى لن أذهب معك وأخشى أن أقبض عليه بيدى لأنه كان خليلك منذ البدء وفعل كل الأشياء التى تروق لك فليس هناك من يشبهه على الأرض بمن فيهم أيوب هذا الإنسان المعجز. غير أنه حينما دنا يوم وفاة إبراهيم أمر الرب ميخائيل أن يزين الموت بجمال عظيم وأن يرسله على هذا النحو إلى إبراهيم حتى يراه بعينيه .

وبينما كان إبراهيم جالسًا تحت السنديانة فى "مامر" أحس بضوء ساطع ويشذا عطر جميل فالتفت وشاهد الموت يقترب منه فقال الموت لإبراهيم : لا تتوهم يا إبراهيم أن هذا الجمال جزء منى أو أنى آتى على هذا النحو لكل فرد، ولكن إذا كان هناك صديق مثلك فأضع تاجًا وآتيه ، أما إذا كان مذنبًا فآتيه بفساد عظيم وأصنع من ذنوبهم تاجًا لرأسى وأرمى فى قلوبهم الرعب . فقال إبراهيم متسائلاً : أحقا أنت من يدعونك الموت؟ فأجابه : أنا الاسم المر . فأجابه إبراهيم : لن أذهب معك وأرنا قبحك . فكشف الموت عن رأسين كان أحدهما يحمل وجه ثعبان والآخر يحمل وجها شبيها بالسيف ، فمات كل خدم إبراهيم عند النظر إلى مظهر الموت القاسى غير أن إبراهيم صلى للرب وبعثهم من موتهم ، ولما عجزت نظرات الموت عن قبض روح إبراهيم قبض الرب روحه بهدوء ، وأخذ كبير الملائكة ميخائيل روحه وصعد بها إلى السماء ، وبعد أن حظى الرب بثناء وتمجيد الملائكة التى أحضرت روح إبراهيم وبعد أن هم إبراهيم بالصلاة أتى صوت الرب قائلاً : خذوا صديقى إبراهيم إلى الجنة حيث توجد خيام الصديقين وعروش القديسين مثل إسحاق ويعقوب إذ لا يوجد هناك ضجر أو ألم أو تنهد ، ولا يسود هناك سوى سلام وسعادة وحياة لا تنتهى .

ولم يتوقف نشاط إبراهيم مع وفاته ، وكما كان يشفع فى هذا العالم من أجل المذنبين فإنه سيشفع من أجلهم فى العالم الآخر الذى سيجلس فيه عند بوابة الجحيم ، وسيمنع من حافظوا على شريعة الختان من الدخول[٢١٨] .

سيد الخليل

حدث ذات مرة أن عدداً قليلاً من اليهود كانوا يعيشون فى الخليل ، وكانوا جميعا من الصديقين والأخيار ، وكانوا يتسمون جميعهم بالكرم فحينما كان يأتى غرباء إلى مغارة " المكفيلة " فقد كان هؤلاء اليهود يتشاجرون مع بعضهم البعض لرغبة كل منهم فى استضافة الغرباء ، وحينما ينجح أحدهم فى استضافتهم كان يبتهج ابتهاجًا عظيمًا .

وقد حدث فى عشية يوم الغفران أن سكان الخليل عجزوا رغم كل جهودهم عن العثور على شخص ليتموا صلاة الجماعة احتفالاً بهذا اليوم خاصة أن هذه الصلاة تستلزم وجود عشرة أشخاص ، وتخوفوا من ألا يجدوه . ومع حلول المساء وحينما كانت الشمس تقارب على المغيب تبينوا شخصًا عجوزًا ملتحيا رث الملابس يحمل زوادة على كتفه ، وكانت قدماه متورمتين من كثرة السير . فسارعوا للقياه وأخذوه إلى أحد المنازل ووفروا له المأكل والمشرب ، وبعد أن زودوه بملابس جديدة بيضاء توجهوا معه إلى المعبد للعبادة ، وحينما سألوه عن اسمه أجاب إبراهيم .

وبعد أن انتهوا من صيام هذا اليوم عمل سكان الخليل على الترحيب بالضيف ، ونجح أحد خدمة المعبد فى استضافة الضيف إلى منزله مما أثار حنق الجميع ، غير أن الضيف اختفى خلال سيره وعجز هذا الخادم عن أن يعثر عليه ، وبالرغم من كل الجهود التى بذلها يهود هذا المكان فى البحث عنه فقد ذهبت جهودهم هباءً ولم تسفر عن أية نتيجة . وحينما استلقى هذا الخادم قبيل الصباح ليغفو بعض الشيء شاهد الضيف أمامه وكان وجهه مشعا كالقمر وثيابه زاهية مشعة كالشمس ، وقبل أن يتمكن الخادم من أن ينطق ولو بكلمة من فرط خوفه حدثه إبراهيم بقوله : أنا إبراهيم العبرانى جدك الذى يرقد فى مغارة المكفيلة . وحينما رأيت مدى حزنك لعدم تمكنك من إقامة الصلاة أتيتك من مرقدى . لا تخف وابتهج من كل قلبك[٣١٩] .

وقد منح إبراهيم فى مناسبة أخرى المساعدة إلى سكان الخليل ، وقد حدث أن حاكم المدينة كان إنسانًا غليظ القلب وكان يضطهد اليهود على نحو عنيف ، وكان قد أمر اليهود بأن يسددوا له مبلغًا ضخمًا وأن يضعوه فى صناديقه ، وكلفهم بأن تحمل

هذه الأموال جميعها الشكل نفسه . ولم يكن هذا المطلب سوى ذريعة لقتل كافة اليهود خاصة أنه كان يعلم أن طلبه غير قابل للتحقيق .

وأعلن اليهود الصيام وبادروا بتنظيم صلاة جماعية يناشدون فيها الرب بأن يبعد عنهم السيف المسلط على رقابهم ، وشاهد خادم المعبد فى الليلة التالية فى الحلم رجلاً عجوزًا خاطبه قائلاً : هلم ولدى وأسرع السير إلى بوابة القصر حيث توجد الأموال التى أنت فى حاجة إليها، أنا والدك إبراهيم ، لقد رأيت المحنة التى يعرضك لها الأغيار غير أن الرب سمع أنينك . ونهض الخادم من نومه خائفًا ولم ير أحداً غير أنه سارع بالتوجه إلى المكان الذى رآه فى المنام ووجد به المبلغ اللازم وأخذه إلى قومه الذين روى عليهم حلمه ، وحينما أحصوا الذهب ووجدوا أنه يفى بالمبلغ الذى طلبه الأمير سلموه المبلغ ، وقد أدرك كل من تصور استحالة تحقيق هذا المطلب أن الرب يقف مع اليهود وأنهم يحظون برضاه[٣٢٠] .

الفصل السادس

يعقوب

مولد عيساو ويعقوب

وكان إسحاق يشبه والده شكلاً وروحًا ، وكان يشبهه فى كل شىء : فى جماله وحكمته وقوته وثرائه وأعماله الخيرة[١] . وكان شرفًا عظيمًا لإسحاق أن يدعى ابن إبراهيم ، وبالرغم من أن إبراهيم كان الجد الأعلى لثلاثين جماعة فإنه يعرف دائمًا بأنه والد إسحاق[٢] .

وبالرغم من سماته الكثيرة المميزة إلا أن إسحاق لم يتزوج إلا متأخرًا ، وسمح الرب له بالالتقاء بالزوجة المناسبة بعد أن دحض بنجاح الاتهامات التافهة لإسماعيل الذى كان قد اعتاد أن يتعالى عليه بدعوى أنه تم ختانه فى اليوم الثامن من مولده فى حين أن إسماعيل خضع لعملية الختان بعد أن بلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا ، ولهذا السبب طلب الرب أن يقدم إسحاق كأضحية وهو فى قمة رجولته وكان إسحاق مستعدا للتضحية بحياته ، وكان من أسباب تأخر زواجه أن والدته توفيت مباشرة بعد أن تم تقديم الأضحية على جبل " موريا " ، وأنه قد رثاها لثلاث سنوات[٣] ، وقد تزوج فى نهاية الأمر ريبيكا التى كانت تبلغ من العمر عند زواجها أربعة عشر عامًا[٤] .

وكانت ريبيكا أشبه " بالوردة بين الأشواك " فكان والدها بيثول من آرام ، وكان أخوها لابان غير أنها لم تسر على دروبهما[٥] ، وكانت تقواها مساوية لتقوى إسحاق[٦] ولم يكن زواجهما سعيدًا فى صورة كاملة إذ عاشا عشرين عامًا بعد زواجهما دون أن يرزقا بأطفال[٧] ، وطلبت ريبيكا من زوجها أن يبتهل إلى الرب حتى يرزقهما

بأطفال كما فعل إبراهيم . ولم يكن إسحاق مستعدا فى البدء للاستجابة لطلبها خاصة أن الرب كان قد وعد إبراهيم بنسل ضخم وتصور أن سبب عدم إنجابهما لأطفال قد يكون مرتبطًا بربيبكا فكان عليها هى أن تبتهل إلى الرب ليرزقهما بأطفال. غير أن ربيبكا لم تتوقف عن الإلحاح على إسحاق فاستجاب لها فى النهاية وصعدا معًا إلى جبل " موريا " ليقيما الصلاة عليه للرب. وقال إسحاق : رب السموات والأرض الذى يغمر خيره ورحمته الأرض . لقد أخذت والدى من منزل أبيه وموطنه وأحضرته إلى هذه الأرض وخاطبته قائلاً : لك ولنسلك سأعطى الأرض ووعدته معلنًا سأكثر نسلك كنجوم السماء ورمل الشطآن ، ويا ليت كلماتك التى وعدت بها والدى تتحقق الآن ، فأنت ربنا وترنو عيوننا إليك[٨] . دعا إسحاق ربه أيضًا بأن يولد كل أبنائه من زوجته التقية وابتهلت ربيبكا أيضًا بأن يكون كل أبنائها من صلب إسحاق .

وتم سماع هذه الصلاة المشتركة[٩] ولكن من أجل إسحاق خصيصًا وهبهم الرب أطفالاً. وحقا كانت تقوى ربيبكا مساوية لتقوى زوجها غير أن صلاة الشخص التقى الذى من نسل رجل تقى تكون أكثر تأثيرًا من صلاة الشخص التقى الذى يكون من نسل أب كافر .

وكان لهذه الصلاة تأثير معجز خاصة أن قدرات إسحاق البدنية لم تكن بالقوة التى تجعله قادرًا على أن يرزق بأطفال ، كما أن ربيبكا لم تكن مؤهلة لأن تنجب أطفالاً[١٠] .

وحينما أتمت ربيبكا شهر الحمل السابع[١١] تمنت لو كانت لعنة العقم بقيت ومازالت[١٢] حيث عانت آلامًا مبرحة لأن ولديها التوأم بدآ صراعهما الأبدى فى رحمها وعندما كانت "ربيبكا" تتجول بالقرب من معبد لعبادة الأوثان كان عيساو يتحرك فى أحشائها وحينما كانت تسير بجوار معبد أو مدرسة دينية كان يعقوب يجاهد للخروج من رحمها[١٣] . وكان من بين مشاجراتهما أن عيساو كان يصر على أنه لا حياة سوى الحياة الأرضية المليئة بالملذات الحسية ، أما يعقوب فكان يجيب : إنه لا يوجد سوى عالمين أمامنا أحدهما هذا العالم والآخر هو العالم الآخر ، وفى هذا العالم البشر يأكلون ويشربون ويشتغلون ويتزوجون ويربون أبناءهم وبناتهم ، ولا تحدث كل هذه الأمور فى العالم الآخر ، وإذا كانت هذه الأمور تروق لك فاسلك فيها غير أنى أسلك

طريق العالم الآخر[١٤]. واتخذ عيساو من سامائيل حليفًا حاول قتل يعقوب فى رحم أمه غير أن كبير الملائكة ميخائيل سارع بتقديم المساعدة ليعقوب وحاول إحراق سامائيل فرأى الرب أنه من الضرورى تشكيل محكمة سماوية للفصل بين ميخائيل وسامائيل[١٥] ، ونشب الشجار بينهما حول من أحق بالبكورة قبل خروجهما من رحم أمهما، ولم يتنازل يعقوب عن هذا الحق لعيساو إلا بعد أن هدد عيساو بالخروج مبكرًا حتى لو كان هذا الأمر سيؤدى إلى التضحية بحياة والدته[١٦] .

وسألت ريبيكا نساء أخريات عما إذا كن عانين مثل هذه الآلام خلال حملهن وحينما أخبرت أنهن لم يسمعن بمثل ما تتعرض له إلا فى حالة الحمل فى نمرود لجأت إلى جبل موريا الذى كان سام وأيبر يقيمان فيه مدرسة لتعلم اليهودية،. وقد طلبت منهما ومن إبراهيم أيضًا أن يستفسروا من الرب عن أسباب الآلام التى تعتصرها[١٧] ، فأجابها سام : كريمتى سأسر لك بسر لن يعرفه أحد فهناك أمتان فى رحمك وكيف يمكن لجسدك أن يحتويهما فى الوقت الذى يضيق فيه كل هذا العالم على اتساعه عن احتوائهما، إنهما أمتان تمتلك كل منهما عالمها : أحدهما عالم التوراة والآخر عالم الخطيئة ، وسيخرج من أحدهما سليمان مؤسس الهيكل ومن الآخر الإمبراطور الرومانى فسبازيان المدمر ، وسيصل عدد الأمم إلى سبعين أمة من خلال هاتين الأمتين . ولن تكون الأمتان متساويتين فإذا خرج من صلب عيساو الأمراء فسيخرج من صلب يعقوب الملوك[١٨]، وقد قدر على إسرائيل وروما أن يعيشا فى كراهية مع بعضها البعض[١٩] ، وسيتفوق أحدهما على الآخر فى القوة فسيخضع عيساو بقوته كل العالم غير أن يعقوب سيبسط فى نهاية الأمر نفوذه على الجميع[٢٠] ، وسيخدم الأكبر سنا الأصغر شريطة أن يكون هذا نقى السريرة وإلا فإن الأكبر سيستعبد الأصغر[٢١] .

وكانت الظروف التى أحاطت بميلاد ولديها التوأم شديدة التميز مثلها مثل تلك التى أحاطت بفترة حمل ريبيكا ، وكان عيساو أول من رأى النور وهبطت معه كل النجاسة من الرحم[٢٢] . أما يعقوب فقد ولد نظيفًا وكان جسده جميلاً ، وولد عيساو بشعر ولحية وأسنان وصدر وظهر[٢٣] ، وكان فى حمرة الدم فى إشارة لطبيعته الدموية[٢٤] ، وظل بسبب لونه الضارب إلى الحمرة بدون ختان ، وتخوف والده إسحاق من أن يكون مظهره على هذا النحو بسبب مرض أو مكروه ألم به فقرر الانتظار حتى

يبلغ عيساو من العمر ثلاثة عشر عاماً أى السن التى تلقى فيها إسماعيل علامة العهد . غير أن إسماعيل رفض عند اشتداد عوده الانصياع لأوامر والده ومن هنا ظل بدون ختان[٢٥] . أما يعقوب فقد كان على خلاف أخيه من كل الجوانب إذ كان يعقوب مختتناً وهو أمر نادر الحدوث[٢٦] ، غير أن عيساو حمل عند ولادته علامة الثعبان التى تشير للمكر وتفيد أنه مكروه من الرب[٢٧] .

وكانت الأسماء التى حملها الأخوان مفعمة بالدلالات ، فعرف الكبير باسم عيساو لأن هذا الاسم يعنى بالعبرية من يكون مكتمل النمو عند ولادته ، أما الأصغر فقد عرف باسم يعقوب للإشارة إلى بعض الأحداث المهمة التى ستمر بإسرائيل عن طريق حساب الجمل، فحرف الياء الذى يساوى الرقم عشرة يشير إلى الوصايا العشرة ، أما حرف العين الذى يساوى الرقم سبعين فيشير إلى زعماء إسرائيل السبعين ، ويشير حرف القاف الذى يساوى الرقم مائة إلى المعبد الذى يبلغ ارتفاعه مائة ذراع ، أما حرف الباء الذى يساوى رقم اثنين فيشير إلى لوحى الشريعة اللذين تلقاهما موسى[٢٨] .

حبيب إبراهيم

وحينما كان عيساو ويعقوب صغيرين لم يكن من الممكن الحكم عليهما على نحو مناسب، فكانا أشبه بنبات الآس العطرى وبشجيرة الشوك اللتين يشبه بعضهما البعض فى المراحل الأولى من النمو ، وبعد أن يكتمل نموهما يعرف نبات الآس بعطره والشجيرة بشوكها .

وذهب الأخوان فى طفولتهما إلى المدرسة غير أن طرقهما افترقت حينما بلغا من العمر ثلاثة عشر عاماً إذ واصل يعقوب دراسته فى مدرسة " سام " و" أيبر " فى حين أن عيساو انصرف إلى عبادة الأوثان وحياة الملذات[٢٩] وكان لكل منهما وقع السحر فى نفوس كل من يلقاهما فحاول عيساو السيطرة على البشر وصرف أنظارهم عن الرب فى حين أن يعقوب حاول جذبهم إلى طريق الإله[٣٠] . وبالرغم من أعمال عيساو الشريرة فقد أجاد فن التمتع بحب أبيه فاعتقد إسحاق وبسبب تصرفاته التى تتسم

بالرياء أن ابنه البكر شديد التقوى فسأل عيساو أباه ذات مرة : والدى أخبرنى أية ضريبة تدفع عن القش والملح ؟ وتصور إسحاق وبسبب هذا السؤال أن ولده يتقى الرب خاصة أن هذين الشيئين معفيان من الضرائب(٣١) غير أن إسحاق عجز عن ملاحظة أن ولده الأكبر كان قد أعطاه أطعمة محرما أكلها فقد كان اللحم الذى تصور عند أكله أنه من لحم الماعز لحم كلب(٣٢) .

أما ريبيكا فقد كانت نافذة البصيرة فقد عرفت حقيقة أبنائها ومن ثم فقد أحبت يعقوب حبا جما بل كان حبها له يتزايد كلما كانت تسمع صوته(٣٣) ، وقد كان إبراهيم متفقًا مع رأيها إذ أحب أيضًا حفيده يعقوب فقد كان يعلم أن اسمه ونسله لن يعرفا إلا من خلاله فقال لريبيكا : كريمتى اهتمى برعاية يعقوب لأنه سيكون بديلاً لى على الأرض وستحل بركته على كل البشر ، وسيكون من أعظم نسل سام . وبعد أن حث إبراهيم ريبيكا على رعاية يعقوب الذى قدر له أن يحمل البركة التى وضعها الرب فى إبراهيم فقد دعا حفيده وباركه فى حضور ريبيكا قائلاً : ولدى الحبيب يعقوب الذى تحبه نفسى فليباركك الرب من جلد السماء التى بورك منها آدم وإينوخ ونوح وسام ، ولتلتصق بك ونسلك وإلى الأبد كل الأشياء التى حدثنى بها الرب والتى وعد بإعطائها ، ولتبعد عنك وعن نسلك روح الكراهية والقنوط التى تصرف عن الرب الذى هو إلهك من الآن فصاعداً ، وليكن الرب إلهك والداً لك ولتكن ابنه البكر وليكن الرب والداً لكل أهلك. ارحل فى سلام ولدى(٣٤) .

وكان مما جعل إبراهيم مغرمًا خاصة بيعقوب أنه قد أنقذ من المحرقة بسبب الخصائص التى نعم بها حفيده(٣٥) .

وحينما علم إسحاق وريبيكا بمدى حب إبراهيم لولدهما الصغير أرسلا إليه وجبة من الطعام مع يعقوب فى اليوم الأخير من عيد الحصاد ، هذا العيد الذى كان آخر عيد يحتفل به إبراهيم على الأرض حتى يأكل ويبارك خالق كل الأشياء قبل وفاته. وكان إبراهيم قد علم أن موعد رحيله عن الأرض قد أصبح وشيكًا فشكر الرب على كل النعم التى وهبها له خلال حياته ، وبارك يعقوب وأمره بالسير فى طرق الرب وبألا يتزوج من بنات الكنعانيين ، ثم استعد إبراهيم للوفاة حيث وضع إصبعين من أصابع يعقوب على عينيه ثم نام نومًا أبديا ، ولم يكن بجواره على مرقده سوى حفيده يعقوب ، ولم يعلم حفيده بموته إلا حينما حاول أن يوقظه فى الغداة ولم يجبه(٣٦) .

بيع حق الميلاد

وبالرغم من أن إبراهيم توفى بعد أن أصبح رجلاً طاعنًا فى السن متجاوزًا عدد سنى الأجيال اللاحقة فإنه توفى قبل الوقت المخصص لوفاته بخمس سنوات ، فقد كان مقدرًا له أن يتوفى عن عمر يناهز مائة وثمانين عامًا مثل إسحاق غير أن الرب جعله يموت على نحو مفاجئ بسبب عيساو ، وقد كان عيساو يرتكب شروره فى الخفاء ولكن القناع سقط عنه وانكشفت ذنوبه فى نهاية الأمر فارتكب خمسة ذنوب يوم وفاة إبراهيم حيث اغتصب فتاة مخطوبة ، وارتكب جريمة قتل ، وتشكك فى بعث الموتى ، واستهان بحق البكورة ، وأنكر وجود الإله. وقال الرب عندئذ : وعدت إبراهيم بالذهاب إلى آبائه فى سلام ، أيمكننى أن أدعه يشاهد تمرد حفيده على الرب وانتهاكه لقوانين الطهارة وسفكه للدماء؟ من الأفضل أن يموت الآن[٣٧] .

وكانت جريمة القتل التى ارتكبها عيساو موجهة ضد نمرود واثنين من معاونيه ، ووقعت هذه الجريمة نتيجة لطول العداء بين عيساو ونمرود ، هذا العداء الذى نجم عن غيرة الأخير من مهارة عيساو الذى كان قد كرس نفسه كلية للصيد، وبينما كان نمرود يقوم بالصيد ذات مرة فقد انفصل عن جماعته التى لم يتبق منها معه سوى اثنين من معاونيه ، ولاحظ عيساو الذى كان مستلقيا عند شجيرة وجود نمرود بمفرده فتحين اللحظة المناسبة حتى يمر نمرود بجوار المكان الذى يتخفى فيه ، ثم انقض على نمرود وأسقطه هو ومعاونيه اللذين كانا قد سارعا لإنقاذه . وقد جلب صراخ معاونيه من رافقوا نمرود إلى البقعة التى سقط بها قتيلاً ، وكان عيساو قد سلب من نمرود ملابسه وفر بها إلى المدينة[٣٨] .

وكان لهذه الملابس تأثير عظيم على الماشية والحيوانات والطيور التى كانت تأتى لتصطف أمام من يرتديها ، ومن هنا فقد كان بمقدور نمرود وعيساو من بعده السيطرة على البشر والحيوانات[٣٩] .

وأسرع عيساو بعد قتل نمرود إلى المدينة وكان الخوف يتملكه من أتباع الضحية ، وقد وصل متعبًا ومنهكًا إلى المنزل فوجد يعقوب منشغلاً بإعداد طبق من العدس ، وكان منزل إسحاق يعج بالعبيد والإماء غير أن إسحاق كان شديد البساطة والتواضع

فى سلوكه فحينما كان يفرغ من الدراسة فى ساعة متأخرة من الليل ويعود إلى منزله كان يحرص على ألا يزعج أحدًا ليعد له الطعام ، وكان يقوم بنفسه بإعداده[٤٠] ، وحينما دخل عليه عيساو كان يعقوب يعد وجبة من العدس لوالده الذى كان يتناول العدس خلال فترة الحداد على وفاة والده إبراهيم ، وكان آدم وحواء قد تناولا العدس خلال فترة حدادهما على وفاة هابيل ، وقد فعل والدا حاران الأمر نفسه خلال فترة حدادهما على ولدهما الذى قضى نحبه فى المحرقة ، ويتم تقديم العدس خلال فترات الحداد لأن حبوب العدس ترمز إلى الموت فكما أن حبة العدس مستديرة فإن الموت والأسى والحداد يستدير بين البشر من واحد إلى آخر[٤١] .

وقد بادر عيساو يعقوب متسائلاً : لماذا تعد العدس ؟

يعقوب : لوفاة جدنا، وسيصبح العدس علامة على حزنى ونواحى عسى أن يحبنى فى الآخرة .

عيساو : إنك أحمق ! هل تعتقد حقا أنه من الممكن أن يحيا المرء ثانية بعد وفاته وتحلله فى القبر[٤٢] ؟ وواصل توبيخ يعقوب بقوله : لماذا تعرض نفسك إلى كل هذا العذاب؟ ارفع عينيك وستجد أن كل البشر يتناولون كل ما يصل إلى أيديهم من أسماك وزواحف وخنازير وكل ما شابه ، أما أنت فتشغل نفسك بطبق من العدس .

يعقوب : وإذا تصرفنا مثل سائر البشر فماذا نحن فاعلون فى يوم الرب أى فى اليوم الذى سيتلقى فيه الأتقياء ثوابهم حينما يعلن الملاك : أين من يزن أعمال البشر ؟ أين من يحصى الأعمال ؟

عيساو : أهناك عالم آخر؟ وهل يعود الموتى إلى الحياة ؟ وإذا كان الأمر هكذا فلماذا لم يعد آدم ؟ أسمعت عن ظهور نوح من جديد ؟ وهل عاد إبراهيم إلى الحياة بالرغم من أنه كان أكثر الخلق الذين أحبهم الرب ؟

يعقوب : إذا كنت تعتقد أنه ليس هناك عالم آخر وأن الموتى لن يبعثوا فلماذا تبتغى إذًا الاحتفاظ بحقك فى البكارة ؟ ولتبع لى الآن هذا الحق خاصة أنه لن يصبح من الممكن بيعه بعد نزول التوراة ، حقا إنه يوجد عالم آخر سيتلقى فيه الصديقون ثوابهم ، وأخبرك بهذا خشية أن تقول فيما بعد إنى خدعتك[٤٣] .

ولم يكن يعقوب منشغلاً للغاية بنصيب الابن البكر المضاعف فى الميراث وإنما كان منشغلاً بحقه فى خدمة الكهنة ، هذه الخدمة التى كانت قاصرة فى الأزمان الغابرة على الابن البكر ، وكان يعقوب مشمئزا من أن يلعب أخوه غير التقى عيساو دور الكاهن فى الوقت الذى استخف فيه بعبادة الإله[٤٤] .

ولم يستخف عيساو بفكرة إحياء الموتى فقط وإنما استخف أيضًا بالوعد الإلهى بإعطاء الأرض المقدسة إلى نسل إبراهيم فلم يؤمن بهذا الوعد ومن ثم كان مستعدا للتخلى عن حقه فى أن يكون الابن البكر فى مقابل حساء خضروات[٤٥] ، وعلاوة على هذا الحساء فقد وهبه إسحاق مبلغًا من المال[٤٦] بل وأعطاه سيف ميتوشيلاح الذى كان إسحاق قد ورثه من إبراهيم ووهبه إلى يعقوب[٤٧] .

وقد هزأ عيساو من يعقوب فدعا أصدقاءه على مأدبة فى منزل أخيه وقال : هل تعلمون ماذا فعلت بيعقوب ؟ لقد أكلت عدسه واحتسيت خمره ولهوت به وبعت إليه حقى فى الولادة . فأجاب يعقوب : تناول طعامك ولينفعك كل هذا . غير أن الرب قال : إنك تحتقر حق الميلاد ولذا سأجعلك محتقرًا من كل الأمم . وسيتم القضاء على كل نسل عيساو من العالم[٤٨] عقابًا لهم على إنكارهم وجود الرب وبعث الموتى .

ولأن عيساو لم يقدس شيئًا ألبتة فقد جعله يعقوب يقسم بحياة أبيه على بيع حق الميلاد لأنه كان يعلم أن حب عيساو لوالده عظيم[٤٩] . فضلاً عن أنه كان قد عجز عن الحصول على وثيقة موقعة من قبل شهود تفيد بيعه حق الميلاد مع الاحتفاظ بحقه فى مغارة المكفيلة[٥٠] .

وبالرغم من أنه ليس من الممكن إلقاء اللوم على يعقوب فى كل ما فعل فقد أخذ حق الميلاد منه على نحو الخداع ، ومن ثم أصبح على نسل يعقوب خدمة نسل عيساو[٥١] .

إسحاق بين الفلسطينيين

وكانت حياة إسحاق تعد انعكاسًا أمينًا لحياة والده فقد كتب على كل من إبراهيم وإسحاق الارتحال من موطنهما ، كما تعرض كل منهما لخطر فقدان زوجه ، كما أحس الفلسطينيون بالحنق من إبراهيم وإسحاق. وكما عاش إبراهيم فترة طويلة دون أن يرزق ببنين فقد عاش إسحاق التجربة ذاتها. وفى الوقت الذى رزق فيه إبراهيم بولد تقى وآخر شرير فقد حدث الأمر نفسه مع إسحاق ، وقد عمت المجاعة الأرض فى عهد إبراهيم وإسحاق[٥٢] .

وكان إسحاق يعتزم البدء فى اتباع نهج والده والانتقال إلى مصر غير أن الرب تراءى له وقال : إنك أضحية سلامة لا تشوبها شائبة وكما أن أضحية المحرقة تعد غير صالحة إذا تم تقديمها خارج الهيكل فإنك ستصبح دنسًا إذا رحلت عن الأرض المقدسة . ابق فى الأرض واسع لزراعتها فهذه الأرض تسكنها الحضرة الإلهية ، وسأهب أبناءك فى المستقبل الممالك التى يسيطر عليها الحكام الأقوياء وستملك كل الأرض فى العصر المسيحانى[٥٣] .

وأطاع إسحاق أوامر الرب واستقر فى " جيرار" ، وحينما لاحظ أن سكان المكان يضمرون بعض المكائد لزوجه حذا حذو إبراهيم وزعم أنها أخته[٥٤] . وتحدث الجميع عن جمال " ريبيكا " الفتان ووصلت أخبار جمالها إلى الملك غير أنه وضع فى اعتباره المخاطر التى سبق أن تعرض إليها فى حوادث شبيهة فلم يتحرش بإسحاق وزوجه[٥٥] . وبعد أن أقاما فى " جيرار" ثلاثة شهور لاحظ " أبيميلك " أن سلوك إسحاق الذى أقام خارج القصر الملكى يتماشى مع سلوك الزوج تجاه ريبيكا[٥٦] . فدعاه للحساب قائلاً : كان من الوارد أن يتزوج الملك من المرأة التى زعمت أنها أختك[٥٧] ، وتعرض إسحاق إلى شائعات مفادها أنه يضاجع ريبيكا على نحو غير شرعى ، وترددت هذه الشائعات فى الوقت الذى لم يصدق فيه سكان المكان أن ريبكا أخته ، وحينما تمسك إسحاق بما كان قد زعمه[٥٨] أرسل أبيميلك حرسه من النبلاء وأمرهم بأن يرتدوا ثيابا ملكية وأعلن خلال انتقالهم إلى المدينة : أنهما رجل وزوجه وأنه سينزل عقوبة الموت بكل من يتعرض إليهما .

ودعا الملك إسحاق فيما بعد للإقامة فى أراضيه وخصص له حقولاً وكرومًا لزراعتها ، وكانت هذه الأراضى من أفضل الأراضى(٥٩) . وقد وهب إسحاق عشر كل ما كان يملك إلى فقراء "جيرار" ، ومن هنا فقد كان أول من أدخل شريعة تقديم عشر الدخل إلى الفقراء مثلما كان إبراهيم أول من أدخل شريعة فصل نصيب الكهنة عن نصيبه(٦٠) ، وكوفئ إسحاق بمحصول وفير كما أن أرضه أثمرت أضعاف ما كان متوقعًا هذا بالرغم من أن الأرض كانت قاحلة ومن أن العام الذى زرع فيه كان مجدبًا . وأصبح إسحاق ثريا للغاية إلى الدرجة التى تمنى فيها الجميع الحصول على روث أنثى البغل التى لدى إسحاق عن الحصول على الذهب والفضة من أبيميلك(٦١) ، غير أن ثراء إسحاق أثار حنق الفلسطينيين وهذه سمة الأشرار الذين يغتاظون عند حلول الخير برفاقهم ويبتهجون عند نزول الشر بهم ، ويخلق الحسد الكراهية ومن هنا حسد الفلسطينيون فى البدء إسحاق ثم كرهوه ، وفى إطار كراهيتهم له ردموا الآبار التى كان إبراهيم قد حفرها منتهكين على هذا النحو عهدهم مع إبراهيم فأصبحوا غير مؤتمنين . ولم يكن من الممكن أن يلوموا فيما بعد سوى أنفسهم حينما أقدم بنو إسرائيل فيما بعد على إبادتهم .

وغادر إسحاق " جيرار " وبدأ ثانية فى حفر آبار المياه التى كانت قد حفرت فى عهد إبراهيم والتى كان الفلسطينيون قد ردموها ، وكان إسحاق شديد التبجيل لوالده ومن ثم فقد أطلق على الآبار المسميات نفسها التى كان إبراهيم قد أطلقها عليها ، وحتى يكافئه الرب على تبجيله لأبيه فلم يغير الرب اسمه فى حين كان على أبيه ووالده اعتناق أسماء جديدة(٦٢) .

ونجح إبراهيم فى الحصول على الماء بعد أن بذل إبراهيم أربع محاولات فوجد بئر الماء الخاص بجيل الآباء ، وكان إبراهيم قد حصل على هذا البئر بعد أن حفر ثلاث حفر ومن هنا فقد جاء اسم بئر سبع نسبة إلى الحفر السبعة ، وسيمد هذا البئر المياه إلى القدس والمناطق المحيطة بها فى العصر المسيحانى(٦٣) .

وكان نجاح إسحاق فى حفر الآبار مدعاة لإثارة حنق الفلسطينيين خاصة أن الماء ظهر فى منطقة لم يكن من المتوقع أن يجد فيها ماء فضلاً عن أن الماء ظهر فى عام كان قد عم فيه الجفاف غير أن الرب يفى برغبة من يتقونه. وكما نفذ إسحاق إرادة

خالقه فقد أوفى الرب برغبته[٦٤] . وسرعان ما أدرك " أبيميلك " ملك جيرار أن الرب يقف بجانب إسحاق . وعندما حث الملك إسحاق على مغادرة منزله عاقبه الرب بأن جعل اللصوص يسرقون منزله فى غضون الليل فضلاً عن أنه قد أصيب بمرض الجذام[٦٥] كما أن آبار الفلسطينيين ضربها الجفاف بعد أن ارتحل إسحاق عن جيرار كما أن أشجارهم عجزت عن أن تثمر ، ولم يساور أحد الشك فى أن كل هذه الظواهر تعد عقاباً لهم لأنهم لم يحسنوا استضافة إسحاق .

وقد توسل "أبيميلك" إلى أصدقائه وخاصة من تولوا إدارة شئون مملكته باصطحابه إلى إسحاق ومساعدته على أن يستعيد صداقته مرة أخرى[٦٦] . وحدث أبيميلك والفلسطينيون إسحاق بقولهم : لقد اقتنعنا أن الحضرة الإلهية تصاحبك ومن ثم نبتغى تجديد العهد الذى أقامه والدك معنا لأنك لن تؤذينا ولن نمسك . ووافق إسحاق على ما عرضوه عليه ، ويوضح ما قالوه من أنهم لو لم يتعرضوا لكانوا سيسعدون بإيذاء إسحاق فروح الشرير لا تبتغى إلا الشر .

ولم يعرف المكان الذى تم فيه إبرام العهد بين إسحاق والفلسطينيين باسم شيبعا إلا لسببين وهما أن العهد قد قطع فى هذا المكان ولتخليد حقيقة أنه يتعين على عبدة الأوثان عبادة شرائع بنى نوح السبع[٦٧] .

ويدين إسحاق فى كل العجائب والمعجزات التى قام بها الرب من أجله وفى كل الخيرات التى نعم بها الرب عليه إلى فضائل والده ، كما أن الرب سيكافئه فى المستقبل بفضل خصال أبيه الطيبة[٦٨] ، وسيشفع إسحاق يوم القيامة لكل أتباعه وسينقذهم من جهنم ، فسيحدث الرب إبراهيم فى ذلك اليوم بقوله : أخطأ أبناؤك . وسيجيب إبراهيم قائلاً : دعهم يبادون وليتقدس اسمك . ويلتفت الرب عندئذ إلى يعقوب متصوراً أن من عانى كثيراً فى تربية وتنشئة أبنائه سيظهر قدراً أكبر من الحب لنسله غير أن يعقوب يقدم الإجابة ذاتها التى قدمها إبراهيم . ويقول الرب عندئذ : لا يملك الكبير فهما ولا الصغير رحمة ، سأتجه إلى إسحاق . وخاطب الرب إسحاق بقوله : أخطأ بنوك فأجابه إسحاق : رب العالمين أتقول إنهم أبنائى وليسوا بنيك ، فحينما وقفوا جميعهم على جبل سيناء أعلنوا استعدادهم لتنفيذ كل ما تأمر به قبل أن يعرفوا

أوامرك ، كما أنك دعوت إسرائيل ابنك البكر وتقول الآن إنهم أبنائى وليسوا أبناءك ، ودعنا نتفكر معًا فى الإنسان ومصيره ، إن سنوات الإنسان سبعون ، ويجب أن نخصم من هذه السنوات عشرين سنة لأنك لاتنزل العقاب بمن هم دون العشرين ، أما الأعوام الخمسون المتبقية فلتخصم منها نصفها إذ يقضى الإنسان خمسة وعشرين عاماً من حياته فى النوم ، أما السنوات المتبقية فلنخصم منها النصف إذ يقضى الإنسان نصف هذه السنوات فى إقامة الصلاة وتناول الطعام والتوفية بمختلف احتياجاته والتى لايرتكب فيها أية معاصى ، إذًا يتبقى لنا اثنا عشرعامًا ونصف وإذا تحملت أنت معاصى هذه السنوات فقد فعلت خيرًا وإذا رفضت تحملها فلنقتسمها معًا .

وسيقول نسل إسحاق إذًا: إنك بالفعل والدنا الحق . غير أن إسحاق سيقول لهم : لاترفعوا الثناء إلى بل ارفعوه إلى الرب فقط . وسيرفع إسرائيل عينيه إلى السماء قائلاً : الرب والدنا واسمك هو مخلصنا[٦٩] .

وكان إسحاق الذى يعرف أحيانًا باسم إليهو بن باراشيل هو الذى كشف عن عجائب الطبيعة خلال جدله مع أيوب[٧٠] .

ومع انتهاء سنوات المجاعة تراءى الرب لإسحاق وأمره بالعودة إلى كنعان ، وفعل إسحاق ما أمر به واستقر فى الخليل . وأرسل فى الحين ذاته ابنه الأصغر يعقوب إلى مدرسة شيم و " ايبر" ليتلقى فيها شريعة الرب، ومكث يعقوب فيها اثنين وثلاثين عاماً . أما عيساو فرفض التعلم وبقى فى منزل والده ، ولم ينشغل إلابالقنص وكما حرص على قنص الوحوش فقد حرص على قنص البشر ساعيًا إلى أسرهم عبر الاحتيال والخداع، وفى إحدى رحلات الصيد التى قام بها عيساو أتى إلى جبل سعير الذى تعرف فيه على يهوديت التى كانت من عائلة حام وأخذها زوجة وأحضرها إلى والده فى الخليل .

وعاد يعقوب إلى منزله بعد مضى عشر سنوات على رحيله وارتحل إلى منزله بعد وفاة معلمه شيم وهو فى الخمسين من العمر، وبعد مضى ست سنوات أخرى تلقت ريبيكا أنباءً سعيدة عن أن أخت زوجها عدنا زوجة لابان – والتى كانت لا تنجب – أنجبت بنتين هما لبيئه وراحيل[٧١] ، ونصحت ريبيكا التى كان يعتريها السأم والقلق على حياتها بسبب المرأة التى اختارها ابنها الأكبر زوجة يعقوب بألا يتزوج من بنات

الكنعانيين وأن يتزوج بنتًا بكرًا من نسل إبراهيم ، وطمأن يعقوب والدته بأن كلمات إبراهيم التى نهته عن الزواج من الكنعانيين محفوظة فى ذاكرته ومن ثم فإنه لم يتزوج بالرغم من أنه بلغ من العمر اثنين وستين عامًا وبالرغم من أن عيساو كان يحثه خلال الاثنين والعشرين عامًا الماضية على السير على هداه وأن يتزوج بنتًا من البلد الذى يعيشون فيه ، وأخبر يعقوب والدته أنه سمع أن خاله رزق ببنتين وأنه قرر أخذ واحدة منهما كزوجة ، وأعربت ريبيكا عن امتنانها لولدها فشكرت ربها قائلة : تبارك الرب وليتبارك إلى الأبد اسم من وهبنى ولدًا نقيا كيعقوب ولأنه لك فإن نسله سيعيش إلى الأبد ، باركه يا رب وضع فى فمى بركة الصدق حتى أباركه .

وحينما حلت عليها روح القدس وضعت يديها على رأس يعقوب ووهبته بركة الأم ، واختتمت بركتها بقولها: فليحبك الرب كما يبتهج قلب أمك بك ، وليباركك الرب(٧٢) .

إسحاق يبارك يعقوب

وكان زواج عيساو ببنات الكنعانيين أمرًا لم يحظ إلا بازدراء والدته ووالده بل وقد عانى أكثر من ريبيكا من الممارسات الوثنية لزوجات الابن . ومن طبيعة الأشياء أن مقاومة الرجل للأوضاع غير السليمة تعد أقل بكثير من مقاومة المرأة خاصة أنه ليس للرجل الذى خلق من تراب الأرض قدرة التحمل التى تتمتع بها المرأة التى خلقت من العظم . وسرعان ما كبر إسحاق بسبب سلوك زوجات الابن وفقد بصر عينيه. وكانت ريبيكا قد اعتادت خلال طفولتها على البخور الذى يحرق أمام الأوثان ومن ثم فقد تمكنت من احتماله . أما إسحاق فلم يعش مثل هذه التجربة حينما كان يعيش مع والديه ومن هنا فقد صدم من الدخان المتصاعد من الأضاحى التى كانت تقدمها زوجة ابنه إلى أوثانها فى منزله(٧٣) ، وكانت عينا إسحاق قد عانت فى مرحلة مبكرة من حياته فحينما وضعه والده على المذبح للتضحية به انهمرت دموع الملائكة ولم تتساقط هذه الدموع إلا على عينيه وبقيت فيها مما أضعف بصره.

وقد تغلب فى الحين ذاته على ابتلاء العمى الذى حل به بحبه لعيساو ، ورأى أن فقدانه بصره يعد عقوبة لإفراطه فى حبه لعيساو ، ومع هذا فقد كان هذا العمى فى

صالح كل من إسحاق ويعقوب فقد أصبح لزامًا على إسحاق نتيجة للعجز البدنى الذى حل به أن يلازم منزله وأن يتجنب بالتالى إشارة الناس إليه بوصفه والد الشرير عيساو[٧٤] ، ولو كانت قدرته على الإبصار ما تلفت ما كان قد بارك يعقوب ، وقد عامله الرب كما يعامل الطبيب المريض الذى يحظر عليه تناول الخمر مهما اشتدت رغبته فى تناوله ، وحتى يهدئ الطبيب من حالة مريضه فإنه يأمر بإعطائه جرعة من الماء الدافئ فى الظلام ويخبره بأن هذه الجرعة جرعة نبيذ[٧٥] .

وحينما بلغ إسحاق من العمر مائة وثلاثة وعشرين عامًا مقتربًا على هذا النحو من عدد السنوات التى عاشتها والدته بدأ يفكر مليا فى نهايته ، ومن المناسب حقا أن يستعد الإنسان للموت عند وصوله إلى سن مقارب للسن الذى وصل إليه أحد والديه عند وفاته، ولاحظ إسحاق أنه لا يعرف إذا ما كانت السنوات التى عاشها تعد مقاربة للسنوات التى عاشها والده أو والدته ولذا قرر أن يهب بركته على ابنه الأكبر عيساو قبل أن يحل الموت عليه[٧٦] ، فدعا ولده عيساو قائلاً : ولدى . فسارع ولده قائلاً : هأنذا . غير أن الروح القدس تدخلت قائلة بالرغم من أنه يضفى نعومة وعذوبة على صوته فلا تثق فيه فينطوى قلبه على سبعة أشياء بغيضة فيدمر سبعة أماكن مقدسة ويدمر خيمة الاجتماع والأماكن المقدسة فى " جيلجال " و " شيلواح " و " نوب " و "جيفعون " والهيكل الأول والثانى .

وبالرغم من أن عيساو تحدث بلطف إلى والده فقد كان يتمنى أن توافيه المنية سريعًا[٧٧] ، ولم يفقد إسحاق بصره فحسب وإنما فقد بصيرته أيضًا . وحينما ارتحلت عنه الروح القدس أصبح عاجزًا عن رصد مكر ابنه الأكبر. وقد أمر إسحاق عيساو بسن سكاكين الذبح وأن يتنبه إلى ألا تكون الأضحية المقدمة قد أصيبت بأى جرح قبل ذبحها وأن يحرص على ألا تكون الأضحية التى ستذبح مسروقة[٧٨] .

وقد ألقيت على عيساو هذه المهمة عشية عيد الفصح وقال إسحاق له : سيتغنى العالم هذا المساء بالثناء للرب ، وتفتح فى هذه الليلة خزائن الندى فأعد لى ما لذ وطاب حتى تباركك روحى قبل أن أموت . غير أن الروح القدس تدخلت فى الحديث قائلة : لا تأكل خبز من عينة شريرة[٧٩] . وكان اشتياق إسحاق للطعام الشهى نتيجة للعمى فحينما يعجز العمى عن إبصار الطعام فإنه يتشهاه كما أن الأطعمة الشهية تغويهم .

وانطلق عيساو للحصول على ما ابتغاه والده غير مبال بكيفية الحصول عليه[٨٠] ، وحتى يعطل الرب التنفيذ السريع لأمر والده فقد أرسل الشيطان فى أعقاب عيساو ليعطله بقدر الإمكان ، وقام عيساو باقتناص غزال ثم تركه فى موضعه مقيداً حتى ينتهى من اقتناص شىء أخر، وعندئذ قام الشيطان بفك أسر الغزال ، وحينما عاد عيساو إلى المكان لم يجد ضحيته ، وكان الغرض من تكرار هذا الوضع أكثر من مرة أن يتمكن يعقوب خلال هذه الفترة من تنفيذ خطة ريبيكا الخاصة بتمتع يعقوب ببركة أبيه بدلاً من عيساو .

وبالرغم من أن ريبيكا لم تكن قد سمعت الحوار الذى تم بين إسحاق وعيساو فقد كشفت الروح القدس[٨١] عنه ، ومن هنا قررت أن تمنع زوجها من اتخاذ خطوة لا مبرر لها ، ولم يكن حب يعقوب هو الذى يحدد خطاها وإنما رغبتها فى منع إسحاق من اتخاذ إجراء بغيض[٨٢] فقالت ليعقوب : تفض فى هذه الليلة الأغلال عن خزائن الندى ، وهاهى الليلة التى تتغنى فيها الكائنات السماوية بأناشيد الثناء والمديح للرب . والتى خصصت لخروج بنيك من مصر والتى ترنموا فيها عند خروجهم بأغانى المديح للرب . اذهب الآن وأعد طعامًا لذيذ المذاق لوالدك حتى يباركك قبل وفاته[٨٣] . افعل ما آمرك به وأطعنى لأنك ولدى الذى سيكون كل نسله من الأخيار والأتقياء ولن يفسد أحد منهم .

وبالرغم من احترامه الشديد لوالدته[٨٤] رفض يعقوب فى البدء الانصياع لأمرها متخوفًا من أنه قد يرتكب خطيئة[٨٥] خاصة أنه قد يتعرض على هذا النحو إلى لعنة أبيه. وكان يعقوب محقا إذ كان من الوارد أن يكون اسحاق قد احتفظ برغبته فى مباركة يعقوب بعد أن بارك عيساو غير أن ريبيكا هدأت من همومه بقولها : حينما لعن آدم فقد حلت اللعنة على والدته الأرض ، وستتحمل والدتك عنك اللعنة إذا ما لعنك والدك ، وعلاوة على هذا فإنى مستعدة لأتقدم إلى والدك وأخبره : إن عيساو وغد . أما يعقوب فرجل صالح .

وأصبح يعقوب سجين والدته فتوجه وملؤه الدمع لتنفيذ ما خططت ريبيكا[٨٦] وحينما أقدم على تقديم وجبة عيد الفصح إلى والده أمرته بأن يحضر جديين أجدهما كأضحية للفصح والآخر كأضحية للاحتفال[٨٧] ، وحتى تهدأ نفس يعقوب

أضافت : أن عقد زيجتها خول لها جديين يوميا وأن هذين الجديين سيجلبان الخير عليك ، وهذان الجديان سيكونان أضحية للتكفيرعن الذنوب فى يوم الغفران .

ومع هذا لم يبدد حديث ريبيكا تردد يعقوب فتخوف من أن يدرك والده عند ملامسته له أنه ليس عيساو خاصة أنه لم يكن مشعرًا مثله ، وبالتالى فقد مزقت ريبيكا جلود الجديين إلى قطع صغيرة خاطتها ووضعتها على يعقوب الذى كان ضخم الجثة لتغطى يديه[٨٨] ، وحتى تغير ريبيكا شكل يعقوب ألبسته ملابس عيساو الخاصة بالكاهن الأعلى والتى كان الرب قد وضعها على آدم أول من خلق فى العالم خاصة أن الذكور الذين ولدوا قبل إقامة خيمة الاجتماع كانوا يعملون كهنة ، وانتقلت هذه الملابس من آدم إلى نوح ومنه إلى سام الذى أوصى بمنحها إلى إبراهيم الذى وهبها إلى إسحاق وانتقلت منه إلى عيساو بوصفه الابن الأكبر ، ورأت ريبيكا أنه طالما أن يعقوب اشترى حق الميلاد من أخيه فإنه يحق له امتلاك ثياب الكاهن[٨٩] ، ولم تكن ريبيكا بحاجة لإحضار هذه الثياب من منزل عيساو خاصة أنه كان قد اعتاد على وضع هذه الثياب فى منزل والديه كما أن عيساو لم يكن يولى قدرًا كبيرًا من الاهتمام بالظهور على نحو لائق فكان يسير فى الشارع مرتديًا ملابس رثة غير أنه كان يرى أنه من الضرورى أن يظهر على نحو لائق عند لقاء والده فكان عيساو يذكر دائمًا : أرى أن والدى ملك ولايعقل أن ألقاه إلا فى مظهر ملكى . وكان يظهر كل الاحترام لوالده .

واتجهت ريبيكا مع يعقوب حتى باب غرفة إسحاق وودعته قائلة : فليساعدك الرب فيما بعد[٩٠] . ودخل يعقوب على إسحاق قائلاً : والدى . فأجابه : ها أنا ذا من أنت ياولدى ؟ فأجاب مترددًا : إنه أنا ولدك البكر عيساو . وكان قد سعى فى إجابته إلى تجنب الخداع وألا يشى فى الحين ذاته أنه يعقوب[٩١] . فقال إسحاق : إنك شديد العجل لضمان الحصول على بركتك . لقد بورك إبراهيم حينما كان يبلغ من العمر خمسة وسبعين عامًا وأنت لا تبلغ من العمر سوى ثلاثة وستين عامًا . فأجاب يعقوب على نحو متسرع : لأن الرب إلهك وهبنى السرعة . وأدرك إسحاق عندئذ وفى الحال أن من يحدثه ليس عيساو لأنه لم يكن يذكر الرب فى حديثه فقرر أن يلامس الولد الواقف أمامه للتأكد ممن يحدثه ، وتملك الرعب يعقوب عند قول إسحاق : هلم اقترب حتى أشعر بك ولدى . وغطى عرق بارد جسده وذاب قلبه بداخله فأمر الرب الملاكين الكبيرين

ميخائيل وجبريل بالهبوط فأحاط أحدهما بيمينه والآخر بيساره فى حين أن الرب دعم بنفسه يعقوب حتى لا تخذله شجاعته، وحينما تحسسه إسحاق ووجد يديه مشعرتين قال : إن الصوت صوت يعقوب غير أن اليدين يدا عيساو . وانطوت هذه الكلمات على نبوءة مفادها أن صوت يعقوب سيتردد فى المعابد وأماكن الدراسة غير أن أيدى عيساو لن يمكنها المساس به ، وواصل إسحاق حديثه : ها هو صوت يعقوب الذى تحل معه وبه السكينة على الأرض والسموات بل إن الملائكة لا تستطيع أن ترفع ابتهالاتها إلى الرب حتى ينتهى إسرائيل من صلواته .

ولم تتبدد آنذاك شكوك إسحاق بشأن مباركة ابنه إذ رأى بنبوء ته أنه سيكون لإسحاق نسل مشاكس للرب ، وقد تكشف له فى الحين ذاته أن المخطئين فى إسرائيل سيتوبوا عن خطاياهم ومن ثم كان إسحاق مستعدا لمباركة يعقوب فأمره بالاقتراب منه لتقبيله مشيرا إلى أن يعقوب سيكون آخر من يقبل إسحاق قبل أن يواريه التراب ، وحينما وقف يعقوب بجواره أتاه شذا الجنة فهتف إسحاق : إن عطر ولدى كعطر الحقل الذى باركه الرب[٩٢] .

ولم يكن العطر النابع من يعقوب والصادر عنه بالشيء الوحيد المستوحى من الجنة فقد أحضر كبير الملائكة ميخائيل النبيذ الذى أعطاه يعقوب إلى والده لتناوله[٩٣] حتى تكون حالته النفسية صافية خاصة أن الحضرة الالهية لا تحل إلا على من يكون مبتهجًا[٩٤] . وامتلأ إسحاق بروح القدس فمنح يعقوب بركاته العشر . ليهبك الرب ندى السماء . الندى السماوى الذى سيوقظ به الرب الأتقياء فى العالم الآخر و دهن الأرض الذى هو خير العالم والكثير من الذرة والنبيذ وهى التوراة والوصايا التى تهب الانسان البهجة التى يشعر بها عند جنى محصول وفير[٩٥] و " لتخدمك الشعوب" وهم نسل يافث وحام و " لتخضع لك الأمم " وهى الأمم السامية و " ستصبح سيدًا على إخوانك " وهم بنو إسماعيل ونسل قطورة ، و " سيخضع أبناء أمك لك " وهم عيساو وأمراؤه ، و " سيكون ملعونًا كل من يلعنك " مثل بلعام و " ليتبارك كل من يباركك " مثل موسى[٩٦] .

وكما منح إسحاق هذه البركات على يعقوب فقد باركه الرب بالكلمات نفسها . وكما بارك إسحاق يعقوب بندى السماء فقد باركه الرب أيضًا بقوله : سيعيش نسل

يعقوب بين شعوب كثيرة مثل ندى الرب . وكما بارك إسحاق يعقوب : بدهن الأرض فقد باركه الرب بقوله : سيهب الرب ماء لنسلك وستبذر حب الأرض وسيثمر زرعك ، وكما بارك إسحاق يعقوب بكثير من الذرة والنبيذ فقد باركه الرب : سأهبك ذرة ونبيذًا وكما باركه إسحاق بأن الشعوب ستخدمه فقد باركه الرب بقوله : إن الملوك والملكات سيعملون فى خدمتك وسيسجدون لك وسيلعقون تراب قدميك . وكما قال إسحاق ستسجد لك كل الأمم قال الرب فى المقابل : سأجعلك أعلى وأسمى من كل الأمم فى الشرق .

وأضافت ريبيكا إلى كل هذه الدعوات دعوتها قائلة : فلتحفظك ملائكة الرب فى كل طرقك التى تسلكها ، ولترعك الملائكة خشية أن تزل أو أن تضل وستسحق قدمك أشبال الأسود والثعابين . وقال الروح القدس فى المقابل : سيدعونى وأجيبه . سأكون معه فى المحن وسأخلصه وأوقره وسأهبه حياة طويلة وسأظهر له خلاصى[٩٧] .

وغادر يعقوب حضرة والده مثل العريس ومزينًا كالعروس ، وكان قد استحم بالندى السماوى الذى ملأ عظامه بالجواهر وجعله بطلاً وعملاقًا[٩٨] . وقد وقعت فى اللحظة ذاتها معجزة لم يدر بها يعقوب فلو كان تلكأ فى جلسته مع والده لكان عيساو قد لاقاه وقتله بالتأكيد . وكان يعقوب قد لاحظ فى اللحظة التى غادر فيها خيمة والده حاملاً الصحون التى تناول إسحاق منها طعامه أن عيساو يقترب من الخيمة فتخفى يعقوب خلف باب الخيمة . وكان من حسن الطالع أن هذا الباب كان مستديرًا ومن ثم كان يمكنه مشاهدة عيساو دون أن يُرى .

تكشف شخصية عيساو الحقيقية

وكان عيساو قد وصل متأخرًا أربع ساعات[٩٩] ورغم كافة الجهود التى بذلها فى القنص فقد باءت كل جهوده بالفشل مما اضطره لقتل كلب وتقديم لحمه فى وجبة لوالده[١٠٠] ، ومن هنا أصبح عيساو سيئ المزاج . وحينما أمر والده بتناول الطعام فقد بدت دعوته قاسية بعض الشىء فقال عيساو : انهض والدى وتناول لحم الغزال الذى أحضره ولدك . أما يعقوب فقد تحدث بشكل مختلف فقال : أرجوك انهض واجلس

لتتناول لحم الغزال . وبثت كلمات عيساو الرعب فى نفس إسحاق بل وتجاوز خوفه ذلك الخوف الذى تملكه حينما كان والده يعتزم تقديمه أضحية على المحرقة فصرخ متسائلاً : من ذا الذى يتوسط بينى وبين الرب حتى تصل البركة إلى يعقوب ؟ ، وكانت هذه الكلمات تنطوى على تشكك إسحاق فى أن ريبيكا هى التى حرضت يعقوب على الحصول على البركة .

ولم يتنبه إسحاق إلا بعد أن رأى الجحيم عند قدمى عيساو فحينما دخل المنزل ازدادت حرارة جدران المنزل لاقترابها من الجحيم الذى جلبه عيساو معه فصرخ إسحاق : تُرى من سيُحرق أنا أم ولدى يعقوب ؟ فأجابه الرب : لن تُحرق أنت أو ابنك وإنما القناص .

وأخبر إسحاق عيساو أن للحم الذى وضعه يعقوب أمامه خواصٌ فريدة وأنه يتضمن كل النكهات بل يتضمن مذاق الطعام الذى سيهبه الرب للصديقين فى العالم الآخر . وقال إسحاق : لا أعرف ما اللحم فحينما كنت أتناول الخبز كان مذاقه كمذاق لحم الحيوانات وكل مذاق يتشهاه المرء . وحينما سمع عيساو كلمة لحم بدأ فى النحيب قائلاً : لم يعطنى يعقوب سوى طبق من العدس وأخذ فى مقابله حقى فى الميلاد . فأحس إسحاق بحزن عظيم لإعطائه البركة إلى الابن الأصغر بدلاً من ابنه البكر الذى كان يحق له الحصول على البركة بموجب العرف والقانون غير أنه حينما سمع أن يعقوب حصل على حق الميلاد من عيساو قال : أعطيت بركتى للشخص الصحيح .

وكان إسحاق قد فكر خلال غضبه فى صب لعنته على يعقوب لأنه أخذ البركة منه على نحو مخادع غير أن الرب منعه من تنفيذ خطته فذكره الرب بأنه إذا لعن يعقوب فإنه سيكون كمن يلعن نفسه خاصة أنه كان قد باركه بقوله : ملعون من يلعنك. غير أن إسحاق لم يكن مستعدا للاعتراف بصلاحية بركته ليعقوب حتى يعلم أن ابنه الثانى امتلك بالفعل حق الميلاد فقال عندئذ : إنه سيُبارك . ولذلك فقد صرخ عيساو صرخة مدوية . ونظراً لأن يعقوب كان سبب هذا الحزن فقد كُتب على موردخاى بن يعقوب وعلى نحو العقاب أن يصرخ صرخة مدوية أيضًا وكان حزنه ناجمًا عن هامان الذى من نسل عيساو . وحينما أخبر إسحاق عيساو : إن أخاك أُوتى الحكمة وأخذ البركة بصق عيساو مغتاظًا وقال : لقد نهب حقى فى الميلاد والتزمت الصمت والآن يأخذ البركة فهل يجب أن ألتزم الصمت[١٠١] ؟ إنه يدعى حقا يعقوب وهم اسم على مسمى لأنه عاقبنى مرتين[١٠٢] .

وواصل إسحاق حديثه إلى عيساو قائلاً : انظر لقد جعلت إسحاق سيداً لك وافعل ما شئت ، إن بركتك ستظل خاصة به . وسيصبح كل إخوته عبيداً له ، وكل ما يملكه العبد ينتمي إلى سيده ، ولابد أن ترضى بحصولك على خبزك من سيدك . واستاء الرب من إسحاق لأنه حدث عيساو بكلمات رقيقة فوبخ إسحاق قائلاً : إنه خائن . فذكر إسحاق : ألا يعمل الصدق حينما يبجل والديه . الرب : إنه سيسيء التصرف فى بلد الصدق فسيتطاول فى الأيام القادمة على الهيكل . إسحاق : إذاً دعه يتمتع بالخير فى هذا العالم حتى لا يرى المكان الدائم للرب فى العالم القادم(١٠٣) .

وحينما اتضح لعيساو أنه لم يعد بمقدوره إقناع والده بإلغاء البركة التى وهبها إلى يعقوب فقد سعى إلى الحصول على هذه البركة عبر الحيلة فذكر لوالده : ألا توجد لديك سوى بركة واحدة فقط ؟ ولتباركني أيضًا وإلا فسيُقال إنه ليس لديك سوى بركة واحدة فقط . ولتفترض أنى كنت تقيا مثل يعقوب فهل كان سيبخل الرب بمنحى البركة أيضًا ؟ فأجاب الرب : الصمت ! إن يعقوب سيبارك الأسباط الاثنى عشر ، وستكون كل بركة مختلفة عن الأخرى . غير أن إسحاق أحس بالشفقة على ولده الأكبر وأراد أن يباركه غير أن الحضرة الإلهية تدخلت ومن ثم لم يتمكن إسحاق من تنفيذ ما ابتغاه . وبدأ عيساو فى النحيب فذرف ثلاث دمعات سقطت الأولى من عينه اليمنى والأخرى من عينه اليسرى غير أن الدمعة الثالثة ظلت على رموشه فقال الرب : هذا النذل يبكى من أجل حياته وهل يجب أن أتركه يذهب خالى الوفاض ؟ فأمر إسحاق بمباركة ابنه الأكبر(١٠٤) .

وباركه إسحاق بقوله : اهتم بدهن الأرض الذى ستحيا عليها – وكان يقصد بهذا اليونان – واهتم بندى السماوات – وكان يقصد بهذا الرجال الأقوياء – واهتم بسيفك الذى ستحيا به واستخدم أخاك. وحينما يحاول التهرب من عبء الرب فإنك ستصبح سيده(١٠٥) .

ولم تكن البركة التى وهبها إسحاق إلى ابنه الأكبر مشروطة فكان مقدراً على عيساو سواء أكان يستحق هذه البركات أم لا التمتع بخيرات هذا العالم ، أما البركة التى حصل عليها يعقوب فقد كانت نتاجًا لأعماله الخيرة التى كان يحق له من خلالها التمتع بالنعيم الأرضى ، وكان من بين الأفكار التى جالت بخاطر إسحاق أن يعقوب

تقى وأنه لن يتمرد على الرب ومع هذا فسيقدر عليه العناء ، أما هذا الفاسد عيساو فإنه إذا فعل خيراً أو صلى للرب ولم يُستجب له فإنه سيقول : من العبث أن أصلى للرب. ولهذا فقد وهب إسحاق عيساو بركة غير مشروطة(١٠٦) .

يعقوب يغادر منزل أبيه

وقد اشتدت كراهية عيساو ليعقوب لحصوله على بركة أبيه ، وكان يعقوب خائفاً للغاية من أخيه عيساو ففر إلى منزل " أيبر" بن سام حيث اختفى فى منزله أربعة عشر عامًا ، وواصل فى هذا المنزل دراسة طرق الرب وأوامره ، وحينما رأى عيساو أن يعقوب فر وهرب بعد أن حصل على بركة أبيه بالحيلة والخداع اشتد حزنه وظل يثير الشغب فى منزل والده ووالدته ونهض وأخذ زوجته وارتحل بعيداً عن والده ووالدته إلى أرض سعير التى اقترن فيها بزوجته الثانية " باسيمات " بنت إيلون الحيثى ودعاها "عيداه" قائلاً إن البركة لم تعد له ، وبعد أن سكن سعير ستة شهور عاد إلى أرض كنعان وجعل زوجتيه تقيمان فى منزل والده بالخليل ، ولم تتوقف زوجتا عيساو عن الشجار وأثارتا بأعمالهما غضب إسحاق وريبيكا لأنهما لم تتبعا تعاليم الرب ولم تخدما سوى آلهة آبائهما من الخشب والحجارة ولقد كانتا أكثر مكراً من آبائهما ، ولقد اعتادتا تقديم الأضاحى وحرق البخور إلى آلهة بعل مما أثار ضجر إسحاق وريبيكا منهما ، ومع مضى أربعة عشر عاماً على إقامة يعقوب فى منزل " أيبر" فقد اشتاق يعقوب لرؤية أبيه وأمه فعاد إلى منزله ، وكان عيساو قد نسى خلال هذه الأيام ما فعله يعقوب معه واستيلائه على بركته ، غير أنه حينما رآه عائداً إلى والديه تذكر ما فعله يعقوب فاشتعلت نيران الكراهية فى قلبه وسعى لقتله(١٠٧) .

غير أن عيساو لم يكن بمقدوره قتل يعقوب طالما أن والده حى خشية أن ينجب إسحاق ولداً آخر ، وكان يبتغى التأكد من أنه الوريث الوحيد(١٠٨) وعلى أية حال فقد كانت كراهية عيساو ليعقوب شديدة فقرر أن يسرع بقتل والده وأن يقتل يعقوب فيما بعد ، وكانت نوايا القتل تعتمل فى قلب عيساو غير أنه كان ينكر اعتمالها فى ذهنه ، ولكن الرب قال : ربما لا تعرف أن الرب يمتحن قلوب البشر لأنى أنا الرب العالم بالقلب .

ولم يطلع على نوايا عيساو الرب فقط إذ كانت ريبيكا مثل كل الأمهات نبية ومن هنا لم تتوان فى تحذير يعقوب من الخطر الذى يتربص به فقالت له : إن أخاك واثق من إنجاز مهمته كما لو كنت لقيت مصرعك بالفعل ، ولهذا أطع صوتى ولدى واهرب إلى أخيك لابان فى حاران وابق لديه سبع سنوات حتى ينقضى غضب أخيك . ولم يسع ريبيكا لنقاء قلبها وصفاء سريرتها سوى أن تؤمن أن غضب عيساو لا يعدو عن كونه غضباً عابراً غير أنها أخطأت فيما تصورت إذ إن كراهيته استمرت حتى وفاته(١٠٩) .

ولم يفر يعقوب من الخطر لشجاعته فقال لوالدته : لست خائفًا ، وإذا كان يبتغى قتلى سأقتله . فأجابته : لا تدعنى أُثكل فى ولدى فى يوم واحد(١١٠) . وأظهرت ريبيكا بهذه الكلمات مرة أخرى أنها تحمل سمات النبوة إذ إن عيساو قُتل فى اليوم الذى دُفن فيه يعقوب(١١١) .

وقال يعقوب لريبيكا: إنك تعلمين أن والدى أصبح كهلاً وإنك لا ترين ، وإذا غادرته وارتحلت فإنه سيغضب ويلعننى ، ولن أذهب إلا إذا طلب منى والدى الرحيل(١١٢) .

وتوجهت ريبيكا بالتالى إلى إسحاق وحدثته من بين دموعها قائلة : إذا اقترن ولدى يعقوب بإحدى بنات الحيثيين فأى شىء سأجنيه(١١٣) ؟ فدعا إسحاق يعقوب وقال له : إنك لن تتزوج من بنات الكنعانيين فهكذا أمرنا والدنا إبراهيم بموجب أمر الرب فأمره الرب بقوله : لنسلك سأعطى الأرض ، وإذا حافظ أبناؤك على عهدى الذى أقمته معك فإنى سأنفذ عهدى معك ولن أتخلى عنهم . ولهذا أنصت ولدى إلى كلماتى وإلى كل ما أمرك به وتجنب الزواج من بنات الكنعانيين . انهض وتوجه إلى منزل بيثول والد والدتك فى حاران واقترن بإحدى بنات لابان أخ والدتك ، ولا تنس الرب إلهك وكل طرقه فى الأرض التى ستذهب إليها ، ولا تنغمس مع سكان الأرض التى ستقيم فيها وتتخلى عن الرب إلهك ، وحينما تصل إلى الأرض التى تتجه إليها فاعبد الرب بها ولا تحيد يمنة أو يسرة عن الطريق الذى أمرتك بالسير عليه والذى تعلمته ، وليمنحك الرب الحب والرضا فى أعين من ستقيم فيما بينهم ولتأخذ الزوجة التى ترتضيها هناك ولتكن خيرة ومتبعة لتعاليم الرب ، وليمنحك الرب أنت ونسلك البركة التى وهبها إلى إبراهيم وليكثر نسلك فى أى أرض تحل بها وليجعلك الرب تعود سالمًا إلى الأرض التى يقطنها والدك ولتعود مع أبناء وثروات وسعادة ومتعة(١١٤) .

وكانت هذه الكلمات التى حدث بها إسحاق يعقوب وخاصة الأخيرة منها خير دليل على صحة البركة التى وهبها إلى يعقوب(١١٥) . وحتى لا يذكر أحد أن يعقوب حصل على هذه البركة عن طريق الحيلة والخداع فقد وهبه إسحاق ثلاث بركات أخر بقوله : طالما أنى أملك القدرة على مباركتك فإنى أباركك بقولى ياليت الرب يمنحك بركته الأبدية وليمنحك البركة التى ابتغى إبراهيم أن يهبنى إياها التى لم تنقطع إلا من أجل ألا يثير حنق إسماعيل وغيرته(١١٦) .

وحينما رأى إسحاق ببصيرة النبوة أن نسل إسحاق سيجبر ذات حين على الرحيل إلى المنفى فقد ابتهل إسحاق إلى الرب بإعادة المنفيين فقال : سيبتليكم الرب بست مصائب غير أنه لن يمسكم أى سوء عند تعرضكم إلى المشكلة السابعة . وابتهلت ريبيكا إلى الرب باسم يعقوب قائلة : لا تفلح مخططات عيساو ضد يعقوب ولتحبط كل ما يعتزم القيام به(١١٧) .

وحينما لاحظ عيساو أن حب أبيه انتقل إلى يعقوب فقد توجه إلى إسماعيل وخاطبه بقوله " كما أعطى والدك كل ما يملك إلى أخيك إسحاق وتركك خاوى الوفاض فإن والدى يعتزم القيام بالأمر نفسه معى . استعد إذاً واذهب لقتل أخيك وسأقتل أخى ثم سنقتسم كل العالم فيما بيننا . فأجاب إسماعيل : لماذا تبتغى قيامى بقتل والدك ؟ فيمكنك القيام بهذه المهمة بمفردك ، فأجابه عيساو : حدث فيما مضى أن إنساناً قتل أخاه كما قتل قابيل هابيل لكن لم يحدث أن قام ابن بقتل والده .

ولم يتراجع عيساو حقا عن قتل أبيه فحدث نفسه قائلاً : إذا قتل إسماعيل والدى سيصبح لى حق الثأر منه وسأقتل إسماعيل ثأراً لوالدى ، وإذا قتلت يعقوب أيضاً سيصبح كل شىء ملكى وسأصبح الوريث الوحيد لوالدى وعمى(١١٨) . ويظهر هذا الأمر أن زواج عيساو من "ماهالاث" بنت إسماعيل وحفيدة إبراهيم كان مرتبطاً برغبته فى إقامة علاقات ودية مع إسماعيل حتى يمكنه فيما بعد تنفيذ مخططاته الشيطانية(١١٩) .

غير أن عيساو تفكر فى هذا الأمر دون أن يستشير أحداً ، وكان إسماعيل قد توفى عشية زواج عيساو من " ماهالاث " ، وتولى " نيبايوث " بن إسماعيل مقاليد الأمور وزف أخته إلى عيساو(١٢٠) . ومن الواضح أنه حينما فكر عيساو فى الاقتران

بحفيدة إبراهيم لم يكن معنيا فى تفكيره هذا بإسعاد والديه خاصة أنه كان قد احتفظ بزوجتيه الكنعانيتين ، وسارت بنت إسماعيل على هدى زوجتى عيساو ومن ثم فقد أسهمت فى إثارة غضب والدى عيساو من زوجاته(١٢١) . وكان من الممكن أن يصبح زواج عيساو من حفيدة إبراهيم فرصة له لتعديل كافة سلوكياته المنحرفة خاصة أن ' ارء تغفر كافة ذنوبه السابقة عند زواجه(١٢٢) .

وحينما ترك يعقوب منزل والده انتحبت ريبيكا حزنًا على فراقه غير أن إسحاق واساها قائلاً : " لا تبك على يعقوب فقد رحل فى سلام وسيعود سالمًا ، وسيحميه الرب فى علاه من كل الشرور وسيكون معه ، ولن يتخلى عنه طيلة حياته ، ولا تخافى عليه لأنه يسير على الصراط المستقيم ، إنه إنسان كامل ويؤمن بالرب ومن هنا فلن يفنى(١٢٣) .

مطاردة إليفاز وعيساو ليعقوب

وحينما ذهب يعقوب إلى حاران استدعى عيساو ولده إليفاز وحدثه سرا قائلاً : أسرع الآن واحمل سيفك وتعقب يعقوب وامض أمامه فى الطريق وتربص له واقتله بسيفك على أحد الجبال وخذ كل أمتعته وعد . وكان إليفاز بارعًا وخبيراً فى استخدام القوس كما علمه والده كما كان يجيد القنص وكان وغداً . وفعل إليفاز الذى كان يبلغ آنذاك ثلاثة عشر عامًا ما أمره به والده ونهض واصطحب معه عشرة من إخوة والدته وتعقب يعقوب ، وشاهده عن بعد من مكمن اتخذه على حدود كنعان فى مواجهة مدينة نابلس، وشاهد يعقوب إليفاز ورجاله يتعقبونه فثبت فى مكانه لمعرفة حقيقة سيرهم خلفه فلم يفهم غرضهم ، واستل إليفاز سيفه وتقدم هو ورجاله صوب يعقوب فسألهم يعقوب : إلى أين تتجهون ومن تتعقبونه بسيوفكم ؟ فاقترب إليفاز إليه وأجابه : أمرنى والدى ولن أحيد عن تنفيذ أوامره . وحينما أدرك يعقوب أن عيساو كلف ولده إليفاز بتنفيذ الأمر على وجه السرعة دعا إليفاز ورجاله قائلاً : انظروا كل ما أملك وكل ما أعطاه والدى إلى وخذوا كل ما لدى وارحلوا ولا تقتلونى . وجعل الرب إليفاز ورجاله يشعرون بالرضا تجاه يعقوب فاستمعوا إلى ما قاله يعقوب ولم يقتلوه غير أنهم أخذوا كل ما كان معه من الذهب والفضة الذى كان قد اشتراه من بئر سبع . وتركوه خاوى الوفاض ،

وحينما عاد إليفاز ورجاله إلى عيساو وأخبروه بما حدث مع يعقوب غضب من إليفاز ورجاله لأنهم لم يقتلوا يعقوب ، فأجابوا عيساو قائلين : إن يعقوب تضرع إلينا حتى لا نقتله فأشفقنا عليه وأخذنا كل ما كان معه ورجعنا . وأخذ عيساو كل الفضة والذهب التى استولى عليها إليفاز من يعقوب ، ووضعها فى منزله(١٢٤) .

ومع هذا لم يفقد عيساو الأمل فى اعتراض طريق يعقوب خلال سفره وقتله فطارده واحتل مع رجاله الطريق الذى كان على يعقوب أن يسلكه فى طريقه إلى حاران، وحدثت فى تلك اللحظة معجزة ليعقوب ، فحينما أدرك حقيقة نوايا عيساو اتجه صوب نهر الأردن ورفع بصره إلى الرب وشق مياه النهر بعصاه ، ونجح فى عبور النهر غير أن عيساو لم يتوقف عن سعيه وواصل مطاردة يعقوب ووصل إلى المياه الحارة فى "باروس" قبل أخيه الذى كان عليه أن يعبر هذه المنطقة ، ولم يكن يعقوب يعلم أن أخاه عيساو يشاهده ويتربص به فقرر أن يستحم فى هذه المياه قائلاً : ليس لدى خبز أو أية أشياء أحتاجها فلأستحم فى مياه البئر ليدفأ جسدى . وبينما كان يعقوب فى البئر سد عيساو كل مخرج للبئر ولذلك كان يعقوب سيلقى حتفه غرقًا لولا أن الرب جعل معجزة تحدث إذ تشكل بالبئر مخرج هرب منه يعقوب وهكذا تحققت كلمات الرب "حينما تمضى بالماء سأكون معك وحينما تسير بالنار فلن تحترق" ، وهكذا أُنقذ يعقوب من مياه نهر الأردن ومن نيران البئر الحارة .

وكان من بين ما حدث فى الوقت نفسه أن أحد الفرسان نزل عن جواده وخلع ملابسه على ساحل النهر وسار فى مياهه غير أن أمواجه أغرقته فلقى حتفه ، وارتدى يعقوب ملابس المتوفى خاصة أن إليفاز كان قد جرده من كل شىء حتى من ملابسه ولم يكن يعقل أن يظهر يعقوب عاريًا أمام قومه(١٢٥) .

وبالرغم من أن يعقوب كان قد تم تجريده من كل ما يملك فإن شجاعته لم تخذله فقال : أيمكن أن أفقد الأمل فى خالقى ؟ إنى أعتمد على الخصال الطيبة لآبائى ، وسيساعدنى الرب من أجلهم . فقال الرب : يعقوب إنك تضع ثقتك فى مزايا وفضائل آبائك ومن هنا لن أجعل قدمك تزل ، إن من يحفظك لا يغفل ولتنعم بالهدوء ، وإذا كان أى حارس يقوم بالحراسة فى النهار وينام الليل فإنى سأحرسك بالنهار والليل ، فإن من يرعى إسرائيل لا يغفل ولا ينام ، وسيحفظك الرب من كل شر ومن عيساو ولابان ،

وسيحفظ روحك فلن يمسّك ملاك الموت بشر ، وسيرعاك فى الدخول والخروج وسيحفظك عند دخولك كنعان وعند خروجك منها(١٢٦) .

وكان يعقوب يكره الخروج من الأرض المقدسة دون الحصول على موافقة الرب فحدثته نفسه قائلة : أمرنى والدى بالذهاب والرحيل عن الأرض ولكن من يعلم إذا ما كانت هذه هى رغبة الرب كما يقولون وهل سأنجب أطفالى خارج الأرض المقدسة(١٢٧) ؟ وتوجه بالتالى إلى منطقة بئر سبع حيث كان الرب قد منح إسحاق فيها حق الخروج من كنعان والتوجه إلى فلسطين ، وتوجه إليها ليتعرف على رغبة الرب .

ولم يتبع يعقوب طريق والده وجده فى الاعتماد على " أبيميلك " خشية أن يجبره الملك على الدخول فى عهد معه ويجعل من المستحيل على نسله ولأجيال طوال السيطرة على أرض فلسطين . ولم يمكنه أيضًا البقاء بالمنزل خشية أن يستولى عيساو منه على حق الميلاد ولم يكن يمكنه التسليم بهذا الأمر(١٢٨) ، ولم يكن مقتنعًا إلى هذا الحد بالدخول فى صراع مع عيساو خاصة أنه كان يدرك مدى صدق الحكمة القائلة : إن من يدخل إلى ساحة الخطر يتعرض للهزيمة ، أما من يتجنب الخطر فإنه يهزمه . وكان إبراهيم وإسحاق قد اتبعا هذه الحكمة فقد فر جد يعقوب من نمرود كما فر إسحاق من الفلسطينيين(١٢٩) .

يوم المعجزات

وكانت رحلة يعقوب إلى حاران حافلة بالمعجزات ، وقد حدثت أولى المعجزات الخمس التى وقعت من أجله فى الوقت الذى كان يعبر فيه جبل " موريا " إذ غربت الشمس فى ذلك الحين أى فى عز الظهيرة ، وكان يعقوب يهتدى فى طريقه ببئر المياه الذى كان يظهر أينما كان الآباء يذهبون أو يستقرون ، واصطحب هذا البئر يعقوب فى رحلته من بئر سبع حتى جبل موريا ، هذه الرحلة التى استغرقت يومين . وحينما وصل إلى الجبل المقدس حدثه الرب قائلاً : يعقوب إن الخبز فى حافظتك كما أن بئر المياه أصبح قريبًا منك سيطفئ ظمأك ، وأصبح لديك الآن الطعام والشراب ويمكنك الآن

قضاء الليلة هاهنا . غير أن يعقوب أجابه : لماذا يتعين علينا أن أنام فى هذا الوقت غير المناسب ؟ غير أن يعقوب أدرك أن الشمس قاربت على المغيب فاستعد للنوم[١٣٠] وقد كان الغرض من هذا الأمر الإلهى ألا يمضى يعقوب بجوار موقع المعبد الذى سيُقام في المستقبل دون التوقف لديه ودون أن يقضى به ليلة واحدة . وابتغى الرب أيضاً أن يظهر ليعقوب وأن يُظهر له الصديقين فى المساء[١٣١] ، وقد أُنقذ يعقوب فى الحين ذاته من مطاردة عيساو الذى اضطر للتوقف عن المطاردة بسبب حلول الظلام[١٣٢] .

وأخذ يعقوب اثنى عشر حجراً من المذبح هذه الحجارة التى كان والده إسحاق قد وضعها مجتمعة وقال يعقوب : لقد كان الرب يبتغى إقامة اثنى عشر سبطاً غير أنهم ليسوا من نسل إبراهيم أو إسحاق ، وإذا اتحدت هذه الحجارة فى رابطة واحدة سيصبح مقدراً على أن أكون أبًا لهذه الأسباط . وحدثت فى هذه اللحظة المعجزة الثانية إذ اتحدت هذه الحجارة فيما بينها وأصبحت حجراً واحداً وضعه يعقوب تحت رأسه بل وأصبح هذا الحجر ناعماً مثل الوسادة ، وكان يعقوب فى حاجة ماسة بالفعل إلى الراحة فكانت هذه هى الليلة الأولى التى لم يتخذ فيها حذره منذ أربعة عشر عاماً . وقد قضى يعقوب كل الليالى التى قضاها فى منزل أيبر فى الدراسة ، كما قضى السنوات العشرين التالية التى قضاها فى منزل لابان دون أن يغمض له جفن إذ قضى طيلة تلك الليالى فى ترتيل المزامير[١٣٣] ، وكانت هذه الليلة حافلة بالمعجزات فحلم حلماً تراءى له فيه كل تاريخ البشرية فرأى فى حلمه سلماً يرتفع من الأرض إلى السماء وشاهد على هذا السلم الملاكين اللذين أُرسلا إلى سدوم ، وقد نُفى هذان الملاكان طيلة مائة وثمانية وثلاثين عاماً عن البقاع السماوية لأنهما أفشيا سر مهمتهما إلى لوط ، وقد رافق هذان الملاكان يعقوب فى رحلته من منزل أبيه إلى البقعة التى وصل إليها وأخذا فيما بعد طريقهما صوب السماء ، وحينما وصلا إلى السماء سمعهما يعقوب يحدثان سائر الملائكة بقولهما : هلموا وشاهدوا هدوء الصديق يعقوب الذى يتراءى مظهره الخارجى على العرش الإلهى الذى تتوقون لرؤيته . ثم شاهد الملائكة تهبط من السموات لتمعن النظر إليه[١٣٤] . وشاهد أيضاً ملائكة الممالك الأربع يصعدون السلم فصعد ملاك بابل سبعين درجة وصعد ملاك ميديا اثنتين وخمسين ، وملاك اليونان مائة

وثمانين ووصل ملاك أدوم إلى درجة بالغة العلو فقال : سأصعد فوق السحب وسأصبح مثل العالى القدير ، وسمع يعقوب صوتًا محتجا قائلاً : ستصبح أسفل السافلين . ووبخ الرب أدوم قائلاً : بالرغم من أنك ترتفع كالصقر وبالرغم من أن النجوم سكناك فسأجعلك فى أسفل السافلين(١٣٥) .

وأظهر الرب ليعقوب أيضًا الوحى على جبل سيناء وصعود إيليا إلى السماء ، والهيكل فى لحظات شموخه وتعرضه للتلف ، ومحاولة نبوخذ نصر إحراق الأطفال الثلاثة المقدسين فى المحرقة ومواجهة دانيال مع بيل(١٣٦) .

وفى هذا الجزء النبوئى من حلم يعقوب(١٣٧) وعده الرب بإعطائه الأرض التى يستلقى عليها ، وكانت هذه الأرض هى كل فلسطين ، وواصل الرب وعده بقوله : وسيصبح نسلك مثل تراب الأرض ، وكما أن الأرض تحتمل كل الأشياء فإن نسلك سيحتملون كافة شعوب الأرض. وكما أن الأرض يطؤها الجميع فإن نسلك سيكون مصيرهم كمصير الأرض عند ارتكابهم للخطايا إذ ستضطهدهم عندئذ كل شعوب الأرض(١٣٨) . وعلاوة على هذا فقد وعد الرب يعقوب بالانتشار فى الشرق والغرب هذا الوعد الذى لم يقدم إلى إبراهيم أو إسحاق اللذين وُعدا بمساحة محدودة من الأرض ، أما نصيب يعقوب من الملك فلم يكن محدودًا(١٣٩) .

ونهض يعقوب من هذا الحلم العجيب فزعًا لما رآه فى الحلم من دمار للهيكل(١٤٠) . فصرخ : ليس هذا المكان سوى بيت الرب الذى توجد به بوابة السماء التى تصعد منها إليه الصلاة ، وأخذ الحجر المصنوع من اثنى عشر حجرًا وجعله عمودًا صب عليه زيتًا ، هذا الزيت الذى كان قد هبط من السموات وغرس الرب هذا الحجر الممسوح بالزيت فى أعماق الأرض ليصبح مركزًا للأرض ، وهذا الحجر مثله مثل "حجر السقى "(١٤١) الذى يشكل مركز الحرم الذى نقش عليه اسم الذات الإلهية التى يتملك من يعرفها القدرة على السيطرة على الطبيعة والحياة والموت(١٤٢) .

وسجد يعقوب أمام " حجر السقى " ودعا الرب لينفذ الوعد الذى وعده به ، ودعاه أن يهبه رزقًا كريمًا ، وأقسم يعقوب بأن يعطى عُشر كل ما يملك للرب إذا استجاب لدعائه ، ومن هنا كان يعقوب أول من أخذ عهدًا على نفسه(١٤٣) وأول من فصل العُشر عن دخله(١٤٤) .

ووعده الرب بكل ما يمكن أن يُبتغى غير أن يعقوب تخوف من أن يفقد البركة المعهودة إليه عبر الخطيئة(١٤٥) فابتهل إلى الرب بأن يعيده إلى منزل والده معافى فى جسده وأملاكه ومعرفته(١٤٦) ، وأن يحميه فى أى أرض غريبة ينزل بها من الأوثان والحياة غير الأخلاقية ، وسفك الدماء(١٤٧) .

وصلى يعقوب صلاته الأخيرة وهو فى طريقه إلى حاران وهنا حدثت المعجزة الثالثة إذ وصل فى لمح البصر إلى النقطة التى يبتغى الوصول إليها بعد أن قفزت الأرض من جبل " موريا " إلى حاران ، وقامت الأرض بمثل هذه المعجزة أربع مرات فقط على مدار التاريخ(١٤٨) .

وكانت البئر التى كان سكان المكان يستمدون منها المياه أول ما وقعت عيناه عليها عند وصوله إلى حاران ، وبالرغم من أن حاران كانت مدينة عظيمة إلا أنها عانت من قلة المياه ولذلك لم تكن مياه البئر متاحة للجميع ، وكان لدخول يعقوب إلى المدينة أثر فى تغيير الوضع فقد كان لخصاله الطيبة الفضل فى مباركة مياه الآبار ومن ثم أصبحت المياه تكفى جميع الاحتياجات .

وكان يعقوب قد شاهد عدة أفراد يقفون بجانب البئر فسألهم : إخوانى من أين أتيتم ؟ ويتضح هنا أنه من الواجب أن يخاطب المرء الآخرين كإخوة وأصدقاء وألا ينتظرهم يحيونه ، وأن يسعى لأن يكون أول من يلقى السلام والود على من يلقاه ، وحينما علم أن من ألقى عليهم السلام من حاران سألهم عن شخص وعمل خاله لابان وإذا ما كانوا أصدقاءه فأجابوه بإيجاز : هناك سلام فيما بيننا ولكن إذا كنت تبتغى معرفة المزيد فها هى راحيل بنت لابان ، ويمكنك أن تعرف منها كل ما تبتغى معرفته . وقد كانوا يعلمون أن النساء يحببن الثرثرة ولذلك أشاروا عليه بالتحدث إلى راحيل(١٤٩) .

وقد أحس يعقوب أنه قد يكون غريبًا بعض الشيء وقوف عدد من القوم بلا طائل بجوار البئر فسألهم : أتعملون هنا ؟ وإذا كان الأمر على هذا النحو فلماذا تهملون عملكم ؟ أما إذا كنتم ترعون غنمكم فلماذا لا تروون ظمأ الغنم وتطعمونها(١٥٠) ؟ فأجابوه أنهم فى انتظار إحضار الرعاة لغنمهم ، وقاموا برفع الحجر عن عين البئر ، وبينما كان يحدثهم أتت راحيل مع غنم والدها لأنه لم يكن لدى لابان أبناء ، وكان قطيع

الغنم قد تعرض إلى وباء ضرب معظم القطيع فلم يتبق منه الكثير ، ومن هنا كان يمكن لفتاة مثل راحيل رعايته . وحينما شاهد يعقوب بنت أخ والدته تقترب فقد رفع بسهولة الحجر عن عين البئر ، ورفعه كمن ينزع غطاء فلين من زجاجة ، وكانت هذه هى المعجزة الرابعة التى وقعت فى هذا اليوم المعجز ، وكانت قوة يعقوب تضاهى قوة كل الرعاة مجتمعين فقد أنجز بذراعيه ما كان يتطلب حشدا من البشر(١٥١) وكان الرب قد وهبه هذه القوة الخارقة عند خروجه من الأرض المقدسة فقد جعل الرب الندى الذى يوقظ الأتقياء من سباتهم يوم القيامة يتسلل بداخله ومن هنا كانت قوته البدنية خارقة بل وتمكن فى صراعه مع الملائكة من الانتصار عليهم(١٥٢) .

أما المعجزة الخامسة والأخيرة التى وقعت فى هذا اليوم فهى أن مياه البئر ارتفعت من الأعماق إلى القمة ، ولم تكن هناك حاجة إلى رفعها ، وقد ظلت المياه تغمر البئر طيلة السنوات العشرين التى أقام فيها يعقوب فى حاران(١٥٣) .

يعقوب مع لابان

وحينما أتت راحيل إلى البئر فى اللحظة التى وصل فيها يعقوب إلى حاران كانت هذه اللحظة لحظة مبشرة بالخير، ولاشك أن الالتقاء بفتيات صغار عند دخول المدينة يعد فالا حسنًا ويبشر بأن جهود المرء ستكلل بالنجاح ، ويتضح هذا من خلال التجارب التى مر بها كل من إليعازر ويعقوب وموسى وشاءول فقد التقوا جميعهم بفتيات صغار عند اقترابهم من أى مكان جديد عليهم ، ولقوا جميعهم النجاح(١٥٤) .

وحينما التقى يعقوب راحيل عاملها من الوهلة الأولى وكأنها قريبة له مما جعل الواقفين على البئر يتهامسون فيما بينهم ، وقد انتقدوا يعقوب لسلوكه تجاهها خاصة أن الرب قد أرسل الطوفان لمعاقبة البشر لسلوكياتهم غير الأخلاقية ، ومن هنا أصبحت العفة سمة من سمات أهل الشرق ، وكان للانتقادات التى تعرض لها يعقوب أضخم الأثر فى نفسه فانهمر دمعه مدرارًا ، وحينما قابل راحيل بدأ فى النحيب وتاب عما فعله .

وكان هناك ما يدعو حقا لنحيبه فقد تذكر يعقوب فى هذه اللحظات إليعازر الذى كان عبدًا لدى جده الذى كان قد أحضر عشرة جمال محملة بالهدايا معه إلى حاران

التى أتاها بحثًا عن عروس لإسحاق. وطافت هذه الذكرى بمخيلته حينما لم يكن بمقدوره اقتناء خاتم لراحيل. وعلاوة على هذا فقد رأى ببصيرة النبوءة أن زوجته الحبيبة لن ترقد بجواره فى القبر ، ولهذا بكى بشدة عند تفكره فى هذا الأمر .

وحينما سمعت راحيل أن يعقوب يمت لها بصلة قرابة أسرعت إلى منزلها لتحدث والدها عن مجيئه، ولم تكن والدتها على قيد الحياة آنذاك وإلا أسرعت لتخبرها ، وأسرع لابان لملاقاة يعقوب ، وكان لابان قد فكر فى أنه إذا كان إليعازر العبد قد أتى فى حينه بعشرة جمال محملة بالهدايا فما الذى سيأتى به يعقوب ؟ وحينما رأى يعقوب يقف بمفرده تصور أنه يضع أموالاً طائلة فى حزامه فأحاط بخصره للتأكد من ظنونه وحينما خابت ظنونه لم يفقد الأمل إذ تصور أن ابن أخيه يعقوب حمل مجوهرات وأنه أخفى الأحجار الكريمة فى فمه فقبله لابان للتأكد مما تصوره غير أن يعقوب فطن إلى ظنونه فقال : إنك تتصور أنى أحمل أموالاً طائلة غير أنك مخطئ فلا أحمل معى سوى بضع كلمات(١٥٥) . ثم واصل حديثه ليخبره كيف أنه أصبح خاوى الوفاض حيث قال : إن والده إسحاق بعثه فى إحدى المهام وزوده بالذهب والفضة والمال غير أن إليعازر تصدى له وهدده بالقتل ، فقال : اعلم أن نسل إبراهيم ملزم بالالتقاء ببعضه البعض وأنه سيخدم أربعمائة عامًا فى أرض ليست له ، وإذا قتلتنى فإن نسل عيساو سيدفع الدين ولذا فمن الأفضل أن تأخذ كل ما معى وأن تتركنى حيا وهاأنا أقف أمامك خاليًا من المجوهرات بعد أن سلبها منى إليعازر(١٥٦) .

وألقت هذه القصة الرعب فى نفس لابان فصرخ قائلاً : تُرى هل سأوفرالطعام والشراب لمدة شهر أم لعام لهذا الفتى الخاوى الوفاض ؟ وتوجه إلى الأصنام بمنزله ليسألها المشورة فنصحته قائلة : حذار أن تطرده من بيتك فنجمه وبرجه يبشران بأن الثروة ستكون من نصيبك وأن بركة الرب ستحل على كل ما تفعله سواء فى منزلك أو حقلك .

واطمأن لابان إلى نصيحة الأصنام غير أنه أحس بالحرج إزاء كيفية ضم يعقوب إلى منزله ، كما أنه لم يجرؤ على أن يقدم له أية خدمة خشية أن يكون من المستحيل الوفاء بمتطلبات يعقوب ، ولجأ مرة أخرى إلى أصنامه وسألها عن المكافأة التى من الممكن أن يقدمها إلى ابن أخيه فأجابته : إن الزوجة هى أجره ولن يسألك شيئًا سوى الحصول على زوجه . وحينما يهددك بالرحيل عنك فلتهبه زوجة أخرى وعندئذ لن يرحل(١٥٧) .

ورجع لابان إلى يعقوب قائلاً : حدثنى عن أجرك فأجاب : هل تتصور أنى أتيت بحثًا عن المال ؟ لم آت إلا بحثًا عن زوجة(١٥٨) . وكان يعقوب قد فُتن براحيل فور مشاهدتها وعرض عليها الزواج فوافقت لكنها قالت محذرةً : إن أبى مخادع ولست مثله . فقال يعقوب : إنى أخوه فى الخداع .

راحيل : وهل يعقل أن يضحى المخادع تقيا ؟

يعقوب : نعم يبدو الصدق على الصديق ويبدو الخداع على المخادع ولكن أخبرينى كيف يمكنه مخادعتى ؟

راحيل : لدى أخت أكبر منى ويبتغى تزويجها قبلى ، وسيحاول أن يقدمها لك بدلاً منى .

وحتى يستعدا لخداع لابان اتفق يعقوب وراحيل على علامة يتمكن يعقوب من خلالها على التعرف عليها فى ليلة الزفاف(١٥٩) وهكذا تم تنبيه يعقوب على أن يأخذ حذره من لابان . وأكمل يعقوب اتفاقه مع لابان على الزواج من راحيل ، وكان الاتفاق شديد الدقة فقال يعقوب : أعلم أن سكان هذا المكان مخادعون ولهذا أود أن أوضح لك أنى سأخدمك سبع سنوات من أجل راحيل وليس من أجل ليئة لأنى لن أتزوج سوى راحيل .

ولم يجد كل هذا ، فلا طائل من الحديث إلى وغد ، فاللين أو القوة لا يجديان فى التأثير على وغد ، ومن هنا لم يخدع لابان يعقوب فحسب وإنما خدع الضيوف الذين حضروا الزفاف .

زواج يعقوب

وبعد أن خدم يعقوب لابان سبع سنوات قال لخاله : لقد كتب الرب على أن أكون أبًا لاثنى عشر سبطًا ، وبلغت من العمر اثنين وسبعين عامًا ، وإذا لم أهتم بهذا الأمر الآن فمتى أهتم به(١٦٠) ؟ ولهذا وافق لابان على أن تكون راحيل بنته زوجة له ، وهكذا تزوج يعقوب بعد مضى أربعة وأربعين عامًا على زواج عيساو . ويؤجل الرب فى أغلب

الأحوال سعادة التقى فى حين أنه يدع الشرير يسعد سريعاً بتحقيق رغباته(١٦١) وحينما تزوج عيساو وهو فى الأربعين من عمره كان يبتغى أن يوضح للجميع أنه يسير على هدى والده الذى كان قد تزوج بعد أن بلغ الأربعين ، وكان عيساو كالخنزير الذى يمد قدميه أينما حل لإظهار أن قدميه مشقوقتان كالحيوانات الطاهرة هذا بالرغم من أنه من الحيوانات الدنسة ، وكان عيساو يعتدى قبل بلوغ الأربعين على زوجات الآخرين ، وظل يمارس هذا السلوك بعد زواجه بالرغم من أنه كان يحاول الظهور فى صورة من يحاكى سلوك والده التقى ، وبالتالى فقد كانت " يهوديت " بنت الحيثيين التى اقترن بها تسلك السلوك نفسه خاصة أن الرب كان قد قال : إن من قُدر له أن يكون كعصف الأرض الذى تحرقه النيران يتزوج امرأة من نسل قوم يتعرضون للإبادة . وقد أوضح عيساو وزوجه حقيقة العبارة القائلة : إن الغراب لا يشبه الديك عبثًا إذ إنهما من الريش(١٦٢) .

أما يعقوب فقد كان مختلفًا إذ تزوج ليئة وراحيل اللتين كانتا أختين شديدتى التقوى والحب ، وكانت ليئة شديدة الجمال والفتنة كأختها راحيل غير أن عيبها الوحيد هو أن بصرها كان ضعيفًا . وقد أثر هذا المرض سلبًا على شخصها وأضعفها ، وسنرى كيف نشأ هذا المرض .

وقد كان للابان بنتان وكان لربيبكا شقيقتها ولدان ، وكانا قد اتفقا فيما بينهما حينما كان أطفالهما صغاراً على أن يتزوج الابن الأكبر البنت الكبرى وأن يتزوج الأصغر الصغرى ، وحينما اكتملت أنوثة " ليئة " واستفسرت عمن ستقترن به حدثتها النجوم أنها ستتزوج شخصية شريرة فذرفت الدمع مدراراً حتى سقطت رموشها عن جفنيها . أما راحيل فكان جمالها يزداد فتنة يومًا تلو الآخر لأن الجميع كان يثنى على يعقوب .

ورغم الاتفاق بين لابان وربيبكا رفض يعقوب الزواج من البنت الكبرى ليئة ، ولو تزوج البنت المخصصة له لما كان عيساو قد سامح أخاه الأصغر يعقوب ، ولذلك قرر يعقوب الاقتران براحيل البنت الصغرى لعمه(١٦٣) .

أما لابان فقد قرر على نحو مختلف إذ قرر أن تتزوج بنته الكبرى قبل الصغرى فقد كان يعرف أن يعقوب سيوافق على خدمته مرة أخرى لسبع سنوات لحبه لراحيل .

وجمع فى يوم القران سكان حاران وخاطبهم بقوله : تعلمون جيداً أننا اعتدنا على المعاناة من شحة المياه غير أنها أصبحت متوفرة بكثرة فور أن أتى هذا الرجل التقى ليقيم بيننا ، فسألوا لابان : وماذا أنت فاعل ؟ فأجاب : إذا لم يكن لديكم أى اعتراض فإنى سأخدعه وأزوجه ليئة . إنه يحب راحيل حبا عظيماً ، وسيقيم من أجلها فيما بيننا سبع سنوات أخرى . فأجابه أصدقاؤه : افعل ما تشاء . فقال لابان : ليعدنى كل منكم بألا يخدعنى فى تحقيق هذا الهدف .

وبعد أن وعدوه بذلك تركوه بمفرده ، فتوجه لشراء نبيذ وزيت ولحم لحفل الزفاف ، وأقام وجبة لهم كانوا قد دفعوا تكاليفها. ونظراً لأنه خدع رفاقه فإن لابان يُدعى " أرامى " أى المخادع. وقد احتفلوا طيلة النهار حتى مجيء المساء ، وحينما أبدى يعقوب دهشته من كل هذا الاهتمام قالوا له : كان لتقواك فضل عظيم علينا إذ زادت المياه لدينا ، ونود أن نظهر عرفاننا لك . وقد حاولوا حقا أن يلمحوا له بغرض لابان الحقيقى إذ كرروا كثيراً لفظة "هاليا" فى الأنشودة التى كانوا يرددونها فى حفل الزفاف محاولين إفهام يعقوب أن المقصود بهذه اللفظة أنه سيتزوج ليئة غير أن يعقوب لم يلحظ شيئاً .

وحينما قاد الحضور العروس إلى غرفة الزواج أطفأ كل الضيوف ما معهم من شموع غير أنهم فسروا ما فعلوه قائلين : هل تتصور أننا نفتقر إلى هذا الحد أصول الاحتشام واللياقة مثل أهل بلدتك ؟ ولم يكتشف يعقوب لهذا السبب الخديعة التى تعرض إليها حتى الصباح بل واستجابت ليئة له فى المساء حينما كان يدعوها راحيل ، ولذلك وبخها بشدة حينما حل ضوء الصباح قائلاً : أيتها المخادعة لماذا كنت تجيبينى حينما كنت أدعوك راحيل ؟ فسألته : أهناك معلم بدون تلميذ ؟ لم أفعل سوى أنى استفدت من تعاليمك فحينما دعاك والدك عيساو فقد أجبته ها أنذا[١٦٤] .

واشتد غضب يعقوب من لابان فقال له : لماذا تغدر بى ؟ استرد بنتك ودعنى أرحل لأنى لا أطيق أن تعاملنى على هذا النحو الشرير[١٦٥] . وقد هدأ لابان من غضبه قائلاً : إنه ليس من الوارد فى هذا المكان أن تتزوج الصغرى قبل البنت البكر ، وقد وافق يعقوب على أن يخدم لابان سبع سنوات أخرى[١٦٦] ، ومن هنا فقد تزوج راحيل بعد مضى سبعة أعوام على زواج ليئة[١٦٧] .

ميلاد أبناء يعقوب

وتختلف طرق الرب عن طرق البشر ، فبينما يحرص المرء على التقرب إلى صديقه فى ثرائه ويتخلى عنه حينما يحل عليه الفقر فإن الرب يعين المرضى والفقراء ويخرجهم من عثراتهم ، وهذا ما حدث مع ليئة، فقد زار الرب برحمته ليئة حينما كان يعقوب يكرهها، وقد بدأ يعقوب فى كراهية ليئة فى الصباح الذى أعقب زفافها إليه واشتد غضبه منها حينما سخرت منه بأنه ليس نقياً للغاية من الخداع ، وقال الرب فيما بعد: من الممكن أن تحل المساعدة على ليئة إذا أنجبت طفلاً ، وعندئذ سيعاود يعقوب محبتها(١٦٨) . وقد تذكر الرب دموعها التى ذرفتها حينما دعته لأن يغير قدرها الذى ربطها بالمارد عيساو ، وكانت صلاتها ناجعة إذ صرف الرب قدرها عنها بل وجعلها تتزوج يعقوب قبل شقيقتها وأن تكون أول من تنجب له طفلاً ، وكان هناك سبب آخر جعل الرب يغمرها برحمته ، وهذا السبب هو أن كل الألسنة كانت تتحدث عنها فكان البحارة بأعالى البحار والمسافرون والنسوة يتحدثون عن ليئة قائلين : إنها تبدى ما لا تخفى فتبدو أمام الناظرين صادقة وتقية ولو كانت هكذا حقا لما خدعت شقيقتها(١٦٩) وحتى يضع الرب حداً لهذه الثرثرة جعلها مميزة إذ أنجبت طفلاً بعد مضى سبعة شهور فقط على زواجها. وكان هذا الطفل توأم طفلة، وقد تكرر هذا الأمر مع كل أبناء يعقوب باستثناء يوسف إذ كان كل ابن من بنيه توأم طفلة ، وكان هذا التوأم يتزوج فيما بعد(١٧٠) ، وكان هذا الإنجاب معجزة ، خاصة أنها كانت عاقراً ولم يكن بمقدورها الإنجاب .

وقد دعت ولدها البكر " رئوبين " هذا الاسم الذى يعنى " انظر الإنسان الطبيعى " إذ لم يكن ضخماً أو ضئيل الجثة ولم يكن أسود أو أبيض ، كما كان طبيعيا للغاية(١٧١) . وحينما دعت ليئة ولدها البكر هذا الاسم فقد كانت تتنبأ على هذا النحو بشخصيته التى سيكون عليها فى المستقبل. وقد كان من بين الدلالات التى حملها هذا الاسم مشاهدة الفروق بين ابنى البكر وبين عيساو الابن البكر لوالد زوج ليئة وقد كان عيساو قد باع حقه فى البكورة ليعقوب بمحض إرادته غير أنه كرهه ، وقد قالت ليئا : فيما يتعلق بابنى البكر فبالرغم من أن حقه فى البكورة سُلب منه ومُنح ليوسف فإنه هو الذى أنقذ يوسف من أيدى إخوانه(١٧٢) .

ودعت ليئة ولدها الثانى شمعون الذى يعنى هناك "الخطيئة" ، ودعته بهذا الاسم لأن تسيمرى الذى كان من نسله كان مذنبًا إذ ارتكب معصية مع بنات موآب[١٧٣] .
أما اسم ابنها الثالث " ليفى " فإن الرب هو الذى دعاه بهذا الاسم بواسطة الملاك جبريل ، ووهبه هذا الاسم بوصفه واحداً ممن يرتدون إكليلاً مرصعًا بأربعة وعشرين جوهرة ، هذا الإكليل الخاص بالكهنة[١٧٤] .

ومع ميلاد ابنها الرابع توجهت ليئة بالشكر إلى الرب لسبب بالغ الخصوصية فقد كانت تعلم أن يعقوب سينجب اثنى عشر طفلاً ، وأنه إذا تم توزيعهم على نحو متساو على زوجاته الأربع فإن كل واحدة ستنجب ثلاثة ، غير أنها ظهرت فى اللحظة ذاتها كمن حصلت على ابن أكثر من الآخرين ، ولهذا دعت ولدها الرابع "يهوذا" الذى يعنى الشكر للرب ، وقد كانت على هذا النحو أول من قدمت منذ خلق العالم الشكر للرب[١٧٥] ، وقد سار على هداها كل من داود ودانيال ، ونسل ولدها يهوذا .

وحينما رأت راحيل أن اختها ليئة أنجبت ليعقوب أربعة أبناء غارت منها ، ولم تغر منها لتمتعها بأربعة أطفال وإنما غارت من طاعتها وتقواها فقالت : إنها نعمت بنعمة البنين لمسلكها التقى[١٧٦] وتوسلت إلى يعقوب بقولها : ادع الرب حتى يهبنى ذرية وإلا لن تصبح حياتى حياة ، حقا إن أربعة أحياء فقط يمكن التعامل معهم كموتى وهم : الكفيف ، والأبرص والعقيم ومن كان ثريا وفقد ثروته . واشتعل غضب يعقوب من راحيل فقال : " كان من الأفضل أن تلتمسى ما تطلبينه من الرب فهل أنا الرب وهل أنا الذى أمسكت بثمرة رحمك ؟[١٧٧] ولم يسعد الرب بالإجابة التى قدمها يعقوب لزوجته البائسة فوبخه قائلاً : أهكذا تواسى قلبها الحزين ؟ سيحل يوم يقف فيه أبناؤك أمام ابن راحيل الذى سيستخدم الكلمات نفسها التى استخدمتها : هل أنا الرب ؟

وعقبت راحيل أيضًا على يعقوب بقولها : ألم يتوسل والدك إلى الرب من أجل والدتك بكلمات جادة داعية إلى تخليصها من عقمها ؟ فأجابها يعقوب : بلى غير أنه لم يكن لإسحاق أبناء ، أما أنا فلى الكثير منهم ، فذكرت راحيل : إذًا تذكر جدك إبراهيم فلا يمكنك إنكار أنه كان لديه ذرية حينما دعا الرب من أجل سارة . فقال يعقوب : أستفعلين معى ما فعلته سارة مع جدى ؟ فأجابت : هلم أخبرنى ما فعلت ؟ فقال يعقوب : لقد جلبت الشقاق إلى منزلها . فقالت راحيل : إذا كان الأمر هكذا سأحذو حذو سارة . وكما حصلت على ذرية سأدعو الرب أن يهبنى ذرية[١٧٨] .

ووهبت راحيل بالتالى ليعقوب " بيلحاه " التى كانت أمة لها ليتزوجها فأنجبت له ولدًا دعته راحيل " دان " قائلة : كما كان الرب معطاءً ووهبنى ولدًا كما دعوته فإن الرب سيدع " شمشون " الذى من نسل دان يحكم شعبه حتى لا يسقط فى أيدى الفلسطينيين(١٧٩) . وحينما أنجبت " بيلحاه " ولدا آخر دعته راحيل " نفتالى " قائلة : إن هذا الولد هو الرابطة التى ستربط يعقوب بهذا المكان فمن أجلى فقط أتى إلى لابان. وقد ابتغت فى الحين ذاته أن تقصد بهذا الاسم التوراة التى تعد جميلة كقرص العسل الذى يدعى فى العبرية "نوفيت" ، والتى ستُدرس فى المناطق الخاضعة لنفتالى(١٨٠) . وكان من مدلولات هذا الاسم التى راودت راحيل كما أن الرب استمع إلى ابتهالاتى المحمومة حتى أنجب طفلاً فإنه سيستجيب إلى ابتهالات نسل نفتالى ليخلصهم من أعدائهم(١٨١) .

وحينما رأت " ليئة " بعد أن توقفت عن الإنجاب أن " بلهة " أمة أختها أنجبت ليعقوب ولدين أدركت أنه قد قُدر على يعقوب أن تكون له أربع زوجات وهن ليئة ، وأختها ، وبلهة وزلفة، ولذلك وهبت خادمتها زلفة إلى يعقوب كزوجة(١٨٢) ، وكانت تسيلبا أصغر زوجاته ، وكان من عادات وتقاليد هذا الزمان أن يتم وهب البنت الكبرى الخادمة الكبرى والبنت الصغرى الخادمة الصغرى كمهر لكل منهن عند زواجهن، وحينما أنجبت " زلفة " ولدًا دعته " ليئة " جاد هذا الاسم الذى يعنى الثروة ، وقد يعنى هذا الاسم أيضًا " القاطع " إذ خرج من صلب جاد النبى إلياهو الذى يجلب الثروات إلى إسرائيل ، ويمزق فى الحين ذاته أوصال عبدة الأوثان(١٨٣) . وكان من دواعى اختيار ليئة لهذا الاسم الذى يحمل دلالتين أنه كان من نصيب قبيلة جاد أنها كانت أول قبيلة دخلت الأرض المقدسة قبل أية قبيلة أخرى(١٨٤) ، كما أن جاد ابن يعقوب وُلد مختونًا(١٨٥) .

أما ابن تسيلبا الثانى فقد دعته ليئة " آشير" ، هذا الاسم الذى يعنى " الثناء " . إذ قالت : استحق كل أنواع الثناء فقد قدمت خادمتى زوجةً إلى زوجى. وقد فعلت سارة ما فعلت غير أنها لم تفعله إلا لأنه لم يكن لديها ذرية ، وهذا ما فعلته أيضًا راحيل. أما أنا فلى ذرية ومع هذا فقد كتمت حبى ، كما وهبت خادمتى دون حقد كزوجة إلى زوجى. والجميع سيثنى على حقا(١٨٦) . وعلاوة على هذا قالت : كما أن النساء

سيثنين على فإن أبناء آشير سيباركون فى المستقبل الرب لامتلاكهم الأرض المقدسة(١٨٧) .

وكان الاسم التالى ليعقوب هو " يساكر " هذا الاسم الذى يعنى " الثواب " ، وكانت " ليئة " هى التى سُمح لها بإنجاب هذا الطفل إذ أثابها الرب على هذا النحو لرغبتها التقية فى إخراج الاثنى عشر سبطًا إلى العالم ، وقد بذلت " ليئة " كل ما فى وسعها لتحقيق هذه النتيجة(١٨٨) .

وقد حدث ذات مرة أن ابنها الأكبر " رئوبين " كان يرعى حمار والده خلال الحصاد ، وكان قد ربطه فى إحدى الأشجار ، وتوجه لقضاء إحدى المهام ، وعند عودته وجد أن هذه الشجرة قد أُقتلعت من مكانها والحمار ميتًا ، وقد مات الحمار حينما حاول اقتلاع الشجرة حتى يفك منها ، وقد كان لهذه الشجرة خاصية فريدة إذ كان يموت كل من كان يحاول أن يجتثها(١٨٩) . ولما كان هذا الوقت وقت الحصاد الذى يُسمح فيه للجميع بأخذ مايشاءون فقد أخذ رئوبين هذه الشجرة إلى منزله. ونظرًا لأن رئوبين كان ولدًا طيبًا لم يحتفظ بهذه الشجرة لذاته وإنما أعطاها لأمه . وابتغت راحيل الحصول على هذه الشجرة فاستعارتها من ليئة التى اقتسمتها مع أختها شريطة أن يقيم يعقوب معها لفترة أطول عند عودته من عمله فى المساء .

ورجع يعقوب من الحقل إلى المنزل بعد حلول المساء خاصة أنه كان ملتزمًا بالشريعة التى تلزم العامل بالعمل حتى المساء فضلاً عن أن يعقوب كان شديد الحماس والإخلاص فى كل ما يخص لابان خلال السنوات السبع الأخيرة بعد زواجه مثلما كان مخلصًا له خلال السنوات السبع الأولى حينما كان يعمل من أجل أرض راحيل(١٩٠) . وحينما سمعت ليئة نهيق حمار يعقوب أسرعت للقاء زوجها(١٩١) ، ولم تدعه يغسل قدميه إذ أصرت على أخذه لخيمتها(١٩٢) ، وقد رفض يعقوب فى البدء التوجه معها غير أن الرب أرغمه على الدخول لأنه كان يعلم أنه ليس لليئة أية مصلحة شخصية(١٩٣) . وقد كان لشجرة " دودايم " الفضل فى الحفاظ على ولديها " يساكر " شيخ القبيلة الذى يقضى نسله طيلة الوقت فى دراسة التوراة ، و " زبولون " الذى عمل نسله بالتجارة مستغلين مهاراتهم لتمكين إخوانهم من نسل "يساكر" من مواصلة دراسة التوراة(١٩٤) .

وقد دعت "ليئة " زبولون " بهذا الاسم الذى يعنى مكان السكنى بعد أن قالت : سيقيم زوجى معى بعد أن أنجبت له ستة أولاد كما أن أبناء زبولون سيجدون مكانًا مناسبًا للسكنى بالأرض المقدسة(١٩٥) .

وحملت ليئة مرة أخرى ، ولكنها حملت هذه المرة بنتًا ، ولم يتحول الجنين الذكر فى رحمها إلى أنثى إلا بفضل صلاتها إذ ذكرت : وعد الرب يعقوب باثنى عشر ابنًا ، وقد أنجبت ستة ، وأنجبت كل وصيفة من الوصيفتين اثنين ، وإذا أنجبت ولدًا آخر فإن أختى راحيل لن تكون مساوية للوصيفتين . ولهذا دعت الرب أن يغير جنينها الذكر برحمها إلى أنثى واستجاب الرب لدعائها(١٩٦) .

وابتهلت نساء يعقوب مجتمعات وهن " ليئة " و " راحيل " و " زلفة " و " بلهة " بالاشتراك مع يعقوب إلى الرب حتى يخلص راحيل من لعنة العقم . وفى ليلة رأس السنة التى يحدد فيها الرب مصائر سكان الأرض تذكر راحيل ووهبها ولدًا(١٩٧) . وتحدثت راحيل قائلة : أزال الرب عنى الخزى إذ كان كل القوم يقولون لو كانت تقية حقا لأنجبت بنتًا . وحينما استمع الرب إلى دعائها فتح رحمها وأزال عنها العقم(١٩٨) .

وحينما أنجبت ولدًا تجنبت على هذا النحو لعنة أخرى إذ كانت قد حدثت نفسها قائلة : إن يعقوب يفكر فى العودة إلى موطنه ، ولن يتمكن والدى من منع بناته اللاتى أنجبن له بنين من السير مع أبنائهن ، غير أنه لن يدع الزوجة العاقر من السير معهن وسيزوجنى واحدًا من غير المختونين(١٩٩) ، وعلاوة على هذا قالت : كما أن ولدى أزال عنى الخزى فإن يشوع الذى من نسله سيخلص بنى إسرائيل من الخزى إذ سيختنهم فى الأردن(٢٠٠) .

ودعت راحيل ولدها يوسف هذا الاسم الذى يعنى " الزيادة " قائلة : إن الرب سيهبنى ولدًا آخر . ولما كانت راحيل نبية فقد علمت مسبقًا أنها ستُرزق بولد آخر ، وقد كان هذا الولد الآخر هو بنيامين الذى رُزق بعشرة بنين فى حين أن يوسف أنجب اثنين فقط. ومن الممكن أن يكون الاثنا عشر ابنًا هم الذين شكلوا الاثنى عشر سبطًا الذين أنجبتهم راحيل(٢٠١) . ولو لم تكن راحيل استخدمت تعبير " أضاف لى الرب ولدًا آخر " لكانت أنجبت الاثنى عشر سبطًا من يعقوب(٢٠٢) .

يعقوب يهجر لابان

وقد انتظر يعقوب ميلاد يوسف حتى يبدأ استعداداته للرحيل إلى موطنه ، وكانت الروح القدس قد كشفت له أن آل يوسف سينزلون الدمار بمنزل عيساو، ولهذا صرخ يعقوب عند ميلاد يوسف : لم أعد أخاف عيساو وجيوشه(٢٠٣) .

وكانت ريبيكا قد أرسلت فى هذه الفترة مربيتها ديبوراه بنت " عوز " فى رفقة اثنين من خدم إسحاق إلى يعقوب لتدعوه بالإسراع فى العودة إلى منزل والده خاصة أن سنوات خدمته قاربت على الانتهاء ، فتوجه يعقوب إلى لابان قائلاً : أعطنى زوجاتى وأطفالى حتى أذهب إلى موطنى لأن والدتى بعثت إلى رسلاً أمرونى بالعودة إلى منزل والدى(٢٠٤) .

وأجابه لابان قائلاً : هل لى أن أحظى برضاك ؟ لقد عرفت عن طريق إحدى العلامات أن الرب يباركنى من أجلك . وكان لابان يفكر فى حقيقة الأمر فى الثروة التى حصل عليها بعد مجيء يعقوب إليه(٢٠٥) . وحقا كان الرب قد جلب خيراً كثيراً إلى منزل لابان يفيد بأن هذه البركات تحققت بفضل مجيء الصديق يعقوب ، وقبيل مجيئه فقد كان الطاعون قد تفشى فى قطيع لابان غير أنه توقف مع مجيء يعقوب(٢٠٦) ، كما أن لابان كان عقيماً غير أنه رزق ببنين بعد أن أقام يعقوب فى حاران(٢٠٧) .

ولم يطلب يعقوب من أجر فى مقابل عمله والبركات التى حلت على لابان سوى الماعز المنقط من قطيعه ، والأسود من الغنم. ووافق لابان على هذا الشرط قائلاً : سأنفذ كلمتى . غير أن لابان كان وغداً إذ كان يقدم كافة الوعود دون أن يفى بها ، وكان يتصور أن الجميع مثله ، ولهذا تصور أن يعقوب يبتغى خداعه(٢٠٨) ولهذا لم يف لابان بكلمته بل غير وعده مع يعقوب مئات المرات ، ومع هذا فلم يكن هناك أى طائل من مسلكه الشرير .

وبينما كانت قطعان لابان ويعقوب تسير مع بعضها البعض نزعت الملائكة إلى ضم غنم لابان إلى غنم يعقوب فكبر غنمه على نحو سريع(٢٠٩) ، وحدث هذا فى الوقت الذى كان لابان أعطى فيه الغنم الضعيف والمريض إلى يعقوب غير أن هذا الغنم كبر

تحت رعاية يعقوب فابتغى الجميع شراءه بأسعار باهظة[٢١٠] ، ولم يكن يعقوب يحتاج في رعاية الغنم إلى العصا إذ كان يكتفي بالتحدث إلى الغنم الذي كان يطيعه[٢١١] .

وقد استحق لابان الدمار لأنه جعل يعقوب يعمل لديه دون أجر ، وكان لابان قد حاول أن يخدع يعقوب بعد أن غير اتفاقه معه بشأن أجره عشرات المرات[٢١٢] ، ومع هذا فقد كان حظ يعقوب في غنمه وفيراً ، وهكذا فإن الرب يكافئ العمال المتقين في هذا العالم[٢١٣] فبينما أتى يعقوب وهو خاوي الوفاض إلى لابان فقد تركه وهو يملك قطيعًا من الغنم يبلغ قوامه ستمائة ألف، وكانت هذه الزيادة خارقة إذ إنها لن تتحقق إلا عند مجيء المسيح المخلص في نهاية الزمان[٢١٤] .

وقد أثار ثراء يعقوب وحظه الوفير غضب لابان وبنيه فلم يمكنهم إخفاء غضبهم في تعاملهم معه فقال الرب ليعقوب : لقد تغيرت ملامح حماك لابان ولم يعد يعاملك مثل سابق عهده، ولازلت تقيم معه ؟ توجه إلى أرض آبائك وسأدع حضرتي الإلهية تحل عليك هناك فلا يمكنني أن أدع حضرتي الإلهية تقيم خارج الأرض المقدسة[٢١٥] . وقد سارع يعقوب في التو بإرسال رسوله السريع "نفتالي"[٢١٦] إلى راحيل وليئة للحضور إليه ليتشاور معهما ، وقد فضل أن يجتمع بهما في منطقة مفتوحة حتى لا يمكن لأحد التصنت عليهما[٢١٧] .

ووافقت زوجتاه على العودة إلى موطنه، فقرر يعقوب أن يرتحل بكل ما يملكه في التو دون أن يخبر لابان بما يعتزم إذ كان لابان قد توجه لرعاية غنمه ومن هنا تمكن يعقوب من تنفيذ مخططه في التو .

وحتى لا يعلم والد راحيل شيئًا عن هروبهم من أصنامه استولت راحيل عليها وأخفتها إذ وضعتها على الجمل الذي جلست عليه ، وقد كان أهل حاران يصنعون الأصنام على النحو التالي فقد كانوا يأخذون الذكر البكر ويذبحونه بعد قص شعره ، ثم كانوا يضعون الملح على رأسه ويدهنونه بالزيت ، ثم يكتبون اسم الإله على قطعة صغيرة من النحاس أو الذهب كانوا يضعونها تحت لسانه، وكان يتم وضع هذه الرأس التي يوجد تحت لسانها هذه القطعة في منزل مضاء، وحينما كانوا يسجدون أمام هذه الرأس كانت تحدثهم عن كل الأمور التي يطلبونها ، وكانت تحدثهم بفضل اسم الإله المكتوب على هذه القطعة[٢١٨] .

العهد مع لابان

وبعد أن ارتحل يعقوب فقد عبر نهر الفرات متجهًا نحو جلعاد خاصة أن الروح القدس أوحت له أن الرب سيقدم هناك العون لأبنائه فى عهد " يفتاح" . وقد لاحظ الرعاة فى حاران آنذاك أن البئر الذى كانت المياه تتدفق به وتفيض منه منذ مجيء يعقوب إلى أراضيهم قد جف ، وانتظر الرعاة ثلاثة أيام عسى أن تعود المياه للبئر كما كانت غير أنهم أخبروا لابان بعد أن تملكهم الإحباط بالمأساة التى حلت عليهم فأدرك فى التو أن يعقوب قد رحل إذ كان يعلم أن البركة التى حلت على حاران كانت من أجل خصال زوج بنته[٢١٩] .

وحينما نهض يعقوب فى الغد مبكرًا وجد أن كل أهل المدينة مجتمعون يطاردونه عازمين قتله، فظهر له كبير الملائكة ميخائيل وأمره بأن يهتم بأحواله وأنه أى الملاك لا يمكنه أن يفعل شيئًا من أجله وإلا فإنه سيُقتل[٢٢٠] . وقد بلغت هذه الرسالة من السماء إلى لابان خلال المساء خاصة أن الرب لايقوم إلا فى حالات خارقة فقط بالتجلى للكفار ، غير أنه لا يتجلى لهم إلا فى الظلام فى حين أنه يتجلى لأنبياء اليهود فقط فى الصباح . وقطع لابان رحلته فى يوم واحد فقط فى حين أن يعقوب قطعها فى سبعة أيام[٢٢١] ولحق به فى جبل جلعاد. وحينما وصل إلى يعقوب وجده يصلى ويسبح للرب[٢٢٢] . وقد اعترض لابان على يعقوب لهربه فى الخفاء منه . وقد أظهر شخصيته الحقيقية حينما قال : بوسعى أن أؤذيك غير أن رب أبيك حدثنى ليلة أمس قائلاً : احرص على ألا تحدث يعقوب سواء بالخير أو بالشر . وقد كان هذا النهج هو نهج الأشرار إذ يتفاخرون بمقدرتهم على إلحاق الأذى بالآخرين. وقد أراد لابان أن يعرف يعقوب أن ما شاهده فى الحلم من تحذير من المساس بيعقوب هو الذى منعه من تنفيذ مخططه الشرير الذى كان يعتزم القيام به[٢٢٣] .

وواصل لابان حديثه إلى يعقوب واختتم حديثه متسائلاً : لماذا سرقت آلهتى ؟ وحينما لفظ لابان هذا التساؤل فقد قاطعه أحفاده قائلين : إننا نخجل منك ياجدى لاستخدامك وأنت طاعن فى السن مسمى " آلهتى " . وقد بحث لابان فى كل الخيام عن أصنامه فتوجه فى البدء إلى خيمة يعقوب التى كانت فى الحين ذاته خيمة راحيل

خاصة أن يعقوب كان يقيم فيها لاسيما أن راحيل كانت زوجته المحببة ، وحينما لم يجد بها شيئًا توجه إلى خيمة " ليئة " وخيام الوصيفتين ، وحينما لاحظ لابان أن راحيل تتلفت يمنة ويسرة فقد ثارت الظنون بنفسه فعاود الدخول إلى خيمتها غير أنه لم يجد ما كان يبحث عنه إذ إن الأصنام تحولت بفضل المعجزة إلى أكواب شراب، ولهذا كان على لابان أن يتوقف عن بحثه. ولم يكن يعقوب يعلم آنذاك أن راحيل كانت قد استولت على أصنام والدها حتى تصرفه عن عبادتها ، ولهذا غضب يعقوب من لابان ووبخه. وقد تجلى نبل شخصية يعقوب فى غضبه من لابان إذ إنه لم يتفوه رغم غضبه بأية كلمة خارجة مكتفيًا بتذكير لابان بأنه أخلص له كل الإخلاص طيلة فترة عمله لديه وعلى نحو لا يمكن لأحد أيا كان القيام به. فقال : لقد سيطرت على الأسد ومنعته من افتراس قطيعك وأى راع يمكنه القيام بما قمت به ؟ ومع هذا اتهمنى القوم بأنى سارق ولص. أما عن أمانتى فهل يعقل أن تجد زوج بنت يقيم مع حماه لا يأخذ شيئًا صغيرًا من بيته ؟ غير أنك تعاملت مع كل ما كان معى وكأنه لك .

ولما كان يعقوب ساخطًا ومدركًا براءته فقد صرخ قائلاً : لن يعيش من ستجد آلهتك معه . وانطوت هذه الكلمات على لعنة بموت اللص ، ومن هنا كان لزامًا على راحيل أن تموت عند إنجابها لبنيامين ، وقد كان من الممكن أن تحل هذه اللعنة فى التو لو لم يكن الرب قد ابتغى أن تلد راحيل ليعقوب ابنه الأصغر(٢٢٤) .

وتوصل الرجلان بعد الشجار إلى اتفاق ، ونصب يعقوب بقوته المهولة صخرة عظيمة حتى تكون تذكارًا ، كما وضع كومة من الحجارة كعلامة على عهدهما ، واتبع يعقوب فى هذا الشأن نموذج آبائه الذين كانوا أبرموا أيضًا عهدًا مع عبدة الأوثان أى مثلما توصل إبراهيم إلى عهد مع اليبوسيين وإسحاق مع الفلسطينيين. ولذلك لم يتردد يعقوب فى التوصل إلى عهد مع الآراميين(٢٢٥) . وجمع يعقوب أبناءه ودعاهم إخوة لأنهم كانوا أنداده وأقرانه فى الضعف والقوة وأمرهم برفع كومة الحجارة. ولذلك أقسم أمام حماه بألا يقترن بأية زوجة من خارج بناته الأربع سواء كن أحياء أو بعد موتهن. أما لابان فقد أقسم بألا يتعدى أو يتجاوز أكوام الحجارة أو النصب الذى أقامه يعقوب(٢٢٦) ، وأقسم برب إبراهيم وإله ناحور فى حين أن يعقوب اكتفى بذكر الخوف الذى ألم بإسحاق عند إقدام إبراهيم على ذبحه ، وكان يعقوب قد تخوف من أن يستخدم فى قسمه تعبير "رب إسحاق" ، لأن الرب لا يقرن اسمه قط بأى كائن حى لأن الإنسان

لا يمكن أن يوثق به طالما أنه حي فضلاً عن أنه عرضة للرغبات الشريرة، وحقا فحينما تراءى الرب ليعقوب فى " بيت أيل " دعا الرب نفسه " رب إسحاق " . ولم يستخدم الرب هذه الجملة إلا لأن إسحاق كان كفيفًا ومعتزلاً الحياة بخيمته ومن ثم لم يكن للقوى والنزعات الشريرة أية سيطرة عليه . وبالرغم من أن الرب كان يثق كل الثقة فى إسحاق فلم يجرؤ يعقوب على أن يربط اسمه بالرب ، ولهذا أقسم بتقوى إسحاق(٢٢٧) .

ونهض لابان غداة التوقيع على العهد مبكرًا ، وقبل أحفاده وبناته وباركهم ، غير أنه لم يكن صادق النية فى كل ما فعل إذ أحس فى أعماقه بالأسف لهروب يعقوب وعائلته وكل ما يملكون منه(٢٢٨) ، وقد أظهر مشاعره الحقيقية فى الرسالة التى بعثها إلى عيساو عند عودته إلى حاران ، وقد أرسلها إليها من خلال ولده " بيعور " ورفاقه العشرة الذين صاحبوه ، وجاء بالرسالة : هل سمعت ما فعله معى أخوك يعقوب الذى كان قد أتانى عاريًا حافيًا والذى أخذته إلى منزلى حيث أكرمته ورعيته وزوجته بنتين من بناتى ، ووصيفتين ممن يعملن لدى ؟ وباركه الرب بسببى فتكاثر فأنجب بنينَ وبناتٍ ، أصبح يملك عددًا كبيرًا من الوصيفات وقطيعًا ضخمًا من الأغنام والماعز والجمال ، كما أنه يملك الآن الفضة والذهب. وحينما رأى أنه ازداد ثراءً فقد رحل عنى وتركنى أرعى غنمى ، وفر فى الخفاء ووضع زوجاته وأبناءه على الجمال وفر بكل الأشياء التى كان قد حصل عليها من أرضى وتوجه إلى أبيه إسحاق بأرض كنعان ، ولم يهتم عند رحيله بتقبيل أبنائى وبناتى بل وأخذ بناتى كسبايا كما أنه سرق آلهتى ، وتركته عند الجبل الواقع عند غدير " يابوك " ، وإذا كنت تبتغى الذهاب إليه إذًا توجه إلى هناك وستجده ، وافعل به ما تشاء(٢٢٩) .

ولم يكن هناك ما يدعو يعقوب للخوف من لابان أو عيساو إذ قد رافقه خلال رحلته حشدان من الملائكة اصطحبه أحدهما من حاران إلى حدود الأرض المقدسة التى استقبله لديها حشد آخر من الملائكة خاص بفلسطين(٢٣٠) . وقد ضم كل حشد من هذه الملائكة ستمائة ألف ملاكٍ(٢٣١) . وحينما شاهد يعقوب هذه الملائكة قال : إنكم تنتمون إلى حشد عيساو الذى يبتغى شن الحرب ضدى أو حشد لابان الذى يعتزم مطاردتى. إنكم حشد من الملائكة المقدسين وقد بعثكم إلى الرب . ومن هنا سمى يعقوب هذه المنطقة التى وجد بها الملائكة ماحانايم التى تعنى "المعسكران المحتشدان"(٢٣٢) .

يعقوب وعيساو يستعدان للقاء

وقد أثارت رسالة لابان كراهية عيساو القديمة ليعقوب بل وأشعلتها فجمع آل بيته المكون من ستين فرداً . وتوجه معهم وفى صحبة ثلاثمائة وأربعين فرداً من سكان سعير لشن الحرب ضد يعقوب وقتله، وقسم جنوده إلى سبع جماعات ، وولى ابنه إليفاز قيادة جماعته المكونة من ستين فرداً ، ووضع باقى الجماعات الست تحت قيادة الآخرين .

وبينما أسرع عيساو للقاء يعقوب أتى الرسل الذين كان لابان قد بعثهم إلى عيساو إلى ريبيكا وأخبروها أن عيساو وجنده الأربعمائة على وشك شن حرب على يعقوب لقتله وسلب كل ما يملك ، ولما أحست خيفة خشية أن ينفذ عيساو خطته فى الوقت الذى يقطع يعقوب فيه رحلته فقد سارعت بإرسال اثنين وسبعين فرداً من خدم إسحاق لمساعدته. وبينما كان يعقوب يجلس على ضفاف نهر " يابوك " شاهد هؤلاء الرجال فحياهم مبتسماً بقوله : هذا جيش إنقاذ الرب . ولهذا دعا اسم هذا المكان " محانايم ".

وبعد أن طمأنه الجند الذين أرسلتهم ريبيكا عن والديه أبلغوه برسالة والدته التى جاء بها : سمعت ولدى أن أخاك عيساو توجه إلى الطريق لمحاربتك مع أبناء سعير ولهذا أنصت ولدى إلى صوتى وتدبر ما تفعله . حينما يأتيك لا تحدثه بغلظة وأعطه هدية مما تملك ومما وهبك الرب، وحينما يسألك عن شئونك لاتخف شيئاً عنه فقد يهدئ هذا الأمر من غضبه ، وهكذا ستنقذ روحك وكل ما تملك لأنه من الواجب أن تحترمه فهو أخوك الأكبر .

وحينما سمع يعقوب كلمات والدته التى نقلها رسلها إليه رفع صوته وانتحب بشدة، وفعل ما أمرته به والدته فبعث رسلاً إلى عيساو لتهدئته قائلين: إن عبدك يعقوب يقول : إن البركة التى وهبها والدى لى لم تفدنى إذ خدمت لابان عشرين عاماً غير أنه خدعنى ومع هذا عملت فى منزله فقط ، وحينما رأى الرب مصابى وعملى جعل لابان يرضى عنى ، وحصلت بفضل رحمة الرب ورضاه على الحمير والماشية والخدم ، أما الآن فإنى أعود إلى موطنى وأهلى ووالدى المقيمين فى أرض كنعان[٢٣٣] .

وعلاوة على هذا فقد ذكر الرسل على لسان يعقوب : لماذا تغار منى بشأن البركة التى باركنى بها والدى ؟ فهل تسطع الشمس على أرضى فقط دون أرضك ؟ أم أن المطر والندى يهطلان على أرضى فقط ؟ وإذا كان الوالد باركنى بمطر السماء فقد باركك بدهن الأرض ، وإذا كان الرب وعدنى بأن سكان الأرض سيخدموننى فقد وعدك بأنك ستعيش بحد السيف ، وحتى متى ستواصل عدائى ؟ دعنا نقيم عهداً فيما بيننا ولنتقاسم الأسى معًا .

ولم يقبل عيساو هذا العرض إذ نصحه أصدقاؤه قائلين : لا تقبل هذه الشروط لأن الرب كان قد أخبر إبراهيم : أعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا فى أرض ليست لهم وأنهم سيخدمون فيها السكان وأن الغرباء سيضطهدونهم أربعمائة عامٍ ، ولهذا تريث حتى يهبط يعقوب ونسله مصرا حتى يفى بهذا الدين .

وحدث يعقوب عيساو أيضًا بقوله : بالرغم من أنى أقمت مع لابان الكافر لم أنس ربى بل ونفذت وصايا التوراة البالغ عددها ستمائة وثلاث عشرة وصية[٢٣٤] . وإذا كنت تقصد السلام ستجدنى مستعدا للسلام ، أما إذا كنت راغبًا فى الحرب فلدى جند شديد البأس يكفيك معرفة أن الرب ينفذ كل ما يرغبون فيه. وقد أقمت مع لابان حتى ميلاد يوسف الذى سيقضى عليك[٢٣٥] . وبالرغم من أن نسلى سيعانى العبودية فى هذا العالم فإنهم سيحكمون الكون فى يوم آت لا ريب فيه[٢٣٦] .

وكان رد فعل عيساو على هذه الكلمات مليئا بالغرور والغطرسة إذ قال : سمعت بالتأكيد ما حدث ليعقوب مع لابان فقد رباه لابان فى منزله بل وزوجه بناته وأنجب بنين وبنات وزادت ثروته، وحينما رأى يعقوب أن ثرواته أصبحت عظيمة فر بكل ما كان يملكه فى منزل لابان وأخذ بناته كسبايا من منزل والدهن دون أن يخبره بشىء، ولم يفعل يعقوب هذا الأمر مع لابان فقط إذ فعله أيضًا معى، وأتيت الآن مع جندى وسأفعل ما يحلو لى .

وعاد الرسل إلى يعقوب وأبلغوه ما قال عيساو[٢٣٧] وأخبروه أيضًا أن أخاه يتقدم للقائه بجيش يبلغ قوامه أربعمائة قائد، وأن كلا منهم يقود جيشًا قوامه أربعمائة فرد[٢٣٨] ، وقال الرسل ليعقوب أيضًا : حقا إنك أخوه وتعامله كما يجب أن يعامل الأخ أخاه غير أنه من الواجب أن تتنبه لما يفعله عيساو[٢٣٩] .

ووضع يعقوب فى اعتباره وعد الرب بأنه سيعيده إلى منزل والده بسلام غير أن ما سمعه عن نوايا أخيه أثارت حرصه ويقظته. ومن الواجب ألا يعول المرء كثيراً على أية وعود بشأن النعيم الأرضى إذ إن الرب لا يحافظ على وعده إذا ارتكب المرء ولو خطأ صغيراً ، ومن هنا تخوف يعقوب من ألا يحصل على السعادة بسبب أى خطأ يكون قد ارتكبه. وعلاوة على هذا فقد تخوف يعقوب من أن يكون عيساو محبوباً من قبل الرب خاصة أنه نفذ وصيتين إلهيتين لم ينفذهما: وتمثلت الوصية الأولى فى حفاظه على وصية الإقامة بالأرض المقدسة فى حين أن يعقوب لم يتمكن من الإقامة بها، أما الوصية الثانية التى حافظ عليها فكانت أن عيساو أقام مع والديه فى حين أن يعقوب كان بعيداً عنهما، وبقدر ما كان يعقوب متخوفًا من أن ينتصر على عيساو وأن يقتله ، فقد كان يشعر أنه لو كان والده حيا ما كان سيتخذ مثل هذه الخطوات العنيفة ضد أخيه[٢٤٠] .

وحينما شاهدت زوجتاه القلق الذى اعترى يعقوب بدأن فى الشجار معه ، ووبخاه لأنه أخذهن من منزل أبيهن رغم علمه أنه يتعرض للخطر من قبل عيساو[٢٤١] . وقرر يعقوب عندئذ أن يعتمد على الرب ليبعد عنه الخطر المحدق فدعا الرب لنجدته وتهدئة غضب عيساو وتمكينه من الاستعداد للحرب[٢٤٢] .

وابتهل يعقوب إلى الرب قائلاً : رب يا رب إبراهيم وإسحاق ، ورب كل من يسيرون فى دروب الخير، حقا إنى لا أستحق رحمتك والحقيقة التى كشفتها لعبدك، وإذا كنت لم تدع لابان ينفذ مخططاته الشريرة ضدى فلا تدع عيساو يقتلنى ، لقد جاء بالتوراة التى ستهبها لنا على جبل سيناء . ولن تقتل بقرة أو نعجة ونسلهما فى الحين ذاته. ومن هنا فإذا أتى هذا الشرير لقتل أبنائى وأمهاتهم فى الحين ذاته فمن ذا الذى سيبتغى قراءة شريعتك التى ستهبها لنا على جبل سيناء؟ كما أنك ذكرت سأحسن إليك لما تتمتع به أنت وآباؤك من خصال ، وأن نسلك سيكون كرمال البحر . وكما ابتهل يعقوب من أجل خلاصه فقد ابتهل أيضًا من أجل خلاص نسله حتى لا يتعرضوا للإبادة من قبل نسل عيساو .

وقدم يعقوب هذا الابتهال حينما شاهد عيساو يقترب منه ، واستجاب الرب لهذا الابتهال حينما شاهد يعقوب يذرف الدمع فطمأنه الرب بأن نسله سينجو من كل الآلام[٢٤٣] .

وأرسل الرب عندئذ ثلاثة ملائكة سارت أمام عيساو ، وظهرت أمامه هو وقومه في صورة مئات وألوف من الجنود الذين يمتطون الخيول المسلحين بكافة الأسلحة. وكانوا يسيرون في أربعة صفوف ، وتقدم الصف الأول المكون من أربعمائة فرد للقاء عيساو وجنده فألقوا في نفوسهم الرعب فسقط عيساو من حصانه وتفرق جنده، وحينما صرخ جند هذا الصف قائلاً : نحن خدم يعقوب وخدم الرب من ذا الذي يجرؤ على الوقوف أمامنا ؟ قال عيساو : إن قائدكم يعقوب لم أره منذ عشرين عامًا فهل تعاملونني على هذا النحو ؟ فأجابته الملائكة : إن الرب حي. ولو لم تكن أخ يعقوب لكنا مزقناك. ولن نمسك بسوء بسبب يعقوب .

وترك الصف الأول عندئذ عيساو ، ثم تقدم الصف الثاني وفعل مع عيساو وجنده ما فعله الصف الأول ، وهكذا فعل الصفان الثالث والرابع، وتملك عيساو الخوف من أخيه يعقوب لأنه تصور أن جنود الفرق الأربع الذين واجههم من خدم يعقوب .

وبعد أن فرغ يعقوب من صلاته قسم كل من ارتحلوا معه إلى فريقين ونصب عليهما " داميسك " و " أليئوس " ولدى إليعازر الذي كان خادمًا لإبراهيم[٢٤٤] . ونتعلم من نموذج يعقوب أنه يعين على المرء ألا يخفي كل ثروته في موضع واحد وإلا تعرض لخسارة كل شيء دفعة واحدة. وكان يعقوب قد أرسل بعضًا من قطيعه إلى عيساو كهدية وكان قد قسمه إلى ثلاثة أجزاء ، وحينما تلقى عيساو الجزء الأول تصور أنه حصل على كل الهدية ثم فوجئ بحصوله على الجزء الثاني ثم الثالث، وكان يعلم جشع أخيه[٢٤٥] .

وقد كلف يعقوب من حملوا الهدية إلى عيساو بتبليغه الرسالة التالية : إن هذه الهدية تأتي إلى سيدي عيساو من خادمه يعقوب . غير أن الرب استاء من هذه الرسالة بقوله : إنك تدنس المقدس حينما تصف عيساو بالسيد ، فاعتذر يعقوب بقوله إنه كان يداهن الشرير حتى يفلت من الموت[٢٤٦] .

يعقوب يصارع الملاك

وقد سار خدم يعقوب محملين بالهدايا فى طريقهم إلى عيساو، وسار يعقوب خلفهم مع زوجاته وبنيه ، وحينما كان على وشك الخوض فى نهر " يابوط " لاحظ راعيًا يرعى أغنامًا وجمالاً، واقترب الراعى من يعقوب وعرض عليه خوض النهر معًا وأن يساعد كل منهم الآخر فى نقل القطيع، ووافق يعقوب على هذا العرض شريطة أن يضع قطيعه فى المقدمة ، وقام الراعى بنقل قطيع يعقوب فى لمح البصر إلى الضفة الأخرى من النهر، وحينما قام يعقوب بنقل قطيع الراعى إلى الضفة الأخرى لم تكن هناك نهاية له فكلما كان ينقل جزءًا من القطيع كان يجد المزيد هذا بالرغم من أنه عمل طوال الليل فى نقله. وفقد يعقوب فى نهاية الأمر صبره فانقض على الراعى وأمسك رقبته صارخًا: أيها الساحر لا فائدة من عمل السحر فى المساء . وتفكر الراعى فيما يحدث فحدث نفسه قائلاً : حسنًا دعه يعرف مرة واحدة وللأبد مع من يتعامل . ومس هذا الراعى بإصبعه الأرض فتفجرت نارًا ، فذكر يعقوب : أتعتقد أنى أخافها[٢٤٧] .

ولم يكن هذا الراعى سوى كبير الملائكة ميخائيل ، ومن هنا فقد ساعدته كل الملائكة التى معه فى صراعه مع يعقوب، وكان هذا الملاك على وشك إلحاق أشد الأذى بيعقوب غير أن قوة الملائكة هانت وتبددت بما فيها قوة ميخائيل عند ظهور الرب، وحينما رأى الملاك أنه لا يمكنه التغلب على يعقوب مس تجويف فخذه وأصابه فقال الرب : كيف تجرؤ على إلحاق أذى بكاهنى يعقوب ؟ فأجاب ميخائيل مندهشًا : ألست أنا كاهنك؟ فأجاب الرب : إنك كاهنى فى السماء غير أن يعقوب كاهنى على الأرض . ولذلك استدعى ميخائيل الملاك رفائيل قائلاً : رفيقى أدعوك لمساعدتى للخروج من مصابى لأنك مسئول عن شفاء كل المرضى . فشفى رفائيل يعقوب من الإصابة التى كان ميخائيل ألحقها به .

وواصل الرب توبيخه لميخائيل قائلاً : لماذا تلحق الأذى بابنى البكر ؟ فأجابه الملاك : لم أفعل ما فعلت إلا لأجلك . فعين الرب ميخائيل حارسًا ليعقوب ونسله حتى الأبد قائلاً : إنك من نار كما أن يعقوب من نار ، وكما أنك رئيس للملائكة فإنه سيكون رئيسًا لكل الأمم ، وكما أنك أسمى الملائكة فإنه أسمى البشر. ومن هنا فإن سيد الملائكة سيكون سيدًا لكل البشر .

وقال ميخائيل فيما بعد ليعقوب : كيف يمكن بعد أن تغلبت على أكثر الملائكة تميزًا ورفعة أن تخشى عيساو ؟ وحينما حل النهار واصل ميخائيل حديثه ليعقوب بقوله : دعنى أرحل بعد أن لاح الفجر. غير أن يعقوب أمسك به قائلاً : هل أنت لص أم مقامر حتى تخشى ضوء النهار؟ وقد ظهرت فى اللحظة ذاتها حشود من الملائكة قائلة : هلم ميخائيل اصعد معنا ، لقد حان موعد التسبيح وإذا لم تعد إلى السماء الآن لقيادة جوقة الملائكة فلن يتمكن أحد من الإنشاد . فتوسل ميخائيل إلى يعقوب حتى يدعه يذهب إذ تخوف من أن تحرقه ملائكة "عرافوت " بالنيران إذا لم يتوجه للسماء للبدء فى أغانى التسبيح فى الوقت المناسب. وقال يعقوب : لن أدعك تذهب إلا بعد أن تباركنى فأجاب ميخائيل : من أعظم الخادم أم الابن ؟ إنى خادم غير أنك الابن فلماذا تحن إذًا إلى مباركتى ؟[٢٤٨] وجادله يعقوب قائلاً : إن الملائكة التى زارت إبراهيم لم تتركه دون مباركته . غير أن ميخائيل قال : لقد أرسلهم الرب خصيصًا لهذا الغرض ، ولكنى لم أرسل لهذا . ومع هذا تمسك يعقوب بمطلبه غير أن ميخائيل أجابه بقوله : لك أن تعلم أن الملائكة التى أفشت السر الإلهى أُبعدت عن مكانها لمائة وثمانية وثلاثين عامًا فهل لازلت ترغب فى أن أطلعك على ما سيبعدنى عن زمرة الملائكة ؟ وكان على الملاك فى نهاية الأمر أن يستجيب إذ لم يستطع أن يزحزح يعقوب عن موقفه . وحدث الملاك نفسه قائلاً : سأكشف له سرا . وإذا طلب الرب منى معرفة لماذا أفشيت السر سأقول له إن نسلك يتمسكون برغباتهم وأنك تجيبهم . ومن هنا كيف كان يمكننى ألا أنفذ رغبة يعقوب ؟

وحدث الملاك ميخائيل يعقوب قائلاً : ذات يوم سيتجلى الرب لك ، وسيغير اسمك وسأكون حاضرًا عند تغيره[٢٤٩] ، ولن تعرف فيما بعد باسم يعقوب وإنما بإسرائيل . وبارك الملاك يعقوب بقوله : لتكن مشيئة الرب وليكن نسلك تقيا مثلك[٢٥٠] .

وقد ذكر كبير الملائكة فى الحين ذاته يعقوب بأنه كان قد وعد بتقديم عشر ما يملك إلى الرب فسارع بتقديم خمسمائة وخمسين رأسًا من قطيع الماشية الذى كان قوامه خمسة آلاف وخمسين رأسًا فقال كبير الملائكة : غير أن لك أبناءً ولم تقدم العشر . وتقدم يعقوب لمشاهدة أبنائه فرأى رئوبين ويوسف ودان وجاد ، وتم استثناء الابن البكر لكل أم ، فتبقى له ثمانية أبناء، وحينما وصل إلى بنيامين كان عليه أن يبدأ العد بشمعون التاسع وأن ينتهى بلاوى العاشر .

وأخذ كبير الملائكة ميخائيل لاوى إلى السماء وقدمه إلى الرب قائلاً : رب العالمين هاهو الابن العاشر ولهذا فهو من نصيبك . فمد الرب يده وباركه بأن نسله سيكون من خدم الرب على الأرض مثلما تخدم الملائكة الرب فى علاه[٢٥١] . وتحدث يعقوب إلى الملاك قائلاً : وهبنى والدى البركة التى كانت مخصصة لعيساو وأبتغى الآن معرفة إذا ما كنت ستعترف بالبركة التى حلت على أم أنك ستوجه الاتهامات لى بسبب حصولى على هذه البركة ؟ فقال الملاك : أعترف بأن هذه البركة من نصيبك ، إنك لم تحصل عليها بالخداع ، وأعترف أنا وكل القوى السماوية بشرعيتها لأنك أثبت أنك سيد كل القوى السماوية مثلما أنت سيد عيساو وجنده[٢٥٢] .

ولم يدع يعقوب الملاك يرحل دون أن يكشف له اسمه أولاً فأطلعه الملاك أن اسمه سيكون إسرائيل[٢٥٣] ورحل الملاك فى نهاية الأمر بعد أن باركه يعقوب ، ودعا يعقوب المكان " بينوئيل " هذا المكان الذى كان قد أسماه " محانايم" خاصة أن هذين الاسمين يعنيان مواجهة الملائكة[٢٥٤] .

لقاء عيساو ويعقوب

ومع حلول النهار ترك الملاك صراعه مع يعقوب، وقد أشرقت الشمس فى اليوم الذى عبر فيه يعقوب جبل موريا فى طريقه إلى حاران قبل موعدها بساعتين حتى تدعه يصل فى المساء إلى الموقع الذى سيقام فيه الهيكل[٢٥٥] . ولقد كانت طاقة الشمس فى ذلك اليوم شديدة القوة وكان ضياؤها ولهيبها شديد القوة مثلما كانا عليه عند بداية الخلق ، وستشرق على النحو ذاته فى نهاية الأيام حتى تشفى الأعرج والكفيف من اليهود وحتى تفنى عبدة الأوثان ، وحملت الشمس فى اليوم ذاته الخواص نفسها إذ شفت يعقوب وأبادت عيساو وجنده بحرارتها[٢٥٦] .

وكان يعقوب فى حاجة ماسة آنذاك لسائل مطهر يشفيه من الإصابة التى كانت لحقت به خلال صراعه مع الملاك، ولقد كان هذا الصراع مريرًا إلى الدرجة التى صعد معها التراب الذى تولد عن الصراع حتى عرش الرب[٢٥٧] . وبالرغم من أن يعقوب تغلب على خصمه الضخم الذى كان فى حجم ثلث العالم وألقاه على الأرض إلا أن

الملاك تمكن من إصابته إذ نبش أظافره فى عصب المفصل بتجويف فخذه الذى خلع من مكانه ، وهكذا أصبح يعقوب أعرج[٢٥٨] غير أن قوة الشمس شفته. ومع هذا تعهد أبناؤه بألا يأكلوا عصب الفخذ إذ وبخوا أنفسهم لأنهم سبب ما لحق يعقوب من علة وأنه كان من الواجب ألا يتركوه[٢٥٩] .

وبالرغم من أن يعقوب كان قد أعد عدته لما هو أسوأ فقد رأى أنه من الصواب أن يفصل بين أسرتى " ليئة " و " راحيل " وخدمهما ، وأن يقسم الأبناء عليهم ، فوضع الخدم وأبناءهم فى المقدمة ، وليئة وأبناءها فى الوسط وراحيل ويوسف فى الخلف. وكانت هذه هى الحيلة التى اتبعها الثعلب مع الأسد ، وكان الأسد ملك الحيوانات قد غضب ذات مرة من رعاياه فتلتفتوا يمنة ويسرة بحثًا عن خطيب بليغ يمكنه إرضاء حاكمهم ، وتصدى الثعلب لهذه المهمة قائلاً : أعرف ثلاثمائة حكاية ستهدئ غضب الملك ، وقبل الجميع عرض الثعلب بسعادة ، وبينما كان الثعلب فى طريقه إلى الأسد توقف فجأة قائلاً : من أسف أنى نسيت مائة حكاية من مجمل الحكايات الثلاثمائة ، فقال له من كانوا فى صحبته : لاتبال فإن مائتى قصة ستفى بالغرض . وبعد أن سار الركب توقف الثعلب مرة أخرى معترفًا أنه نسى نصف القصص المتبقية، وواسته الحيوانات بأن مائة القصة المتبقية تكفى غير أن الثعلب توقف مرة ثالثة معترفاً أن ذاكرته خانته بالكامل ، وأنه نسى كل القصص ، ونصح كل حيوان بأن يقترب من ملك الغابة بمفرده ليهدئ غضبه . وفيما يتعلق بيعقوب فقد كان لديه من الشجاعة ما يجعله يهدئ عيساو نيابة عن الجميع غير أنه فضل أن يقوم كل فرد بتهدئة غضب عيساو .

وقد فضل يعقوب على أية حال أن يكون أول من يتعرض من أفراد عائلته إلى الخطر إذ قال : أفضل أن يهاجمونى عن أن يهاجموا أبنائى[٢٦٠] . وقد أتى بعده الخدم وأبناؤهم ، ووضع يعقوب الخدم فى المقدمة لأنه رأى أنه إذا تعرض عيساو إلى نسائهم فإنه سيلقى معارضة شديدة منهم ، وأنه يمكنه فى غضون هذه الفترة أن يعد العدة لمقاومة أكثر عنفًا دفاعًا عن زوجاته[٢٦١] ، وأتى يوسف وراحيل فى نهاية الصف. وقد سار يوسف أمام والدته ، هذا بالرغم من أن يعقوب كان قد أمره بالسير خلفها، ومع هذا لم يلتزم يوسف بتعاليم والدته لأنه كان يعلم أنها فائقة الجمال ويعلم مدى شهوانية عيساو ، ولذلك حاول إخفاء راحيل عن عيون عيساو[٢٦٢] .

وحينما اشتد غضب عيساو من يعقوب أقسم أنه لن يقتله بالسيف والسهم وإنما سيقتله بيديه ويشرب دمه غير أن آماله ذهبت هباءً إذ إن رقبة يعقوب أضحت فى قوة العاج ومن هنا لم يتمكن من قتله ولم يجن سوى ذلك الصرير الذى صدر عن أسنانه(٢٦٣) . ولقد كان هذان الأخوان كالحمل والذئب فبينما سعى الذئب إلى تمزيق الحمل فقد دافع الحمل عن ذاته بقرونه عاملاً على غرسهما فى لحم الذئب، وكان كل منهما يصرخ خلال صراعه ضد الآخر فكان الذئب يصرخ لعجزه عن الإمساك بضحيته في حين أن الحمل كان يصرخ لخوفه من أن يعاود الذئب هجومه، أما عيساو ويعقوب فكان الأول يصرخ من شدة الألم الذى لحق بأسنانه فى حين أن الآخر كان يصرخ لخوفه من أن يعاود عيساو هجومه(٢٦٤) .

وقد توجه عيساو إلى أخيه بالسؤال التالى : أخبرنى بطبيعة الجيش الذى واجهته؟ وطرح هذا السؤال لأنه واجه خلال مواجهته مع يعقوب حوالى أربعين ألف جندى كان بعضهم يسير على قدميه وبعضهم الآخر يمتطى الخيل أو يجلس بالمركبات ، وانقض كل هؤلاء الجند مجتمعين على عيساو فور مشاهدتهم له، وقد حاول عيساو معرفة من أين قدمت هذه القوات غير أنها واصلت هجومها دون أن تبالى بالإجابة عنه، ومع هذا فحينما أخبرهم أنه شقيق يعقوب ذكر الجنود : الويل لنا إذا عرف سيدنا أننا مسسناك بأذى . وقد استفسر عيساو من يعقوب عند التقائه به عن هؤلاء الجنود فأجابه أنهم ليسوا سوى حشد من الملائكة(٢٦٥)، وأن الرسل الذين بعثهم إليه كانوا من الملائكة أيضاً لأنه ليس بمقدور أى إنسان الوقوف أمامه(٢٦٦) .

وقد أعطى يعقوب عيساو عشر قطيعات(٢٦٧) ومجوهرات وأحجاراً كريمة(٢٦٨) وعصا(٢٦٩) ، غير أن الحيوانات رفضت أن تتخلى عن سيدها يعقوب وأن تصبح جزءاً من أملاك الشرير عيساو، وقد فرت هذه الحيوانات حينما حاول يعقوب أن ينقلها إلى أخيه ومن هنا لم تصل إلى عيساو سوى الحيوانات الضعيفة والهزيلة التى لم تتمكن من الهرب(٢٧٠) .

وقد رفض عيساو فى البدء الهدية المقدمة إليه غير أن هذا الرفض كان مجرد ادعاء ، فبينما أعلن رفضه للهدية أبقى يده ممدودة للحصول عليها(٢٧١) . وفهم يعقوب هذه الإشارة ومن ثم ازداد إصراراً على قبول عيساو لهديته قائلاً : إذا كنت ترضى

عنى اقبل الهدية التى فى يدى، وإنى أرى وجهك على النحو ذاته الذى رأيت به الملائكة . وكانت هذه الكلمات الأخيرة مختارة بدقة إذ أراد يعقوب أن يفهم عيساو أنه على اتصال بالملائكة وأن يخشاه، وكان يعقوب أشبه بمن دُعى إلى مأدبة من قبل عدو لدود يتحين الفرصة لقتله، وحينما يكتشف الضيف الغرض الذى دُعى من أجله يقول لمضيفه : ما أجمل هذه الوجبة التى لم أتناول مثيلاً لها إلا على مأدبة الملك حينما دعانى . وترمى هذه الجملة الرعب فى التو فى نفس من يعتزم قتله(٢٧٢) . وكان السبب الذى جعل يعقوب يستدعى خلال حديثه مع عيساو مواجهته مع الملاك أن هذا الملاك كان قد هُزم من المواجهة(٢٧٣) .

وكما قبل عيساو الهدايا المقدمة من يعقوب فى هذه المناسبة فقد ظل يقبل هداياه المقدمة طيلة العام إذ كان يعقوب يقدم هدايا يوميا إلى عيساو وكان يقول : إن الهدية تعمى بصر الحكيم فما بالك بما تفعله مع الشرير ؟ ولذلك سأهبه كثيراً من الهدايا حتى يدعنى فى حالى . وعلاوة على هذا لم يول يعقوب اهتماماً كبيراً بممتلكاته خارج الأرض المقدسة ، ومن ثم لم يتردد فى توزيعها .

وعلاوة على الهدايا التى قدمها يعقوب إلى عيساو فقد سدد إليه مبلغاً ضخماً من أجل مغارة " المكفيلة " . وقد باع يعقوب فور وصوله إلى الأرض المقدسة كل ما كان قد جلبه معه من حاران فى مقابل كمية ضخمة من الذهب. وقد تحدث إلى عيساو قائلاً : إن لك نصيباً مثلى فى مغارة المكفيلة . فقال عيساو : لست مهتما بالمغارة ولكنى مهتم بالذهب . وأخذ عيساو الذهب من يعقوب فى مقابل بيعه نصيبه فى المغارة ، وكان يعقوب قد حصل على هذا الذهب خارج الأرض المقدسة غير أن الرب عوضه عن ممتلكاته وأصبح ثريا مثلما كان فيما مضى(٢٧٤) .

ولم يكن الثراء هو الغرض الرئيسى الذى يصبو إليه يعقوب إذ كان راضياً هو وعائلته بل ومستعدا للتخلى عن كل ثرواته المادية لصالح عيساو فقال له : أرى أن الأيام القادمة ستشهد تعرض أبنائى للاضطهاد من قبل أبنائك ولكنى لا أعترض على قيامك بفرض سلطانك وتاجك حتى خروج المسيح المخلص من صلبى . وستتحقق هذه النبوءة فى المستقبل أى عند تمرد كل الأمم على مملكة أدوم وعند استيلائها على مدينة تلو الأخرى من المملكة الشريرة حتى وصولها إلى " بيت جوبرين " . وعندئذ سيظهر المسيح المخلص وسيتولى الملك، وسيفر ملاك مملكة أدوم بحثاً عن ملاذ إلى مدينة

"بصرى" غير أن الرب سيظهر هناك ويقتله، وبالرغم من أن هذه المدينة تعد إحدى المدن الآمنة إلا أن الرب سيثأر هناك، وسيمسك الرب هناك بشعر الملاك وسيقتله النبى إيليا ، وعندئذ سيغطى دمه ثياب الرب[٢٧٥] . وقد وضع يعقوب كل هذه الاعتبارات فى ذهنه عند قوله لعيساو : سيدى دعنى أصل إلى سعير . ولم يصل يعقوب قط إلى سعير وإنما كان يعنى عصر المسيح اليهودى أى حينما سيصل إسرائيل إلى سعير ويفرض سلطانه هناك[٢٧٦] .

وقد أقام يعقوب فى "سكوت" عامًا بأكمله وافتتح به منزلاً للدراسة[٢٧٧] ثم اتجه إلى "شكيم" فى حين أن عيساو توجه إلى "سعير" قائلاً : حتى متى سأظل عبئًا على أخى ؟ وكان قد طرح هذا التساؤل خاصة أن عيساو كان يواصل حصوله على الهدايا من يعقوب خلال إقامته فى " سكوت"[٢٧٨] .

وبعد أن بقى يعقوب هذه السنوات الطوال فى أرض غريبة توجه بسلام إلى "شكيم" ، وعند وصوله إليها نسى كل المعارف التى تلقاها فيما مضى، وتبين له أيضًا أن الهدايا التى وهبها إلى عيساو لم تنتقص من ثروته ، وأنه شُفى من الإصابة التى ألحقها به الملاك خلال صراعه معه، وكان أطفاله أصحاء معافين[٢٧٩] .

وقد دخل يعقوب " شكيم " بعد ظهيرة يوم الجمعة ، وكان أول ما اهتم به أن يحدد حدود المدينة حتى لا يتعدى شرائع يوم السبت ، وقد أرسل فور استقراره فى المكان هدايا إلى نبلاء المدينة ، ولا غرابة فى هذا إذ من الضرورى أن يبدى المرء عرفانه للمدينة التى يستفيد منها، وقد استفاد أهل المدينة أيضًا من ثرواته إذ كان قد افتتح محلا بالمدينة باع به كل المنتجات بأسعار بخسة[٢٨٠] .

وسارع يعقوب أيضًا بشراء قطعة أرض إذ يتعين على كل يهودى ثرى يأتى إلى الأرض المقدسة من خارجها أن يصبح مالكًا لأرض بها[٢٨١] ، وقدم يعقوب فى مقابل ما اقتناه مائة جمل ، ومائة خروف ومائة قطعة من الفضة، وحصل بعد هذا على عقد ملكية وقع عليه بحرف الياء فقط ، ثم أقام مذبحًا للرب على الأرض وقال : إنك سيد كل الأشياء السماوية وأنا سيد كل الأشياء الأرضية غير أن الرب قال : لا يمكن حتى لمالك المعبد أن يزعم أن له امتيازات فيه وأنت تزعم ربوبيتك؟ إن بنتك سترتحل بالغد وستُذل[٢٨٢] .

حلول الغضب على شكيم

وبينما كان يعقوب وأبناؤه يجلسون فى منزل الدراسة منشغلين بدراسة التوراة[٢٨٣] ، توجهت دينا لمشاهدة الراقصات والمغنيات اللاتى استأجرهن أهل شكيم لإغرائها بالخروج[٢٨٤] ، ولو كانت بقيت بالمنزل ما كانت تعرضت لأى شىء ، غير أنها كانت تحب كسائر النساء الظهور بالشارع[٢٨٥] ، وحينما رآها شكيم أمسكها عنوة وبالرغم من صغر سنها[٢٨٦] اعتدى عليها بوحشية[٢٨٧] .

وكانت هذه المصيبة التى حلت على يعقوب عقابًا على إفراطه فى ثقته فى نفسه فقد ذكر خلال محادثته مع لابان : إن صدقى سيفيدنى فيما بعد . وعلاوة على هذا – وبينما كان عائدًا إلى فلسطين ليلتقى بأخيه – فقد أخفى ابنته فى صندوق خشية أن يبتغيها عيساو زوجة وأن يُجبر على هذا ، وحدثه الرب قائلاً : لقد تصرفت على نحو غير لائق مع أخيك ، ولهذا ستتزوج دينا أيوب غير المختون وغير المهتدى ، لقد رفضت أن تزوجها مختونًا ولهذا سيتزوجها إنسان غير مختون، لقد رفضت أن تزوجها عيساو شرعيا ولهذا سقطت ضحية رغبات هذا المغتصب[٢٨٨] .

وحينما سمع يعقوب أن شكيم دنس ابنته أرسل اثنى عشر خادمًا لإخراج دينا من منزل شكيم غير أنه توجه للقياهم برجاله وطردهم من منزله ولم يتح لهم الاقتراب منها بل قبلها واحتضنها أمامهم. وأرسل يعقوب فيما بعد وصيفتين من وصيفات دينا للإقامة معها فى منزل شكيم الذى أمر ثلاثة من أصدقائه بالتوجه إلى والده " حامور " ابن " خاداكوم " وقال : دعنى أتزوج هذه الفتاة . وحاول حامور فى البدء إقناع ولده ألا يتزوج امرأة عبرانية ومع هذا فحينما تمسك "شكيم" بمطلبه نفذ حامور رغبة ولده وتوجه إلى يعقوب ليحدثه بخصوص هذا الشأن. وقد عاد فى غضون هذه الفترة أبناء يعقوب من الحقل فاشتعل غضبهم وحدثوا والدهم قائلين : لاشك أن الموت هو العقوبة التى يستحقها هذا الرجل وآل بيته لأن رب كل الأرض أمر نوحا وأبناءه بألا يرتكب المرء جريمتى السرقة والزنا، والآن ارتكب شكيم جريمة الزنا مع شقيقتنا ولم يحدثه أحد قط . وبينما كانوا يحدثونه على هذا النحو أتى حامور ليحدث يعقوب بشأن رغبة ولده شكيم فى الاقتران بدينا. وبعد أن فرغ حامور من حديثه أتى شكيم بنفسه وقدم

طلبه إلى يعقوب، وأجاب شمعون ولاوى على حامور وشكيم على نحو مخادع بقولهما : سننفذ كل ما قلتما . إن شقيقتنا بمنزلك ولكن ابتعد عنها حتى نحدث والدنا إسحاق عن هذا الموضوع خاصة أنه لا يمكننا القيام بأى شىء دون استشارته فهو يعلم طرق والدنا إبراهيم ، وسنبلغك كل ما يقول ولن نخفى عنك شيئًا .

وتوجه شكيم ووالده إلى منزلهما مطمئنين إلى النتيجة التى تحققت. وبعد رحيلهما فكر أبناء يعقوب فى ذريعة يمكنهم من خلالها إبادة كل سكان المدينة الذين استحقوا هذه العقوبة بسبب حماقتهم ، ووجه شمعون حديثه إليهم بقوله : لدى نصيحة جيدة فلتأمرهم بالختان. وإذا لم يستجيبوا سنأخذ بنتنا منهم. أما إذا وافقوا يمكننا عندئذ مهاجمتهم وقتلهم لأنهم سيعانون من آلام الختان . وفى الصباح التالى أتى شكيم ووالده مرة أخرى إلى يعقوب ليحدثاه بشأن دينا فتحدث أبناء يعقوب على نحو مخادع قائلين : أطلعنا والدنا إسحاق بما طلبت وسعد بهذا الطلب غير أنه قال إنه يتعين على كل من يرغب فى الاقتران بأى بنت من بناته أن يكون مختونا .

وسارع شكيم ووالده بتنفيذ رغبات أبناء يعقوب الذين أقنعوا أهل مدينتهم أيضًا بالختان . وفى اليوم التالى نهض شكيم ووالده مبكرًا وجمعا كل سكان المدينة ووجها الدعوة إلى أبناء يعقوب الذين ختنوا شكيم ووالده وإخوانه الخمسة وكل ذكور المدينة الذين كان يبلغ عددهم ستمائة وأربعة وخمسين رجلاً ومائتين وستة وسبعين صبيا ، أما خاداكوم جد شكيم وإخوانه الستة فقد رفضوا الختان بل وكانوا شديدى الغضب من سكان المدينة لاستجابتهم لرغبات أبناء يعقوب .

وأرسل شكيم ووالده مساء اليوم التالى ثمانية صبيان للختان إذ كانت أمهاتهم أخفينهم. وانفجر " خاداكوم " وإخوانه الستة غضبًا من الرسل بل وحاولوا قتل شكيم وحامور ودينا . وقد وبخوا شكيم ووالده لقيامهم بشىء لم يفعله آباؤهم قائلين إنهم سيثيرون على هذا النحو سخرية سكان أرض كنعان وسخرية أبناء حام ، وكل هذا بسبب امرأة عبرية . وأنهى خاداكوم وإخوانه حديثهم بقولهم : سنتوجه غدًا لجمع إخواننا الكنعانيين وسنأتى لقتلك أنت وكل من تثق بهم حتى لا يبقى منك أو منهم أحد .

وحينما سمع حامور وولده شكيم وكل سكان المدينة ما حدث تملكهم الرعب معتذرين عما فعلوا ، وعلق شكيم ووالده على حديث خاداكوم وإخوانه بقولهم : رأينا أن العبرانيين لن ينفذوا رغباتنا بشأن زواج ابنتهم ولهذا نفذنا الختان، وبعد أن نحقق مرادنا فإننا سننفذ ما يحلو لكم ولنا . وسمعت دينا هذه الكلمات فسارعت بإرسال إحدى وصيفاتها لإبلاغ يعقوب وأبنائه بالمؤامرة التى تُحاك ضدهم، وحينما سمع أبناء يعقوب ما قالته الوصيفة استشاطوا غضباً فأقسم شمعون ولاوى قائلين : لن يتبقى أحد منهم بالمدينة .

وبدأوا فى عملية الإبادة بقتل ثمانية عشر طفلاً من مجمل العشرين طفلاً الذين لم يتم ختانهم ، وقد فر اثنان منهم إلى أحد الكهوف ، ثم قتل شمعون ولاوى كل من بالمدينة ولم يتركوا ذكراً فيها، وبينما كانا يبحثان عن غنائم خارج المدينة تصدت لهما ثلاثمائة امرأة ألقين عليهما الحجارة غير أن شمعون قتلهن وعاد إلى المدينة إذ لحق بلاوى ، وأخذا من السكان المقيمين خارج المدينة أغنامهم وثيرانهم وماشيتهم ونساءهم وأبناءهم الصغار وقادوهم إلى والدهم يعقوب، وكان عدد السبايا من النساء خمسا وثمانين فتاة عذراء كان من بينهن فتاة فائقة الجمال اسمها " بوناه " تزوجها شمعون ، وكان عدد السبايا من الذكور سبعة وأربعين، وعمل هؤلاء الذكور والإناث فى خدمة أبناء يعقوب وبنيهم حتى خروجهم من مصر .

انتهاء الحرب

وحينما خرج شمعون ولاوى من المدينة ظهر الشخصان اللذان كانا قد تخفيا فى أحد الكهوف ونجيا من القتل فوجدا المدينة مهجورة لا يقطنها أحد من الرجال. ووجدا بها نساء باكيات يقلن : دمر أبناء يعقوب مدن كنعان ولم يخافوا أحداً .

وترك هذان الرجلان المدينة وتوجها إلى " تابواح " وأخبرا سكانها بما فعله أبناء يعقوب فى مدينة " شكيم " ، فأرسل " ياشوب " ملك تابواح رسلاً إلى شكيم للتأكد من صدق ما سمعه إذ لم يصدقهم قائلاً : كيف يمكن لرجلين أن يدمرا مدينة كبيرة مثل شكيم ؟ وحينما عاد الرسل أبلغوا الملك : إن المدينة أُبيدت بأكملها ولم يعد يقطنها الرجال ولا يقيم بها سوى النسوة الباكيات، ولم تعد بها أية أغنام أو مواشٍ إذ استولى أبناء يعقوب على كل شيء .

ولم يصدق " ياشوب " ما حدث إذ لم يسمع منذ عهد نمرود أو حتى فى العصور السابقة له أنه بوسع رجلين تدمير مدينة ضخمة بهذا الشكل ، ولهذا قرر شن الحرب ضد العبرانيين والانتقام لأهل شكيم ، وقال مستشاروه : إذا كان بوسع رجلين فقط إنزال الدمار بالمدينة فإنهما سيدمروننا إذا خضت الحرب ضدهم ، ولذلك يجب أن تدعو الملوك المحيطين بنا للمشاركة حتى يمكننا شن الحرب ضد أبناء يعقوب حتى ندمرهم .

وحينما سمع ملوك الآموريين السبعة ما فعله أبناء يعقوب ضد مدينة شكيم حشدوا جيوشهم البالغ قوامها عشرة آلاف فرد وأشهروا سيوفهم متوجهين لشن الحرب ضد بنى يعقوب، وتملك الرعب يعقوب فقال لولديه شمعون ولاوى : لماذا جلبتم الشر على؟ لقد كنت أسكن فى طمأنينة غير أنكما أثرتما بأعمالكما غضب كل الأرض .

وحدث يهوذا والده : لم يقتل شمعون ولاوى سكان شكيم ظلماً ، وإنما فعلا ما فعلاه بسبب إهانتهم لشقيقتنا وانتهاكم لوصية الرب إلى نوح وأبنائه ، ولا يحق لأى من سكان الأرض التدخل فى هذا الأمر ، ولماذا تخاف الآن وتغضب من إخوتنا ؟ ولا شك أن الرب الذى مكن شمعون ولاوى من السيطرة على شكيم سيمكننا من التغلب على ملوك كنعان الذين يتقدمون الآن لشن الحرب ضدنا. تخل عن مخاوفك وابتهل إلى الرب حتى يساعدنا .

وخاطب يهوذا إخوانه بقوله : إن الرب معنا فلا تخافوا وليتمسك كل منكم بسلاحه من قوس وسيف ، وسنقاتل غير المختونين ، وسينقذنا الرب . وتقدم يعقوب وأبناؤه الأحد عشر وخدم إسحاق المائة الذين هبوا للمساعدة للقاء الآموريين الذين كان عددهم يفوق الحصر كرمال البحر، وطلب أبناء يعقوب من جدهم إسحاق بالخليل أن يصلى للرب ليحميهم من أيدى الكنعانيين فدعا الرب قائلاً : لقد وعدت والدى قائلاً سأكثر نسلك وسأجعله كنجوم السماء كما وعدتنى بأنك ستنفذ وعدك لوالدى، والآن يارب العالمين أدعوك لدحض مجلس هؤلاء الملوك حتى لا يقاتلوا أبنائى واملأ قلوب الملوك وجندهم بالرعب من أبنائى وحطم كبرياءهم حتى يفروا من أبنائى ، خلص أبنائى وخدمهم منهم بقبضتك القوية وذراعك الطويلة لأن القوة بيدك .

وابتهل يعقوب أيضًا إلى الرب بقوله : الرب القوى العالى الذى يحكم منذ الأزل وإلى الأبد، إنك الذى تثير الحروب وتوقفها . إنك تملك القوة التى تعلى وتذل. ولتقبل صلاتى وترحمنى ولهذا املأ قلوب الملوك وجندهم بالخوف من أبنائى ولتبث الرعب فى معسكراتهم. وخلص برحمتك من يثقون بك لأنك تذل الشعوب من أجلنا وتضع الأمم تحت أقدامنا .

واستمع الرب إلى صلوات إسحاق ويعقوب فملأ قلوب ملوك مستشارى الكنعانيين بالخوف والرعب . ولذلك فحينما استشار الملوك مستشاريهم بشأن محاربة أبناء يعقوب قالوا : هل أنتم حمقى أم يعوزكم الفهم حتى تحاربوا العبرانيين. ولماذا تبتهجون بالدمار الذى سيحل عليكم ؟ ألا تعرفون أن اثنين منهما قدما إلى شكيم وأذلا كل سكانها بحد السيف وأنه لم يتصد أحد لهم ، ولهذا كيف ستتصدون لهم ؟

وواصل المستشارون حديثهم عن المعجزات التى قام بها الرب من أجل إبراهيم ويعقوب وبنيه هذه المعجزات التى لم يحدث مثيلٌ لها فى القدم. وحينما استمع الملوك إلى كلمات مستشاريهم تملكهم الرعب من أبناء يعقوب ، وقرروا ألا يقاتلوهم، وعاد كل منهم على رأس جيشه إلى مدينته غير أن أبناء يعقوب ظلوا بمواقعهم حتى المساء ولم يعودوا إلى موطنهم إلا بعد أن تأكدوا أن الملوك لم يتقدموا للمعركة[٢٨٩] .

وحل غضب الرب على سكان شكيم بسبب حماقتهم إذ كانوا قد سعوا إلى إهانة واغتصاب سارة وريبيكا مثلما فعلوا مع دينا غير أن الرب تمكن بقوته من منعهم ، وكان هؤلاء السكان قد اضطهدوا إبراهيم حينما كان غريبا ، وأساءوا معاملة " إيبلان " الذى كان وُلد فى منزله، وكانوا قد اعتادوا على سلب زوجات كل الغرباء بالقوة[٢٩٠].

الحرب مع سكان نينوى

وأثار الدمار الذى أنزله شمعون ولاوى بمدينة شكيم خوف كل الملحدين الذين قالوا : إنه إذا كان تمكن اثنان من أبناء يعقوب من إنزال الدمار بمدينة فى هذا الحجم فماذا يمكن ليعقوب وكافة أبنائه القيام به ؟ وترك يعقوب آنذاك " شكيم " وقرر أن يتوجه بكل ممتلكاته إلى والده إسحاق غير أنه واجه بعد سفر دام ثمانية أيام جيشًا

قويا كان قد أرسله " نينوى " ليحصل على الجزية من العالم وإخضاعه، وعند وصول هذا الجيش إلى المناطق المحيطة بمدينة شكيم فقد سمع ما تعرضت له المدينة على أيدى أبناء يعقوب وسمعوا أيضًا أن الغضب تملك الجميع وأنهم قرروا شن الحرب على يعقوب .

غير أن يعقوب قال لبنيه: لا تخافوا فإن الرب سيخلصكم وسيقاتل أعداءكم. ويتعين عليكم فقط الابتعاد عن الآلهة الأجنبية وأن تطهروا أنفسكم وثيابكم . وتقدم يعقوب مشهرًا سيفه فى وجه العدو وقتل فى هجومه الأول اثنى عشر ألف فردٍ من جيش العدو ثم تحدث يهوذا إليه قائلاً : والدى إن التعب حل بك ودعنى أقاتل العدو بمفردى . فأجابه يعقوب : ولدى إنى أعلم قوتك وشجاعتك العظيمة التى لا يتحلى بها أحد فى العالم .

وقد كانت ملامح يهوذا كالأسد ، فهاجم فى غضبه الجيش وقتل منه اثنى عشر ألف فردٍ من أفضل مقاتليه ، واشتعلت الحرب فسارع لاوى بتقديم المساعدة وتمكنا من سحق أهل نينوى، وقتل يهوذا بمفرده خمسة آلاف آخرين، أما لاوى فقد وجه ضرباته القوية فى كل الأنحاء فسقط رجال العدو كالحب الذى يقتلعه منجل الحصاد .

وحينما تنبه أهل نينوى إلى مصيرهم قالوا : حتى متى يمكننا مقاتلة هؤلاء الشياطين ولنرجع إلى موطننا حتى لا نتعرض للإبادة . غير أن ملكهم حاول منعهم قائلاً : أيها الأبطال العظماء هل فقدتم صوابكم حتى تفكروا فى العودة إلى موطنكم ؟ أهذه هى الشجاعة ؟ وبعد أن أخضعتم ممالك وبلدانًا عديدة أيعقل أن تعجزوا عن الإمساك باثنى عشر فردًا ؟ وإذا سمعت الأمم التى تدفع الجزية لنا ما حدث ستتمرد علينا ، وستسخر منا ، وستفعل ما يحلو لها بنا. تشجعوا يا رجال المدينة العظيمة نينوى حتى يظل اسمكم عاليًا ولا يسخر منكم الأعداء .

وبثت كلمات الملك الشجاعة فى نفوس الجنود الذين واصلوا حملتهم فأرسلوا رسلاً إلى كل البلدان طلبًا للمساعدة وللحصول على حلفاء لمعاودة الهجوم على يعقوب، وحدث الملك أبناءه قائلاً : تشجعوا وكونوا رجالاً وقاتلوا أعداءكم . وأخذ أبناؤه الاثنا عشر مواقعهم فى اثنى عشر مكانًا وترك كل منهم مساحة مناسبة تفصله عن الآخر ،

وأمسك يعقوب سيفًا بيمناه وقوسًا في يسراه ، وتقدم المواجهة إذ كان عليه أن يصد العدو من اليمين واليسار، وقد أنزل ضربة قاصمة بالعدو، وحينما هاجمه ألفا جندى قفز في الهواء واختفى عن أبصارهم، وقتل في هذا اليوم اثنين وعشرين ألفا ، وحينما حل المساء خطط للهرب تحت جنح الظلام. ومع هذا فقد ظهر فجأة تسعون ألف فرد فاضطر لمحاربتهم. وكان يعقوب قد اندفع لمواجهتهم بسيفه غير أنه انكسر مما اضطره للدفاع عن نفسه فحول صخرة ضخمة إلى مسحوق جيرى ألقاه على العدو فأعمى جنده الذين لم يمكنهم رؤية شيء. وكان من حسن الطالع أن الظلام كان وشيكًا مما سمح ليعقوب بالراحة .

وقال يهوذا ليعقوب في الصباح : والدى لقد قاتلت طيلة أمس ولا شك أنك مجهد فدعني أقاتل اليوم . وحينما شاهد الجند وجه يهوذا الشبيه بالأسد وأسنانه الضارية وزئيره تملكهم الرعب فقفز يهوذا على الجيش ، وحلق فوقه كورقة شجر منزلاً ضرباته عليه دون توقف . ومع حلول المساء كان قد قتل ثمانين ألفًا وستة وتسعين رجلاً مسلحين بالسيوف والأقواس، وحينما حل التعب بيهوذا تقدم زبولون من يسراه وقتل ثمانين ألف فردٍ من العدو، واسترد يهوذا عندئذ عافيته ونهض غاضبًا فاصطكت أسنانه وأصدرت صوتًا كالرعد ففر العدو قاطعًا مسافة ثمانية عشرميلاً فنعم يهوذا بالهدوء في المساء .

ومع هذا ظهر الجيش مرة أخرى في الغد مستعدا لشن المعركة للثأر من يعقوب وبنيه، ومع إعلانهم للحرب تحدث يعقوب إلى بنيه قائلاً : تقدموا وقاتلوا أعداءكم . وقال يساكر وجاد عندئذ إنهما سيتحملان عبء القتال فأمرهم يعقوب بتنفيذ مهمتهما على أن يكون إخوانهما مستعدين لتقديم المساعدة والتدخل حينما تظهر عليهما علامات التعب والإرهاق .

وقتل قادة هذا اليوم ثمانية وأربعين ألف مقاتل ، وأجبروا اثنى عشر ألفا آخرين على الفرار إلى أحد الكهوف ، وقد وضع يساكر وجاد أشجارًا أمام مدخل الكهف مشعلين النار فيها، وحينما ازدادت شدة النيران تحدث الجند الفارون قائلين : ولماذا نبقى في الكهف لنلقى حتفنا به من شدة الدخان والنيران ؟ ولنخرج من الكهف ولنقاتل أعداءنا عسى أن ننقذ أنفسنا . وقد تركوا الكهف وتوجهوا إلى مدخله وهاجموا

يساكر وجاد فى المقدمة والخلف، وحينما شاهد دان ونفتالى ما يتعرض له إخوانهما سارعا بتقديم المساعدة إليهما، وشقا طريقهما بسيوفهما صوب يساكر وجاد واتحدا معهما فى مواجهة العدو .

وفى اليوم الثالث من المواجهة تم تدعيم أهل نينوى بجيش عدد جنده كرمل البحر، ووحد أبناء يعقوب صفوفهم وألحقوا الهزيمة بالعدو، وبينما أخذوا يطاردونهم قال جنود العدو : ولماذا نولى الأدبار ؟ فلنقاتلهم إذ ربما ننتصر عليهم . ونشب صراع مرير. وحينما شاهد يعقوب الهجوم العنيف الذى يتعرض له أبناؤه اندفع إلى ساحة المعركة منزلاً ضرباته يمنة ويسرة بالعدو، ومع هذا كانت يد الكفار هى العليا إذ نجحوا فى فصل يهوذا عن إخوانه، وحينما شاهد يعقوب الخطر المحدق بولده أطلق صفيراً متفقًا عليه فسارع إخوة يهوذا بتقديم المساعدة إليه ، وكان يهوذا منهكًا من شدة العطش ، ولما لم تكن هناك مياه لتطفئ ظمأه فقد حفر بإصبعه بقوة فى الأرض فتفجرت المياه أمام كل جند الجيش الذين قال كل منهم للآخر : سأهرب من هؤلاء الشياطين لأن الرب يحارب معهم ، وسارع الجنود بالهرب غير أن بنى يعقوب لم يتوقفوا عن مطاردتهم وقتلهم ثم عادوا إلى خيامهم ، ولاحظوا خلال عودتهم أن يوسف ليس معهم فتخوفوا من أن يكون قد قُتل أو أُخذ فى الأسر، واندفع نفتالى صوب العدو المنسحب بحثًا عن يوسف فوجده يواصل القتال ضد أهل نينوى فانضم إليه وقتل عدداً لا حصر له ففر من كانوا يتقدمون صوب يوسف ، ومع انتهاء الحرب واصل يعقوب رحلته دون توقف إلى والده إسحاق(٢٩١) .

الحرب ضد الآموريين

ولم يحاول من كانوا يقيمون بجانب " شكيم " التحرش بيعقوب الذى عاد إلى هناك مع آل بيته للإقامة بها ، ومع هذا وبعد مضى سبع سنوات بدأ الكفار فى التعرض إليه والتحرش به ، وحينما اجتمع ملوك الآموريين معًا ضد بنى يعقوب مقررين قتلهم فى وادى " شكيم " فقد قالوا : ألم يكن كافيًا أنهم قتلوا أهل شكيم ؟ وهل يبتغون الآن السيطرة أيضًا على أراضيهم ؟ وتقدموا لخوض المعركة .

وقفز يهوذا إلى داخل صفوف جنود الملوك المتحالفين ، وقتل فى البدء "ياشوب" ملك تابواح الذى كان مغطى بالحديد والنحاس من رأسه حتى أخمص قدميه ، وكان هذا الملك يمتطى جوادًا ويطلق من عليه الرماح بقبضتيه صوب كل الاتجاهات دون أن يخطئ هدفه إذ كان مقاتلاً قويا بل وكان بمقدوره إطلاق الرماح بيد واحدة ، ومع هذا لم يخشه يهوذا إذ اندفع ناحيته وألقى عليه حجرًا ضخمًا واندفع نحوه. وكان ياشوب يبعد عنه عندئذ مسافة مائة وسبعة وسبعين ذراعًا. وكان مسلحًا بدرع حديدى . وكان لا يتوقف خلال تقدمه صوب يهوذا عن إلقاء السهام غير أن يهوذا ألقى على درعه حجرًا وأسقطه من جواده، وحينما حاول الملك النهوض أسرع يهوذا بقتله قبل أن يقف ، ومع هذا كان ياشوب رشيقًا ومن هنا سرعان ما تمكن من الوقوف لمهاجمة يهوذا وجهًا لوجه واستل سيفه للإطاحة برأس يهوذا، وسارع يهوذا بوضع الدرع أمامه للتصدى للسيف غير أن الدرع تحطم ومع هذا فقد تمكن من خطف درع خصمه ووجه بسيفه ضربة قاصمة إلى عدوه فبتر قدميه، وحينما سقط الملك على الأرض سقط سيفه منه فأسرع يهوذا بفصل رأسه عن جسده .

وبينما كان يهوذا يزيح الدرع عن خصمه القتيل فقد ظهر على الساحة تسعة من أتباع " ياشوب " فأسرع يهوذا بإلقاء حجر على رأس من كان يتقدمهم والذى كان يتجه صوبه، وكان الحجر شديد القوة فسقط الدرع عن هذا العدو فسارع يهوذا بأخذه ليدافع به عن نفسه فى مواجهة الجنود الثمانية المتبقين، وأتى فى هذه اللحظة أخوه "لاوى" ووقف بجوار يهوذا وقتل بسهمه " ايلون " ملك "جاش" ، وتمكن يهوذا عندئذ من قتل الثمانية المتبقين، وأتى والده يعقوب وقتل " زيرورى " ملك شيلواح، ولم يتمكن أحد من الكفار من التغلب على بنى يعقوب فلم يكن لديهم من الشجاعة ما يؤهلهم للتصدى لهم ، ومن هنا لم يسعهم سوى الهرب، وتعقبهم بنو يعقوب فقتل كل فرد منهم ألف فرد من الآموريين قبل غروب الشمس، أما أبناؤه الآخرون فقد تمركزوا على مرتفع "شكيم" وطاردوا منه الآموريين حتى "حازور" ، وقد أطلقوا من " شكيم " سهامهم التى طارت وقتلت " بيراثون " ملك " حازور " و " باشوثى " ملك " سارتان " ، ولابان ملك آرام و " شبير " ملك " ماحانايم " .

وكان يهوذا أول من تمكن من صعود جدران مدينة "حازور" ، وحينما اقترب من قمة الأسوار هاجمه أربعة جنود غير أنه تمكن من قتلهم دون أن يتوقف عن مواصلة صعوده بل وقبل أن يقدم له أخوه نفتالى المساعدة، وقد سار نفتالى خلفه ثم وقفا معًا فوق الجدار وقتلا كل الجنود، وسار سائر أبناء يعقوب خلفهما وقضوا فى هذا اليوم قضاءً مبرمًا على كل الكفار، وقد أخضعوا " حازور " وقتلوا كل جنودها ولم يتركوا أحدًا ينجو بحياته بل وسلبوا أيضًا كل ممتلكات المدينة .

وفى اليوم التالى توجهوا إلى " سارتان " التى نشبت بها معركة شديدة الضراوة، وكانت هذه المدينة تقع على أرض مرتفعة بل كانت سهولها بالغة الارتفاع ، ومن ثم لم يجرؤ أحد على الاقتراب منها أو من القلعة خاصة أن الجدران كانت بالغة الارتفاع ، ومع هذا فقد أصبح بنو يعقوب سادة المدينة إذ تمكنوا من إسقاط أسوار القلعة ، وكان " يهوذا " أول من تسلقها من جهة الشرق و" جاد " من الغرب ، و" شمعون " و " لاوى " من الشمال ، و "رئوبين" و "دان" من الجنوب، وأضرم نفتالى ويساكر النيران فى مفصلات أبواب المدينة .

وعلى النحو نفسه أخضع بنو يعقوب خمس مدن أخرى وهى " تابواح " و "أربيل" و " شيلواح " و " محانايم " و " جاعش " ، وقضوا عليها فى خمسة أيام، وفى اليوم السادس اجتمع كل الآموريين وأتوا إلى يعقوب وبنيه دون سلاح ساجدين أمامهم ساعين للسلام، وتوصل بنو يعقوب إلى اتفاق مع الكفار الذين تنازلوا لهم عن " تيمنا " وعن أرض " حراريا " ، وتوصل يعقوب فى هذا اليوم إلى سلام معهم ، فأعادوا إلى بنى يعقوب الماشية التى كانوا أخذوها وكل الغنائم ، وتوجه يعقوب إلى " تيمنا " ، أما يهوذا فتوجه إلى " أربيل " ، ومن هنا فقد توقف الآموريون عن إزعاجهم[٢٩٢] .

إسحاق يبارك لاوى ويهوذا

تحل على المرء إذا لم يوف بالقسم فى الوقت المناسب ثلاثة ذنوب وهى : الوثنية ، وعدم التحلى بالعفة ، وسفك الدماء. وكان يعقوب مذنبًا حينما لم يفِ بالوعد الذى قطعه على نفسه فى " بيت آيل " ، ومن ثم حل عليه العقاب إذ تدنس شرف بنته ، كما

أن بنيه سفكوا دم الآخرين بل واحتفظوا بالأوثان التى كانت بين الغنائم التى أخذوها فى شكيم(٢٩٣) . ومن ثم فحينما سجد يعقوب أمام الرب بعد المعركة العنيفة التى نشبت فى شكيم فقد أمره الرب بالنهوض والتوجه إلى " بيت آيل " لتنفيذ القسم الذى قطعه على نفسه هناك(٢٩٤) . وقبل أن يتوجه يعقوب إلى المكان الذى أمره الرب بالتوجه إليه أخذ الأصنام التى كانت فى حوزة أبنائه والأصنام التى كانت راحيل قد استولت عليها من والدها وحطمها قطعًا صغيرة(٢٩٥) ووضعها تحت شجرة بلوط على جبل الزيتون(٢٩٦) ، واقتلع الشجرة بيد واحدة وأخفى بقايا الأصنام تحتها ثم وضع الشجرة فى موضعها بيد واحدة(٢٩٧) ، وكان أحد الأصنام المحطمة على صورة حمامة ، وقد وجده فيما بعد السامرى وعبدها .

وأقام يعقوب مع وصوله إلى بيت آيل مذبحًا للرب ، ووضع عمودًا به استراح لديه فى المساء ونام بجواره خلال رحلته إلى حاران(٢٩٨) ، ثم أمر والديه بالمجىء إلى "بيت آيل " والمشاركة فى أضحيته. غير أن إسحاق بعث رسالة إليه جاء بها : ولدى يعقوب أيمكننى مشاهدتك قبل أن أموت ؟ فأسرع يعقوب بالتوجه إليه آخذًا معه لاوى ويهوذا. وحينما تقدم ولداه صوب إسحاق زالت الغشاوة السوداء عن بصره فقال متسائلاً : أهؤلاء أبناؤك يا يعقوب ؟ إنهما يشبهانك ، وتسللت روح النبوءة إلى فمه فاحتوى لاوى قائلاً : ليقربك الرب أنت ونسلك إليه أكثر من أى أحد حتى تخدمه فى معبده كالملائكة ، وسيكون كل الأمراء والقضاة والحكام فى خدمة نسل أبناء يعقوب الذين سيعلنون كلمة الرب بصدق ، وسينفذون أحكامه . وقال إسحاق ليهوذا : سيكون أحد أبنائك سيدًا على أحد أبناء يعقوب ، وسيحقق خلاص إسرائيل ، وحينما ستجلس على عرش المجد فإن السلام سيسود وسيعم أبناء خليلى إبراهيم .

وأخبر إسحاق فى الغد ولده أنه لن يصحبه إلى بيت آيل لأنه أصبح طاعنًا فى السن ، وأمره بألا يتوانى عن تنفيذ قسمه ، وسمح له بأن يأخذ والدته ريبيكا إلى الأرض المقدسة ، فتوجهت ريبيكا مع مرضعتها إلى بيت آيل(٢٩٩) .

البهجة والحزن فى منزل يعقوب

وتوجهت ديبورا وبعض خدم إسحاق إلى يعقوب بأمر من والدته فى الوقت الذى كان يقيم فيه مع لابان ، وتوجهوا إليه ليصحبوه إلى منزله بعد انتهاء فترة سنوات خدمته للابان التى كانت تبلغ أربعة عشر عامًا. ولما رفض يعقوب الانصياع فى الحال لأمر والدته عاد اثنان من خدم إسحاق إلى سيدهما غير أن ديبورا بقيت مع يعقوب ومن ثم فحينما توفيت ديبورا فى بيت آيل رثاها يعقوب ودفنها تحت أشجار التمر فى بيت آيل[٣٠٠] . هذا المكان الذى أتاه بنو إسرائيل عند خصامهم فيما بعد للاحتكام إليها[٣٠١] .

وبعد مضى فترة قصيرة على وفاة ديبورا توفيت ريبيكا ، ولم يصبح يوم وفاتها ذكرى للحداد . وكان سبب هذا أن إبراهيم كان قد توفى فضلاً عن أن إسحاق كان قد كف بصره كما أن يعقوب كان بعيدًا عن منزله. ولم يتبق سوى عيساو وهكذا فقد كان هو الوحيد الذى يمكنه أن يرثيها على الملأ وأن يمثل بمفرده عائلتها. وحتى يتم تجنب هذا الوضع فقد تم دفن ريبيكا فى المساء .

وتراءى الرب ليعقوب ليواسيه فى حزنه[٣٠٢]، كما تراءت له كل العائلة السماوية ، وكانت هذه الرؤية علامة على رضا الرب الذى لم يتراء ليعقوب[٣٠٣] حينما كان أبناؤه يحملون الأصنام . وأخبر الرب فى الحين ذاته يعقوب أنه سيُرزق ببنيامين ومنشيه وافرايم الذين قُدر عليهم أن يكونوا مؤسسين للقبائل، وأخبره الرب أيضًا أنه سيظهر من صلب هؤلاء الثلاثة ملوك ثلاثة وهم شاءول الذى من نسل بنيامين ، و" يربعام " الذى سيكون من نسل " أفرايم " ، و " يهو " الذى سيكون من قبيلة " منشيه " ، وفى هذه الرؤية فقد أكد الرب ليعقوب على أن اسمه سيكون إسرائيل ، وتحقق على هذا النحو الوعد الذى قدمه الملاك ليعقوب خلال صراعه معه عند دخول الأرض المقدسة ، وكشف الرب ليعقوب أيضًا أنه سيكون آخر من يرتبط بهم اسم الرب إذ يدعى الرب بمسميات "رب إبراهيم" و "رب إسحاق" و "رب يعقوب" ولا يدعى رب أحد آخر[٣٠٤] .

وحتى يتم تخليد هذا الوحى الذى تلقاه يعقوب من الرب فقد أقام عموداً حجريا صب عليه أضحية سائلة مثلما فعل الكهنة فى العصور اللاحقة حينما كانوا يقدمون السوائل فى المعبد فى عيد الهيكل(٣٠٥) ، وكانت السوائل التى قدمها يعقوب فى بيت آيل لا تقل فى كميتها عن مياه بحيرة طبرية(٣٠٦) .

وحينما توفيت "ديبورا" و " ريبيكا " توفيت أيضًا راحيل عن عمر يناهز ستة وثلاثين عامًا(٣٠٧) ، وقد توفيت بعد أن استجاب الرب لدعوتها بألا تقضى نحبها إلا بعد أن تنجب ابنًا ثانيًا ليعقوب ، ومن هنا توفيت عند ولادة بنيامين. وكانت راحيل قد توقفت عن الإنجاب لاثنى عشر عامًا ثم صامت اثنى عشر يومًا فاستجاب الرب لدعائها، وحينما أنجبت هذا الولد دعاه يعقوب بنيامين هـذا الاسم الذى يعنى " ابن الأيام " إذ رُزق به وهو طاعن فى السن(٣٠٨) ، وولدت معه شقيقة توأم(٣٠٩) .

ودُفنت راحيل فى الطريق المؤدى إلى الفرات إذ إن يعقوب رأى بفضل نبوءته أن المنفيين من اليهود سيعبرون هذه البقعة وهم فى طريقهم إلى بابل ، وأن راحيل ستطلب عندئذ من الرب أن يشمل برحمته فقراء المنفيين(٣١٠) . وارتحل يعقوب إلى القدس(٣١١) .

وحينما كانت راحيل على قيد الحياة كان مضجعها فى خيمة يعقوب الذى أمر بعد وفاتها بنقل مضجع خادمتها " بلهة " إلى خيمته ، مما أثار غضب " رئوبين " فقال : أليس من الكافى أن راحيل استولت خلال حياتها على حقوق والدتى ؟ فهل يعقل أن يتم الاستيلاء على حقوقها حتى بعد وفاتها ؟ فتوجه وأخذ سرير " ليئة " ووضعه فى خيمة يعقوب بدلاً من سرير بلهة(٣١٢) ، وعلم إخوان رئوبين بما حدث من أشير الذى كان قد علم بهذا الحدث بشكل أو بآخر وأطلع عليه إخوانه الذين قطعوا علاقاتهم معه ولم يعيدوا علاقاتهم معه إلا بعد أن اعترف رئوبين بخطئه(٣١٣) . وقبل أن يعترف رئوبين بفعلته المشينة مع والده صام وارتدى ملابسَ رثة وتاب عما فعله. وكان رئوبين أول من صام من البشر للتكفير عن ذنبه ، ولذلك قال الرب له : لم يحدث منذ بدء الخليقة أن أحداً ارتكب ذنبًا وكفر عنه على هذا النحو . إنك أول من كفرت عن ذنبك بالصيام ، وسيخرج من نسلك النبى هوشع الذى سيعلن قائلاً : يا إسرائيل تب عن ذنبك(٣١٤) .

حملة عيساو ضد يعقوب

وحينما أحس إسحق بدنو نهايته دعا ولديه وأطلعهم على وصيته وباركهما بقوله : أستحلفكما بالعلى القدير العظيم الواحد الذى خلق السموات والأرض وكل الأشياء والذى تتقونه وتعبدونه ، أستحلفكما به بأن يحب كل منكما الآخر وألا يحقد عليه حتى تنعما بالخير للأبد فى كل أعمالكما وألا تتعرضا للفناء .

وعلاوة على هذا أمرهما بأن يُدفن فى مغارة المكفيلة بجوار والده إبراهيم وفى القبر الذى كان قد حفره بيديه ، ثم قسم كل ممتلكاته على ولديه فأعطى عيساو النصيب الأكبر ويعقوب النصيب الأصغر غير أن عيساو قال : بعت حق ميلادى ليعقوب ، وتنازلت عنه له . فابتهج إسحاق باعتراف عيساو بحقوق يعقوب فأغمض عينيه فى سلام(٣١٥) .

ولم تشهد جنازة إسحاق أى إزعاج إذ إن عيساو كان متأكداً من حصوله على نصيبه بما يتماشى مع رغبات والده ، ومع هذا فحينما حل موعد تقسيم ممتلكات إسحاق بين الأخوين قال عيساو ليعقوب : قسم ممتلكات والدى إلى قسمين غير أن لى الحق فى اختيار النصيب الذى أشاء لأنى الأكبر . وكان يعقوب يعلم أن ثروات الأرض مجتمعة لا ترضى الشرير ، ومن هنا قسم الإرث المشترك على نحو جعل كل ممتلكات إسحاق المادية فى جزء واحد . وفى المقابل فقد شمل الجزء الآخر الأرض المقدسة ، ومغارة المكفيله ، وقبر إبراهيم وإسحاق. واختار عيساو المال وكل الأشياء الأخرى الخاصة بإسحاق وترك ليعقوب المغارة والحق فى الأرض المقدسة، وتم كتابة هذا الاتفاق ، ومن هنا فقد أصر يعقوب بموجب هذا الاتفاق على خروج عيساو من أرض فلسطين ، وأذعن عيساو فى نهاية الأمر لهذا المطلب ، فارتحل مع زوجاته وأبنائه وبناته إلى جبل سعير حيث أقاموا به(٣١٦) .

وبالرغم من أن عيساو كان قد وافق على ما جاء فى اتفاقه مع يعقوب فقد عاد إلى الأرض لشن الحرب ضد أخيه. وكانت ليئة قد توفيت آنذاك وكان يعقوب وأبناؤه يرثونها وينتحبون عليها كما كان بقية أبنائه الذين أنجبتهم باقى زوجاته يواسونه. وفى غضون هذه الأحداث أتى عيساو مع جيش يبلغ قوامه أربعة آلاف فرد مسلحين بالأسهم والرماح ،

وكانوا جميعًا يرتدون دروعًا من حديد ونحاس ، وأحاط هؤلاء الجنود بالقلعة التى كان يسكنها يعقوب وأبناؤه فى ذلك الحين مع خدمهم وأبنائهم ، وكان الجميع مجتمعين بالقلعة ليواسوا يعقوب فى وفاة ليئة ، ولم يتوقع أحد منهم أو يشك فى أنهم سيتعرضون لهجوم وشيك. وقد حاصر الجيش العظيم قلعتهم ومع هذا لم يتوقع أحد ممن كانوا بداخلها سواء يعقوب أو أبناؤه أو خدمه البالغ قوامهم مائتى فرد التعرض لأى سوء. وحينما شاهد يعقوب أن عيساو يأخذ عدته لشن الحرب عليهم وقتلهم بالقلعة ويرمى الرماح عليهم فقد صعد سور القلعة محدثًا عيساو بكلمات ملؤها السلام والصداقة والمحبة قائلاً : أتواسينى على هذا النحو فى وفاة زوجتى التى خطفها الموت منى ؟ أم أن ما تفعله يتماشى مع القسم الذى أديته أمام والديك قبل موتهما ؟ إنك انتهكت العهد . غير أن عيساو أجاب قائلاً : لا يحفظ بنو البشر أو حيوانات الحقل أى قسم يؤدونه إذ إن كلا منهم يتآمر يوميًا ضد الآخر بل يسعى كل منهم لقتل الآخر ، ولن أحافظ على علاقاتى الأخوية معك إلا بعد أن يغير الخنزير جلده أو بعد أن يصبح شعره ناعمًا كالحريرأو إذا جعل قرونه تكبر كقرون الأيائل .

وتحدث يهوذا فيما بعد إلى والده يعقوب قائلاً : حتى متى يمكنك أن تحدثه بكلمات ملؤها السلام والصداقة ؟ ألا ترى أنه يهاجمنا كعدو مسلح يسعى لقتلنا ؟ وحينما سمع يعقوب هذه الكلمات أمسك بقوسه وقتل " أدورام " الآدومى ، وقام فيما بعد بإطلاق سهمه على عيساو فأصاب فخذ يعقوب ، وكان هذا الجرح مميتًا فرفعه أبناؤه ووضعوه على حماره وأتوا به إلى " أدوراه " التى دفنوه بها .

وقد انطلق يهوذا صوب جنوب القلعة ، ورافقه نفتالى وجاد اللذان ساعدهما خمسون من خدم يعقوب. أما لاوى ودان فتوجها مع خمسين من الخدم إلى الشرق ، وتوجه رئوبين ويساكر وزبولون مع خمسين من الخدم إلى الشمال ، وتوجه شمعون وبنيامين وإينوخ آخر أبناء رئوبين مع خمسين من الخدم إلى الغرب، وقد أظهر يهوذا شجاعة مفرطة فى المعركة فتقدم مع نفتالى وجاد إلى مواقع العدو وتمكنوا من احتلال أحد أبراجهم الحديدية، وتمكنوا بدروعهم من صد السهام التى انهالت عليهم بأعداد ضخمة، ومن صد الصخور والحجارة والسهام التى أظلمت الشمس من كثرتها، وكان يهوذا أول من اقتحم مواقع العدو فقتل ستة من رجاله الشجعان ، وقد رافقه من يمناه نفتالى ، وجاد من يسراه ، وقتل كل منهم جنديين ، وقتل خدم كل منهم جنديا ،

ومع هذا لم ينجح هؤلاء الجنود فى إجبار العدو على الخروج من القلعة، ولم ينجحوا فى تحقيق هدفهم حتى حينما أقدموا جميعًا على شن هجوم مشترك ، ولم يحالفهم التوفيق حينما شنوا هجومهم الثالث الذى لم يسفر إلا عن قيام كل منهم بقتل فردين .

وحينما رأى يهوذا أن العدو لازال متمركزًا بالقلعة وأنه ليس من الممكن إخراجه منها دبت فيه روح الشجاعة والبطولة . وقد وحد يهوذا ونفتالى وجاد صفوفهم واخترقوا صفوف العدو فقتل يهوذا عشرة من جنود العدو ، كما قتل كل من أخوانه ثمانية من الجنود. وحينما رأى الخدم ما يحدث دبت فيهم الشجاعة وانضموا إلى ركب قادتهم وقاتلوا بجانبهم. وكان نفتالى وجاد يقاتلان بجوار يهوذا ومن هنا نجحوا فى إجبار العدو على الفرار من القلعة. ومع هذا فقد تمكن العدو من تنظيم صفوفه وظل صامدًا فى مواجهة أبناء يعقوب الذين حل بهم التعب من حدة المواجهة ، ومن ثم لم يمكنهم مواصلة القتال. ولذلك ابتهل يهوذا إلى الرب طلبًا للمساعدة فاستجاب الرب لدعائة إذ جعل إحدى العواصف تخرج من مرقدها ، فأطاحت هذه العاصفة بالعدو وأغشت أبصارهم فلم يتمكنوا من مواصلة القتال. أما يهوذا وإخوانه فقد كان بوسعهم مشاهدة كل شىء بوضوح ومن هنا أنزلوا الدمار بهم ومزقوا العدو مثلما يفعل المنجل بالحبوب .

وبعد أن أنزلوا الهزيمة بالقوات المتمركزة لدى جنوب القلعة فقد سارعوا بتقديم المساعدة إلى إخوانهم الذين كانوا يدافعون عن الجوانب الشرقية والشمالية والغربية من القلعة. وقد هبت الريح على كل جانب من هذه الجوانب فأغشت بصر العدو ، ومن هنا تمكن بنو يعقوب من إنزال الهزيمة بالعدو. وكان من نتائج هذه المعركة مقتل أربعمائة من جنود العدو وفرار ستمائة كان من بينهم أربعة من أبناء عيساو وهم "رونيل" و "يوئيش" و "لوتان" و "كوراح" . أما ابنه الأكبر "إليفاز" فلم يشارك فى المعركة لأنه كان أحد أتباع يعقوب ومن ثم لم يشهر السلاح فى وجهه .

وقد طارد بنو يعقوب فلول الجيش الفار حتى منطقة "أدورا" التى ترك بها بنو عيساو جسد والدهم ، ثم واصلوا فرارهم حتى جبل "سعير" . غير أن بنى يعقوب قضوا الليل فى منطقة "أدورا" ، وأحرقوا – لاحترامهم لوالدهم – بقايا جثة عيساو . وواصلوا فى الغد مطاردة العدو وحاصروه فى جبل سعير، واستسلم بنو عيساو وكل الهاربين لبنى يعقوب وطلبوا منهم الرحمة حتى توصلوا إلى سلام معهم، واكتفى بنو يعقوب بأخذ الجزية منهم[٢١٧] .

نسل عيساو

وكان إليفاز الابن البكر لعيساو هو الأفضل من بين سائر أبنائه خاصة أنه كان قد نعم بتربية جده إسحاق الذى تعلم منه طرق الصديقين(٣١٨) . ورأى الرب أيضًا أنه يستحق أن يُمنح روح النبوة ومن هنا فإن إليفاز بن عيساو كان هو صديق أيوب. وبفضل احتكاك إليفاز بجيل الآباء فقد وبخ أيوب حينما تجرأ معترضا على حكم الرب . وكان إليفاز قال له : لقد ظننت نفسك مساويًا لإبراهيم وأنك فعلت المعجزات ، وأنه من الواجب أن يفعل الرب معك ما فعله مع جيل بلبلة الألسن. إن إبراهيم صمد فى مواجهة عشرة اختبارات، أما أنت فقد وهنت من اختبار واحد، وإذا كان الرب قد حرمك من نعمة البصر فإن مجد الرب سيعلو حينما تتفتح عيون من أصابهم العمى، وإذا خلقك الرب دون سمع فإن الرب سيعلو مجده حينما سيأتى يوم يسمع به الصم. ألا ترى أن الرب أنقذ نوحًا من الطوفان وإبراهيم من المحرقة ، وإسحاق من الذبح ، ويعقوب من الملائكة وموسى من سيف فرعون وإسرائيل من المصريين الذين غرقوا فى البحر .

وعقب أيوب على إليفاز قائلاً : انظر ما حدث لعيساو .

غير أن إليفاز أجاب قائلاً : ليس لى شأن به فالأبناء لا يحملون ذنوب الآبـــاء . وقد لقى عيساو الدمار لأنه لم يفعل الخير كما أن أتباعه سيتعرضون للفناء. وأنا نبى ورسالتى موجهة إليك وليس إلى عيساو ، غير أن الرب وبخ إليفاز قائلاً : لقد حدثت عبدى أيوب بعنف ، ولذلك فإن عويديا الذى من نسلك سيصب نبوءته ضد الآدوميين الذين هم من آل بيتك(٣١٩) .

وكانت تيمناه خليلة إليفاز أميرة من نسل ملكى ، وقد طلبت اعتناق ديانة إبراهيم والانضمام إلى عائلته غير أن إبراهيم وإسحاق ويعقوب رفضوا طلبها فقالت : أفضل أن أكون مجرد وصيفة فى عائلتكم عن أن أكون سيدة أية أمة أخرى . وكانت مستعدة لتكون مجرد خليلة لإليفاز. وحتى يتم عقاب الآباء على استجابتهم لطلبها فقد أصبحت " تيمناه " والدة " عماليق " الذى أنزل فيما بعد ضررًا عظيمًا بإسرائيل(٣٢٠) .

وكان " أناه " واحداً من نسل عيساو ، وقد واجه تجربة غريبة فبينما كان يرعى قطيع والده من الحمير في الصحراء فقد قادهم إلى إحدى الصحارى الواقعة على ساحل البحر الأحمر في مواجهة المناطق المقفرة لبعض الأمم ، وبينما كان يطعم الحيوانات فقد هبت عاصفة شديدة من الجانب الآخر من البحر فلم تتمكن الحمير من الحركة. وقد أتى فيما بعد حوالى مائة وعشرين حيوانًا مخيفًا من المناطق المقفرة وأتت جميعها إلى المنطقة التى كانت الحمير تتجمع بها ، وكان بعض هذه الحيوانات شبيهًا بالبشر وبعضها الآخر فى صورة دببة وبعضها فى صورة قردة ، وكانت لجميعهم ذيول تتدلى من أكتافهم حتى الأرض ، وركبت هذه الحيوانات الحمير وسارت بها بعيداً ، ولم يرهم أحد منذ هذا الحين، وكان أحدهم قد اقترب من "أناه" وضربه بذيله ثم فر بعيداً .

وحينما شاهد "أناه" ما حدث تملكه خوف عظيم على حياته ففر إلى المدينة وقص بها كل ما تعرض له. وانطلق كثير من أهل المدينة بحثًا عن الحمير ومع هذا لم ينجح أحد فى العثور عليهم. ولم يتوجه " أناه " وإخوانه منذ هذا اليوم إلى المكان ذاته إذ كان الخوف يتملكهما على حياتهما[٣٢١] .

وكان " أناه " نسل سفاح قديم فقد كانت والدته والدة والدة " تسيفعون " . وكما وُلد " أناه " نتيجة لسفاح غير طبيعى فقد حاول أن يحقق الجماع على نحو غريب بين الحيوانات، وكان أول ما فعله أنه جعل الحصان يجامع الحمار ومن هنا أسفر جماعهما عن ظهور البغل. أما الرب فقد جعل الثعبان يجامع السلحفاة فأسفر جماعهما عن ظهور حيوان " حباربار " الذى تعد عضته مميتة مثل عضة أنثى البغل[٣٢٢] .

وخرج من صلب عيساو ويعقوب عدة ملوك غير أنه كانت هناك فروق عظيمة بينهم إذ كان اليهود يخرجون ملكهم من بينهم فى حين كان على الأدوميين اللجوء إلى الأغيار للحصول على ملك[٣٢٣] . وكان الملك الأدومى الأول هو بلعام الآرامى[٣٢٤] والذى كان يُدعى "بيلا" . أما خليفته فكان أيوب الذى كان يُدعى " يوباب " وقد أتى من "بصرى" ، وتعرضت هذه المدينة فيما بعد للدمار لأنها أمدت آدوم بملك منها، وستكون هذه المدينة أولى المدن التى ستتعرض للعقاب عند حلول غضب الرب[٣٢٥] .

وكانت فترة حكم آدوم قصيرة ، أما حكم إسرائيل فسيدوم لعصور طوال لأن علم المسيح المخلص سيرفرف إلى الأبد[٣٢٦] .

حواشى الفصل الأول

خلق العالم

(١) سفر المزامير ٩٠ ، ٩١ .

(٢) يُنظر إلى التوراة على أنها فاضت عن حكمة الرب .

(٣) فصول الحاخام إليعازر٣ . يتحدث كل من التلمود الأورشليمي والبابلي عن أن محكمة الرب تضم بعض الملائكة. راجع التلمود الأورشليمي . باب " براخوت " ، والسنهدرين .

(٤) تفسير " يلكوت رئوبين " على الفقرة الثالثة من الإصحاح الأول من سفر التكوين .

(٥) مدراش بريشيت رابا. . راجع سفر الجامعة ٣ : ١١ وسفر المزامير ٣٤ : ٢٤٥

(٦) مدراش بريشيت رابا .

(٧) انظر الصفحات التالية .

(٨) تفيد بعض الروايات أن الملاك ميخائيل هو الذى يحمى إسرائيل فى حين أن روايات أخرى تفيد أن جبريل هو الذى يتولى هذه المهمة .

(٩) مدراش كونين . ص ٣٧ – ٣٨ .

(١٠) تطرقت بعض الفقرات الصوفية في المصادر الربانية المبكرة إلى فكرة أن الرب خلق العالم عن طريق الحروف . انظر التلمود الأورشليمى . باب "حاجيجا" .

(١١) راجع سفر المزامير ١٤٥ : ١٥ .

(١٢) مدراش الحاخام عقيبا. ص. ٢٣–٢٤ . قارن أيضا. سفر الزوهار. المجلد الأول . ص ٢ ب ، ٣ أ .

(١٣) سفر التكوين ١ : ١ .

(١٤) سفر الجامعة ٣ : ١١ .

(١٥) الفصل الثالث من فصول الحاخام إليعازر .

(١٦) مدراش كونين. ص ٢٤ .

(١٧) "مدراش بريشيت رابا" . التلمود الأورشليمى. باب حاجيجا ٢ ، ٧٧ .

(١٨) الفصل الثالث من فصول الحاخام إليعازر .

(١٩) مدراش بريشيت رابا ٣ ، ٦ ، ١١ ، ١٢ .

(٢٠) انظر الحاشيتين التاليتين :

(٢١) حتى يمكننا فهم مدلول رقم " سبعة " فى الأساطير اليهودية راجع الفصل الثالث والعشرين من فصول الحاخام إليعازر ص . ١٤٥ ب ، ١٥٥ أ . ونجد إشارة إلى هذا الرقم لدى الفيلسوف اليهودى " فيلو " فى كتاب De M . Opif ص. ٣٠–٣٤ ، وفى الجزء الرابع من سفر المكابيين . ويذهب كتاب الزوهار إلى أن كل كيان مادى تحده سبعة عناصر من فوقه وتحته ومن يمينه ويساره .

(٢٢) ورد ذكر السموات السبع فى " بريشيت رابا " ١٩ : ٧ ، وفى الفصل الأول من فصول الحاخام إليعازر .

(٢٣) يتشابه البحر والمياه فى القصص اليهودى مع " أبوسو " و " تيامات " فى الأساطير البابلية .

(٢٤) يتم العد هاهنا من أعلى إلى أسفل .

(٢٥) وردت سبعة أسماء للجحيم فى باب " عيروفين " بالتلمود . ص ١٩ أ ، ووردت هذه الأسماء فى سفر المزامير ١١ : ١٠٠ على نحو مختلف بعض الشيء .

(٢٦) يتماشى هذا الرقم مع عدد الأيام فى السنة الشمسية .

(٢٧) فيما يتعلق بهذه الوحوش انظر الهامش رقم ٣٤ .

(٢٨) لمزيد من المعلومات عن الأراضى السبع انظر " ميدراش كونين " . ص . ٣٥-٣٧ ، وكتاب " سيدر رابا دى بريشيت " . ص ٥ – ٢٨ . وتتحدث المصادر الأكثر قدماً عن وجود عشر أراضٍ . انظر أيضاً سفر الأمثال ٨ : ٥٩ ، ٩ : ٦١ ، وسفر المزامير ٩٢ : ٤٠٢ ، والفصل الثامن من فصول الحاخام إليعازر .

(٢٩) " بريشيت رابا " ١ : ١٣

(٣٠) كتاب " سيدر رابا دى بريشيت " . ص ٤ – ٥ . قارن أيضاً باب السنهدرين فى التلمود. ص ١٠٠ أ ، وسفر المزامير ٣١ : ٢٣٩ .

(٣١) تفسير " بريشيت رابا " ٦ : ٦ .

(٣٢) باب " تاعنيت " فى التلمود ص ١٠ أ ، وباب " بيساحيم " بالتلمود . ص ٩٤ أ . راجع أيضاً كتاب " شيفع حوخموت " ص. ١ – ١٣ الذى وضعه الباحث " هيرشينسون " . وفيما يتعلق بفهم الحاخامات لأبعاد الأرض انظر " بريشيت رابا " ٦ : ٦ ، والفصل الثالث من كتاب باروخ .

(٣٣) مدراش كونين ٢٧ ، وتفسير " يالكوت رئوبين " على الفقرة الثالثة عشرة من الإصحاح الثانى من سفر اللاويين. الذى وردت به العبارة التالية : " ينقسم العالم إلى ثلاثة أجزاء : أرض مسكونة وصحراء وبحر ، ويقع الهيكل فى الأرض المسكونة . أما التوراة فقد أعطيت فى الصحراء ويُمنح الملح من البحر مع تقديم كل أضحية. وتشمل قدرة البحر هذه الأجزاء الثلاثة . وقاد الرب إسرائيل عبر البحر الأحمر والصحراء حتى وصلوا إلى الأرض المأهولة وهى فلسطين .

(٣٤) مدراش كونين. ص. ٢٨ – ٣١ . باب " بابا باترا " بالتلمود ص ٢٥ أ .

(٣٥) باب " جيتين " بالتلمود . . ص ٣١ ب . وفيما يتعلق بالرياح راجع كتاب " شيفع حوخموت " لمؤلفه هيرشينسون. راجع أيضاً مقال الباحث " دارينبورج " المنشور فى مجلة " موناتسشريفت " المجلد الثلاثون . ص ١٧٣ – ١٧٤ .

(٣٦) باب "جيتين" فى التلمود . ص ٣١ ب ، وميدراش " كونين " ص ٣١ ، و "بريشيت رابا" ٢٤ : ٤ .

(٣٧) سفر المزامير ٢ : ١٦ . قارن أيضاً " بابا باترا " ٢٥ ب .

(٣٨) من الوارد أن تكون هذه اللفظة مشتقة من لفظة شتى العبرية التى تعنى اثنين .

(٣٩) مدراش " تنحوما القديم " . الجزء الثالث ص ٧٨ ، ميدراش " تنحوما كيدوشيم " ص ١٠ . وتتكون القصة التى نواجهها الآن من عدة عناصر مفادها أن فلسطين التى هى أرض الرب المفضلة خُلقت قبل سائر أجزاء العالم . ميدراش " سفرى دى راف " ص ٣٧ ، وميدراش " مخيلتا " . ص ١٦٨ . أما باب "يوما" بالتلمود فيذهب إلى أن القدس على الأخص هى التى خُلقت قبل أى جزء من أجزاء العالم . انظر أيضًا تفسير " سيدير رابا دى بريشيت " ، وكتاب " الزوهار " المجلد الثانى . ص ١٥١ أ ، والمجلد الثالث ص ١٦١ ب و ٢٢١ ب .

(٤٠) مدراش كونين ص ٢٤ – ٢٥ ، وميدراش " بريشيت رابا " . ص ٣ – ٥ . راجع أيضًا سفر المزامير ٥٠ : ٢٧٩ . وتفيد كافة هذه المصادر أن دمار العالم سيبدأ من صهيون مثلما بدأ الخلق منها .

(٤١) تفيد المصادر اليهودية أن أمير الظلام هو ملاك الموت أى الشيطان . راجع مدراش "شيموت رابا" ٨ : ٦ و " أوتسار ميدراشيم " . ص ٦٤ ب .

(٤٢) ميدراش " بسيكتا رباتى " ٢٠ . ص ٩٥ أ – ٩٦ ب .

(٤٣) مدراش " بريشيت رابا " ٥ : ٨ .

(٤٤) فصول الحاخام إليعازر ٤ . انظر أيضًا " فيلو " De M Opif .

(٤٥) فصول الحاخام إليعازر ٤ .

(٤٦) مدراش " بريشيت رابا " ٤ : ٢ – ٧ الذى يتضمن عددًا من الملاحظات المهمة عن علاقة قبة السماء التى خُلقت فى يوم الخلق الثانى بالسماء التى خُلقت فى اليوم الأول .

(٤٧) باب " توسيفتا حاجيجا " ٢ : ٦ .

(٤٨) تفسير " سيدر رابا دى بريشيت "

(٤٩) مدراش " بريشيت رابا " ٤ : ٦ .

(٥٠) تفسير " هادار " على سفر التكوين ١ : ٩ .

(٥١) انظر الهامش رقم ٤٩ .

(٥٢) تفسير " سيدر رابا دى بريشيت " ٩ ، وتفسير " هادار " على سفر التكوين ١ : ٤ .

(٥٣) "عسيرت هدباروت" ٦٣ . انظر التلمود الأورشليمى . باب "عفوداه زاراه" . الفصل الثالث . ص ٤٢ أ .

(٥٤) ميدراش " بريشيت رابا " ٤ : ١٦ . راجع أيضًا كتاب De Allegor للفيلسوف فيلون . انظر أيضًا ميدراش " شموت رابا " ١٥ : ٢٢ .

(٥٥) تستخدم المصادر الربانية لفظة " جيهنوم " للإشارة إلى الجحيم هذا فى الوقت الذى تستخدم فيه اللفظة ذاتها للإشارة إلى جزء واحد فقط من أجزاء جهنم . وكان الحاخامات يعلمون بالتأكيد أن لفظة "جيهنوم" كانت فى الأصل اسم الوادى الواقع بالقرب من القدس (سفر أرميا ٧ : ٣٢) الذى كان " مولوخ " يُعبد فى العصور القديمة . انظر الوصف الكامل لعبادة " مولوخ " فى ميدراش " تنحوما " .

(٥٦) باب "سوطا" ص. ١٠ ب . وترمز أقسام جهنم السبعة إلى عقاب الرب. راجع سفر " الزوهار " . الجزء الثانى. ص ١٥٠ ب . ومن المثير أن نلاحظ فى هذا الموضع أن سفر الأمثال ٧ : ٥٧ يشير إلى أن جهنم تتكون من أربعة عشر موضعا .

(٥٧) تتباين الأسماء فى الطبعات المختلفة . قارن باب " عيروفين ط بالتلمود ص ١٩ أ . راجع أيضًا سفر المزامير ١١ : ١٠٠ .

(٥٨) " سيدر رابا دى بريشيت" . ص. ١٥ انظر أيضًا . ميدراش كونين . ص ٣٥ .

(٥٩) "سيدر رابا دى بريشيت" ص . ١٩ - ٢٠ ، و "بيت هميدراش" . المجلد الخامس. ص ٤٩ - ٥٠ .

(٦٠) " ماسيخت جيهنوم " . ص ١٤٧ .

(٦١) " بريشيت رابا " ١ : ٣ و ٣ : ٨ . يفيد أحد الآراء أن الملائكة خُلقت فى اليوم الخامس مع سائر المخلوقات المجنحة . راجع أيضًا " شيموت رابا " ١٥ : ٢٢ ، وسفر المزامير ٢٤ ، ٢٠٤ ، ٢٧٣ - ٢٧٤ . أما وجهة النظر الشائعة فهى أن الملائكة خُلقت فى اليوم الثانى .

(٦٢) فصول إليعازر ٤٠ ، ميدراش كونين ٢٤ ، ٢٥ . راجع باب " حاجيجا " ١٣ ب - ١٤ أ ، وميدراش " بريشيت رابا " ٧٨ : ١ .

(٦٣) ميدراش "بريشيت رابا" ٢١ : ٩ ، وميدراش "شيموت رابا" ٢٥ : ٢ ، وسفر المزامير ١٠٤ ، و ٤٤٢ . راجع أيضًا "بابا باترا" ص ٩١ أ . وكان من بين ماجاء فى ميدراش سفر اللاويين أن كل الملائكة من الذكور ، وأنها لاتتخذ شكل النساء قط. قارن سفر الأمثال ٢١ : ٨٩ . بالرغم من أن المصادر الربانية لا تذكر شيئًا عن شكل الملائكة إلا أننا نجد إشارات إلى أحجام الملائكة فى المراحل المتأخرة من الأدب الربانى . قارن باب " براخوت " ص ٤ ب ، وباب " حولين " ص ٩١ ب .

(٦٤) التلمود الأورشليمى . باب " عيروفين " ١ : ١٩ . فيما يتعلق بأن الحضرة الإلهية لاتتواجد إلا فى حضور عشرة مصلين راجع "السنهدرين". ص ٣٩ أ ، وباب "براخوت" . ص ٦ أ . وفيما يتعلق بمراتب الملائكة العشر فإننا لانجد إشارات لها إلا فى أدبيات العصور الوسطى . راجع. موسى بن ميمون. "يد هحازاقاه" . باب " يسودى هدات " . ٢ : ٧ . انظر أيضًا كتاب " الزوهار " المجلد الثانى . ص ٤٣ أ .

(٦٥) فصول الحاخام إليعازر. الفصل الرابع ، وسفر " اينوخ " ٩ : ١ .

(٦٦) باب " حولين " . ص ٩١ أ ، وميدراش " تنائيم " . ص ٧١ . راجع أيضًا سفر الأمثال ٩ : ٧٥ ، وميدراش "بريشيت رابا" . ص ٥٦ . وكان من بين ماجاء فى السنهدرين ص ٣٩ أ أن الأتقياء أكثر نقاءً من الملائكة . وقد جاء فى التلمود الأورشليمى أن الملائكة ستسأل شعب إسرائيل فى العالم القادم عن الأشياء التى علمهم الرب لها . راجع باب " شابات " . ص ٣ .

(٦٧) ورد تشبيه نوافذ السموات كثيرًا فى كتاب " إينوخ " الذى يعد من الأسفار الخارجية التى لم يتم ضمها سواء للعهد القديم أو الجديد. . راجع أيضًا . التلمود الأورشليمى . باب " روش هاشاناه " . الفصل الثانى . ص ٥٨ أ .

(٦٨) انظر هامش رقم ١٠٥ .

(٦٩) كان من المعتقد أن هذا النهر من النار يتدفق من عرق الملائكة والحيوانات المحيطة بعرش الرب. انظر . ميدراش " بريشيت رابا " الفصل الثامن والسبعون . ص ١ ، وميدراش " شيموت رابا " الفصل الخامس عشر . ص ٦ .

(٧٠) "سيدر رابا دى بريشيت" . ص ٢٨ - ٣٠ ، و "هيكلوت" . ص ١٦١ - ١٦٣ . تفيد مصادر أخرى أن الملاك " ميخائيل " هو الملاك الرئيسى الذى ينشد أغانى المديح والثناء على الرب وليس " شاميئيل " .

(٧١) فصول الحاخام إليعازر. الفصل الخامس . انظر أيضًا . سفر المزامير ٩٣ ، ٤١٥ .

(٧٢) فصول الحاخام إليعازر. الفصل الخامس. فيما يتعلق بتمرد المياه انظر الهامش التالى .

(٧٣) باب " بابا بترا " . ص ٧٤ ب. ميدراش " تنحوما " المجلد الرابع . ص ٩٧ - ٩٨ . ميدراش " شيموت رابا " ١٥ : ٢٢ ، والمزامير ١ : ١٧ . وتتسم فصول الحاخام إليعازر بتأكيدها على حنين المياه لإطاعة الرب، وتأتى هذه النزعة فى إطار الاحتجاج على الرواية الأسطورية الخاصة باحتجاج المياه .

(٧٤) ميدراش " كونين " ٢٥ ، الذى حاكى فى المقام الأول ميدراش " بريشيت رابا ". انظر أيضًا السنهدرين ص. ٣٩ ب. نجد هذه القصة أيضًا فى قصة أحيقار ، انظر أيضًا ٧٧ -Smend. Alter und Her kunft des Achikar - Romans. s. فيما يتعلق باعتزاز الشجرة بذاتها. راجع "طوف هاأرتس" ص ٩٣ .

(٧٥) باب حولين . ص ٦٠ أ . انظر أيضًا Back. Monatschrift. xxix ٣٠٧ نجد فى التلمود الأورشليمى روايتين متناقضتين فتذهب الرواية الأولى إلى أن الأرض اعترضت على مشيئة الرب فى حين أن الرواية الثانية تفيد أن الأرض أطاعت الرب بل وجعلت كل الأشجار تثمر غير أن خصوبة الأرض تضاءلت بعد خطيئة آدم .

(٧٦) ميدراش "بريشيت رابا" ١١ : ٩ . سفر إينوخ ٢١ : ١ . تفيد وجهة النظر الربانية أن الجنة خُلقت قبل خلق العالم .

(٧٧) يوما. ٤٥ أ . ميدراش سفر العدد " بميدبار رابا " ١١ : ٣ . لاتتضمن المصادر الربانية الكثير عن وجود جنة أرضية غير أن الحديث عن هذه الجنة يكثر فى الأسفار الخارجية وبخاصة فى سفر إينوخ .

(٧٨) وفقًا لما جاء فى " بابا باترا " ص ٧٥ أ ، وفى فصول الحاخام إليعازر ص ١٦٣ أ فإن كل صديق يُمنح فى الجنة سبع أشجار .

(٧٩) ورد ذكر هذه الأنهار الأربعة فى الكثير من القصص . راجع سفر إينوخ . الفصل الثامن . التلمود الأورشليمى . جزء " عفوداه زاراه " . الفصل الثالث . فيما يتعلق بالنبيذ الذى سيتم حفظه للصديقين راجع. السنهدرين ص ٩٩ أ .

(٨٠) وردت هذه الصورة فى التلمود وبخاصة فى جزء " بابا متسيعا " . ص ٤٨ أ .

(٨١) تمتد أغصان هذه الشجرة حتى نهايات الجنة . انظر سفر الزوهار. المجلد الأول . ص ١٤٠ أ حيث يتم تفسير ذكر هذه الشجرة على نحو رمزى .

(٨٢) انظر المجلد الثانى من هذا العمل .

(٨٣) انظر المجلد الرابع ، وراجع هامش رقم ٧٨ .

(٨٤) وفقًا لما جاء فى كتاب "الزوهار" المجلد الأول . ص ١٢٥ أ فإن عدن تقع فى السماء السابعة . وتفيد وجهة نظر أخرى أن الفردوس تقع فى مواجهة الأرض مباشرة. قارن . باب " براخوت " . ص ٣٤ ب ، والسنهدرين . ص ٩٩ أ .

(٨٥) يتم تقسيم المقيمين فى الجنة إلى سبع مراتب ، وكثيراً ما تتكرر هذه الرؤية فى "ميدراش تنائيم" ٦ ، وفى سفر المزامير ١١ : ١٠ و ١٦ : ١٢٨ ، وفى " ميدراش سفر اللاويين " ٣٠ : ٢٠ . غير أن هذا التقسيم يقتصر على ثلاث مراتب فقط فى فصول الآباء للحاخام ناثان. وقد يرتبط تباين الآراء بشأن هذه المسألة باختلاف فقهاء اليهود فى عدد السموات .

(٨٦) المقصود من لقوا حتفهم نتيجة للاضطهاد الدينى . انظر باب " جيتين " بالتلمود. ص ٥٧ ب .

(٨٧) باب " حاجيجا " . ص ١٤ ب .

(٨٨) ينتمى إلى هذه الفئة نسل موسى .

(٨٩) يتضمن باب " براخوت " ص . ٣٤ ب روئيتين . وتذهب الأولى إلى أن التوابين يعدون أسمى ممن لم يرتكبوا خطيئة قط فى حين أن الرؤية الثانية تتبنى وجهة نظر مخالفة. وفيما يتعلق بالمكانة السامية للأبرياء راجع . باب " بيساحيم " فى التلمود . ص ١١٣ أ

(٩٠) " بيرك جان عيدن " ، وقد ورد ذكر هذا الأثر فى كتاب " يالكوت " . الجزء الأول. ص. ٢٠ . تُنسب معظم القصص الخاصة بالجنة وجهنم فى التلمود إلى الحاخام " يهوشع بن ليفى " الذى تفيد الروايات التلمودية وبخاصة فى باب " كتوفوت " ص ٧٧ب أنه تم السماح له خلال حياته بدخول الجنة ، وقال هذا الحاخام وفقًا لما جاء فى التلمود " شاهدت فى كل ركن من أركان الجنة ثمانين ألف شجرة " . ويعرف الجزء الذى يتضمن هذا الوصف باسم " ماسيخت جن عيدن " .

(٩١) انظر الهامش رقم ٩٧ .

(٩٢) اختلف قدامى فقهاء اليهود بشأن مسألة إذا ما كان جيل التيه سيشارك فى العالم الآخر .

(٩٣) حاولت فى هذا الموضع نقل معنى هذه الفقرة ، ولم ألتزم بحرفيتها .

(٩٤) قارن " مدراش كونين " ٢٤ .

(٩٥) مدراش " كونين " ٢٩ .

(٩٦) وفقًا لما جاء فى باب " يوماً " ص . ٤٥ أ فإن لفظة " باز " العبرية التى تعنى ذهب تشغل المرتبة الثالثة فى أنوا ع الذهب من ناحية الجودة .

(٩٧) " معسيه دى رابى يهوشع بن ليفى " . ص ٤٨-٤٩ . يشغل المسيح المنتظر مكانة مهمة فى وصف حياة الصديقين بالجنة . وتفيد المصادر القديمة أن الأتقياء والآباء والمسيح المنتظر يشعرون بالأسى لمعاناة إسرائيل ، ويسألون الرب تخليص إسرائيل من المعاناة . انظر " شيموت رابا " ١٥ : ٢٦ ، و" مدراش بميدبار رابا " ١٩ : ١٥ و " مدراش إيكا رابا " ٢ : ١١ . وتتسم هذه المصادر بتأكيدها على أن يعقوب هو الأكثر حزنًا على ما يتعرض له شعب إسرائيل. راجع أيضًا. " ماحزور فيرتى " . ص ١٧ . راجع أيضًا مقال :
Gaster. "Hebrew Version of Hell & Paradise" Journal of Royal Asiatic Society. 1893. pp. 571-611.

(٩٨) باب " حاجيجا " . ص ١٢ أ .

(٩٩) جاء فى مدراش "تدشا" "خلق الرب عالم النباتات ثم خلق عالم الأجرام السماوية حتى لايدعى أحد أن هذه الأجرام هى التى خلقت النباتات .

(١٠٠) مدراش " كونين " ص. ٢٥ - ٢٦ ، ويعتمد هذا الميدراش على مصادر أكثر قدمًا. راجع "بريشيت رابا" ٦ : ٣ ، وباب " حولين " في التلمود . ص ٦٠ ب . إن تقديم أضحية التكفير في الليلة التي يولد بها القمر يعني الاعتراف بأن الرب تعامل بقسوة مع القمر. راجع. فصول الحاخام إليعازر ٤ ، ٥١ . تتحدث هذه المصادر ومصادر أخرى مثل " مخيلتا " عن أن الرب عوض القمر عن تصغير حجمه إذ جعله رمزًا لإسرائيل والأتقياء في حين جعل الشمس رمزًا لعيساو والأشرار، كما أنه كافأ القمر بأن جعله يظهر في بعض الأحيان في الصباح في حين أن الشمس لا تظهر في الليل قط .

(١٠١) راجع فصول الحاخام إليعازر ٦ ، و " برايتا دى معسيه بريشيت " ٥٠ . إن تشبيه الشمس بالعريس مستقى بطبيعة الحال من سفر المزامير ١٩ : ٦ .

(١٠٢) "مدراش هاجادول لسيفر بريشيت" . الجزء الأول . ص ٤١ - ٤٢ . فصول الحاخام إليعازر ٦ . " برايتا دى معسيه بريشيت " ٥٩ . " زوهار حداش لسيفر بريشيت " ٤ : ١٩ ب .

(١٠٣) فصول الحاخام إليعازر ٦ . راجع أيضًا سفر إينوخ الثاني . راجع أيضًا " بريشيت رابا " ٦ : ٥ و " برايتا دى معسيه بريشيت " . وجاء في هذه المصادر أن نهرًا بالجنة يقود حركة الشمس حتى يقلل من حرارتها وإلا لكانت أفنت الأرض .

(١٠٤) فصول الحاخام إليعازر . ٥١ ، و " برايتا دى معسيه بريشيت " ٥٠ . فيما يتعلق بنهر النار الذى تستحم به الشمس انظر إينوخ ١٧ : ٤ و " بابا باترا " ص. ٨٤ أ .

(١٠٥) مدراش " فايقرا رابا " ٣١ : ٩ . راجع أيضًا " برايتا دى معسيه بريشيت " ٥٠ . نجد الرؤية ذاتها في كتاب باروخ الذى جاء به أن الملائكة تخلع كل مساء التاج عن الشمس ، وتأخذه إلى السماء لتعيد بهاءه خاصة أن الشمس تتدنس عند التقاء أشعتها بالأرض - تتضمن صلاة الصباح في اليهودية إشارة مجازية إلى أنه يتم تجدد الخلق كل صباح .

(١٠٦) زوهار حاداش. بريشيت. ٤ ، ٢٣ أ . وردت فكرة أن اسم الرب منقوش على الشمس في " بريتا دى معسيه بريشيت " ٥٠ . ورد في الفصل السادس من سفر باروخ أن الطائر الذى يحلق أمام الشمس يحمل على جسده نقشًا بحروف من ذهب. وقد ورد في بعض المدراشيم القديمة وبخاصة في ميدراش تنحوما . الجزء الثاني . ص ١١٢ أن صوتًا سماويا يتردد يوميا في جبل حوريب يقول "الويل لمن يزدرى التوراة من البشر" .

(١٠٧) بريشيت رابا. ٦ : ٧ . راجع أيضًا " شيموت رابا " ٥ : ٩ ، وباب " يوما " بالتلمود ص. ٢٠ - ٢٠ أ . زوهار حاداش بريشيت ٤ .

(١٠٨) نيداريم . ص . ٨ ب ، وباب " يوما " ص . ٢٠ ب .

(١٠٩) التلمود الأورشليمى . باب " تاعنيت " ٤ . ص ٦٨ ب .

(١١٠) انظر الصفحات اللاحقة .

(١١١) المقصود هنا أن القمر تخوف من العقاب .

(١١٢) مدراش " هادار " على سفر التكوين ١ : ١٦ . فيما يتعلق بالتأصيل اللغوى لألفاظ الشمس والقمر والفجر راجع ميدراش كونين . ص ٢٥ - ٢٦ .

(١١٣) مدراش كونين ٢٦ .

(١١٤) كونين ٢٦ .

(١١٥) باب حولين . ص ١٢٧ أ . التلمود الأورشليمى. باب "شابات" ١٤ . فصول الحاخام إليعازر ٢٣ . ص ١١٧ أ .

(١١٦) مدراش يونا ٩٨ . راجع أيضًا . " مخيلتا " . ص ١٠٩ .

(١١٧) بابا باترا. ص ٧٤ ب . راجع أيضًا بريشيت رابا. ٧ : ٤ . ميدراش كونين. ص ٢٦ .

(١١٨) بابا باترا. ص ٧٤ ب ، والزوهار. المجلد الثانى. ص ١٠٨ ب . ميدراش كونين. ٢٦ . بريشيت رابا. ٧ : ٤ .

(١١٩) بابا باترا. ٧٤ ب. تصف كثيراً من المداراشيم مثل " مدراش فايقرا " ٢٢ : ٩ ، و" بميدبار " ٢١ : ١٨ بألوان زاهية كميات المياه الضخمة التى تحتاجها هذه الحيوانات .

(١٢٠) بسيكتا. ٢٩ : ١٨٨ أ ، وبابا باترا . ٧٤ ب ، وميدراش يونا. ٩٨ .

(١٢١) بابا باترا. ص . ٧٤ ب – ٧٥ أ .

(١٢٢) شابات. . ص . ٧٧ ب . أيجرت بعل حاييم. ٣ ، ١٢ .

(١٢٣) بسيكتا ٢٩ ، ١٨٨ أ . راجع تفسير مينحات يهودا لسفر التكوين ٣ ، ٢١ .

(١٢٤) عفودا زاراه. ٣ ب . مدراش يونا. ٩٨ . راجع أيضًا الترجمة السبعينية لسفر المزامير ١٠٤ : ٢٦ .

(١٢٥) بابا باترا .. ص ٧٥ أ .

(١٢٦) بابا باترا. ٧٤ ب .

(١٢٧) بسيكت ٢٩ . ص ١٨٨ أ – ١٨٨ ب . بابا باترا. ٧٥ أ .

(١٢٨) باب حولين. ٢٧ب . بسيكتا. ٤ ، ٣٥ أ . ميدراش تنحوما. الجزء الرابع. ص ١١٢ .

(١٢٩) اشتق اسم هذا الطائر مما ورد فى سفر المزامير ٥٠ : ١١ .

(١٣٠) مدراش "فايقرا رابا" ٢٢ ، ١٠ . بسيكتا. الجزء السادس. ص ٥٨ أ . ميدراش "باميدبار رابا" . ٢١ ، ١٨ .

(١٣١) راجع الترجمة الآرامية لسفر المزامير ٥٠ : ١١ ، هذه الترجمة التى تعتمد على بابا باترا. ص ٧٣ ب .

(١٣٢) بابا باترا. ص ٧٣ ب .

(١٣٣) مدراش " فايقرا رابا " . ٢٢ : ١٠ ، وميدراش " بريشيت رابا " ١٩ : ٤ .

(١٣٤) باب . جيتين . ص ٣١ ب ، وباب " بابا باترا " . ص ٢٥ ب .

(١٣٥) براخوت . ص ٥٧ ب ، و" ميناحوت " ص ٦٠ ب .

(١٣٦) راجع الترجمة الآرامية لسفر أيوب ٣ : ٦ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٣٩ .

(١٣٧) فيما يتعلق بهذا الطائر راجع الترجمة الآرامية لسفر أيوب ٣٨ ، ٣٦ .

(١٣٨) ورد ذكر هذا الطائر العملاق فى التلمود فى باب "سوكا" . ص ٥ أ ، وباب " يوما " ص ٨٠ أ ، و" براخوت " . ص ٥٧ ب. راجع أيضًا. سيفرا. ١ : ١٤ ، وميناحوت. ص ٦٦ ب .

(١٣٩) مدراش " فايقرا رابا " . ٢٢ ، ١٠ الذى ورد فيه أن هـذا الطـائر فضـلاً عن اللوياثان ينتميان إلى الحيوانات الطاهرة .

(١٤٠) باب " حولين " ص ٢٧ ب . راجع أيضاً مدراش " كونين " ٢٦ .

(١٤١) بابا باترا .. ص ٧٤ ب .

(١٤٢) بسيكتا. ٦ ، ٥٨ أ . مدراش " فايقرا رابا " ٢٢ : ١٠ ، ومدراش " باميدبار " ٢١ : ١٨ .

(١٤٣) مدراش " فايقرا رابا " ١٣ : ٣ . راجع أيضاً. عقودا زارا. ص ١٠ ب .

(١٤٤) راجع تفسير راشى لسفر أشعيا. ٣٠ : ٦ .

(١٤٥) بابا باترا. ص ص . ٧٣ ب، ٧٤ ب .

(١٤٦) باب " حولين . ص ٥٩ ب .

(١٤٧) انظر الفقرة التالية .

(١٤٨) مدراش تنحوما. المقدمة. ص ١٢٥ . راجع أيضاً تفسير راشى لسفر أيوب ٥ : ٢٣ .

(١٤٩) ميدراش تنحوما. المقدمة. ص ١٢٥ .

(١٥٠) فتوى الحاخام مائير من روثينبرج. رقم ١٦٠ .

(١٥١) مدراش. "بريشيت رابا" ١٩ : ٥ . مدراش تنحوما. المقدمة. ص ١٥٥ . كتاب . ألف باء بن سيرا. ٢٧ أ ، ٢٨ ب - ٢٩ ب .

(١٥٢) راجع الهامش رقم ١٣٤ .

(١٥٣) انظر الهامش رقم ١٠٦ .

(١٥٤) انظر كتاب إينوخ ٢ . الفصل الثانى عشر .

(١٥٥) إينوخ ٢. ١٢ : ٥ .

(١٥٦) انظر تعليق راشى على باب حولين . ص ١٢٧ أ .

(١٥٧) السنهدرين. ص ٦٣ ب . باب حـوليـن . ص ١٢٧ أ . راجع أيضـاً. سيفرا ١١: ٢٩ .

(١٥٨) الزوهار. الجزء الثانى . ص ٢١١ .

(١٥٩) السنهدرين. ص ١٠٨ ب

(١٦٠) السنهدرين. ص ٦٣ .

(١٦١) مدراش تنائيم. ص ٢١٩ . راجع " بيساحيم " . ص ٥٤ أ .

(١٦٢) توسيفتا سوتا. ١٥ : ١ .

(١٦٣) المرجع السابق. راجع أيضاً الهامش رقم ١٦٦ .

(١٦٤) يلكوت . الجزء الثانى . ص ١٨٢ . . .

(١٦٥) سوتا. ٩ : ٢ .

(١٦٦) شابات. ص. ٢٨ . راجع سفر الجامعة. ١ : ٩ .

(١٦٧) بابا باترا. ص ٧٤ أ .

(١٦٨) توسيفتا براخوت. ١ : ١١ .

(١٦٩) انظر الصفحات التالية .

(١٧٠) راجع الهامش رقم ١٠٠

(١٧١) كتاب ألف باء بن سيرا. ص ٢٥ أ .

(١٧٢) ألف باء بن سيرا. . ص ٢٥ أ ، ٢٥ ب .

(١٧٣) المرجع السابق .

(١٧٤) المرجع السابق. ص ٢٦ أ - ٢٦ ب .

(١٧٥) السنهدرين. ص ١٠٠ أ .

(١٧٦) ورد هذا التشكك فى نوايا نوح فى بعض المصادر الأكثر قدماً. راجع الهامش رقم ٤٦ .

(١٧٧) راجع كتاب الحيوان لأرسطو. الجزء الخامس. ص ٤٧ .

(١٧٨) كتاب ألف باء بن سيرا. . ص ٢٦ ب - ٢٧ أ . راجع أيضاً السنهدرين. ص ١٠٨ ب ، ومدراش " بريشيت رابا " . ص ٣٦ .

(١٧٩) كتوبوت . ص ٤٩ب . ميدراش " فايقرا رابا " ١٩ : ١

(١٨٠) بيساحيم . ١١٣ ب .

(١٨١) مدراش " فايقرا رابا " . ١٩ .

(١٨٢) كتاب ألف باء بن سيرا .. ص ٢٤ أ

(١٨٣) المرجع السابق. . ص ٢٦ ب .

(١٨٤) المرجع السابق. ص ٢٥ أ

(١٨٥) مدراش " بريشيت رابا " ١٩ : ١ .

(١٨٦) المزامير. ٥٨ : ٣٠٠ .

(١٨٧) يرى الأدب الربانى أن ملاك الموت هو الشيطان. راجع " بابا باترا " . ص ١٦ أ .

(١٨٨) راجع الهامش رقم ١١٥ .

(١٨٩) من أحد معانى القلب فى العبرية العقل .

(١٩٠) كتاب ألف باء بن سيرا. ص ٢٧ أ - ٢٨ ب .

(١٩١) شابات . ص ٧٧ ب .

(١٩٢) عيروفين. ص ١٠٠ ب .

(١٩٣) توسيفتا يوما. ٢ : ٥ .

(١٩٤) راجع Steinschneider. Hebraische Bibliographie. XIII. SS 103, 106 .

حواشى الفصل الثانى

آدم

(١) فصول الآباء ٥ : ١ . "روش هاشاناه» . ص ٣٢ أ . مدراش "بريشيت رابا" . ١٧ : ١ .

(٢) توسيفتا سنهدرين . ٨ : ٧ – ٨ .

(٣) ألف باء الحاخام عقيفا. ص . ٥٩ .

(٤) فصول أباء الحاخام ناثان. ٣١ . ص ٩١ – ٩٢ . راجع. "أجادات عولام كاتان" . ص ٥٧ – ٥٩ .

(٥) بيرك أرتس .

(٦) ميدراش "بريشيت رابا" ٧ : ١١ ، ١٢ . باب حاجيجا. ص ١٦ أ . ميدراش تنائيم. ص ١٨٥ – ١٨٦ .

(٧) يلكوت رئوبين على سفر التكوين ١ : ٢٦ . راجع أيضًا. بريشيت رابا. ١٢ : ٨ ، ومدراش " فايكرا رابا " ٩ : ٩ ، والزوهار. المجلد الثالث . ص ٢١٩ ب .

(٨) تتكرر كثيرًا فى الأدب الربانى فكرة أن العالم خُلق من أجل إسرائيل. راجع. بريشيت رابا ١ : ٤ ، وميدراش تنحوما. الجزء الرابع .

(٩) بريشيت رابا. ٥ : ٥ . راجع أيضًا. ميدراش يونا. ص ١٠٢ – ١٠٣ . الزوهار. المجلد الثالث . ص ١٩٨ ب . راجع أيضًا. موسى بن ميمون. دلالة الحائرين. القسم الثانى . ص ٢٩ .

(١٠) يلكوت . ١ ، ١٧ . بن سيرا. ص ٣٢ ب .

(١١) شابات. ص ٨٨ أ . سفر الجامعة . ١ ، ٤ .

(١٢) بريشيت رابا. الجزء الثامن . ص ٣ – ٩ . التلمود الأورشليمي. باب براخوت. ص ٩ ، ١٢ ، السنهدرين. ٣٨ . على خلاف الرؤية القائلة بأن القوى الشريرة هى التى خلقت الإنسان فإن القصص اليهودية تؤكد على أن الملائكة لم تتدخل البتة فى خلق الإنسان .

(١٣) مدراش كونين. . ص ٢٦ – ٢٧ . تفيد المصادر اليهودية أن ميخائيل خُلق من النار فى حين أن جبريل خُلق من الثلج. راجع الترجمة الآرامية لسفر أيوب . ٢٥ : ٢ .

(١٤) يفيد ميدراش " كونين " أن ميخائيل وليس جبريل هو الذى أحضر التراب لخلق جسد آدم .

(١٥) فصول الحاخام إليعازر ١١ . باب السنهدرين. ص ٣٨ أ – ٣٨ ب . فيما يتعلق بفكرة أن وجود الإنسان لا يتحقق إلا بفضل رحمة الرب . راجع . مدراش " بريشيت رابا " ٨ ، ٤ .

(١٦) مدراش " بريشيت رابا " ١٤ ، ٨ . فصول الحاخام إليعازر ١١ ، ١٢ ، ٢٠ .

(١٧) مدراش " بريشيت رابا " ٨ : ١ .

(١٨) مدراش " بريشيت رابا " ١٤ : ٩ . راجع أيضًا. مدراش " فايكرا رابا " ٣٢ : ٢ ، ومدراش "دفاريم رابا" ٢ : ٧٣ .

(١٩) مدراش " تنحوما " . بيكودى . ٣ . وجاء فى هذا المدراش أن كل أرواح البشر تعد جزءًا من روح آدم .

(٢٠) مدراش تنحوما. بيكودى ٣ . جاء فى الزوهار . المجلد الثانى. ص. ١١ أ - ١١ ب أن جبريل هو المسئول عن الروح .

(٢١) مدراش بريشيت رابا. ١٤ : ٧ . باب حولين . ص ٦٠ أ . سيفرا. ٥ : ١٧ . مدراش باميدبار رابا ١٠ : ٢ ، وبريشيت رابا ٢٠ : ١١ .

(٢٢) بريشيت رابا . ٨ : ١ . باب حاجيجا. ١٢ أ . فصول الحاخام إليعازر ١١ .

(٢٣) بيركى رابينو هكادوش. ص ١٦ ب . باب " سوتا " ص ١٠ أ .

(٢٤) باب "بابا باترا" . ص ٥٨ أ . مدراش. "فايكرا رابا" ٢٠ : ٢ ، ومدراش "تانحوما" الجزء الثالث . ص ٥٧ .

(٢٥) باب " براخوت " ص ١٠ أ . مدراش " فايكرا رابا " ٤ : ٨ . باب السنهدرين . ص ٩١ ب .

(٢٦) جاء فى " مدراش كوهيليت رابا " ٢ : ١٢ أن الرب استشار الملائكة بشأن خلق كل عضو من أعضاء جسد الإنسان. جاء فى ص ٦١ أ من مدراش " شعيب تسريع " أن عدد أعضاء الشرايين فى الإنسان يتوافق مع عدد الأيام فى السنة الشمسية . انظر أيضًا الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ١ : ٢٧ .

(٢٧) سيدر عولام . ص ٣٠ . باب السنهدرين. ص ٣٨ ب ، وباب " عفوداه زاراه " ص ٥ أ . تتحدث كل هذه المصادر سالفة الذكر عن أن الرب أظهر لآدم كتابًا يتضمن سجلا بأعمال كل الأجيال اللاحقة .

(٢٨) مدراش باميدبار رابا ١٤ : ١٢ . ووفقًا لما جاء فى باب " يباموت " ص ٥٤ ب فقد تحدد منذ عصر داود أن يعيش الإنسان سبعين عامًا فقط . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول . ص ١٦٨ أ .

(٢٩) مدراش بريشيت رابا. ١٨ : ٤ ، ومدراش كوهيليت رابا ٧ : ٢٣ .

(٣٠) مدراش ليكح طوف على سفر التكوين ٢ : ١٩ .

(٣١) مدراش بريشيت رابا. ٢٤ : ٧ . مدراش تانحوما. ١ : ٤ .

(٣٢) باب " براخوت " . ص ٣١ أ .

(٣٣) فصول الآباء . ١ : ٨ .

(٣٤) فيما يتعلق بفكرة أن للشيطان اثنى عشر جناحًا راجع فصول الحاخام إليعازر ١٣ . ولمزيد من المعلومات عن أجنحة الملائكة راجع " باتى ميدراشوت " . المجلد الرابع . ص ٥ .

(٣٥) انظر Bousset. Religion. P. 386 . ترى المصادر الأكثر قدمًا مثل إينوخ الثانى أن الشيطان طُرد من الجنة لغيرته من الرب، وأنه حاول أن يقيم عرشًا فوق السماء ليكون مثل الرب .

(٣٦) فصول الحاخام إليعازر ١١ .

(٣٧) مدراش بريشيت رابا ٨ ، ١٠ ، ومدراش كوهيليت رابا ٦ ، ١٠ . انظر أيضًا الزوهار . المجلد الأول ص ٣٨ أ .

(٣٨) فصول الحاخام إليعازر ٣ ، ومدراش " بريشيت رابا " ١٧ ، ٤ .

(٣٩) مدراش بريشيت رابا. ١٧ ، ٤ . وجاء في مدراش هجادول لسيفر بريشيت أن آدم لم تراوده الرغبات الجنسية إلا بعد أن شاهد حواء غير أنه قد ورد في باب " يباموت " ص ٦٢ أ أنه كانت لآدم علاقات غير طبيعية مع الحيوانات قبل خلق حواء .

(٤٠) ألف باء بن سيرا. ص ٢٢ أ - ٢٣ ب ، و ٣٣ أ - ٣٣ ب . اسم مصر في العبرية متسرايم ، وتم تفسير هذا الاسم على نحو أنه يعني من يضطهدون .

(٤١) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول . ص ٨٣ . باب " عفوداه زاراه " . ص ٧٣ أ .

(٤٢) مدراش بريشيت رابا. ٨ : ١ و ١٧ : ٦ . باب "براخوت" ص ٦١ أ ، وباب "عيروفين" . ص ٨١ أ .

(٤٣) مدراش بريشيت رابا . ٨ : ٢ .

(٤٤) مدراش بريشيت رابا ١٨ : ٣ . باب " براخوت " . ص ٦١ و " نيداه " ص ٤٥ .

(٤٥) مدراش بريشيت رابا. ١٨ : ٨ . فصول الآباء ٩ . ص ٢٤ - ٢٥ . باب " كيدوشين " ص ٢ب . باب " شابات " ص ٣١ ب - ٣٢ أ

(٤٦) مدراش بريشيت رابا. ٧:١٨ . فصول الحاخام إليعازر ٨ . ص ٢٤ . باب السنهدرين ص ٣٩ أ .

(٤٧) مدراش بريشيت رابا. ١٨ : ٤ ، ومدراش تهيليم . ١٠٦ .

(٤٨) همدراش هجادول لسيفر بريشيت ١٢ . مدراش تنحوما . الجزء الأول. ص ٨٣ ، ٨٦ ، مدراش كوهيلت ٧ : ٢ ، ومدراش تهيليم ٢٥ . ص ٢١٣ - ٢١٤ . باب " بابا باترا " ص ٧٥ أ. الترجمة الأورشليمية لسفر التثنية ٣٤ : ٦ .

(٤٩) زوهار حداش. التكوين ٢٤ : ٣ .

(٥٠) إمري نوعام ومدراش هادار لسفر التكوين ٣ : ٢٢ . وردت إشارة لحجم هذه الشجرة في بعض المصادر الأقدم مثل " بريشيت رابا " ١٥ : ٦ ، وميدراش تهيليم ١ : ١٨ . راجع أيضًا تفسير الحاخام بهيا لسفر التكوين ٢ : ٩ إذ ذهب إلى أن شجرتي المعرفة والحياة كانتا تقعان وسط الجنة إذ كانت جذورهما واحدة في حين أن فروع كل شجرة كانت مستقلة عن الأخرى .

(٥١) مدراش بريشيت رابا ١٦ : ١-٤ .

(٥٢) مدراش بريشيت رابا ١٣ : ٩ .

(٥٣) باب حولين ٦٠ ب .

(٥٤) مدراش بريشيت رابا ١٦ : ٥ وفصول الآباء ٢١ : ٤٤ .

(٥٥) سيدر عولام ٥ ، وباب " السنهدرين " ص ٥٦ أ و" توسيفتا عفوداه زاراه " ص ٨ .

(٥٦) باب السنهدرين . ص ٥٩ ب. كتاب " الزوهار " المجلد الأول ص ٣٨ أ .

(٥٧) جاء في مدراش بريشيت رابا ١٩ : ٥ أن حواء كانت ترعى الحيوانات .

(٥٨) راجع Josephus. Antiqui, 1, 1.4 .

(٥٩) انظر الهامش رقم ١١٣ .

(٦٠) مدراش بريشيت رابا ١٩:١٩ ، ومدراش كوهيليت رابا. ١: ١٨ . باب السنهدرين . ص ٥٩ ب .

(٦١) فصول إليعازر. ١٣ . ميدراش بريشيت رابا. ١٩ : ٣-٤ . باب السنهدرين . ص ٢٩ أ .

(٦٢) مدراش بريشيت رابا. ١٩ : ٤ .

(٦٣) فصول الآباء . ١ : ٤ .

(٦٤) تفسير ابن سبا لسفر التكوين . ٣ : ٦ .

(٦٥) فصول إليعازر . ١ ، ٦ .

(٦٦) مدراش بريشيت رابا ١٩ : ٥ .

(٦٧) ألف باء بن سيرا. ص ٢٨ب ، ٢٩ أ - ٢٩ب و ٣٦ أ .

(٦٨) فصول إليعازر ١ ، ٦ .

(٦٩) فصول إليعازر ١٤ . الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٣ ، ٧ .

(٧٠) مدراش بريشيت رابا ١٥ : ٧ .

(٧١) مدراش هجادول لسيفر بريشيت ١ : ١٩ .

(٧٢) بريشيت رابا ١٩ : ٨ .

(٧٣) مدراش بريشيت رابا ١٢ : ٦ .

(٧٤) بسيكتا ٥ : ٤٤ .

(٧٥) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. المجلد الأول. ص ٩٣ . راجع أيضاً الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٣ : ٩ .

(٧٦) ألف باء الحاخام عقيفا. ص ٥١ .

(٧٧) مدراش بريشيت رابا. ١٩ : ٩ .

(٧٨) مدراش تنحوما. الجزء الثالث. ص ٣٩ . راجع أيضاً . السنهدرين ص ٣٨ ب .

(٧٩) فصول الحاخام إليعازر. ١٤ . ميدراش هجادول لسيفر بريشيت. . الجزء الأول . ص ٩٣ .

(٨٠) مدراش بريشيت رابا. ١٧ : ٤ .

(٨١) مدراش تنحوما. الجزء الثالث. ص ٣٩ . راجع أيضاً. زوهار حاداش لسيفر بريشيت. ص ٢٤ أ .

(٨٢) مدراش تنحوما. الجزء الثالث. ص ٣٩ .

(٨٣) فصول الآباء للحاخام ناثان. ٤٢ ، ١١٧ .

(٨٤) مدراش بريشيت رابا. الجزء العشرون. ص ٤ - ٥ .

(٨٥) باب عيروفين. ص ١٠٠ ب . راجع أيضاً فصول الآباء للحاخام ناثان. ١ ، ٤ . ترى كل المصادر أن حيض حواء كان نتيجة لخطيئتها وتناولها للثمرة المحرمة . وتفيد كل المصادر اليهودية أن جميع الكائنات سيُغفر لها في العالم الآخر باستثناء الأفعى .

(٨٦) مدراش بريشيت رابا. . الجزء العشرون. ص ٦ . باب " سوتا " من التلمود الأورشليمي. ص ٨ . ميدراش تهيليم رابا. ٩ : ٨٦ .

(٨٧) فصول الآباء للحاخام ناثان. ٤٢ : ص ١١٦ - ١١٧ .

(٨٨) مدراش بريشيت رابا. ٥ : ٩ .

(٨٩) زوهار حاداش بريشيت . ص ٢٤ ب .

(٩٠) فصول الآباء للحاخام ناثان. ٤٢ ، ١١٧ .

(٩١) مدراش بريشيت رابا. ٢٠ : ١٠ . باب بيساحيم . ص ١١٨ أ .

(٩٢) انظر الصفحات اللاحقة .

(٩٣) فصول الحاخام إليعازر. ٢٠ راجع أيضًا الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ٣ : ٢١ .

(٩٤) مدراش بريشيت رابا. ٢١ : ٥-٩ .

(٩٥) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ١٠٦ .

(٩٦) ورد في سفر إينوخ أن شجرة الحياة ستُحفظ للصديقين في العالم الآخر. راجع أيضًا مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ١٢٧ .

(٩٧) بسيكتا الحاخام كهانا ٢٣ . ص ١٥٠ب . راجع أيضًا باب السنهدرين. ص ٣٨ ب ، ومدراش فايكرا رابا. ١٩ : ١ .

(٩٨) مدراش تانحوما. الجزء الأول. ص ١٢ . ميدراش بريشيت رابا. ١١ : ٩ .

(٩٩) فصول الآباء. ٥ : ٩ . راجع أيضًا ميدراش تنائيم .. ص ٢١٩ ، وبيساحيم . ص ٥٤ أ .

(١٠٠) زوهار حاداش . لسفر التكوين ٢ : ٤ . ص ٢٢ أ .

(١٠١) سيدر رابا دى بريشيت. ص ٧ – ٨ .

(١٠٢) سفر اليوبيل. الجزء الثاني. ص ١٧-٢٠ . فيما يتعلق بفكرة أن الملائكة ترتاح أيضًا يوم السبت. راجع " تيكونيم " . ص ٤٨ ، ٨٦ أ .

(١٠٣) فصول الحاخام إليعازر. ١٩ . راجع أيضًا ميدراش تهيليم . ٩٢ ، ٤٠٤ .

(١٠٤) مدراش بريشيت رابا. ١١ : ١ و ١٢ : ٦ .

(١٠٥) مدراش بريشيت رابا. ١٢ : ٦ ، وميدراش تنحوما. ١ ، ١٣ .

(١٠٦) راجع ميدراش بريشيت رابا. ١٦ : ٤ .

(١٠٧) باب عفودا زاراه. ص ٨ أ .

(١٠٨) المرجع السابق. راجع أيضًا فصول الآباء للحاخام ناثان. ١ ، ٧ .

(١٠٩) مدراش بريشيت رابا. ٢٤ : ٩ . راجع أيضًا فصول الحاخام إليعازر ٢٣ ، ٣١ . انظر أيضًا الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ٨ : ٢٠ .

(١١٠) انظر. الزوهار. المجلد الأول. ص ٣٧ ب، و ١١٨ أ. راجع أيضًا. مدراش بريشيت رابا. ٧٩ : ٦ ، وميدراش كوهيليت رابا ١٠ : ٨ .

(١١١) راجع Vita Adae. P. 30 .

(١١٢) المرجع السابق. ص ٣١ .

(١١٣) المرجع السابق. ص ٢٤-٣٩ ، وميدراش . سيفرا ٢٦ : ٦ .

(١١٤) المرجع السابق. . ص ٤٠-٤٢ .

(١١٥) المرجع السابق. ص ٤٤ .

(١١٦) Apocalypse of Moses. PP. 15-30 .

(١١٧) المرجع السابق. ص ١٦ .
(١١٨) المرجع السابق. ص ١٧-١٨ .
(١١٩) المرجع السابق. ص ١٩ .
(١٢٠) المرجع السابق. ص ٢٠ .
(١٢١) المرجع السابق. ص ٢١ .
(١٢٢) انظر الهامش رقم ٧٠ .
(١٢٣) انظر الصفحات التالية .
(١٢٤) مدراش بريشيت رابا. ٢٠ : ٤ ، ومدراش بميدبار رابا. ١٤ : ١٢ .
(١٢٥) باب يوما. ص ٣٩ب .
(١٢٦) جاء فى الجزء الثانى من كتاب إينوخ أن الرب يقيم تحت شجرة الحياة . أما كتاب الزوهار الذى يعد أهم كتاب تصوف فى تاريخ الفكر اليهودى فيؤكد أن الحضرة الإلهية هى التى تقيم تحت هذه الشجرة .
(١٢٧) انظر الهامش رقم ١١٣ .
(١٢٨) The Jewish Encyclopedia. Vol. 1 P. 70 .
(١٢٩) باب "نيجاعيم" . ١ : ٤ ، وميدراش سيفرا . ١٣ : ٤ .
(١٣٠) باب "كيدوشين" . ص ٣٠ب حيث يوصف الشيطان باسم القبيح .
(١٣١) راجع سفر إينوخ ٦٩ ، ٦ .
(١٣٢) يُعرف هذا الملاك باسم ملاك البشر لتشابهه مع الإنسان. باب "بيراخوت" . ص ٢٨ب . راجع أيضاً. فصول الحاخام ناثان. ٢٥ ، ٧٩ .
(١٣٣) باب "سوكا" . ص ٢٩ أ .
(١٣٤) الزوهار. المجلد الثالث. ص ١٦ب الذى جاء به أن كل الأرواح لابد أن تمر عبر نهر من نار ، وهكذا فإن الصديقين يتطهرون فى حين أن الأشرار يتم على هذا النحو عقابهم. أما مدراش كونين فجاء به أن أرواح الصديقين تستحم فى مائتين وثمانية وأربعين نهراً إذ أن كل نهر يتولى تطهير كل عضو من أعضاء جسم الإنسان .
(١٣٥) يجب أن نتنبه هنا إلى أن الزوهار (المجلد الثانى ص ٢٥٦ أ) يشير إلى أن ثلاثة ملائكة سماوية تحيط بسرير موت كل إنسان .
(١٣٦) راجع كتاب آدم . الجزء الأول. ص ٧٩ .
(١٣٧) Apocalypse of Moses. P. 40 .
(١٣٨) المرجع السابق. ص ٤١-٤٥ .
(١٣٩) المرجع السابق. ص ٤٢-٤٣ .
(١٤٠) المرجع السابق. ص ٤٣ .
(١٤١) مدراش تنحوما. الجزء الأول. ص ٢١ .
(١٤٢) المرجع السابق. راجع أيضاً. الزوهار. المجلد الأول . ص ٥٤ب، ٨١ أ ، ٦٥ب ، ١٢٧ أ .

حواشى الفصل الثالث

الأجيال العشرة

(١) فصول الآباء ٥ ، ٢٢ . راجع فصول الحاخام ناثان . ٣٢ ، ٩٢ .

(٢) مدراش بريشيت رابا. ٢٨ ، ٤ . باب " حاجيجا " ص ١٣ ب . فصول الحاخام ناثان. ٣١ ، ٩٣ . باب شابات. ص ٨٨ب . ميدراش كوهيلت . ١ . ١٥ . ميدراش تهيليم. ٩٠ ، ٣٩٢ .

(٣) فصول الحاخام إليعازر. ٢١ . انظر أيضًا مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٨٨ – ٨٩ . باب " شابات " . ص ١٤٦ أ . باب " بياموت " . ص ١٠٣ ب. باب عفوداه زاراه. ص ٢٢ب . الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ٤ : ١ . الزوهار. المجلد الأول . ص ٣١ أ .

(٤) Vita Adae .

(٥) المرجع السابق. ص ١٩ – ٢١ .

(٦) المرجع السابق. ص ٢١ .

(٧) المرجع السابق. ص ٢١ – ٢٢ .

(٨) يشار بريشيت. ص ٩ أ .

(٩) Vita Adae 22 .

(١٠) أجادات شيرهاشيريم ٦ ، ٤٠ . انظر أيضًا مدراش هجادول. الجزء الأول ١٧٠ . يشاربريشيت. ص . ٩ أ . راجع أيضًا تفسير راشى لسفر التكوين ٤ : ٤ .

(١١) فصول إليعازر. ٢١ . راجع مدراش هجادول لسفر بريشيت. الجزء الأول. ص ١٠٦ – ١٠٧ والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ٤ : ٣ ، وميدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٤ .

(١٢) مدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٥ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٢١ . يشار بريشيت. ص ٩ أ . زوهار حاداش لسيفر بريشيت . ص . ٢٤٠ أ .

(١٣) مدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٦ .

(١٤) المرجع السابق. انظر أيضًا ميدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول . ص ١٠٧ .

(١٥) انظر ما تقدم فى الفصل الأول عن خلق العالم .

(١٦) الترجمات الأورشليمية لسفر التكوين ٤ ، ٨ .

(١٧) ميدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٧ . فصول الحاخام إليعازر. ٢١ .

(١٨) يشار بريشيت. . ص ٩ ، وميدراش شيموت رابا. ٣١ ، ١٧ .

(١٩) مدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٨ ، وأجادات شيرهاشيريم ز ٧ ، ٤٣ و ٩١ – ٩٢ .

(٢٠) مدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٨ . راجع أيضًا . الزوهار. المجلد الأول. ص ٥٤ ب .

(٢١) مدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٩ . باب السنهدرين ٤٠ ، ٥ .

(٢٢) مدراش تنحوما بريشيت. ٩ ، ومدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ١٠ .

(٢٣) يشار بريشيت. ص ٩ ب . راجع أيضًا مدراش تهيليم . ٢٢ .

(٢٤) مدراش تنحوما لسيفر بريشيت. ٩ . مدراش هجادول لسيفر بريشيت. ١ ، ١١٣ .

(٢٥) مدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ١١ .

(٢٦) مدراش تنحوما. ص ١٥٧ ، ومدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ١٢ – ١٣ .

(٢٧) فصول إليعازر. ٢١ . الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ٤ : ١٥ .

(٢٨) مدراش بريشيت رابا. ٢٢ : ١٢ – ١٣ . وقد وردت في هذا المدراش سبعة آراء بشأن علامة قابيل وهي (١) أن الرب جعل الشمس تسطع كعلامة على أن قابيل لن يلقى مصرعه على أيدى الحيوانات. (٢) أن الرب أحل عليه مرض الجذام. (٣) أن الرب جعله يسير في صحبة كطلب ليحميه من الحيوانات الضالة (٤) أن الرب وضع قرنًا على ناصية رأسه حتى تكون علامة على ازدرائه. (٥) أنه عاقب قابيل (٦) أنه غفر له بعض الشيء حتى يتوب المذنبون عن أفعالهم. (٧) أنه سمح له بالعيش حتى الطوفان. وردت بعض هذه الآراء في ميدراش تنحوما لسيفر بريشيت. ١٠ .

(٢٩) مدراش أجاداه لسيفر بريشيت . ٤ ، ١٦ .

(٣٠) مدراش تنحوما. ص ١٥٨ .

(٣١) مدراش تنحوما. بريشيت ١٠ . فصول الحاخام إليعازر ٢١ . مدراش بريشيت رابا. ٢٢، ٨ . ورد في التراث الرباني أنه بينما كانت الأرض مسطحة فقد أصبحت الجبال تعمها كعقاب لسيلان دم هابيل عليها .

(٣٢) انظر الصفحات اللاحقة .

(٣٣) ورد ذكر هذه المنتجات السبعة في سفر التثنية ٨ : ٨ . راجع أيضًا . باب "براخوت" . ٦ ، ٤ .

(٣٤) الزوهار. المجلد الأول. ص ٩ ب ، والمجلد الثاني . ص ٨٠ أ .

(٣٥) انظر كتاب باروخ اليوناني. المجلد الثالث .

(٣٦) زوهار حاداش بريشيت. ص ٨أ –٨ب . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص ٩ب ، ٣٩ب–٤٠أ ، ٥٤ب ، ١٥٧أ .

(٣٧) الزوهار. المجلد الأول. ص ٣ أ – ٣ ب . راجع أيضًا . زوهار حاداش بريشيت. ص ٨أ – ٨ب ، ومدراش روث. ص ٩٧ ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٢٣ ، ٤ .

(٣٨) مدراش أجاداه . التكوين ٤ ، ١٧ .

(٣٩) ياشار بريشيت. ص ٩ ب .

(٤٠) راجع الهامشين ١١ ، و ٣٧ .

(٤١) Josephus. Antiqui. Vol. 1. P. 22 .

(٤٢) مدراش بريشيت رابا. ٢٣ ، ٢ .

(٤٣) راجع الهامش رقم ٢٨ .

(٤٤) مدراش تانحوما بريشيت ١١ . مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ١١٨-١١٩ . راجع أيضًا تفسير راشي لسفر التكوين ٤ : ٢٣-٢٤ .

(٤٥) مدراش بريشيت رابا. ٢٣ ، ٢-٣ ، وياشار بريشيت. ص ١٠ب . باب " يبامـوت " بالتلمود الأورشليمي. ص ٦ - ٧ . مدراش أجاداه . سفر التكوين ٤ ، ٢٢ .

(٤٦) مدراش بريشيت رابا. ٢٣ ، ٤ .

(٤٧) باب عيروفين . ص ١٨ب . مدراش بريشيت رابا ٢٠ ، ١١ و ٢٤ ، ٦ . راجع أيضًا الزوهار. المجلد الأول. ص ٥٤ ب والمجلد الثالث. ص ٧٦ ب .

(٤٨) انظر الصفحات اللاحقة .

(٤٩) ماعسيه باروخ. ١٣٤ . ص ٤٠ أ - ٤٠ ب .

(٥٠) مدراش بريشيت رابا. ٢٣ : ٤-٥ ، ومدراش روث . ٤ ، ٢١ .

(٥١) فصول الآباء للحاخام ناثان. ٢ ، ١٢ . مدراش تهيليم. ٩ ، ٨٤ .

(٥٢) فصول الحاخام إليعازر. ٢ ، ومدراش بريشيت رابا. ٢٣ ، ٥ .

(٥٣) مدراش بريشيت رابا. ٢٦ ، ٥ .

(٥٤) سيفر هيدر زقانيم. التكوين ٤ ، ٢٦ . قارن أيضًا. فصول الحاخام إليعازر. ٤٥ .

(٥٥) مدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٦-٧ . راجع أيضًا برايتا. ٣٢ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥ ، ٦ .

(٥٦) هيكالوت. ٦ ، ١٧٢ .

(٥٧) اينوخ ٦-٨ . ومدراش أجاداه لسفر التكوين. ٥ ، ١٨ .

(٥٨) اينوخ ١٢-١٦ ، وسفر اليوبيل ٤ . ١٧-٢٣ .

(٥٩) ياشار بريشيت. ١١ أ - ١٣ أ .

(٦٠) الزوهار. المجلد الأول. ص ٣٧ب ، ٧٢ب ، والمجلد الثاني . ص ٥٥ أ ، والمجلد الثالث. ص ٢٤٠ أ ، ٢٤٨ ب ، ٢٥٣ ب .

(٦١) هيكالوت. ٦ ، ١٧٠ - ١٧١ .

(٦٢) ياشار بريشيت. . ص ١٣ أ .

(٦٣) يراحميل. ٢٣ . ص ١-٤ .

(٦٤) يراحميل. ٢٣ . ص ٥-٦ . مدراش أجاداه لسيفر بريشيت. ٥ ، ٢٥ .

حواشى الفصل الرابع

نـــوح

(١) يعد موتيف الضوء المصاحب لميلاد الأبطال من الموتيفات الشائعة فى الأساطير .

(٢) عن الأطفال الرضع الذين يتحدثون فور ميلادهم قارن قصة ملكيصيدق الذى تحدث فور ميلاده .

(٣) راجع الهامش رقم ١ .

(٤) كتاب إينوخ . ١٠٦ – ١٠٧ .

(٥) أجادات بريشيت. ٣٨ . يلكوت. ١ ، ٤٢ .

(٦) مدراش تنحوما . بريشيت. ١١ . مدراش بريشيت رابا. ٢٥ ، ٢ .

(٧) مدراش بريشيت رابا. ٢٥ ، ٢ .

(٨) ياشار بريشيت. ص ١٣ أ .

(٩) كتاب إينوخ ٩–١٠ .

(١٠) يلكوت . الجزء الأول. ص ٤٤ . أجادات بريشيت. ص ٣٨ .

(١١) فصول الحاخام إليعازر. الفصل الأول. ص ١١٨ . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص ١٥٥أ . أجادات بريشيت. ص ٣٨ .

(١٢) فصول الحاخام إليعازر. الفصل الثانى والعشرون. راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص ٥٨ أ .

(١٣) مدراش بريشيت رابا. ٢٦ ، ٧ . راجع . مدراش دفاريم رابا. ١ ، ٢٤ . فيما يتعلق بطول العمالقة . راجع كتاب إينوخ . الفصل السابع .

(١٤) يراحميل. ٢٤ . ص ١٠–١٢ . راجع أيضًا. سيفر هيدر زقانيم. التكوين. ٦ : ٢ .

(١٥) مدراش تنحوما بريشيت. ١٢ . باب "سوتا" ٣ ، ٦ . مدراش بريشيت رابا ٢٦ ، ٥ و ٢٨ ، ٦–٧ .

(١٦) مدراش بريشيت رابا. ٣٦ ، ١ ومدراش فايكرا رابا. ٥ ، ١ ، ومدراش كوهيليت رابا. ٢ ، ٢٠ وميدراش بسيكتا رباتى. ١٤ ، ٦٥ ب . راجع أيضًا. باب يوما . ص ٢١ أ .

(١٧) مدراش بريشيت رابا. ٢٦ ، ٥ . باب " سوتا " بالتلمود الأورشليمى. الفصل الأول. ص ١٧ أ ، ومدراش باميدبار رابا. ٩ ، ٣٣ . مدراش فايكرا رابا ٢٣ ، ٩ . وتتسم كل المصادر سالفة الذكر بإفراطها فى وصف الحياة غير الأخلاقية لجيل الطوفان .

(١٨) مدراش بريشيت رابا. ٣١ ، ٣–٥ . باب السنهدرين. ص ١٠٨ أ. مدراش كوهيليت رابا. ١ ، ١٣ .

(١٩) باب السنهدرين. ص ١٠٨ أ – ١٠٨ب . مدراش بريشيت رابا. ٣٠ ، ٧ . أجادات بريشيت١ ، ٢ ، مدراش كوهيليت رابا ٩ ، ١٤ . فصول الحاخام إليعازر ٢٢ ، ٢٣ . ياشار نوح. ص ١٤ أ – ١٤ ب .

(٢٠) توسيفتا سوتا. ١٠ ، ٣-٥ . فصول الآباء للحاخام ناثان. ٣٢ : ٩٢ - ٩٣ . باب السنهـدرين. ص ١٠٨ ب . مدراش بريشيت رابا. ٣ ، ٦ . مدراش تهيليم. ٢٦ ، ٢٢٠ . ياشار نوح . ص ١٤ أ - ١٤ ب .

(٢١) مدراش بريشيت رابا. ٣١ ، ١٣ . باب السنهدرين. ص ١٠٨ب. فصول الحاخام إليعازر ٢٣ . الترجمة الأورشليمية للإصحاح السادس من سفر التكوين .

(٢٢) تم نشر هذه القصة في مجلة " هاجورين " . المجلد التاسع. ص ٣٨-٤١ . فيما يتعلق بمحاولة الملائكة لعبادة آدم . راجع الفصل الأول .

(٢٣) سيفر نوح. ١٥٠-١٦٠ . وقد وردت في هذا العمل ثلاث روايات تفيد الأولى أن نوح تلقى بعد الطوفان كتاباً عن الطب من الملاك رفائيل. وتفيد الرواية الثانية أن آدم تلقى بعد خروجه من الجنة كتاباً من الملاك " رازيئيل " تم الكشف فيه عن الغيب ، هذا الكتاب الذي تلقى إينوخ من خلاله الحكمة ، وأن هذا الكتاب وصل فيما بعد إلى نوح إذ تلقى منه أصول معرفة تأسيس الفلك. أما الرواية الثالثة فتفيد أن هذا الكتاب وهب الضوء لكل من كانوا بالفلك. راجع بيت هامدراش. المجلد الثالث. ص ٣٠-٣٣ . راجع أيضاً. الزوهار. المجلد الأول. ص ٣٧ب و ٥٨ب .

(٢٤) فصول الحاخام إليعازر. ٢٣ ، والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين٥ ، ٢٠ ، ومدراش بريشيت رابا. ٣٢ ، ٨ . باب " زيفاحيم " ص ١١٦ أ .

(٢٥) ياشار نوح. ص ١٥ أ-١٦ أ. يعتمد هذا العمل على ما جاء في مدراش بريشيت رابا. ٣١ ، ١٣ . مدراش تنحوما. نوح ٧ .

(٢٦) باب السنهدرين. ص ١٠٨ ب. باب روش هاشاناه. ص ١٢أ . باب زيفاحيم . ص ١١٣ب. مدراش فايكرا رابا. ٧ ، ٦ . مدراش كوهيليت رابا. ٩ ، ٤ . فصول الحاخام إليعازر. ٢٢ .

(٢٧) مدراش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص ٣٥-٣٦ . مدراش تنحوما . نوح ٧. أجادات بريشيت. ٤ ، ١٠ . الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٧ : ١٢ .

(٢٨) مدراش بريشيت رابا. ٢٨ ، ٩ . باب السنهدرين. ص ١٠٨ أ . جاء في باب "يباموت" . ص ٦١أ أن لفظ الإنسان لا يطلق إلا على شعب إسرائيل ولا يطلق على سائر الشعوب .

(٢٩) مدراش بريشيت رابا. ٣٢ ، ٦ . جاء في فصول الحاخام إليعازر ٢٣ وفي كتاب ألف باء بن سيرا ص ١٢ب - ١٣ أ أن نوح قضى أسبوعاً بالفلك قبل مجيء الطوفان. وقد جاء في مدراش بريشيت رابا ٣٢ ، ٨ أن نوحا دخل الفلك أمام الأشرار خلال نهار اليوم .

(٣٠) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص٢٥ - ٢٦ . ياشار نوح . . ص ١٤أ - ١٤ب . تفيد المصادر اليهودية أن سام هو الأخ الأكبر ليافث . راجع . فصول الحاخام إليعازر ٨ . راجع أيضاً همدراش هجادول. الجزء الأول. ص ١٤٢ .

(٣١) مدراش بريشيت رابا. ٢٦ ، ٢ ، ومدراش بميدبار. ١٤ ، ١٢ ، ومدراش تهيليم. الجزء الأول. ص ١١-١٢ . تفيد هذه المصادر أن نوح كان يبتغي أن يعيش بمفرده غير أن ملاك الرب أجبره وعلى خلاف رغبته على الزواج .

(٣٢) باب السنهدرين. ص ١٠٨أ ، ١٠٨ب . مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٣٦ ، ٤٥ ، ومدراش بريشيت رابا. . ٢٨ ، ٨-٩ . ألف باء بن سيرا. ص ٣٥ب - ٣٦أ . مدراش هجادول. الجزء الأول. ص ١٣٢ - ١٣٤ ، ١٥١ ، ١٥٨-١٥٩ . باب زيفاحيم . ص ١١٦ أ .

(٣٣) فصول الحاخام إليعازر. ٣٢ .

(٣٤) مدراش بريشيت رابا. ٣١ . ١٣ . باب زيباحيم . ص ١١٣ب ، وباب السنهدرين. ص ١٠٨ب . مدراش هجادول. الجزء الأول. ص ١٥٠ .

(٣٥) فصول الحاخام إليعازر. ٢٣ . الترجمة الأورشليمية لسفر التثنية ٢ : ١١ . يلكوت رئوبين لسفر التكوين ٧ : ٢٢ . باب زيباحيم . ص ١١٣ ب .

(٣٦) مدراش تهيليم ٦ ، ٦٨-٦٩ . قارن أيضًا فصول الحاخام إليعازر ٢٤ . ص ١٢٥ب. سيدر إلياهو ٣ ، ١٧٥ . وقد جاء في هذا العمل أن الرب خلق كافة الأشياء باستثناء الكذب والخداع الذى خلقه الإنسان .

(٣٧) باب السنهدرين. ص ١٠٨ب. مدراش هجادول. الجزء الأول. ص ١٦٠ . تفسير يلكوت رئوفين لسفر التكوين ٧ : ١٤ . وقد جاء في هذا التفسير أن نوحا اعتنى خلال إقامته بالفلك بالحيوانات المتوحشة في حين أن سام اعتنى بالحيوانات الأليفة ، وحام بالطيور ، ويافث بالزواحف. وبينما تؤكد المصادر سالفة الذكر أن نوحا أخذ معه في الفلك الأطعمة التي تناسب كل نوع من الحيوانات فإن بعض المصادر مثل مدراش بريشيت رابا تؤكد أن الحيوانات والطيور والزواحف وكل من كان بالفلك لم يتناول إلا التين المجفف.

(٣٨) ياشار نوح. ص ١٦أ . ميدراش تهيليم ٢٩ ، ٢٣٣ الذى جاء به أن الرب سمع صلاة نوح بالفلك. وكان قد جاء في مدراش بريشيت رابا أن نوح عاني بشدة من البرد خلال إقامته بالفلك. راجع أيضًا : الزوهار. المجلد الأول. ص ٦٨أ - ٦٨ب .

(٣٩) فصول الحاخام إليعازر. ٢٣ . مدراش بريشيت رابا. ٣٢ ، ٧ . وردت فكرة أن الطوفان كان نتيجة لزواج عنصري الذكورة والأنوثة بالمياه في كتاب إينوخ. ٥٤ ، ٨-٩ . باب " براخوت " بالتلمود الأورشليمي. ٩ ، ص ١٤ أ . التلمود البابلي. وسيفتا . ١ ، ٤ . ميدراش تهيليم. ٤٢ ، ٢٦٧ . فصول الحاخام إليعازر. ٥. مدراش كوهيليت. ٨٧ .

(٤٠) باب براخوت. ص ٥٨ ب - ٥٩أ . باب روش هاشاناه. ص ١١ب- ١٢أ . مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ١٥٦-١٥٧ .

(٤١) مدراش بريشيت رابا. ٢٥ ، ٢ . باب السنهدرين. ص ١٠٨ب . فصول الحاخام إليعازر. ٢٣ . الترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ٦ ، ١٦ .

(٤٢) مدراش بريشيت رابا. ٢٣ ، ٥ و ٣٣ ، ٧ .

(٤٣) مدراش بريشيت رابا ٢٢ ، ١٢ و ٣٢ ، ٥ . راجع أيضًا مدراش شير هاشيريم ٣١ ، ١٦ وميدراش كوهيليت ٦ ، ٣ .

(٤٤) مدراش بريشيت رابا. ٢٨ ، ٣ ومدراش تنحوما كادوم. ١ ، ١٩ . فيما يتعلق بقوة المياه التدميرية راجع مدراش بريشيت راباز ٣٠ ، ٨ ، ومدراش فايكرا رابا. ٣١ ، ١. كان من بين ما جاء في هذه المدراشيم أن عظام البشر من شجر اللوز وتتسم بالصلابة ، ومن ثم فإنها ولقوتها تكون نواة العظام عند البعث. راجع أيضًا السنهدرين ١٠ ، ٣ ، وتوسيفتا ١٣ ، ٦ ، ومدراش بريشيت رابا ٢٦ ، ٦ . وتؤكد كل المصادر سالفة الذكر أن جيل الطوفان لن يُبعث .

(٤٥) سيدر عولام٤ ، ورووش هاشاناه. ص ١١ب-١٢أ ، ومدراش بريشيت رابا. ٣٣ ، ٧ ، والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٧ : ١١ . وتؤكد هذه المصادر أن عقاب المذنبين سيدوم بجهنم لاثنى عشر شهراً .

(٤٦) باب السنهدرين. ص ١٠٨ . مدراش بريشيت رابا. ٣٢ ، ٥ . ألف باء بن سيرا. ص ٢٦-٢٧ . بيركى رابينو هكادوش. ص ٣٢ب .

(٤٧) فصول الحاخام إليعازر. ٢٣ . مدراش فايكرا رابا. ٣١ . باب السنهدرين. ص ١٠٨ب. باب زيباحيم. ص ١١٣أ . باب عيروفين. ص ١٨ب . مدراش هجادول. الجزء الأول. ص ١٣٦ .

(٤٨) مدراش بريشيت رابا. ٣٩ ، ٣ . مدراش كوهيليت. ١٠ ، ٤ . مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول . ص ٤١ . أجادات بريشيت. ٧ . ص ١٧-١٨ . باب السنهدرين. ص ١٠٨أ . مدراش بريشيت رابا. ٣٣ ، ٤ . مدراش هجادول. الجزء الأول. ص ١٦٢ . الزوهار. المجلد الأول. ص ٦٣ ، والمجلد الرابع. ص ١٥٦ .

(٤٩) زوهار حاداش. نوح . ص ٢٩ أ . الزوهار. المجلد الأول. ص ٤ أ و ٦٨ أ . مدراش هجادول. الجزء الأول. ص ١٥٤ .

(٥٠) مدراش بريشيت رابا. ٢٥ ، ٢. مدراش بريشيت رابا. ٣٤ ، ٩

(٥١) مدراش بريشيت رابا. ٣٠ ، ٦ و ٣٦ ، ٤. مدراش فايكرا رابا ٢٠ ، ١ . ومدراش كوهيليت ٩ ، ٢ ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ٢٨ والجزء الخامس . ص ٧. وفقًا لما جاء فى هذه المصادر فقد أصاب الأسد نوحا عند خروجه من الفلك ما يعنى أن الحيوانات كانت أليفة خلال إقامتها بالفلك . راجع أيضًا كتاب ألف باء بن سيرا. ص ٢٩ب و ٣٥ب - ٣٦ أ . كان من بين ما جاء فى هذا الكتاب عن حيوانات الفلك أن النسر والغراب كانا أول من تمرد على نوح فقد نصح الغراب الحيوانات بعدم إطاعة أمر نوح بالعيش فى سلام . ومن هنا فقد كان النسر أول من بادر بالقتل. وبينما حاولت سائر الطيور قتله لتمرده على نوح فقد أتاح الرب له الفرار فجعله يحلق على ارتفاع عال . وكان قد جاء فى " زوهار حاداش نوح . ص ٢٩ب " أن الرب نصب سام ككاهن لأنه عكف على دراسة التوراة التى انتقلت من سام إلى يافث ومنه إلى إبراهيم . وقد صلى إبراهيم للرب حتى يجعل الحضرة الإلهية تقيم بمنزل سام بالقدس وقد استجاب الرب لدعائه. وقد قرر الرب بعد الطوفان أنه من الأفضل أن يلتزم الإنسان بعدد مدود من الوصايا بدلاً من أخذ كل التوراه خشية ألا يلتزم بكافة وصاياها، وتُعرف هذه الوصايا بوصايا أبناء نوح .

(٥٢) مدراش بريشيت رابا. ٢٦ ، ١ و مدراش تنحوما كادوم. الجزء الثانى ص ١٢٧ ومدراش شموت رابا ٥٠ ، ٢ ومدراش تهيليم ١ ، ١١ والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٨ ، ٢٠ .

(٥٣) مدراش بريشيت رابا. ٣٤ ، ١٢ . مدراش أجاداه لسفر التكوين ٩ ، ٢ . مدراش هجادول. الجزء الأول. ص . ١٦٨ . وكان من بين ما جاء فى ميدراش هجادول ، الجزء الأول . ص . ١٦٥ : " أن نوحا لم يبتغ مغادرة الفلك لأن الأرض كانت خالية من السكان ولهذا قال له الرب تكاثر بالأرض غير أن نوحا لم يذعن لأمر الرب لتخوفه من مجيء فيضان آخر ولهذا لم يغادر الفلك إلا بعد أن طمأنه الرب بأنه لن يأتى فيضان آخر" .

(٥٤) باب السنهدرين. ص. ١٠٨ب، ومدراش بريشيت رابا. ٣١ ، ١٢ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٤٢-٤٣ . فصول الحاخام إليعازر . ٢٣ . يلكوت رئوبين. الجزء الثانى. ص ٩٦٠ . ميدراش هجادول. الجزء الأول. ص ١٦٥ . وقد جاء فى كتاب آدم ٣ ، ٨ أن النساء جلسن فى الجانب الأيسر من الفلك فى حين أن الرجال جلسوا فى الجانب الأيمن .

(٥٥) مدراش بريشيت رابا. ٣٥ ، ٢ . باب "براخوت" بالتلمود الأورشليمى. ٩ . ص ١٣ ، باب "كتوفوت" . ص ٧٧ب ، ومدراش بسيكتا رباتى ١٠ . ص ٨٧ب. جاء فى مدراش بريشيت رابا ٣٥ ، ٣ أن ألوان قوس قزح تعد انعكاسًا لمجد الرب .

(٥٦) مدراش بريشيت رابا. ٣٦ ، ٦ و ٢٤ ، ١٣-١٤ . باب السنهدرين ٥٧أ -٥٧ب، ومدراش هجادول. الجزء الأول. ص . ١٧١. راجع أيضًا مدراش دفاريم رابا. ٢ ، ٢٥ .

(٥٧) مدراش بريشيت رابا. ٣٦ ، ٣ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ٤٦ .

(٥٨) مدراش تنحوما. نوح ١٨ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٤٨ ، ومدراش بريشيت رابا. ٣٦ ، ٣-٤ . فيما يتعلق برؤية المصادر القديمة للنبيذ راجع باب " عيروفين " . ص ٦٥ أ ، وباب "كتوفوت" . ص ٦٥ أ ، وباب "سنهدرين" . ص ٧٠ أ ، ومدراش بريشيت رابا. ٣٦ ، ٤ . بينما تحرم كل هذه المصادر السكر بوصفه مصدر كل الشرور للأفراد والجماعات فإنه يتم السماح بالتمتع بشكل محدود فقط بالنبيذ.

(٥٩) باب السنهدرين. ص. ٧٠ أ ، وفصول إليعازر ٢٣ . راجع بيت همدراش. المجلد الخامس. ص ٦٧ .

(٦٠) مدراش بريشيت رابا. ٣٦ ، ٤-٥ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٩٤، وفصول اليعازر ٢٣، والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ٩ : ٢٤-٢٥ .

(٦١) مدراش بريشيت رابا. ٣٦ ، ٤-٥ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٩٤، وفصول إليعازر ٢٣ ، والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين٩ : ٢٤-٢٥ . باب السنهدرين. ص ٧٠ أ . فيما يتعلق بتشبيه الزوجه بالخيمة أو بالمنزل ، انظر ميدراش بريشيت رابا٦٣ ، ٤ ، وباب " شابات " . ص ٨١١ب ، وباب " يوما " . ص . ١٣ أ .

(٦٢) مدراش بريشيت رابا. ٣٦ ، ٧ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ٤٩ ، وفصول إليعازر ٢٣ .

(٦٣) باب " بيساحيم " . ص ١١٣ ب ، وباب " كيدوشين " . ص ٤٩ ب .

(٦٤) مدراش بريشيت رابا. ٣٦ ، ٦ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ٤٨-٥٠ . يؤكد مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٧٨١ لم يكن سام شخصًا تقيًا فحسب وإنما كان نبيا وأنه حاول لأربعمائة عام دعوة الأشرار للتوبة . راجع أيضًا " سيدر إلياهو رابا " . ص . ١٢٦-١٢٧، ١٤١-١٤٢ .

(٦٥) مدراش بريشيت رابا. ٣٦ ، ٨ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص . ٥٠ ، والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين ٩ : ٢٧ .

(٦٦) باب " يوما " . ص ٩ ب ، ومدراش بريشيت رابا ٣٦ ، ٨ .

(٦٧) كتاب اليوبيل ٧ ، ١٣ - ٣٩ .

(٦٨) المرجع السابق. ٨ ، ١٠ - ٣٠ .

(٦٩) سيدر عولام ١ ، ومدراش بريشيت رابا ٣٧ ، ٧ .

(٧٠) ياشار نوح . ص . ١٧ أ . وقد جاء في مدراش بريشيت رابا ٦ ، ٤ أن اسم يقطان يعني المتواضع ، وأنه كوفئ لتواضعه بأن أصبح جدا لثلاث عشرة قبيلة غير أن عددًا كبيرًا من أبنائه عاشوا فقراء .

(٧١) مدراش أجاداه على سفر التكوين ١٢ ، ٦ .

(٧٢) مدراش هجادول لسفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ١٨٢ .

(٧٣) المرجع السابق. ص. ١٧٩ - ١٨٠ .

(٧٤) سيفر نوح. ص. ١٥٥ .

(٧٥) المرجع السابق . ص.١٥٦ انظر. نحمانيدز. تورات هاأدم ٣٠(شعر هجمول) . ص. ١٠٢ أ .

(٧٦) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٩٩-١٠٠ ، فصول الحاخام إليعازر ٢٤ ، وميدراش بريشيت رابا ٣٨ ، ٦ .

(٧٧) باب "بيساحيم" . ص ٩٤ ب .

(٧٨) ياشار نوح. ص. ١٧ أ . راجع أيضًا. فصول الحاخام إليعازر. ٢٤ . وباب "بيساحيم" . ص ٤٤ ب .

(٧٩) فصول الحاخام إليعازر. ٢٤ ، ومدراش "عاسيرت ميلاخيم" . ٢٨ - ٢٩ ، والزوهار. المجلد الأول. ص ٧٣ ب و ١٤٢ ب .

(٨٠) ياشار نوح. . ص ١٧ ب والزوهار. المجلد الأول. ص ٧٣ ب - ٧٤ أ

(٨١) فصول الحاخام إليعازر. ٢٤ .

(٨٢) ياشار نوح. . ص ١٧ب - ١٨أ . انظر أيضًا مدراش "عاسيرت ميلاخيم" . ٢٨ - ٥٥ .

(٨٣) ياشار نواح. ص ١٨ أ و ٢٢ أ . تتردد كثيرًا في الأدب الرباني فكرة أن نمرود كان واحدًا ممن ادعوا الألوهية . فيما يتعلق بعلاقة عبادة النار بنمرود راجع. ميدراش بريشيت رابا. ٣٨ ، ١٣ .

(٨٤) Josephs. Antiqui. 1, 4 PP. 1-2 .

(٨٥) مدراش بريشيت رابا. ٣٧ ، ٢ ، وباب " بيساحيم " . ص ٩٤ .

(٨٦) يذهب "الترجوم الأورشليمي" إلى أن نمرود طالب السكان بالتخلي عن تعاليم سام واتباع تعاليمه. راجع الترجوم الأورشليمي لسفر التكوين ١٠ : ٩ .

(٨٧) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ١٨٨ ، والجزء الثاني. ص ٥٧ .

(٨٨) ياشار نوح. ص. ٢٠ب - ٢١أ . جاء بالتلمود أن نمرود هو الذي حرض على بناء برج بابل. راجع . باب "حولين" . ص ٨٩ أ ، وباب "عفوداه زاراه" . ص ٥٣ب، وباب " بيساحيم " . ص ٩٤ب ، وباب "عيروفين" . ص ٥٣ أ . تتحدث مصادر أخرى مثل ميدراش بريشيت رابا ٤٢ ، ٤ عن أن قوم حام مثل كوش هم الذين بادروا بتأسيس هذا البرج .

(٨٩) باب " السنهدرين " . ص . ١٠٩ أ ، ومدراش بريشيت رابا. ٣٨ ، ١١ .

(٩٠) مدراش بريشيت رابا. ٣٨ ، ٦ . راجع أيضًا مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ١٨٦ .

(٩١) فصول الحاخام إليعازر. ٢٤ ، والترجمة الأورشليمية لسفر التكوين. ١١: ٨ ، وسفر التثنية ٣٢ : ٨-٩ ، ومدراش تنائيم . ١٩٠ - ١٩١ ، ومدراش دفاريم رابا. ٢ ، ٣٤ .

حواشى الفصل الخامس

إبراهيــــم

(١) فصول الآباء ٥ ، ٣ ، وفصول الآباء للحاخام ناثان ٣٢ .

(٢) مدراش بريشيت رابا. ١٢ ، ٩ . مدراش تنحوما كادوم. الجـزء الأول. ١١ ، ٦. ميدراش تهيليم ١٠٤ ، ٤٤٤ . بالرغم من أن المصادر اليهودية تفيد أن الآباء الثلاثة كانوا ينعمون بالمكانة ذاتها فإن القصص اليهودى يضع إبراهيم فى مكانة أكثر سموا من ولده إسحاق. راجع " يلكوت يهوشع " ١٥ الذى جاء به أن الرب قام بكل المعجزات التى فعلها لإسرائيل من أجل إبراهيم .

(٣) راجع التكوين ١١ : ٢٦ .

(٤) جاء فى سفر أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٧ أن إبراهيم هو خليل الرب. راجع أيضًا أرميـا ١١ : ١٥ و " سيدر إلياهو رابا " . المقدمة ٨٠ و ١٢٧ .

(٥) سفر اليوبيل ١١ : ١-١٤ . تعود بداية الملوكية إلى نمرود أى ليس بعد ميلاد إبراهيم بفترة طويلة .

(٦) باب "بابا باترا" . ص ٩١ أ الذى اعتمد على روايته كل من "ياشار نواح" ص ١٨ أ و "يراحميل" ٢٧ : ٧ .

(٧) انظر هامش رقم ٣٤ .

(٨) تأثرت صياغة قصة ذبح الأطفال الأبرياء بصياغة قصة ميلاد موسى .

(٩) مدراش بريشيت رابا. ٨٥ : ١٠ .

(١٠) Grunbaum. Neue Beitrage P. 128 .

(١١) انظر الصفحات التالية .

(١٢) انظر الصفحات التالية .

(١٣) جاء فى فصول الحاخام إليعازر" حينما وُلد إبراهيم حاول جواسيس نمرود قتله ولهذا وُضع فى مكان خفى تحت الأرض لثلاثة عشر عامًا لم ير خلالها الشمس والقمر. راجع أيضًا " معسيه إبراهيم " طبعة هوروفيتس. وقد جاء فى المرجع الأخير السابق ذكره أن إبراهيم عاش فى كهف لثلاث سنوات. انظر أيضًا. " نيدرايم " . ص ٣٢ أ و "مدراش بريشيت رابا" . ٣٠ ، ٨ ، ومدراش باميدبار رابا. ١٨ : ٢١ .

(١٤) جاء فى قصة إبراهيم الواردة فى المجلد الثانى من " بيت هامدراش " ص . ١١٨ أن نبعين من العسل واللبن تفجرا فى هذه اللحظة .

(١٥) يُنسب إلى أبطال آخرين مثل إبراهيم القدرة على السير والتفكير خلال طفولتهم ، ويكثر ذكر مثل هذه القصص فى المسيحية . راجع Gunter. Christliche Legende. P. 134 .

(١٦) عن مسألة اكتشاف إبراهيم للإيمان الحق من خلال تأمل الطبيعة. راجع مدراش بريشيت رابا ٣٨ ، ١٣ والمجلد الثانى من " بيت هامدراش " . ص ١١٨ ، والجزء الأول من " مدراش هجادول " ص ١٨٩ .

(١٧) Jewish Encyclopedia. Vol. 2. P. 608 .

(١٨) وردت مثل هذه الأرقام الخرافية فى مواضع أخرى .

(١٩) تغيرت دلالة الفعل العبرى Tamah فبينما كان يعنى فى عبرية العهد القديم "تملكه الرعب" فقد أصبح يعنى فى مرحلة لاحقة " دُهش " .

(٢٠) وفقًا للتلمود فقد ظل إبراهيم سجينًا لدى نمرود لعشر سنوات .

(٢١) انظر الصفحات التالية .

(٢٢) يُشار إلى بوابات بابل على نحو يعنى المدينة .

(٢٣) انظر الصفحات اللاحقة .

(٢٤) تعد فكرة سقوط الأصنام على وجوهها بأمر من الأتقياء من أكثر الأفكار شيوعًا فى القصص اليهودى والمسيحى .

(٢٥) انظر الهامش رقم عشرين .

(٢٦) سيدر إلياهو رابا. ٥ ، ٢٧ . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص ٧٧ . انظر أيضًا. مدراش هجادول لسيفر بريشيت. المجلد الأول. ص ١٨٨ .

(٢٧) باب " بابا كاما " . ٨ ، ١ .

(٢٨) فصول الحاخام إليعازر. ٢٥ .

(٢٩) يتحدث القصص المسيحى أيضًا عن قيام الملائكة بتقديم الطعام والشراب للقديسين .

(٣٠) وردت أحداث شبيهة فى إطار القصص الخاص بموسى .

(٣١) انظر الصفحات اللاحقة .

(٣٢) يعد النص فى هذا الجزء غامضًا بعض الشىء .

(٣٣) راجع. مدراش بريشيت رابا. ٤٤ ، ١٣ ، وميدراش " شيموت رابا " ٨ ، ٥ ، وباب " بيساحيم " . ص ١١٨ أ . تفيد هذه المصادر أن جبريل سارع بإنقاذ إبراهيم غير أن الرب أوقف الملاك وأسرع بنفسه لإنقاذه .

(٣٤) معسيه أفراهام. راجع أيضًا. المجلد الأول من " بيت هامدراش " . ص ٢٥-٣٤ .

(٣٥) تم البدء فى بناء برج بابل بعد موت نوح بعشر سنوات. راجع. المجلد الأول من " سيدر عولام " .

(٣٦) راجع مدراش بريشيت رابا. ٣٧ ، ٤ وسيدر إلياهو رابا. ٢٠ ، ١١٤ .

(٣٧) راجع هامش رقم ٣٤ .

(٣٨) باب " السنهدرين " . ص ٦٩ أ وسيدر عولام ٢١ .

(٣٩) مدراش تهيليم. ١١٨ ، ٤٨٤ .

(٤٠) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ١٩١ . الزوهار. المجلد الأول. ص ٧٧ب .

(٤١) ياشار نوح .. ص ٢٧ أ .

(٤٢) مدراش بريشيت رابا. ٤٠ ، ٤١ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٤٣ ، وفصول الآباء للحاخام ناثان. ١٢ ، ٥٣ .

(٤٣) مدراش تانحوما شيموت .

(٤٤) راجع مصادر الهامش رقم ٣٨ التى جاء بها أن سارة اطلعت على كل مراحل التاريخ اليهودى .

(٤٥) ياشار نوح. ص. ٢٧ ب - ٢٨ أ .

(٤٦) سيدر إلياهو رابا. ٥ ، ٢٨ . فيما يتعلق بسك إبراهيم للعملات راجع. " بابا كاما" . ص ٩٧ ب، ومدراش بريشيت رابا. ١٢ ، ١١ .

(٤٧) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ١٨٨ .

(٤٨) ياشار نوح. ص ١٨ أ - ١٩ أ . راجع أيضًا. "بيت همدراش" . الجزء الثانى. ١٨ ، ٢ .

(٤٩) Jewish Encyclopedia.. Vol. 1. P. 91 .

(٥٠) ياشار نوح. ص ٢٣ب-٢٦ب. كثيرًا ما ترد فكرة أن كبير الأصنام كان يحمل بلطة فى يده فى كثير من المصادر. راجع . مدراش بريشيت رابا. ٣٨ ، ١٣ .

(٥١) ياشار نوح. ص ٢٧ أ .

(٥٢) فصول الآباء. ٥ ، ٢ . سفر اليوبيل. ١٩، ٨ ، وفصول الآباء للحاخام ناثان. ٣٤ ، ٩٤-٩٥ .

(٥٣) مدراش هجادول. الجزء الأول. ص ٢٠١-٢٠٢ .

(٥٤) مدراش بريشيت رابا. ٣٩ ، ٧ . راجع أيضًا. مدراش تنحوما كادوم. الجزء الثانى. ص ٦٩ .

(٥٥) مدراش بريشيت رابا. ٣٩ ، ١١. مدراش هجادول. الجزء الأول. ص ٢٠٢-٢٠٣ ، والترجوم الأورشليمى لسفر التكوين ١٢ ، ٢ .

(٥٦) باب " بيساحيم " . ص ١١٧ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٣٩ ، ١١ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٦٢ .

(٥٧) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٠٤ .

(٥٨) مدراش بريشيت رابا. ٣٩ ، ١٠ .

(٥٩) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. المجلد الأول. ص. ٢٠٢ . راجع أيضًا. "موعيد كاتان" . ص ٢٥ أ .

(٦٠) مدراش بريشيت رابا. ٣٩ ، ٨ .

(٦١) مدراش بريشيت رابا. ٣٩ ، ١٥ . باب " السنهدرين " . ص ٤٤ب. راجع أيضًا. مدراش هجادول لسيفر بريشيت. المجلد الأول. ص ٢١٣ . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الثالث. ص ١٦٨ أ ، والمجلد الثانى. ص ١٤٧ ب .

(٦٢) سفر اليوبيل ١٠ : ٢٩-٣٤ . راجع أيضًا تفسير راشى لسفر التكوين. ١١ : ٦ .

(٦٣) مدراش بريشيت رابا. ٤١ ، ٥ .

(٦٤) مدراش بريشيت رابا. ٢٥ ، ٣ . مدراش روث رابا. ١ ، ١ .

(٦٥) فصول الحاخام إليعاز. ٢٦ ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٠ ، ٢ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٠٧ .

(٦٦ – الزوهار. المجلد الأول. ص ٨١ب . راجع أيضًا تفسير نحمانيدزر لسفر التكوين ١٢ : ١ .

(٦٧) الزوهار. المجلد الأول. ص ٨١ب. قارن أيضًا. "بابا باترا" . ص ١٦ أ . راجع. "ترجوم يروشالمي" لسفر التكوين. ١٢ : ١١ .

(٦٨) مدراش بريشيت رابا. ٤٠ ، ٥ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٦٥-٦٦. انظر أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص ٨٢ب. لقد شاعت فكرة انغماس المصريين في الملذات الحسية في مدراش فايكرا رابا. ٢٣ : ٧ وفي الزوهار. المجلد الأول. ص ١١٧ أ .

(٦٩) مدراش بريشيت رابا. ٤٠ ، ١٥ ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٦٦ .

(٧٠) Josephus. Antiqui. Vol. 1. P. 8 .

(٧١) ياشار ليك .. ص ٣١ ب .

(٧٢) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٦٦ .

(٧٣) ياشار ليك . ص ٣٢ أ . راجع أيضًا . مدراش بريشيت رابا. ٤١ ، ٢ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص. ٦٦ .

(٧٤) فصول الحاخام إليعازر. ٢٦ ، و" ياشار ليك " . ص ٣٢ أ ، ومدراش بريشيت رابا. ص ٤٥ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين. ٢٦ : ١ .

(٧٥) مدراش بريشيت رابا. ٤٠ ، ٢ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ٦٦-٦٧ . الزوهار. المجلد الأول. ص ٢٨ أ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٠٧ .

(٧٦) فصول الحاخام إليعازر. ٢٦ . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص ٨٢ أ ، والمجلد الثالث. ص ٥٢ .

(٧٧) تفسير جيروم لسفر التكوين. ١٢ : ١٧ .

(٧٨) سيدر عولام. الجزء الأول. سفر اليوبيل. ١٣ : ١١ .

(٧٩) مدراش بريشيت رابا. ٤١ ، ٣ ، وعيراخين. ص ١٦ب .

(٨٠) كان من بين ماجاء في باب " عفوداه زاراه " . ص ١٤ب واستنادًا على بعض التقاليد القديمة أن إبراهيم كان قد وضع كتابًا في الشرائع عن الوثنية ، وأنه كان من أربعمائة فصل. راجع أيضًا. باب "سوتا" . ص ٤٦ ب . راجع أيضًا فصول الحاخام إليعازر. ١٧ .

(٨١) ياشار ليك .. ص ٢٩ ب-٣١ أ . راجع أيضًا. بيت هامدراش. الجزء السادس. ص ١٢١-١٢٣ .

(٨٢) مدراش بريشيت رابا. ١٤ ، ٥-١٦، ومدراش بسيكتا رباتي . الجزء الثالث. ص. ٩ب - ١٠أ ، وياشار ليك . ص. ٣٢ ب . تعترف المصادر سالفة الذكر بشرعية حق الكنعانيين في فلسطين. راجع . مدراش باميدبار رابا ٢ ، ١٣ . راجع أيضًا. مدراش تهيليم. ٦ ، ٥٩ ، ومدراش بريشيت رابا. ٨٥ ، ٨ .

(٨٣) الزوهار. المجلد الأول. ص ١٠٨ أ .

(٨٤) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص . ٢١٥-٢١٦ . انظر أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص. ٨٦ .

(٨٥) ياشار نوح. ص ٢٩ أ . باب " عيروفين " . ص ٥٣أ ، ومدراش بريشيت رابا. ٤١ ، ١ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين. ١٤ : ١ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٣٣ . ص ١٥١ أ .

(٨٦) تفسير يهيا بن بقودا لسفر التكوين. ١٤ : ٥ . لمزيد من المعلومات عن التأصيل الدلالي لأسماء الأعلام . راجع. ميدراش بريشيت رابا. ٤١ ، ٦ .

(٨٧) مدراش بريشيت رابا. ٤١ ، ٥-٧ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين. ١٤ : ٢ .

(٨٨) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢١٦، والزوهار. المجلد الأول. ص ٨٦ب ، ومدراش بريشيت رابا. ١٤ ، ٦ .

(٨٩) مدراش بريشيت رابا. ٤١ ، ٧-٨ ، ومدراش دفاريم رابا.١ ، ٢٥ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين. ١٤ ، ١٣ .

(٩٠) فصول الحاخام إليعازرز ٢٧ . مدراش بريشيت رابا. ٤١ ، ٨ .

(٩١) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٧٢ . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص ١١٢ب .

(٩٢) باب " نيداريم " . ص ٣٢ أ ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٢ ، ٢ .

(٩٣) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٧٣ ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٢ ، ٢ ، وباب " نيداريم " . ص ٣٢أ ، وفصول الحاخام إليعازر. ١٨ . ص ٩١ ب ، ومدراش فايكرا رابا. ٢٨ ، ٤ .

(٩٤) فصول الحاخام إليعازر. ١٧ .

(٩٥) مدراش بريشيت رابا. ٤٢ ، ٣ ، ومدراش تهيليم . ١٠ ، ٤٤٦ . باب "السنهدرين" ص . ١٩٨ ب.

(٩٦) باب " السنهدرين " . ص. ١٠٨ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٢ ، ٣ .

(٩٧) مدراش تنحوما قادوم. الجزء الأول. ص ٧٣-٧٤ . باب " السنهدرين " . ص ٩٦أ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٢٧ .

(٩٨) مدراش بريشيت رابا. ٤٢ ، ٣ ، باب " شابات " . ص ١٩٦ ب ، باب " السنهدرين ". ص ٩٦ أ ، وسيدر إلياهو رابا. ٥ ، ٢٨ . ومدراش فايكرا رابا. ١ ، ٤ . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص. ٨٦ أ .

(٩٩) مدراش بريشيت رابا. ٤٢ ، ٤-٥ . قارن أيضًا. ميدراش دفاريم رابا. ٢٥ ، ١٢٨ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٧٤ .

(١٠٠) الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين. ١٤ : ٢٠ ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٣ ، ٩ ، ومدراش تنحوما كادوم ٧٤ .

(١٠١) مدراش بريشيت رابا. ٤٣ ، ٩ .

(١٠٢) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٧٥ ، ٧٦ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين . ١٤ : ١٨ . زوهار حاداش نوح . ص. ٢٩ ب .

(١٠٣) ميدراش بريشيت رابا. ٤٣ ، ٦ ، ٧ .

(١٠٤) باب " نيدرايم ". ص. ٣٢ب ، ومدراش فايكرا رابا. ٢٥ ، ٦ .

(١٠٥) سيدر إلياهو رابا. ٢٥ ، ١٢٨ .

(١٠٦) باب "سوتا" . ص ١٧ أ ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٣ ، ٩ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٧٥ . باب " حولين " . ص ٨٨ب ، ومدراش بميدبار رابا. ٤ ، ٨ .

(١٠٧) مدراش بريشيت رابا ٤٤ ، ٤-٥ . راجع أيضًا مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٣٢٤ الذى جاء به أن إبراهيم أول من تجلى له الله .

(١٠٨) مدراش بريشيت رابا. ٤٤ ، ٨-١٢ ، ومدراش تهيليم . ٢ ، ١٠ ، وفصول الآباء للحاخام ناثان. ٤٣ ، ١٢٢ . كان من الأفكار الأكثر شيوعًا فى الأدب الربانى أن الرب أمر إبراهيم بعدم الاعتماد على التنجيم . راجع . باب " نيداريم " . ص ٣٢ أ ، ومدراش شيموت رابا. ٣٨ ، ٦ . باب " يوما " . ص ٨٨ب ، وباب "بابا باترا " . ص ١٦ أ .

(١٠٩) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين. ١٥ : ٦ ، والزوهار. المجلد الثالث. ص ١٤٨ أ ، وتفسير نحمانيدز لسفر التكوين ١٥ : ٦ .

(١١٠) مدراش بريشيت رابا. ٤٤ ، ١٤ ، ومدراش فايكرا رابا. ٢ ، ٣ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٣، ٣ .

(١١١) مدراش فايكرا رابا. ٧ ، ٣ ، وفصول الآباء للحاخام ناثان. ٤ ، ٢١ .

(١١٢) مدراش بريشيت رابا. ٤٤ ، ١٤-٢٢ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٢٨ .

(١١٣) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٤٠ .

(١١٤) مدراش بريشيت رابا. ٤٤ ، ٢١ ، وميدراش شيموت رابا. ٥١ ، ٧ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الثانى. ص ١٣٠ ، والزوهار. المجلد الثالث . ص ٢٩٩ .

(١١٥) وفقًا لما جاء فى سيدر عولام وميدراش بريشيت رابا ٣٩ ، ٧ أن الرب أقام عهده مع إبراهيم حينما كان إبراهيم يبلغ من العمر سبعين عامًا. راجع أيضًا. باب "نيدرايم" . ص ٣٢ أ ومدراش بريشيت رابا ٤٤ ، ٥ . انظر أيضًا. فصول الحاخام إليعازر. ٢٨ .

(١١٦) مدراش بريشيت رابا. ٤٥ ، ٢-٣ ، ومدراش شير هاشيريم ٢ ، ١٤ . باب " يباموت " . ص ٦٤أ . راجع أيضًا باب " حولين " . ص ٦٠ب الذى جاءت به فكرة أن الرب يتوق إلى صلاة الصديقين والأتقياء .

(١١٧) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٥ ، ٢ .

(١١٨) مدراش بريشيت رابا. ٤٥ ، ٦ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ١٦ ، ٣ .

(١١٩) مدراش بريشيت رابا ٤٥ ، ٢ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ١٦ ، ٢ .

(١٢٠) مدراش بريشيت رابا. ٤٥ ، ٢-٤ . راجع أيضًا. مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٤٤ .

(١٢١) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ١٦ : ٥ .

(١٢٢) مدراش بريشيت رابا ٤٥ ، ٥ – ٨ ، وباب " نيداريم " . ص ٣٢ب .

(١٢٣) مدراش بريشيت رابا. ٤٦ ، ٢ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٨٠ .

(١٢٤) مدراش بريشيت رابا. ٤١ ، ٨ ، والزوهار. المجلد الأول. ص ٩٨ ب .

(١٢٥) مدراش بريشيت رابا. ٢٢ ، ٨ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٢٨ .

(١٢٦) فصول الحاخام إليعازر. ٢٨ . تفيد المصادر القديمة أن إبراهيم خُتن فى الثالث عشر أو الرابع عشر من شهر نيسان . راجع . مدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٢ ، وميدراش فايكرا رابا. ٢٥ ، ٦ .

(١٢٧) فصول الحاخام إليعازر. ٢٩ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ١٨ : ١ .

(١٢٨) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٨٥ .

(١٢٩) باب " بابا متسيعا " . ص ٨٦ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ٨ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٨٥ .

(١٣٠) باب " بابا متسيعا " . ص ٨٦ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ٨ .

(١٣١) مدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١، ومدراش شيموت رابا. ٤١ ، ٤ ، ومدراش تهيليم . ١٨ ، ١٥٦ .

(١٣٢) باب" بابا متسيعا " . ص. ٨٦ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٢ .

(١٣٣) مدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ٩ .

(١٣٤) باب " شابات " . صز ١٢٧ أ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٦٧ .

(١٣٥) مدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ٩ – ١٠ .

(١٣٦) باب "بابا متسيعا". ص ٨٦ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ٩ . وكان من بين ماجاء به أن أحد الملائكة ظهر فى صورة المسلمين ، وكان الآخر فى صورة النبطيين ، والثالث فى صورة العرب .

(١٣٧) الزوهار. المجلد الأول. ص ١٠٢ ب .

(١٣٨) باب "بابا متسيعا" . ص ٨٧أ ، باب "نيدرايم" . ص ٢١ب ، وفصول الآباء للحاخام ناثان. ١٣ .

(١٣٩) ترجوم يروشالمى لسفر التكوين ١٨ : ٥ .

(١٤٠) باب "بابا متسيعا" . ص ٨٦ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٢-١٤ ، وفصول الآباء للحاخام إليعازر. ١٣ .

(١٤١) مدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٣ ، وفصول الآباء للحاخام إليعازر ١٣ ، ٥٧

(١٤٢) باب " بابا متسيعا " . ص. ٨٧أ ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٤ .

(١٤٣) باب " بابا متسيعا " . ص ٨٦ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١١، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٦٩ ، وسيدر إلياهو ١٢ ، ومدراش باميدبار رابا ٢١ ، ١٦ .

(١٤٤) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٧٢ .

(١٤٥) مدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٩ .

(١٤٦) باب " بابا متسيعا " . ص ٨٧أ ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٥ .

(١٤٧) باب " بابا متسيعا " . ص ٨٦ب ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٧٤ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص. ١٠٧ .

(١٤٨) مدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٦ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ١٨ ، ١٠ .

(١٤٩) راجع ميدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٧ .

(١٥٠) مدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٧ ، والزوهار. المجلد الأول. ص ١٠١ ب .

(١٥١) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٧٦ وباب " بابا كاما ". ١ ، ٣ .

(١٥٢) مدراش بريشيت رابا. ٤٨ ، ١٨ ، وباب " يباموت " . ص. ٦٥ب، ومدراش فايكرا رابا. ٩ ، ٩ ، ومدراش باميدبا رابا. ١١ ، ٧ .

(١٥٣) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٧٦ .

(١٥٤) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٢ ، وباب " بابا متسيعا " . ص ٨٦ب ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٩٦ .

(١٥٥) باشار فيارا. ص. ٣٥ب-٣٨أ ، وباب "السنهدرين" . ص. ١٠٩ أ ، ومدراش فايكرا رابا " . ٤ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٨٢، وفصول الحاخام إليعازر. ٢٥ .

(١٥٦) باب السنهدرين. ص. ١٠٩ أ ، ١٠٩ب .

(١٥٧) باشار فيارا. ص٣٩أ، ويعتمد ما جاء في هذا العمل على ماجاء في السنهدرين. ص. ١٠٩أ ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٩ ، ٦ ، وفصول إليعازر. ٢٥ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ١٨ : ٢١ .

(١٥٨) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٨ .

(١٥٩) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٨٨-٨٩ ، ومدراش بريشيت رابا ٤٩ ، ٢ ، والزوهار. المجلد الأول. ص ١٠٤ب-١٠٥ أ .

(١٦٠) مدراش بريشيت رابا. ٣٩ ، ٦ وبسيكتا ١٩ ، ١٣٩ .

(١٦١) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول.ص . ٩١-٩٣، ومدراش بريشيت رابا. ٤٩ ، ٩ وأجادات بريشيت٢٢ ، ٤-٤٦ .

(١٦٢) ترجوم يروشالمي لسفر التكوين ١٨ : ٢٤، وميدراش بريشيت رابا ٤٩ ، ١٣ .

(١٦٣) مدراش بريشيت رابا ٤٩ ، ١١ .

(١٦٤) ترجوم يروشالمي لسفر التكوين ١٨ : ٣١ . باب عفودا زاراه. بالتلمود الأورشليمي. ٢ ، ٤٠ ، وباب "حولين" . ص ٩٢ أ . بيت هميدراش. المجلد الخامس . ص ٤٦ .

(١٦٥) مدراش بريشيت رابا. ٤٩ ، ١٣ .

(١٦٦) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٩٢، ٩٣ ، ومدراش بريشيت رابا. ٤٩ ، ١٤ . قارن أيضًا . فصول الحاخام ناثان. ٣٢ .

(١٦٧) مدراش بريشيت رابا. ٤٩ ، ٦ . راجع أيضًا. مخيلتا شيرا. الجزء الخامس. ص. ٣٨ب - ٣٩أ .

(١٦٨) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٩٣ .

(١٦٩) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ١ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص . ٩٨ .

(١٧٠) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٩٣ ، و ٩٨ . انظر أيضًا. مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٣ . التلمود الأورشليمي. باب " روش هاشاناه " . الجزء الأول. ص ٥٧أ ، ومدراش بسيكتا رباتي. ٤٠ . ص. ١٦٧ب. ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص . ٢٨٧ .

(١٧١) فصول الحاخام إليعازر. ٢٥ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٢٨٨ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٤ ، والزوهار. المجلد الأول. ص. ٨٤أ و ٧٩أ . راجع كتاب ألف باء بن سيرا. ص ٤ حيث وصف صاحب هذا الكتاب غير المعروف لوطا بأنه إنسان تقي .

(١٧٢) مدراش بريشيت رابا ٥٠ ، ٤ ، وباب " بابا متسيعا " . ص. ٨٧ أ .

(١٧٣) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٩٨ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٦ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٨٩ .

(١٧٤) مدراش بريشيت رابا. ٥١ ، ٥ .

(١٧٥) المرجع السابق. ٥٠ ، ٣-٧ . تختلف أسماء القضاة الواردة في مدراش بريشيت رابا ٥٠ ، ٣ عن تلك الواردة في السنهدرين. ص. ١٠٩ ب .

(١٧٦) فصول الحاخام إليعازر ٢٥ .

(١٧٧) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٩ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٢٥ . راجع أيضًا تفسير جيروم لسفر التكوين ١٩ : ١٤ .

(١٧٨) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٩ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٩٠-٢٩١ .

(١٧٩) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٩٣ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ٢ ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٩٠ .

(١٨٠) فصول الحاخام إليعازر. ٢٥ .

(١٨١) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ١١ ، ومدراش بسيكتا رباتي. ٣ ، وأجادات بريشيت. ٢٥ ، ٥٠ .

(١٨٢) باب " شابات " . ص . ١٠ أ .

(١٨٣) مدراش بريشيت رابا. ٥٠ ، ١٢ .

(١٨٤) باب " السنهدرين " ١٠ ، ٣ ، وفصول الآباء للحاخام ناثان. ٣٦ ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٩٩ .

(١٨٥) باب " براخوت " . ص. ٣٦ ب .

(١٨٦) مدراش إيخا. ١ ، ٧٤ .

(١٨٧) مدراش بريشيت رابا. ٥١ ، ٦ .

(١٨٨) مدراش بريشيت رابا. ٥١ ، ٨ وميدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٤٠ .

(١٨٩) مدراش بريشيت رابا. ٥٥ ، ١-٤ ، ومدراش بسيكتا رباتي. ٤٣ ، ص. ١٧٦ب ، وأجادات بريشيت. ٢٥ ، ٤٩ ، ٥٠ .

(١٩٠) ياشار فيارا. ص. ٣٩ أ و ٤٠ أ ، ومدراش بسيكتا رباتي. ٢٤و ١٧٦ب .

(١٩١) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٠١، وفصول الحاخام إليعازر. ٢٦ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٩٨ .

(١٩٢) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ٦ ، ومدراش بسيكتا رباتي. ٤٢ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٠١ ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٢٩٩ .

(١٩٣) باب " بابا كاما " . ص. ٩٢ أ .

(١٩٤) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ٧ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٠١ .

(١٩٥) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٠٠ .

(١٩٦) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١١ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٢ : ١٣ . راجع أيضًا التلمود الأورشليمي. باب " مجيلاه " . الفصل الأول. ص. ٧١ .

(١٩٧) فصول الحاخام إليعازر. ٢٧ .

(١٩٨) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١٢ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٠٢، وأجادات بريشيت. ٢٥ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٠١ .

(١٩٩) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٠٢ . انظر أيضًا. باب " بابا كاما ". ٨ ، ٧ ، وتوسيفتا ٩ ، ٢٩ .

(٢٠٠) فصول الحاخام إليعازر. ٢٧ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٣٠٣ .

(٢٠١) مدراش بريشيت رابا. ٥٢ ، ١٣ .

(٢٠٢) مدراش بسيكتا رباتي. ٤٢ . ص. ١٧٧ أ ، ومدراش بريشيت رباتي. ٥٢ ، ١٣ .

(٢٠٣) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٠٣–١٠٧ وأجادات بريشيت. ٢٨ . ص. ٥٧–٥٨ . راجع أيضًا " بابا كاما " . ص. ٩٢ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٣ ، ٣ .

(٢٠٤) مدراش بريشيت رابا. ٥٣ ، ٦ ، و" بابا متسيعا " . ص. ٨٧أ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٧٦ .

(٢٠٥) مدراش بريشيت رابا. ٤٦ ، ٢ .

(٢٠٦) فصول الحاخام إليعازر. ٢٩ ، ومدراش دفاريم رابا. ١ ، ٢٥ .

(٢٠٧) مدراش بريشيت رابا. ٥٣ ، ١٠ .

(٢٠٨) بابا متسيعا. ص. ٨٧أ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٠٧ وفصول الحاخام إليعازر. ٥٢ .

(٢٠٩) مدراش بريشيت رابا. ٥٣، ٩ ، وبيت همدراش. المجلد الخامس. ص. ١٣١ .

(٢١٠) مدراش بريشيت رابا. ٥٣ ، ١٠ ، ومدراش دفاريم رابا. ١ ، ٢٥ ، ومدراش كوهيليت. ٧ ، ٢ .

(٢١١) مدراش بريشيت رابا. ٥٣ ، ١١ ، و" توسيفتا سوتا " . ٦ ، ٦ . راجع أيضًا كتاب " ألف باء بن سيرا " . ص. ٣ب .

(٢١٢) فيلون. تساؤلات على سفر التكوين . ص. ١٠٠ .

(٢١٣) مدراش بريشيت رابا. ٥٣ ، ١١ .

(٢١٤) فصول الحاخام إليعازر. ٣٠ .

(٢١٥) مدراش بريشيت رابا. ٥٣ ، ١٣، وفصول الحاخام إليعازر ٣٠ ، ومدراش شيموت رابا. ٣ ، ٢ ، وباب " روش هاشاناه " . ص. ١٦ ب .

(٢١٦) فصول الحاخام إليعازر. ٣٠ ، وترجوم يروشالمي لسفر التكوين. ٢١ : ١٦ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٠٩ . راجع أيضاً. باب عفوداه زاراه. ص. ١٤٦أ .

(٢١٧) مدراش بريشيت رابا. ٥٣ ، ١٤ .

(٢١٨) ياشار فيارا. ص. ١٤١أ ، و ١٤١ب. وردت أسماء زوجتي إسماعيل في فصول الحاخام إليعازر .

(٢١٩) ياشار فيارا. ص. ١٤٢أ . راجع مدراش بريشيت رابا. ٥٤ ، ٦ .

(٢٢٠) مدراش بريشيت رابا. ٥٤ ، ٢-٥ .

(٢٢١) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣١٢ .

(٢٢٢) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٣٨ .

(٢٢٣) ياشار فيارا. ص. ٤٢ب . تشير فصول الحاخام إليعازر إلى أن كرم إبراهيم كان يفوق كرم أيوب فبينما كان أيوب يكرم من يلجئون إليه فقد كان إبراهيم يسعى بحثًا عمن في حاجة للمساعدة . راجع . مدراش بريشيت رابا. ٥٤ ، ٦ ، ومدراش تهيليم ٣٧ ، ٢٥٢-٢٥٣ وباب " براخوت " . ص. ٥٨ب .

(٢٢٤) سيدر إلياهو رابا. الجزء الأول. ص. ١٦٩ وباب " سوتا " . ص. ١٠ب .

(٢٢٥) مدراش بريشيت رابا. ٥٤ ، ٦ .

(٢٢٦) الزوهار. المجلد الأول. ص ١٠أ - ١١ب . راجع أيضاً. باب " كيدوشين " . ص. ١٨١ .

(٢٢٧) ياشار فيارا. ص. ٤٣ ب .

(٢٢٨) المرجع السابق. راجع أيضاً. مدراش بريشيت رابا. ٥٥ ، ٤ ، وباب "السنهدرين" . ص. ٨٩ب .

(٢٢٩) ياشار فيارا. ص. ٤٣ب-١٤٤أ . ويعتمد ما جاء في هذا المرجع على مدراش بريشيت رابا. ٥٥ ، ٤ وباب السنهدرين. ص. ٨٩ب ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٠٨ .

(٢٣٠) مدراش بريشيت رابا. ٥٥ ، ٧ ، وباب " السنهدرين " . ص. ٨٩ب ، ومدراش بسيكتا راباتي. ٤٠ .

(٢٣١) مدراش بسيكتا رباتي. ٤٠ . راجع أيضاً. مدراش بريشيت رابا. ٥٥ ، ٧ .

(٢٣٢) ياشار فيارا . ص ٤٤ أ ، و ٤٤ب .

(٢٣٣) فصول الحاخام إليعازر. ٣١ .

(٢٣٤) ياشار فيارا. ص. ٤٤ب ، و ١٤٥أ وباب " السنهدرين " . ص. ٨٩ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٤ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١١٤ .

(٢٣٥) ياشار فيارا. ص. ٤٦ب .

(٢٣٦) المرجع السابق. ص. ١٤٥أ - ٤٥ب. ومدراش كوهيليت. ٩ ، ٧ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١١٣ والجزء الثالث. ص. ٥٨ وفصول الحاخام إليعازر. ٢١ .

(٢٣٧) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٢ .

(٢٣٨) ياشار فيارا. ص. ٤٥ ومدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٢ ، ومدراش تنحوما كادوم. ص. ١١٣ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. ص. ٣٢٠ .

(٢٣٩) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٢ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١١٣ .

(٢٤٠) باشار فيارا. ص. ٤٥ب . راجع أيضًا. مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٣ -٤ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٢ : ٨ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٣١ .

(٢٤١) باشار فيارا. ص. ٤٥ب . ووفقًا لما جاء فى مدراش بريشيت رابا ٥٦ ، ٤ فإن إسحاق لم يشارك فى بناء المذبح .

(٢٤٢) فصول إليعازر. ٣١ ، وباشار فيارا. ص. ٤٦أ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. المجلد الأول. ص. ٥٢١-٥٢٢ . تشيع فى المصادر القديمة فكرة بكاء الملائكة . راجع مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٦ .

(٢٤٣) فصول الحاخام إليعازر. ٣١ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٢٣. وقد جاء فى مدراش بريشيت رابا ٦٥ ، ٩ أن إسحاق أسلم الروح عند مشاهدته للحضرة الإلهية. وقد فسر الفيلسوف اليهودى فيلون قسم الرب بقوله إن كلمات الرب تعنى أفعاله وشرائعه .

(٢٤٤) مدراش بسيكتا رباتى ٤٠ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٣٣ .

(٢٤٥) باشار فيارا. ص. ٤٦ب. ويعتمد ما جاء فى هذا المرجع على مدراش بريشيت رابا ٥٦ ، ٩ . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص. ١٢٠ ب .

(٢٤٦) فصول الحاخام إليعازر. ٣١ .

(٢٤٧) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١١٤ والجزء الرابع. ص. ٢٧٠ ، ومدراش باميدبار رابا. ١٧ ، ٢ .

(٢٤٨) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١١٥ ، ومدراش فايكرا رابا. ٢٩ ، ١٠ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص. ٣٢٥ -٣٢٦ .

(٢٤٩) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ١٠ وفصول الحاخام إليعازر. ٣١ . ويفيد ما جاء فى الفصل الثالث والعشرين من فصول الحاخام إليعازر أن إبراهيم قام بختان نفسه أمام المعبد .

(٢٥٠) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ٧ .

(٢٥١) ترجوم يروشالمى لسفر التكوين. ٢٢ : ٩ ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٢١ .

(٢٥٢) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٢٥ .

(٢٥٣) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ١٠ ، ومدراش تهيليم. ٧٦ ، ٣٤١-٣٤٢ .

(٢٥٤) مدراش بريشيت رابا. ٥٦ ، ١ ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٢٧ .

(٢٥٥) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٢٧ . جاء فى تفسير " هادار " ص. ١٠ب ونقلاً عن مصدر غير معروف أن إسحاق سكن الجنة حتى يشفى من الجرح الذى لحق به بسبب والده قبل قيام الملائكة بمنعه من ذبحه .

(٢٥٦) باشار فيارا. ص. ٤٦ب-٤٧أ ، وفصول الحاخام إليعازر ٣٢ ، ومدراش فايكرا رابا ٢٠ ، ٢ ، ومدراش كوهيليت. ٩ ، ٧ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٣٧ .

(٢٥٧) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٤٦ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٦ .

(٢٥٨) مدراش بريشيت رابا. ٥٨ ، ١ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٣٣-٣٣٤ .

(٢٥٩) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٤٦ - ٣٤٧ .

(٢٦٠) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٤٧ ، وفصول الحاخام ناثان. ٤٥ ، ومدراش فايكرا رابا. ٢ ، ٧ .

(٢٦١) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٤٨ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٦ .

(٢٦٢) مدراش بريشيت رابا. ٥٧ ، ٧ .

(٢٦٣) فصول الحاخام إليعازر. ٣٠ .

(٢٦٤) الزوهار. المجلد الأول. ص. ٩٧ب .

(٢٦٥) فصول الحاخام إليعازر. ٢٦ . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص. ١٢٧ أ - ١٢٨ أ .

(٢٦٦) مدراش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٧ ، ومدراش شيموت رابا. ٣١ ، ١٧ .

(٢٦٧) مدراش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٧ ، ومدراش شيموت رابا. ٣١ ، ١٧ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢٦٨) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٤٧ - ٣٤٨ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٧ .

(٢٦٩) الزوهار. المجلد الأول. ص. ١٢٨أ -١٢٨ب .

(٢٧٠) مدراش بريشيت رابا. ٥٨ ، ٥-٦ الذى جاء به " استل إبراهيم سيفه حينما شاهد ملاك الموت يدنو من سارة " . أما الزوهار. المجلد الأول. ص. ١٢٥ فجاء به أن سارة ماتت بفعل قبلة الرب ، وليس بأيدى ملاك الموت .

(٢٧١) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٥٢-٣٥٣ .

(٢٧٢) باب " بابا متسيعا " . ص. ٨٧أ ، وباب " السنهدرين " . ص. ١٠٧ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٦٥ ، ٩ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص. ١١٨ ، وفصول الحاخام إليعازر. ص. ٥٢ .

(٢٧٣) باب " بابا باترا " . ص. ١٦ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٩ ، ٦-٧ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٣٥٣-٣٥٤ .

(٢٧٤) مدراش بريشيت رابا. ٥٩ ، ٥ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٢ ، وأجادات بريشيت. ٣٢ ، ٦٨ .

(٢٧٥) مدراش بريشيت رابا. ٥٩ ، ٢ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٧١ ، ٢١١ ، والجزء الثالث. ص. ١٠٥ ، وفصول الحاخام ناثان. ٩٤ . راجع أيضًا باب حولين . ٧ ، ٧ ، وباب " يوما " . ص. ٢٨ب .

(٢٧٦) مدراش بريشيت رابا. ٥٩ ، ٨ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٢٠ . راجع. مدراش فايكرا رابا. ٣٧ ، ٤ .

(٢٧٧) جاء فى ص ٢٨ب من باب " يوما " : " كان إبراهيم قائدًا لمدرسة الحكمة ، وكان إليعازر يملأ أكواب الحكمة لكل العالم .

(٢٧٨) ياشار حاى. ص. ٤٨ب .

(٢٧٩) مدراش بريشيت رابا. ٥٧ ، ٣ .

(٢٨٠) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٢٧-٣٢٨ .

(٢٨١) مدراش بريشيت رابا. ٥٩ ، ٨ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٥٦ .

(٢٨٢) مدراش بريشيت رابا. ٥٩ ، ٩ . وقد جاء فى مدراش فايكرا رابا. ١٧ ، ٥ : " أن إليعازر كان ينتمى إلى نسل ملعون أى إلى الكنعانيين غير أن الرب باركه لكونه خادمًا أمينًا لإبراهيم " .

(٢٨٣) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٥٦-٣٥٧ .

(٢٨٤) مدراش بريشيت رابا. ٥٩ ، ١٠ .

(٢٨٥) ياشار حاى. ص. ٤٨ب .

(٢٨٦) مدراش بريشيت رابا. ٥٩ ، ١٠ ، وفصول الحاخام إليعازر. ١٦ .

(٢٨٧) مدراش بريشيت رابا. ٥٩ ، ١١ ، وباب "السنهدرين" . ص. ٩٥أ ، وباب " حولين " . ص. ٩١ب ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٥٠ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٧ .

(٢٨٨) جاء فى مدراش بريشيت رابا. ٥٩ ، ٢ " أنه من الممكن التأكد من وجود النساء بالمكان من خلال نباح الكلاب " . راجع أيضًا. مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٥٢ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٢٦ .

(٢٨٩) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ٣ ، ومدراش فايكرا رابا. ٣٧ ، ٤ ، وباب " حولين " . ص. ٩٥ب .

(٢٩٠) فصول الحاخام إليعازر. ١٦، ومدراش باميدبار رابا. ١٤ ، ١١ . كان من أهم الأفكار التى وردت فى الأدب الربانى أنه بالرغم من أن بنات غير اليهود من العذارى فإنهن وعلى خلاف ربيكا لم يكن يبتعدن كليةً عن الرجال. راجع. مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ٥ ، والتلمود الأورشليمى . باب " كتوبوت " الباب الأول. ص. ٢٥ب ، ومدراش تهيليم. ١٢٥ ، ٥٠٦ . وقد جاء فى الجزء الأول من مدراش هجادول لسيفر بريشيت . ص. ٣٦٠ أن ربيكا كانت من أجمل النساء وأن جمالها فاق " آفيشاج " .

(٢٩١) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ٥-٦ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٢ .

(٢٩٢) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٤ .

(٢٩٣) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ٧-٨ ، وفصول الآباء للحاخام ناثان. ٨ ، ٣٨ التى جاء بها " أن جمال إبراهيم لم تدخل أى مكان كانت به أصنام " ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٤ : ٣١ . ويعنى اسم العلم " لابان " الأبيض. راجع دلالات هذا الاسم فى الموضع السابق ذاته من ميدراش بريشيت رابا ، وصموئيل الأول. ٥٤، وميدراش روث رابا ٣ ، ١ . راجع أيضًا مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ٣٦٣-٣٦٤ الذى وردت به تأصيلات دلالية عدة لمسمى " لابان " .

(٢٩٤) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٦ ، و ٣٧٠ ، وميدراش أجاداه . الجزء الأول. ص. ٩٥ . راجع أيضًا. تفسير راشى لسفر التكوين ٢٤ ، ٣٢ و ٥٥ .

(٢٩٥) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٦٦ ، وفصول الحاخام إليعازر. ١٦ ، ومدراش بريشيت رابا. ٥٩ ، ١١ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٤٥ .

(٢٩٦) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ٩-١٢ .

(٢٩٧) فصول الحاخام إليعازر. ١٦ ، ومدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ١٢ . وقد استدل الحاخامات على ما جاء فى سفر التكوين ٢٤ : ٥٠ بأن الزواج يتم فى السماء . راجع "موعيد كاتان" . ص. ١٨ب .

(٢٩٨) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ١٣ ، ومدراش شير هاشيريم. ٢ ، ١٤ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٧٠ . عن الهدايا التى قدمها إليعازر إلى ربيكا وأقاربها راجع. مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ١١ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٤٥ .

(٢٩٩) فصول الحاخام إليعازر. ١٦ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٤ ، ٦١ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٧١ .

(٣٠٠) مدراش بريشيت رابا ٦٠ ، ١٤-١٥، وباب " براخوت " . ص. ٢٦أ ، وباب " عفوداه زاراه " . ص. ٧ب ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٩٦ ، ومدراش باميدبار راباه. ٢ ، ١ ، ومدراش تهليم. ٥٥ ، ٢٩٢، ومدراش مشلى. ١٢ ، ٩٣ .

(٣٠١) جاء فى ص. ١٠٩ من الجزء الأول من " يلكوت " واستنادًا على رواية مدراش غير معروف " أن الغصابة التى لحقت بإسحاق جعلته يتشكك فى أن إليعازر ألحق أذى بعروسه غير أن الملاك جبريل قدم له دليلاً دامغًا أقنعه بعبثية شكوكه. وحتى يتم تعويض إليعازر عن سوء ظنون إسحاق فقد سمح الرب له بدخول الجنة خلال حياته " .

(٣٠٢) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ١٦ . راجع أيضًا. ترجمة أونكلوس لسفر التكوين. ٢٤ ، ٦٧ ، والزوهار. المجلد الأول. ص. ١٣٣ب .

(٣٠٣) فصول الحاخام إليعازر. ٣٢ ، وميدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٧٣ الذى ورد به موتيف أن ضوءًا ساطعًا غمر خيمة ربيكا .

(٣٠٤) الزوهار. المجلد الأول. ص. ١٣٣أ الذى جاء به أن سارة ظهرت بعد وفاتها لإسحاق فى الخيمة التى كانت تسكنها. راجع أيضًا. باب " كتوبوت " . ص. ١٠٣ أ .

(٣٠٥) فصول الحاخام إليعازر. ١٦ .

(٣٠٦) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ٧ ، ومدراش فايكرا رابا. ١٧ ، ٥ .

(٣٠٧) بيت هامدراش. المجلد السادس. ص. ٧٩ .

(٣٠٨) مدراش بريشيت رابا. ٦٠ ، ١٤ . فيما يتعلق باسم هذا المكان راجع: ترجوم يروشالمى لسفر التكوين ٢٤ : ٦٤ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٢٣ .

(٣٠٩) مدراش بريشيت رابا. ٦١ ، ٤ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٢٣ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٥ : ١ ، وفصول الحاخام إليعازر ٣٠ . تفيد كل المصادر سالفة الذكر أن " قطورة " كان مسمى أخر لهاجر .

(٣١٠) ميدراش بريشيت رابا. ٦١ ، ٥ ، وميدراش تهليم. ٩٢ ، ٤١١-٤١٢ . وجاء فى المصادر سالفة الذكر أن أسماء قطورة تدل على أنهم كانوا من عبدة الأوثان. راجع أيضًا مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٨٣ .

(٣١١) مدراش بريشيت رابا. ٦١ ، ٧ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٧٨-٣٧٩ .

(٣١٢) راجع السوفريم .

(٣١٣) باب " السنهدرين " . ص. ١٩١أ ، والزوهار. المجلد الأول. ص. ١٣٢ب ، و ٢٢٢أ – ٢٢٢ب .

(٣١٤) راجع. سفر المكابيين الأول. ٢١ ، ١٠ ، وسفر المكابيين الثاني. ٥ ، ٩ .

(٣١٥) باشار فيارا . ص. ٤٢ب–٤٣ أ .

(٣١٦) مدراش بريشيت رابا. ٦١ ، ٦ ، ومدراش بسيكتا ٣١ : ١٩٨ب–١٩٩أ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٦٣، والجزء الرابع. ص. ٣٣ ، والجزء الخامس. ص. ٥٣ ، ومدراش باميدبار رابا. ١١ ، ٢ ، ومدراش دفاريم رابا. ١١ ، ١ . جاء فى كل المصادر سالفة الذكر أن الرب بارك قبل ظهور إبراهيم كل من كانوا يستحقون الاحترام غير أنه وهب إبراهيم القدرة على أن يهب البركة للآخرين .

(٣١٧) ورد موتيف تحول الدموع إلى جواهر فى القصص والأساطير الربانية . راجع الأجزاء اللاحقة من هذا العمل. تؤكد المصادر اليهودية القديمة أن قادة كافة الأمم انتحبوا عند وفاة إبراهيم قائلين "ويل للعالم الذى فقد قائده وللسفينة التى فقدت ربانها" . راجع. باب " بابا باترا " . ص. ٩١أ –٩١ب ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٨١ . وقد ورد فى ص. ٥٠ب من كتاب " باشار تولدوت انتحبت كل الشعوب لعام كامل على وفاة إبراهيم " . راجع عادة الحداد لعام كامل فى " موعيد قاطان " . ص. ٢٢ب . وكان من بين ماجاء فى هذا الكتاب أن إسحاق كان يسير فى مقدمة الجنازة ، وكان رئيس المنتحبين. راجع أيضًا : باب " بابا باترا " . ص. ١٦ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٦٧ ، ٣ ، وترجوم يروشالمى لسفر التكوين ٢٥ : ٨

(٣١٨) باب " عيروفين " . ص. ١٩أ ، ومدراش بريشيت رابا. ٦٨ ، ٧ ، وميدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ٨٢ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت. ص. ٢٥١–٢٥٢ .

(٣١٩) عيمق هاميليخ. ص. ١٤أ –١٤ب .

(٣٢٠) شعر يروشالايم. ١٠ ، ٩ .

حواشى الفصل السادس

يعقــوب

(١) مدراش تنحوما لسيفر شيموت ، وأجادات بريشيت ٤٠ : ٧٩ ، ومدراش شيموت رابا ١ : ١ . وقد جاء فى المجلد الثانى من همدراش هجادول لسيفر بريشيت أن هذه الفضائل حلت على يعقوب ومنه إلى يوسف .

(٢) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول.ص. ٣٨٧ . راجع أيضاً بريشيت رابا. ٦٣ : ٢ .

(٣) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٨٨ .

(٤) المرجع السابق. ص. ٣٨٨-٣٨٩ . تفيد مصادر أخرى أنها تزوجت حينما كانت تبلغ من العمر ثلاثة أعوام .

(٥) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ٤ ، ومدراش فايكرا رابا ، ومدراش شير هشيريم. ٢ : ٢ .

(٦) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. . الجزء الأول. ص. ٣٨٩ .

(٧) فصول الحاخام إليعازر. ٢٢ .

(٨) ياشار تولدوت. ص. ٥٠أ –٥٠ ب. وقد جاء فى باب يباموت بالتلمود أن أسباب عدم الإنجاب تعود إلى الزوجين وليس إلى ربيكا فقط. راجع أيضاً. الزوهار. المجلد الأول. ص. ١٣٧ب .

(٩) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ ، ٥ ، ومدراش شموئيل ٦ : ٦٤ ، ومدراش روث رابا. ٤: ١٢ . راجع أيضاً. الزوهار. المجلد الأول. ص. ١٣٧ب .

(١٠) يباموت. ص. ٦٤أ – ٦٤ب ، ومدراش هجادول. الجزء الأول.ص. ٣٩ . .

(١١) ياشار تولدوت. ص. ٥٠ ب .

(١٢) مدراش بريشيت رابا. ٦٢ : ٦ .

(١٣) المرجع السابق ٦٧ : ٦ . كان موضوع خلاف الأخوين داخل رحم والدتهما من أكثر المواضيع شيوعاً فى الأساطير اليهودية. راجع مدراش تهليم. ٥٨ : ٣٠٠ والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٥ : ٢٢ .

(١٤) سيدر إلياهو رابا. ١٩ : ٢٦-٢٧ .

(١٥) جاء فى سفر اليوبيل ٢٥ : ١٧ أن الملاك الحارس ليعقوب أقوى من عيساو . ويعتمد ما جاء فى هذا السفر على رؤية مفادها أن ميخائيل هو الذى يحرس يعقوب أى إسرائيل فى حين أن سمائيل هو الذى يحرس عيساو .

(١٦) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٠ – ٣٩١ .

(١٧) ياشار تولدوت. ٥٠ : ٦ . راجع أيضاً همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٢ .

(١٨) مدراش تهيليم. ٩ : ٨٣-٨٤ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٤ : ٦ . قارن أيضًا الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٥ : ٢٢. راجع أيضًا. الزوهار. الجزء الأول. ص. ١٣٧ ب .

(١٩) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ٧ ، ومدراش تهيليم. ٩ : ٨٤ .

(٢٠) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. المجلد الأول. ص. ٣٩٤ .

(٢١) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ٧ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٥ : ٢٣ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. المجلد الأول. ص. ٣٩٣ .

(٢٢) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ٨ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. المجلد الأول. ص. ٣٩١ .

(٢٣) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين. ٢٥: ٢٥ . راجع أيضًا مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ٧ .

(٢٤) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ٨ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٥ .

(٢٥) مدراش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٥٨ .

(٢٦) فصول الآباء للحاخام ناثان. ٢:٢ ، ومدراش تهيليم. ٩ : ٨٤ ، ومدراش تنحوما هكادوم ١ : ٢٣ ، وفصول الحاخام إليعازر. ٢٣ .

(٢٧) تفسير زيونى لسفر التكوين. ٢٥ : ٢٥ .

(٢٨) لمزيد من المعلومات عن مدلولات أسماء عيساو وأدوم وسعير. راجع. مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ٨ .

(٢٩) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ٩ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين. ٢٥ : ٢٧ .

(٣٠) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٧ .

(٣١) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ١٠ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٧ .

(٣٢) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين. ٢٧ : ٣١ .

(٣٣) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ١٠ .

(٣٤) سفر اليوبيل. ١٩ : ١٦ - ٢٠ .

(٣٥) مدراش فايكرا رابا. ٣٦ : ٤ ، وأجادات بريشيت ٦٤ : ١٣٠ . وقد جاء فى باب السنهدرين . ص. ١٩ب أنه كان من الواجب أن يكون إبراهيم والدًا للأسباط الاثنى عشر غير أن يعقوب أخذ هذه المهمة ليقيه عبء تربية الأطفال. وقد جاء فى الأساطير اليهودية فى أكثر من موضع أن يعقوب أفضل من إبراهيم ، وأن نهر الأردن لم يجف إلا بفضل الخصال التى تمتع بها. راجع مدراش بريشيت رابا. ٧٦: ٥ .

(٣٦) سفر اليوبيل ٢٢ : ١-٢٣ .

(٣٧) بابا باترا. ص. ١٦ب ، ومدراش تهيليم ٩ : ٨٣ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٣ : ١٢ .

(٣٨) باشار تولدوت. ص. ٥١ب - ٥٢أ . ويفيد ماجاء فى الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٥ : ٢٥ والفصل الثانى والثلاثين من فصول الحاخام إليعازر أن عيساو قتل إينوخ ابن نمرود .

(٣٩) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ١٣ .

(٤٠) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٨ .

(٤١) بابا باترا. ص. ١٦ب ، ومدراش بريشيت رابا ٦٣ : ١٤ .

(٤٢) فصول الحاخام إليعازر. ١٢ . ص. ٤٧ب - ٤٨ أ .

(٤٣) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٩-٤٠٠ . راجع أيضاً سيدر إلياهو ١٩ : ٢٦-٢٧ الذى فسر بيع عيساو لحق الميلاد إلى يعقوب على نحو مفاده أن عيساو تخلى عن نصيبه فى العالم القادم ليعقوب مفضلاً الاحتفاظ بنصيبه فى العالم المـادى .

(٤٤) مدراش بريشيت رابا. ٦٣ : ١٣ .

(٤٥) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٩٩ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٣ : ١٢ ، ومدراش باميدبار رابا ٢١ : ٢٠ .

(٤٦) مدراش ليكاح طوف لسفر التكوين ٢٥ : ٣٤ .

(٤٧) تفسير إيمرى نوعام لسفر التكوين ٢٥ : ٢٦ .

(٤٨) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٠-٤٠١، ومدراش بريشيت رابا ٣٦ : ١٤ .

(٤٩) مدراش أجاداه لسفر التكوين ٢٥ : ٣٣ .

(٥٠) ياشار تولدوت. ص. ٥٣أ -٥٣ب .

(٥١) مدراش هانيعلام. الجزء الأول. ص. ٣٩٩ ، والجزء الرابع. ص. ٤١٨ .

(٥٢) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠١ ، ومدراش سيخل طوف لسيفر بريشيت. ٢٦ : ١

(٥٣) مدراش بريشيت رابا. ٦٤ : ٣ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠١ ، ومدراش سيخل طوف لسيفر بريشيت. ٢٤ : ٦ .

(٥٤) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٣ .

(٥٥) أجادات بريشيت. ٢٦ : ١٠ . راجع أيضاً ياشار تولدوت . ص. ٥٢ ب .

(٥٦) ياشار تولدوت. ص. ٥٢ب ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٣ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٤ : ٥ ، والزوهار. المجلد الأول. ص. ١٤٠ب ، والمجلد الثالث. ص. ١١٣ب .

(٥٧) ترجوم أونكلوس والترجوم اليروشالمى للإصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين .

(٥٨) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٤ .

(٥٩) ياشار تولدوت. ص. ٥٣أ . راجع أيضاً مدراش بريشيت رابا. ٦٤ : ٧ .

(٦٠) فصول الحاخام إليعازر. ص. ١٢٧ب، وسيدر إلياهو. الجزء الأول. ص. ١٧٠ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين. ٢٦ : ١٢ . راجع أيضاً مدراش بريشيت رابا ٦٤ : ٦ .

(٦١) مدراش بريشيت رابا. ٦٤ : ٦ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٦ : ٢ .

(٦٢) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٧-٤٠٨ .

(٦٣) فصول الحاخام إليعازر. ٣٥ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٨ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٤ : ٨ ، والترجمة السبعينية لسفر التكوين ٢٦ : ٣٢ .

(٦٤) همدراش هجادول لسيفر بريشيت.الجزء الأول. ص. ٤٠٨ .

(٦٥) مدراش بريشيت رابا ٦٤ : ٩ ، وتفسير ليكاح لسفر التكوين ٢٦ : ٢٦ . راجع . همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ٤٠٩ .

(٦٦) الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٦ : ٢٠ ، ٢٧ . همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٨-٤٠٩ ، ومدراش أجاداه لسفر التكوين ٢٦ : ٢٢ .

(٦٧) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤١٠-٤١١ . راجع أيضًا. سيدر إلياهو ٢٥ . ص. ١٢٨-١٢٩

(٦٨) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٠٩ .

(٦٩) باب شابات .. ص. ٨٩ب ، وفصول ديرابينو هكادوش. ص. ٣٢أ ، و ٣٧ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٦٧ : ٦ .

(٧٠) التلمود اليروشالمي. باب سوطا. ٥ . ص. ٢٠ د .

(٧١) باشار تولدوت. ص. ٤٣ أ - ٤٣ ب .

(٧٢) سفر اليوبيل. ٢٥ : ١-٢٣ .

(٧٣) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤١١-٤١٢ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٥ : ٤ .

(٧٤) مدراش بريشيت رابا ٦٥ : ٤-١٠ . يذهب هذا المصدر إلى أن إسحاق كف بصره حينما جرؤ على مشاهدة الحضرة الإلهية خلال لحظة الذبيح. راجع أيضًا الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٧ : ١ ، والتثنية ١١: ٣ .

(٧٥) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٥١٦ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٥ : ٨ .

(٧٦) مدراش بريشيت رابا ٦٥ : ١٢ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤١٨ .

(٧٧) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤١٨، ومدراش بريشيت رابا ٦٥ : ١١ ومدراش فايكرا رابا. ١٦ : ١ .

(٧٨) مدراش بريشيت رابا. ٦٥ : ٤ .

(٧٩) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، ومدراش شيموت رابا ١٥ : ١١ ، والزوهار. المجلد الأول. ص. ١٤٢ أ .

(٨٠) مدراش بريشيت رابا ٦٥ : ١٣ ، ومدراش كوهيليت ٥ : ١٠ .

(٨١) مدراش بريشيت رابا ٦٧ : ٩ ، ومدراش تنحوما هكادوم . الجزء الأول. ص. ١٣١ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٧ : ٥ .

(٨٢) فيلون. تساؤلات على سفر التكوين. ص ٢٠٠ .

(٨٣) فصول الحاخام إليعازر. ٣٦ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٧ : ٦ .

(٨٤) مدراش أجاداه على سفر التكوين. ٢٧ : ٨ .

(٨٥) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٧ : ١١ .

(٨٦) مدراش بريشيت رابا ٦٥ : ١٥، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٢٤ .

(٨٧) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٧ : ٩ .

(٨٨) مدراش بريشيت رابا. ٦٥ : ١٤ ، ومدراش فايكرا رابا ٢١ : ١١ .

(٨٩) مدراش تنحوما هكادوم . الجزء الأول. ص. ١٣٣ ، ومدراش باميدبار. ٤ : ٨ .

(٩٠) مدراش بريشيت رابا. ٦٥ : ١٦-١٧ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٢٤-٤٢٥ .

(٩١) مدراش بريشيت رابا. ٦٥ : ١٨ . باب السنهدرين . ص. ٩٢ أ .

(٩٢) مدراش بريشيت رابا ٦٥ : ١٩-٢٣ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٣١-١٣٢ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٥ : ٢٣ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٧ : ٢٧ .

(٩٣) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٣٥، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٧ : ٣٥ .

(٩٤) باب شابات. ص. ٣٠ ب .

(٩٥) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٤٣٠ ، وفصول الحاخام إليعازر ٣٢ ، ومدراش بريشيت رابا. ٦٦ : ١-٤ .

(٩٦) مدراش بريشيت رابا ٦٦ : ٤ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٣٠ .

(٩٧) مدراش بريشيت رابا. ٧٥ : ٨ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزءالأول. ص. ٤٣٨ .

(٩٨) فصول الحاخام إليعازر. ٣٢ .

(٩٩) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٣٦ والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٧ : ٣٠ .

(١٠٠) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٧ : ٣١ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص. ٤٣١ .

(١٠١) ميدراش بريشيت رابا. ٦٥ : ١٨ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٤١-١٤٣ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٧ : ٣٣ والزوهار. المجلد الأول. ص. ١٤٣ أ .

(١٠٢) تفسير ليكاح لسفر التكوين ٢٧ : ٣٦ .

(١٠٣) مدراش بريشيت رابا. ٦٧ : ٥ ، ومدراش تهيليم. ١٠ : ٩٥ .

(١٠٤) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٤٣-١٤٤، وباب السنهدرين . ص. ١٠١ب .

(١٠٥) مدراش بريشيت رابا ٦٧ : ٦ .

(١٠٦) مدراش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٣٤-١٣٥، وأجادات بريشيت. ٤٢ . ص. ٨٦-٨٧ .

(١٠٧) ياشار تولدوت. ص. ٥٣أ -٥٣ب .

(١٠٨) مدراش بريشيت رابا. ٧٥ : ٩ ، ومدراش فايكرا رابا. ٢٧ : ١١ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين. ٢٧ : ٤١ .

(١٠٩) مدراش بريشيت رابا. ٦٧ : ٨-١٠ ، ومدراش تهيليم . ١٤ : ١١٢ .

(١١٠) سفر اليوبيل ٢٧ : ٥ .

(١١١) باب سوطا. ص. ١٣أ والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٧ : ٤٥ .

(١١٢) سفر اليوبيل ٢٧ : ٧ .

(١١٣) مدراش بريشيت رابا. ٦٧ : ١١ .

(١١٤) ياشار تولدوت. ٥٤ب-٥٥أ والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٨ : ٣ .

(١١٥) مدراش بريشيت رابا ٦٧ : ١٢ .

(١١٦) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٣٧-٤٣٨ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول ص. ١٣٦ .

(١١٧) مدراش بريشيت رابا. ٧٥ : ٨ .

(١١٨) هيدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٤٠ ، ومدراش تهيليم ١٤ : ١١٢ .

(١١٩) مدراش بريشيت رابا ٦٧ : ٨ .

(١٢٠) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٤٠ .

(١٢١) مدراش بريشيت رابا ٦٧ : ١٣ والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٨ : ٩ .

(١٢٢) التلمود اليروشالمى. باب " بيكوريم " ٣. ص. ٦٥ د .

(١٢٣) سفر اليوبيل ٢٧ : ١٣-١٨ . راجع أيضاً. همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٣٤١ .

(١٢٤) ياشار تولدوت. ص. ٥٥أ-٥٥ب .

(١٢٥) مدراش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٤٥ .

(١٢٦) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٤٢-٤٤٣ ، ومدراش بريشيت رابا. ٦٨ : ٢ .

(١٢٧) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٤٣ . راجع أيضاً. مدراش بريشيت رابا ٦٨ : ٥ .

(١٢٨) مدراش بريشيت رابا. ٦٨ : ٥ ومدراش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٥١. يفيد هذان المصدران سالفا الذكر أن فلسطين ليست جزءاً من الأرض المقدسة .

(١٢٩) مدراش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٤٧ وأجادات بريشيت. ٤٦ . ص. ٩٥-٩٦ .

(١٣٠) فصول الحاخام إليعازر ٣٥ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٨ : ١٠ .

(١٣١) مدراش بريشيت رابا. ٦٨ : ١٠ . باب السنهدرين . ص. ٩٥ب ، ومدراش كوهيليت ٣: ١٤ . راجع أيضاً الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٨ : ١٠ .

(١٣٢) مدراش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٤٥ .

(١٣٣) مدراش بريشيت رابا ٦٨ : ١١ ، ومدراش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص. ١٢٣-١٢٤ ، وفصول الحاخام إليعازر ٣٥ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين. ٢٨ : ١٠ ، وباب " حولين " . ص. ٩١ب ، ومدراش بريشيت رابا. ٢٤ : ٥ .

(١٣٤) مدراش بريشيت رابا ٧٣ : ١٢-١٤ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٤٩-٤٥١ .

(١٣٥) مدراش فايكرا رابا ٢٩ : ٢ ، وفصول الحاخام إليعازر ٣٥ ، ومدراش شيموت رابا. ٣٢ : ٧ .

(١٣٦) مدراش بريشيت رابا ٦٨ : ١٢ .

(١٣٧) تفيد إحدى المدراشيم المعروفة باسم " ميدراش هانيعلام " أن يعقوب أدرك على هذا النحو أنه بالأرض المقدسة ، وأن الرب أخبره بها أن الحضرة الإلهية لا تقيم إلا بالأرض المقدسة .

(١٣٨) مدراش بريشيت رابا ٦٩ : ٤-٥ ، وباب " حولين " . ص. ٩١ أ .

(١٣٩) باب " شابات " . ص. ١١٨أ . راجع أيضًا. مدراش بريشيت رابا ٦٩ : ٦ .

(١٤٠) مدراش بريشيت رابا. ٦٩ : ٧ .

(١٤١) فصول الحاخام إليعازر. ٣٥ . راجع أيضًا . همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٥٤ .

(١٤٢) الترجوم اليروشالمي لسفر الخروج ٢٨ : ٣٠ .

(١٤٣) فصول الحاخام إليعازر ٣٥ ، ومدراش بريشيت رابا ٦٩ : ٦ .

(١٤٤) مدراش بريشيت رابا ٧٠ : ٧ .

(١٤٥) مدراش بريشيت رابا ٧٠ : ٤ .

(١٤٦) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٥٦ .

(١٤٧) مدراش بريشيت رابا ٧٠ : ٤ .

(١٤٨) فصول الحاخام إليعازر ٣٥ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٨ : ١٠ .

(١٤٩) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٥٧ ، ومدراش بريشيت رابا ٧٠ : ١١ .

(١٥٠) مدراش بريشيت رابا ٧٠ : ١١ .

(١٥١) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٩ : ١٠ .

(١٥٢) فصول الحاخام إليعازر ٣٢ .

(١٥٣) الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٨ : ٢٢ وفصول الحاخام إليعازر ٣٦ .

(١٥٤) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٧ : ٢٢ .

(١٥٥) مدراش بريشيت رابا ٧٠ : ١٣ .

(١٥٦) همدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص. ٤٦٠-٤٦١ . راجع أيضًا الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٢٩ : ٣ .

(١٥٧) يلكوت رئوبين على سفر التكوين ٢٩ : ١٥ .

(١٥٨) مدراش بريشيت رابا ٧٠ : ١٤ .

(١٥٩) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٤٦٣-٤٦٤ .

(١٦٠) مدراش بريشيت رابا ٧٠ : ١٧-١٨ .

(١٦١) المرجع السابق ٦٨ : ٤ .

(١٦٢) المرجع السابق ٦٥ : ١-٣ .

(١٦٣) المرجع السابق .

(١٦٤) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٥٢-١٥٣ .

(١٦٥) مدراش بريشيت رابا ٧٠ : ١٩ .

(١٦٦) سفر اليوبيل ٢٨ : ٤ .

(١٦٧) ميدراش بريشيت رابا ٧٠ : ١٩ ، وسفر اليوبيل ٢٨ : ٨ .

(١٦٨) مدراش بريشيت رابا ٧٤ : ١٣ ، وفصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢٩ : ٢٤ .

(١٦٩) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٥١-١٥٢ ، وأجادات بريشيت ٤٨ : ٩٧-٩٨ ، ومدراش بريشيت رابا ٧١ : ٢ .

(١٧٠) مدراش بريشيت رابا ٧١ : ٢ .

(١٧١) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، ومدراش بريشيت رابا ٨٤ : ٢١ .

(١٧٢) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٦٨-٤٦٩ .

(١٧٣) المرجع السابق .

(١٧٤) مدراش بريشيت رابا ٦١ : ٤ . راجع أيضًا. همدراش هجادول لسفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٦٩ .

(١٧٥) راجع. الزوهار. المجلد الثاني. ص. ١١٩أ .

(١٧٦) مدراش بريشيت رابا. ٧١ : ٤ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين. ٢٩ : ٣٠ .

(١٧٧) مدراش بريشيت رابا. ٧١ : ٦ .

(١٧٨) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣٠ : ١-٢ . راجع أيضًا. مدراش بريشيت رابا. ٧١ : ٦ .

(١٧٩) مدراش بريشيت رابا. ٧١ : ٧ ، وأجادات بريشيت ٥١ : ١٠٤ .

(١٨٠) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣٠ : ٥ .

(١٨١) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٥٦ ، ومدراش بريشيت رابا ٧١ : ٨ راجع أيضًا. همدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص. ٤٧٢ .

(١٨٢) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣٠ : ٨ .

(١٨٣) همدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص ٤٧٣ .

(١٨٤) مدراش بريشيت رابا ٧١ : ٨ .

(١٨٥) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣٠ : ١١ .

(١٨٦) مدراش بريشيت رابا ٧١ : ١٨ .

(١٨٧) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٧٣-٤٧٤ .

(١٨٨) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣٠ : ١٣ ، ومدراش بريشيت رابا ٧١ : ١٠ .

(١٨٩) مدراش بريشيت رابا ٧٢ : ١ .

(١٩٠) التلمود الأورشليمى. باب " شابات " . الفصل الثالث. ص. ٦ أ .

(١٩١) مدراش بريشيت رابا. ٧٢ : ٢-٤ .

(١٩٢) مدراش بريشيت رابا ٩٩ : ١٦ .

(١٩٣) المرجع السابق. ٧٢ : ٥ .

(١٩٤) مدراش دفاريم رابا ٧ : ١١ ، ومدراش بريشيت رابا. ١٨ : ٢ .

(١٩٥) ميدراش بريشيت رابا. ٧٢ : ٥ .

(١٩٦) الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٣٠ : ٢٠ ، ومدراش بريشيت رابا ٧٢ : ٦

(١٩٧) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٥٧ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٧٩ .

(١٩٨) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٧٨-٤٧٩ .

(١٩٩) همدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص. ٤٨٠-٤٨١ .

(٢٠٠) مدراش بريشيت رابا. ٧٣ : ٣ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص. ١٥٨ .

(٢٠١) الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٣٠ : ٢٣ . راجع أيضًا. همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٨١ .

(٢٠٢) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٥٨ ، ومدراش بريشيت رابا ٦١ : ٤ .

(٢٠٣) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٤٨١ .

(٢٠٤) مدراش بريشيت رابا. ٧٣ : ٦ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٥٤ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٣٠ : ٢٥ .

(٢٠٥) ياشار فيتسا. ص. ٥٧ب-٥٨ أ .

(٢٠٦) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٦١ .

(٢٠٧) فصول الحاخام إليعازر ٢٦ .

(٢٠٨) مدراش بريشيت رابا. ٧٣ : ١٢ ، ومدراش نحوما كادوم. الجزء الرابع. ص. ١٤٢ . راجع أيضًا الزوهار. المجلد الأول. ص. ١٠١ أ .

(٢٠٩) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٤٨٦ .

(٢١٠) مدراش بريشيت رابا. ٧٣ : ٩-١٠ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٦١ .

(٢١١) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٦١ .

(٢١٢) المرجع السابق .

(٢١٣) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٩٠ .

(٢١٤) المرجع السابق. ص. ٤٨٨، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٨٧ .

(٢١٥) مدراش بريشيت رابا ٧٣ : ١١ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٦١-١٦٢ .

(٢١٦) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٨٩ ، ومدراش بريشيت رابا ٧٤ : ١ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص. ١٦ .

(٢١٧) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين. ٣١ : ٤ .

(٢١٨) مدراش بريشيت رابا. ٧٤ : ٢ .

(٢١٩) فصول الحاخام إليعازر ٢٦ . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص. ١٦٩ب .

(٢٢٠) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين. ٣١ : ٢١-٢٢ .

(٢٢١) فصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٢١ : ٢٤ .

(٢٢٢) مدراش بريشيت رابا. ٧٤ : ٦-٧ ، ومدراش فايكرا رابا ١: ١٣ ، وسفر الزوهار. المجلد الثالث. ص. ١١٣ أ و ٢٠٠ أ .

(٢٢٣) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣١ : ٢٣ .

(٢٢٤) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص. ٤٩١-٤٩٢ . راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص. ١٦٧ب .

(٢٢٥) مدراش بريشيت رابا. ٧٤ : ٨-١١ ، وفصول الحاخام إليعازر ٣٦ .

(٢٢٦) المرجع السابق .

(٢٢٧) المرجع السابق ٧٤ : ١٣-١٤ .

(٢٢٨) المرجع السابق ٩٤ : ٥ .

(٢٢٩) المرجع السابق ٧٤ : ١٦ .

(٢٣٠) ياشار فيتسى. ص. ٥٩أ -٥٩ب. راجع أيضًا. الزوهار. المجلد الأول. ص. ١٦٦ب .

(٢٣١) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ١٦٣ .

(٢٣٢) مدراش بريشيت رابا ٧٤ : ١٧ .

(٢٣٣) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣٢ : ٣ .

(٢٣٤) ياشار فيتسى. ص. ٥٩ب .

(٢٣٥) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٥٠١-٥٠٢ .

(٢٣٦) مدراش بريشيت رابا ٧٥ : ٥ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول ١٦١ .

(٢٣٧) همدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص. ١٦١ .

(٢٣٨) ياشار فيتسى . ص ٦٠ب .

(٢٣٩) مدراش بريشيت رابا ٧٥ : ١٢ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول ٥٠٢ .

(٢٤٠) مدراش بريشيت رابا. ٧٥ : ٧ .

(٢٤١) المرجع السابق ٧٦ : ١-٢ .

(٢٤٢) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص٥٠٢ .

(٢٤٣) مدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ١٦٢ .

(٢٤٤) مدراش بريشيت رابا ٧٥ : ٩ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول ص ١٦٢ .

(٢٤٥) مدراش بريشيت رابا ٧٨ : ١١ .

(٢٤٦) المرجع السابق ٧٦ : ٣ .

(٢٤٧) فصول الحاخام إليعازر ٣٧ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول ص ١٦١ .

(٢٤٨) مدراش بريشيت رابا ٧ : ٢-٣ .

(٢٤٩) يالكوت. الجزء الأول ص ١٣٢ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول.ص ١٦٥ .

(٢٥٠) مدراش بريشيت رابا ٧٨ : ٢ .

(٢٥١) يالكوت. الجزء الأول. ص ١٣٢ .

(٢٥٢) فصول الحاخام إليعازر ٢٧ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٣٢ : ٢٥ .

(٢٥٣) الزوهار. المجلد الثالث ص ١٤٥أ .

(٢٥٤) فصول الحاخام إليعازر ٤٧ ، وسفر الزوهار. المجلد الثاني. ص ٤ب .

(٢٥٥) همدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص ٥١٣ .

(٢٥٦) مدراش بريشيت رابا ٦٨ : ١٠ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول ص ١٦٨ والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٣٢ : ٣٢ .

(٢٥٧) سفر الزوهار. المجلد الأول . ص ٢٠٣ ب .

(٢٥٨) باب حولين. ص ٩٠ أ .

(٢٥٩) مدراش تهليم ١٠٢ : ٤٦٨-٤٦٩ ، وفصول الحاخام إليعازر ٣٦ ، ومدراش بريشيت رابا ٨٨ : ٦ .

(٢٦٠) الزوهار. المجلد الأول . ص ٢٠٣ب ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول ص ٥١٣-٥١٤ .

(٢٦١) مدراش بريشيت رابا ٧٨ : ٧-٨ .

(٢٦٢) الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٣٣ : ٢ .

(٢٦٣) مدراش بريشيت رابا ٧٨ : ١٠ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٥١٧ .

(٢٦٤) مدراش بريشيت رابا ٧٨ : ٩ ، والزوهار. المجلد الأول. ص ١٧١ب .

(٢٦٥) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٥١٦-٥١٧ .

(٢٦٦) مدراش بريشيت رابا ٧٥ : ١٠ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ١٦٥ .

(٢٦٧) بيت همدراش. الجزء السادس. ص٨١ ، ومدراش بريشيت رابا ٧٥ : ٤ .

(٢٦٨) فصول الحاخام إليعازر ٣٧ .

(٢٦٩) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ١٦٩ .

(٢٧٠) تفسير هادار لسفر التكوين ٣٢ : ١٤ .

(٢٧١) همدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص ٥٠٧ .

(٢٧٢) مدراش بريشيت رابا ٧٨ : ١٢ .

(٢٧٣) همدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٥١٨ .

(٢٧٤) مدراش بريشيت رابا ٧٨ : ٣ . راجع أيضاً. الزوهار. المجلد الثاني. ص ٤١ب .

(٢٧٥) مدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ١٦٨ .

(٢٧٦) مدراش بريشيت رابا ٦٧ : ٦ .

(٢٧٧) المرجع السابق ٧٨ : ١٤ ، ومدراش دفاريم رابا ١: ٢٠ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الثاني . ص ٩٢ .

(٢٧٨) الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٣٣ : ١٧ .

(٢٧٩) ميدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ١٦٩ ، ومدراش بريشيت رابا ٧٨ : ١٦ .

(٢٨٠) مدراش بريشيت رابا ٧٩ : ٥ ، ومدراش تنحوما كادوم . الجزء الأول. ص ١٦٨ .

(٢٨١) مدراش بريشيت رابا ٨٠ : ٦-٧ .

(٢٨٢) مدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص ٥٢٢ .

(٢٨٣) مدراش بريشيت رابا ٨٠ : ٧-٨ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول . ص ٥٢٢-٥٢٣ .

(٢٨٤) مدراش كوهيليت . ١٠ : ٨ .

(٢٨٥) فصول الحاخام إليعازر ٢٨ .

(٢٨٦) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ١٧١-١٧٢ .

(٢٨٧) تفسير ليكح لسفر التكوين ٣٤ : ٤ .

(٢٨٨) مدراش بريشيت رابا ٨٠ : ٥ ، ومدراش كوهيليت ١٠ : ٨ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٥٢٤ .

(٢٨٩) مدراش بريشيت رابا ٨٠ : ٤ .

(٢٩٠) ياشار فايشلاح. ص. ٦٣ب-٦٩ أ . راجع مدراش بريشيت رابا ٨٠ : ١٠ ، والترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٤٨ : ٢٢ .

(٢٩١) راجع هامش رقم ٩٣ .

(٢٩٢) انظر الهوامش التالية .

(٢٩٣) ميدراش يالكوت. الجزء الأول. ص ١٣٢ . انظر أيضاً بيت همدراش . الجزء الثاني . ص١-٥ .

٢٩٤) مدراش فايكرا رابا ٣٧ : ١ ، ومدراش تنحوما كادوم .الجزء الأول. ص ١٧٣-١٧٤ ، ومدراش بريشيت رابا ٨١ : ٢ .

(٢٩٥) مدراش تنحوما هكادوم. الجزء الأول. ص ١٧٤ ، ومدراش فايكرا رابا ٣٧ : ١ ، ومدراش بريشيت رابا ٨١ : ٢.

(٢٩٦) الزوهار. المجلد الأول. ص ١٧٣ أ .

(٢٩٧) التلمود الأورشليمي. باب "عفوداه زاراه" . الفصل الخامس. ص ٤٤ ، ومدراش بريشيت رابا ٨١ : ٣ .

(٢٩٨) مدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول. ص ٥٣١ ، ومدراش بريشيت رابا ٨٢ : ٤ .

(٢٩٩) باب " حولين " . ص٦ أ ، وتفسير هادار لسفر التكوين ٣١ : ٤ .

(٣٠٠) سفر اليوبيل ٣١ : ٣-٣٢ . وقد جاء فى هذا المصدر أن يعقوب أسس المذبح فى اليوم الموافق لرأس السنة اليهودية .

(٣٠١) ياشار فيتسى. ص ٥٧ب - ٥٨ أ .

(٣٠٢) سفر اليوبيل ٣٢ ك ٣٠ .

(٣٠٣) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ١٧٦ ، ومدراش بريشيت رابا ٨١ : ٥ ، ومدراش كوهيليت ٧ : ٢ ، والترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣٥ : ٨ .

(٣٠٤) همدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص ٥٢٣ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الرابع . ص ١٩ .

(٣٠٥) مدراش بريشيت رابا ٨٢ : ٢-٤ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ١٧٦ .

(٣٠٦) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣٥ : ١٤ .

(٣٠٧) مدراش بريشيت رابا ٧٨ : ١٦ .

(٣٠٨) همدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص ٥٢٨-٥٣٩ .

(٣٠٩) ياشار فايشلاح. ص ٦٩ب . أما الحاخام شلومو بن يتسحاق الذى يُعرف باسم راشى فقد رأى أن اسم بنيامين يعنى ابن الجنوب .

(٣١٠) مدراش بريشيت رابا ٨٢ : ٨ .

(٣١١) مدراش بريشيت رابا ٨٢ : ١٠ .

(٣١٢) الترجوم اليروشالمى لسفر التكوين ٣٥ : ٢١ .

(٣١٣) مدراش بريشيت رابا ٩٨ : ٤ ، ومدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ٢١٨ .

(٣١٤) مدراش تنائيم . ص ٢٢٠ .

(٣١٥) مدراش بريشيت رابا ٨٤ : ١٩ .

(٣١٦) سفر اليوبيل ٣٦ : ١-٨ .

(٣١٧) فصول الحاخام إليعازر ٣٨، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص ٥٤١ . راجع أيضًا. ياشار فايشلاح. ص ٩٢ أ - ٩٣ أ .

(٣١٨) بيت همدراش. الجزء الثالث. ص ١ .

(٣١٩) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ١٠٨ ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص ٥٢٤ .

(٣٢٠) مدراش تنحوما كادوم. الجزء الأول. ص ١٠٤ ، واجادات بريشيت. ص ١١٠-١١٤ .

(٣٢١) باب السنهدرين. ص ٩٩ب ، وهمدراش هجادول لسيفر بريشيت. الجزء الأول ص ٥٤٢ ، ومدراش بريشيت رابا ٨٠ : ١٤ .

(٣٢٢) ياشار فايشلاح. ص ٧٠ أ . راجع أيضًا. الزوهار. الجزء الأول . ص ١٨٨ أ-١٨٨ب .

(٣٢٣) التلمود الأورشليمي. باب "براخوت" . الفصل الثامن. ص ١٢ب ، ومدراش بريشيت رابا ٨٠ : ١٥ ، والزوهار. الجزء الأول . ص ١٨٨ ب .

(٣٢٤) مدراش بريشيت رابا ٨٣ : ١-٢ ، ومدراش هجادول لسيفر بريشيت . الجزء الأول. ص ٥٤٦ . راجع أيضاً مدراش شيموت رابا ٣٧ : ١ ، وباب حولين . ص ٥٦ ب ، وعفوداه زاراه . ص ١٠ أ .

(٣٢٥) الترجوم اليروشالمي لسفر التكوين ٣٦ : ٣٢

(٣٢٦) مدراش بريشيت رابا ٨٣ : ٣ .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومــى للترجمـة مشـروع تنميــة ثقافيــة بالدرجـــة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو باث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وجون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوامريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرارجينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرامتي	أشرف علي دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبـة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩-	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف

١١٣- راية التمرد	سادى بلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق فى التاريخ الإسلامى	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالى للإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنينل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدرك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعى	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد فاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديرك لايدر	عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧- مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى التلمسانى
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩-	الأيديولوچية	ديفيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤-	شامبليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليفمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩- العمى والبصيرة: مقالات فى بلاغة النقد المعاصر	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
١٩٣- عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة (رواية)	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كللر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البريرى

٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	خوسيه ماريا ديث بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية)	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستونير	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى	آرثر هيرمان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل شودكيفيتش	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيدين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	تقرير لمنظمة الأنكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلا رامراز - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كاى حافظ	صلاح محجوب إدريس
٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية)	ج . م. كوتزى	ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية)	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس وآخرون	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركيث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر أرمبرست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية)	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر)	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت	ديف روبنسون وكريس جارات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	نخبة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية)	إدواردو مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	چون جريبن	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جايبجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الچينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الرءوف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مويرز	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (جـ١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (جـ٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكى
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى وأوسكار زاريت	جمال الجزيرى
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجى هايد ومايكل ماكجنس	محيى الدين مزيد
٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدى
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	أى. ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايترى اسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة فى تاريخ الفن الغربى	دبليو بوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم محمد فوزى
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدى	محمود علاوى
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	أرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخرى لبيب

٣٤١- قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢- سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمان (شعر)	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وأمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات (شعر)	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- ألام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وألن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	تودور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مارلو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس (قصة فلسفية)	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة فى المجتمع الإسلامى الأول	روى متحدة	أشرف كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	ثلاثة من الرحالة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية (رواية)	باى إنكلان	ثريا شلبى
٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك بن داود خان	محمد أمان صافى
٤٢٩-	أقدم لك: هيجل	ليود سبنسر وأندزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	أقدم لك: كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	أقدم لك: فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	أقدم لك: ماكيافللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	أقدم لك: جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	أقدم لك: الرومانسية	دونكان هيث وجودى بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق العربى	شبلى النعمانى	جلال الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى (رواية)	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية الحديثة	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة (رواية)	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت: المرأة الفرعونية	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	أقدم لك: نظرية الكم	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	أقدم لك: علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	أقدم لك: الحركة النسوية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	أقدم لك: الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	أقدم لك: لينين والثورة الروسية	ريتشارد إبجينانزى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل

٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسني (رواية)	مريم جعفري	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء في الفكر السياسي الغربي	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودي جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودي	عبدالرشيد الصادق محمودي
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتي	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعي